



مجلة كلية الآداب

المجلد التاسع والثلاثون

العام الجامعي : ٩١ / ١٩٩٢

مجلة كلية الآداب في بورولها الذهبي

- | | |
|------------------------------|--|
| عثمان مازمان مرقى | بين الأدب والفن |
| محمد محمد حمى خليل | المعجم العربى والمصطلح لغوى |
| محمد على الكردى | كثيرة اللغة فى الفكر العربى |
| نفوسة عبد الفتاح شاش | بعض الفواطر من المجلات عدد قدماء المصريين |
| لطفي عبد الوهاب يحيى | فرقتا بين الاضطهاد والأخطار |
| محمد بيومى مهران | دراسة حول الفنون الكتابية |
| جمال حجر | العجز فى الفكر العربى لطفى الهند |
| أحمد أمين سليم | السجون فى مصر القرون |
| محمد فريد أحمد نقى | أصل السراى فى شرق الإسكندرية |
| عيسى على إبراهيم | تدوينة السجل الجوى الشرقى لى |
| محمد على أبو ديان | لغة الإسكندرية القديمة وأثرها فى حضارة مصر القديمة |
| عبد الرحمن بن سليمان الطرورى | حق الاحكام فى ملكات الجملة وعلاقتها بعض |
| | التجارب الدراسية |
| سعيد فتح القندى | الهجرة من القوف الى المدينة |
| محمد صبرى إبراهيم | سراى ويحدث عن حلة الجوى والى على بلاد العرب |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة كلية الآداب

المجلد التاسع والثلاثون

العام الجامعي ٩١ / ١٩٩٢

رقم الإصدار : ٦٤٦٥ لسنة ١٩٩٢

تصطو « مجلة كلية الآداب » وإصداراتها محكمة عن
كلية الآداب بجامعة الاسكندرية وتقدم مخطوطات البحوث
مكتوبة على آلة الكاتبة من ثلاث نسخ . ويجب ألا يزيد عدد
صفحات البحث عن ثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط
مكتوبة على الآلة الكاتبة.

تتم للبحوث وتكون جميع المراسلات باسم :

الأستاذ الدكتور محمد عبده معجوب

وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث ورئيس تحرير مجلة كلية الآداب

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

الشاطبي - الاسكندرية

جمهورية مصر العربية



تقديم

حرصنا منذ أعوام على أن تصدر أعداد مجلة كلية الآداب منتظمة مطردة لما نعتقد من أهميتها البالغة لا كمجرد مجال من مجالات أخرى كثيرة ينشر الأساتذة والطماء فيها مباحثهم العلمية ويتنازلون القضايا التي تشغل بال المفكرين بالتدقيق والتحصيل ، وإنما وقبل كل شيء آخر باعتبار هذه المجلة عنوانا صادقا على حال الكلية باعتبارها صرحا علميا ومؤسسة أكاديمية عريقة . بل أننا أستطع القول دون مبالغة أن مجلة كلية الآداب مرآة تعكس مدى نجاح الكلية في مهامها العلمية والتعليمية بمنتهى الصدق ، ولما تعكس المرايا في حياتنا اليومية ملامح الوجوه بكل ما فيها ، أن محاسن وأن مساويء ، قلن كانت الجامعة أساسا طائفا وأستاذ ومكتبة فالعلاقة المتداخلة بين الأطراف الثلاث لا يمكن أن تند ناجحة مالم تتمخض بدورها عن حلقات جديدة في نفس السلسلة ليصبح الطلاب باحثين جددا وتخرج كتب جديدة الى الدور ، فتزدهر المكتبة معطية بذلك فرصا جديدة للأساتذة الجدد ولطلاب المستقبل في التطور على معين لا ينضب من زاد العلم وبحيق المعرفة . وفي ذلك نمجلة الكلية تضم بين دفتيها أحدث الأبحاث وأهمها ، ليليا حيا على ماتمخض عنه العناية الأكاديمية والتربوية بأسرها في رحاب كلية الآداب . ولقد حرصنا كذلك على أن نتبع نظام التحكيم المحايد في تقييم الأبحاث المقدمة للمجلة لكي نتوخى أقصى قدر ممكن عن الموضوعية وبقية أن تضمن أعلى مستوى أكاديمي متاح للموضوعات والأبحاث التي تنشر في هذه المجلة .

على أن مجلتنا هذا العام تصدر في رحاب مناسبة أعم وأشمل تجعل لهذا العدد مذاقا خاصا ونكهة متميزة ، فضلا عما سبق أن ذكرنا سابقا . فهذا العدد يعد عدد احتفال الكلية بدويها الذهبي ، احتفال الكلية بمرور أكثر من نصف قرن من

السمى التدروب فى دروب العلم والمعرفة ، فلئن كانت جامعة الاسكندرية بأسرها تحتفل هذا العام بمرور خمسين عاما على انشائها فاننا فى كلية الآداب نحفل بمرور أربعة وخمسين عاما ، اذ - كما هو معلوم - نشأت كليتنا منذ عام ١٩٣٨ ، أى قبل انشاء الجامعة نفسها بأربعة أعوام ، وكانت وقتذاك تابعة لجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) .

وفى هذه المناسبة الفريدة لايستحيا الا أن نركز فى هذا العدد على الطابع الخاص الذى تفرضه ذكرى الاحتفال . لذئك نجد - الى جانب الموضوعات العلمية والأبحاث الأكاديمية المعتادة - نجد فى هذا العدد العديد من الأبحاث التى ألفت ابان الاحتفال باليوبيل الذهبى فى المحاضرات انتكارية وتفضل باعدادها لغيف من رواد هذه الكلية وأساتذتها الأفاضل ، ونجد كذلك العديد من الموضوعات المتعلقة بهذه المناسبة بطريقة أو بأخرى .

وبعد ... فعقب هذا التقديم المختصر الذى حسبناه لازما لما يتفرد به هذا العدد المواكب للاحتفال باليوبيل الذهبى للكلية ، لايجد المرء خيرا من أن يترك التقارىء وهذا العدد من المجلة وحدهما دون وسيط ... نتركك عزيزى التقارىء ان تترطد أراسر الصلة والألفة بينك وبين مجلة الكلية بل مجلتك أولا وأخيرا ، راجين أن تسفر هذه الصلة عن مزيد من الصلات على هيئة أبحاث ودراسات ودرى علمية فكرية لولاها ولولاك ما كانت هذه المجلة .

عمر عبد العزيز عمر

عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية

مجلة كلية الآداب

مجلس التحرير

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز عمر

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد عبده محجوب

مدير التحرير

الأستاذ الدكتور محمد بيومي مهران

أعضاء مجلس التحرير

- أ.د. أحمد محمد عبد الخالق

- أ.د. جوزيف نسيم يوسف

- أ.د. سعد زغلول عبد الحميد

- أ.د. سامي محمود جبر

- أ.د. عثمان سليمان موافي

- أ.د. عزيزة سعيد محمود

- أ.د. محمد أحمد بيومي

- أ.د. محمد عبد المعز نصر

- أ.د. محمد محمد حلمي هليل

- أ.د. نادية محمود عبد الله

- السيدة / تبسبى ابراهيم عبد القلى (سكرتيرة المجلس)



الفهرس

الموضوع

تقديم للأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز عمر عميد الكلية
بين الأدب والفارنخ

أ. د. عثمان سلیمان موافى

المترجم العربى والمصطلح الفنى

أ. د. محمد محمد حلمى هنبل

كثبونة اللغة فى الفكر العربى

أ. د. محمد على الكردي

بعض الخواطر عن المهادات عند قدماء المصريين

أ. د. نفيسة عبد الفتاح شاش

نرائنا بين الاخطاء والأخطار

أ. د. لطفى عبد الوهاب

دراسات حول التاريخ للأنبيا

أ. د. محمد بيوسى مهران

الحجاز فى الفكر السياسى لمسلمى الهلد

د. جمال حجر

المسجون فى مصر الفرعونية

د. أحمد أمين سليم

أنماط العمران فى شرق الأسكندرية مع التطبيق على قرية أببس الثانية.

د. محمد فريد أحمد فتحى

تنمية الساحل الجنوبى الشرقى لمصر

د. عيسى على إبراهيم

رقم الصفحة

١

٢٧

٤٩

٦١

٧٧

٨٩

١٧٩

٢٢٩

٢٨٩

٣٤٥

ثقافة الأسكندرية القديمة وأثرها في حضارات العصر القديم

٣٨٣

أ. د. محمد علي إبريوان

تأثير الإقصاد لدى طالبات الجامعة وعلاقته ببعض المتغيرات الدراسية

٤٠٩

د. عبد الرحمن بن سليمان الطريوي

الهجرة من الريف الى المدينة

٤٤٥

سعيد فاتح الفامدى

استراتيجون يتحدث عن حملة إيلنوس جالكوس على بلاد العرب

٥٠١

أ. د. محمد عبودي ابراهيم

بين الادب والتاريخ

الأستاذ الدكتور/ عثمان سليمان موانى

بسم الله الرحمن الرحيم

صاغة

لعل من المناسب أن نعيد إلى الأذهان مذكروه بعض الفلاسفة قديما، عن أهم ما يميز الإنسان عن سائر الكائنات التي حوله، وخلاصة قولهم في ذلك : أن الإنسان حيوان ناطق، أى متكلم، والكلام كما سنعرف مادة الأدب .
ويضيف بعض ذرى الفطنة إلى ذلك ، صفة أخرى يتصف بها الإنسان .
وهي المقنرة على تذكر أحداث الماضي .

ولما كانت هذه الصفة لا تتوافر في أى كائن حي، سوى الإنسان قالوا في وصفهم له : إنه حيوان له تاريخ .

ومن ثم فالأدب والتاريخ، يرتبطان بالإنسان أوثق ارتباط .
وسنحاول في هذه المحاضرة الكشف عن طبيعة العلاقة بين هذين اللوتين من الزمان المعروفة . وذلك من حيث المفهوم، والموضوع، والنحو .
وانطلاقا من هذا يستولفنا سؤال تقليدى، عن مفهوم كلمة أدب، فما مفهوم هذه الكلمة ؟؟

لكلمة أدب في تراثنا اللغوى دلالات كثيرة، منها ما هو خلقى، ومنها ما هو نفسى، ومنها ما هو ثقافى .

يقول صاحب لسان العرب (الأدب الذى يتأدب به الأديب من الناس، وسمى أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقايح .

وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع بدعى إليه الناس مدعاة ومأدبة. والأدب، أدب النفس، والنرس، والأدب الخرف وحسن التناول .

وأدبه فتأدب، أى علّمه، ويقال للتعبير إذا رعى وذلّل أدب مؤدّب . والأدب مصدر عن أدب التوم يأدبهم إذا دعاهم إلى طعام) (١)

(١) ابن منظور - لسان العرب ج ١ مادة "أدب" ط: دار المعارف مصر.

والواقع أن صاحب لسان العرب، أغفلنا في طوفان من المعانى المتباينة، ولم يحاول أن يبين لنا، أى هذه المعانى أسبق من الأخرى، شأن كثير من معاجنا اللغوية القديمة (١)، التى أغفلت عامل الزمن فى ترتيب معانى الألفاظ، ولم تنف بتنا على مراحل تطورها.

ومن المعروف عند الباحثين اللغويين حديثا، أن الألفاظ تتطور حسب تطور مصادر المعرفة الإنسانية وتنوعها، من معرفة مادية حسية الى معرفة، نفسية، ومنها الى معرفة معنوية ثم يصل بها التطور إلى أن تصبح مصطلحا على فرع من فروع العلم والمعرفة.

وقد نهج المستشرق الايطالى كارلونايلير هذا النهج تقريبا فى كشفه عن التطور الدلالى لهذه الكلمة فى ثقافتنا العربية، وقد أنتهى من ذلك إلى نتيجة مؤداها: أن أقدم معانى هذه اللفظة طبقا لماورد فى النصوص الشعرية، والكتابات النثرية التى ترجع إلى العصر الجاهلى والقرن الأول الإسلامى هى السنة أو العادة المتوارثة خلفا عن سلف (٢)

ثم أطلقت على الحكم والمعانى الخلقية المتوارثة عن الأجداد، التى كانت تتخذ أساسا للتربية والتعليم.

وتطور مفهومها بعد ذلك، إلى معنى المعرفة بالشئ، ثم اتسع هذا المفهوم فشمل المعارف الدينية (٣).

ونتيجة لاحتكاك العرب بعد الإسلام، بحضارات الأمم المجاورة لهم، وإفادتهم من تراث هذه الأمم، والتراث العقلى بنوع خاص، شرعوا يحددون

(١) راجع مثلا معانى هذه الكلمة فى القاموس المحيط، والصاحح للجوهري.

(٢) ولهذا يرجع نالير، أنها مشتقة من الدأب أى العادة، ثم حدث لها قلب مكانى الى الجمع، لجمعت على آداب لباسا على جمع يتر على آبار، ورأى على آراء... راجع له تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٨.

(٣) نالير: تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٤ - ٢٢.

مفاهيم بعض العلوم والمعارف، وفنون القول، ومن بينها الأدب، الذي عرفوه بقولهم: (هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف) (١).

ويبدو من هذا التعريف أن الأدب عند العرب كان عام، خاص وعام. فالخاص، هو ما أثر من شعر وفنون نثرية مختلف، أما العام، فهو العلم من كل فن من فنون العلم أو المعرفة بشئ.

وعلى هذا يفرقون بين العالم والأدب، فيقولون (إن الأدب يأخذ من كل شئ أحسنه، والعالم من يقصد لفن من العلم فيعتمله). (٢) فالعالم غير الأدب، لأن العالم يختص بفرع من فروع العلم أو المعرفة فيقتنه، أما الأدب، فلا يعنى بذلك، وإنما يختار من كل فرع من فروع العلم أو المعرفة أحسنه. والأدب بهذا المفهوم يشبه الكاتب الموسوعي في عصرنا الحديث أو مانسجه بالمشقف.

والتأمل في تراثنا الأدبي يلاحظ أن كثيرا من أسلافنا الكتاب الذين لهموا الأدب بمعناه العام، غلبت على كتابها تهم الطابع الموسوعي مثل، الجاحظ (٣)، وابن قتيبة (٤)، وابن عبد ربه (٥)، والنويري (٦).

وعلى أية حال، فهنا عن مفهوم الأدب عند القدماء، أما عن مفهومه عند الحديثين، والغربيين بنوع خاص، فلا يختلف كثيرا عن مفهومه عند القدماء.

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٥٢١ - ٥٢٢.

(٢) باثوث مصمم الأديب - ط ص ١٧ ط : منطيرت.

(٣) راجع له مثلا، كتاب الحيوان، والبيان والتبيين، ووسائله الأدبية المتنوعة الموضوعات، بين اجتماعية، وسياسية، وفكرية، ودينية...

(٤) راجع له، كتاب عيون الأخبار، وأدب الكتاب.

(٥) راجع له كتاب العقد الفريد.

(٦) راجع له نهاية الأرب في فنون الأرب.

فالمحدثون يرون أن الأدب نوعان كذلك، عام وخاص. فالمعنى العام كما يقول نالينو (عبارة عن جميع ما صنف في لغة ما سواء في العلوم، أم من الشعر والنثر البليغ، فالأدب حينئذ تشمل على جملة ما قيد في الكتب والدفاتر من إنتاج أفكار علماء الأمة وأدبائها). (١)

ويتفق معه في هذا المستشرق الألماني كارل بروكلمان حيث يقول (يمكن إطلاق لفظة أدب بأوسع معانيه على كل ما صاغه الإنسان في قالب لغوي، ليوصله إلى الذاكرة) (٢)

ويشير إلى أن بعض العلماء الباحثين يهتدون النقوش أدباً بهذا المفهوم، كذلك التراث التاريخي والرسائل.

أما عن المعنى الخاص، فهو فن قولى يشتمل على كثير من الفنون الشعرية والنثرية، كالروايات والمخطب، والأمثال والحكم (٣) وكل أثر لغوي صيغ صياغة جيدة.

ويدخل بعضهم في ذلك، كتب التاريخ والرحلات التي تتسم بجمال الصياغة، وحسن العرض، وشدة التأثير في النفس. (٤)

ويرى بعض ذوي الفطنة من النقاد الغربيين، أن أي تعبير لغوي لا يكتسب الصفة لأدبية، إلا إذا استحوذ على مشاعر السامعين أو المتلقين له، وجلبهم نحوه. (٥)

(١) نالينو، تاريخ أدب اللغة العربية ص ٤١.

(٢) كارل بروكلمان تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٣ والترجمة العربية)

(٣) المرجع السابق والصفا.

(٤) نالينو - تاريخ أدب اللغة العربية ص ٤١.

(٥) لاسل أيركر، مبادئ قواعد النقد الأدبي ص ١٨ - ١٩ ترجمة: محمد عوض محمد.

وذلك لأن أهم ما يميز لغة الأدب، كونها لغة انفعالية صادرة عن عاطفة
الأدب، ومشيرة عواطف المتلقين له، وإذا لم يحدث هذا، الاثارة لاتعد أدبا ولو
كانت صحيحة الصك، متقنة الـ صاغة، وإنما تعد نشرا علميا، مجردا من أى أثر
للانفعال أو العاطفة. (١)

وطبقا لهذا، فإن الأدب، فن كولى صادر عن الانفعال والعاطفة ومشير
للانفعال والعاطفة.

أو تعبير لفرى عن تجربة شعورية على صورة موحية. (٢)
ومهما يكن من أمر، فهذا النوع من الأدب، يطلق عليه كثير من النقاد
المعاصرين، اسم الأدب الإبداعى، أو الانشائى (٣)، ويرون أن أهم عناصره،
العاطفة، والمعنى، والاسلوب، والخيال. (٤) ويطلقون على النوع الثانى، اسم
الأدب الوصفى. وينضوى تحت لواء هذا النوع من الأدب، فرعان من أفرع
الدراسة الأدبية الحديثة، وهما: تاريخ الأدب، والنقد الأدبى. ولما أصبح الأدب
فى عصرنا الحديث علما، يدرس فى الجامعات والمعاهد العلمية المختلة 'تجه
كثير من أساتذة البحث الأدبى، إلى اطلاق كلمة تاريخ الأدب على الأدب العام،
أو الوصفى، وقصروا كلمة أدب، على الأدب الإبداعى.

الذى بعد عندهم لنا من الفنون الجميلة، يتخذ من التعبير اللغوى أداة
لنقل التجربة التى أحسها الأدب إلى القارى. (٥) أما تاريخ الأدب، فهو أقرب
إلى العلم، منه إلى الفن.

(1) OGden and Richards, The meaning of meaning p.285.

(٢) سيد قطب - النقد الأدبى ص ٧ .

(٣) Encyclopeadia Britanica, literature. (٤)

(٤) أحمد الشايب - الأسلوب ص ١٧ ط : النهضة المصرية .

(٥) لراعد النقد الأدبى ص ٤٦ .

ولذا يعد عند بعض العلماء الباحثين، تاريخاً للحياة العقلية (٥) لأمة من الأمم، أو شعب من الشعوب.

ومهما يكن أمر، فهذا عن مفهوم الأدب قديماً وحديثاً.

أما عن مفهوم التاريخ قديماً، وعند أسلافنا من العرب ينوع خاص. فلاحظ، أن الباحثين اختلفوا حول أصل هذه الكلمة، وهم يصدد لتحديد مفهومها، فذكر بعضهم أنها ذات أصل عربي (١) . وذهب بعضهم إلى القول بأنها ليست عربية الأصل، بل معربة عن الفارسية من ماه (٢) ، أو منقولة عن أصل سامي، من ياربج، أي القمر، ويرج أي الشهر. (٣)

وبالرغم من اختلاف الباحثين حول أصل هذه الكلمة، والتي يصعب ترجيح رأي منها على الآخر، فإن كثيراً من الباحثين، يتفقون حول ما تعنيه هذه الكلمة في العربية.

فكلمة تاريخ تعني تعريف الوقت (٤)، أو لتحديد الشهر، ثم تطور هذا المعنى لتشمل رواية الأخبار أو الأحداث، أو التاريخ المدون بحسب السنين (٥). وقد ألمحنا ونحن بصدد الحديث عن مفهوم الأدب العام عند العرب إلى أن بعض الروايات والأخبار التي تتعلق بأيام العرب وأنسابهم، ومآثرهم القديمة تعد لونها من ألوان هذا الأدب.

(١) بروكلمان - تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٧.

(٢) راجع مادني أرخ وديخ في لسان العرب، والصحاح للجوهري والمعجم الوسيط.

(٣) ومعنى ماه القمر - وديخ الشهر، راجع الصحاح للجوهري.

(٤) راجع مادة تاريخ بدائرة المعارف الإسلامية.

(٥) راجع مادني أرخ وديخ في الصحاح للجوهري، ولسان العرب.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية مادة تاريخ.

ويمكن أن نضيف الى ذلك بعض الكتابات التاريخية الأولى ، كالسيرة النبوية التي تحفل بكثير من خصائص الصياغة الأدبية، إذ تتسم بجمال التعبير ودقيه، وحسن العرض، علاوة على ما تثيره في نفس القارئ من رغبة شديدة في تتبع سير الأحداث والأخبار وتستحود على مشاعره وأحاسيسه من أجل ذلك (١).

ومن المعروف عند كثير من علماء التاريخ، أن السيرة النبوية وأخبار العرب قبل الإسلام، تمثلان المادة الأولية لكتب التاريخ الإسلامي (٢). وبناء على هذا يمكننا القول، بأن التاريخ الإسلامي نشأ في البداية نشأة أدبية.

ومكث على هذا الحال فترة طويلة من الزمن، تصل إلى عدة قرون (٣). ولكن المتأمل في الكتابات التاريخية يلاحظ أنها أخذت بمرور الزمن، تتحرر من الصبغة الأدبية، وتتجه نحو الكتابة العلمية، التي تقوم على عرض الحقائق العلمية عرضاً واضحاً، وكلها الأحداث التاريخية، والتزام التعبير العلمي المجرد من أي أثر انفعالي أو عاطفي.

وكما تطورت الكتابة التاريخية وأصبحت ثراً لعلماء تطور مفهوم التاريخ، ولم يعد رواية لأحداث الماضي وأخباره وحسب، بل تعليلاً وتفسيراً، ولتحقيقاً للروايات والنصوص التاريخية، وتوثيقاً لها. ويبدو هذا بوضوح من قبحى قول ابن خلدون (إن التاريخ لى ظاهره، لا يزيد على إخبار عن الأهم

(١) راجع خبر الرسول - في السيرة - منذ مولده حتى وفاته ، وأخبار الغزوات.

(٢) راجع ديونताल - علم التاريخ عند المسلمين - مقدمة الترجمة العربية، عبد العزيز النورى
نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٠٠. ومادة تاريخ بدائرة المعارف الإسلامية.

(٣) راجع مثلاً كتابات كثير من المؤرخين المسلمين حتى القرن السابع الهجرى. مثل ابن قتيبة، واليعقوبى، والدينورى، والطبرى، وابن الأثير.

والدول، والأسابق من القرون الأول، ونى باطنه نظر ولحقق وتعليل، للكائنات ومبادئها دقن وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عبق(١١).

وبهذا يكشف ابن خلدون عن مفهومين للتاريخ، مفهوم سطحي، ومؤدا، أن التاريخ رواية لأحداث الماضي وأخباره، ومفهوم عبق، وهو نقد وتفسير وتعليل الأحداث والأخبار التاريخية.

وقد كشف عن هذا الفهم العميق، لاهية التاريخ، من خلال نظريته فى نقد المعرفة التاريخية، التى سبق بها، كثيرا من فلاسفة التاريخ ونقاد، فى العصر الحديث(٢).

ولهذه النظرية جانبان، جانب سلبى، وجانب إيجابى، ويشمل الجانب السلبى فى هجومه على المؤرخين السابقين عليه، وشكك فى صحة كثير من الأخبار التاريخية، التى نقلوها دون نقد أو تمحيص وبيان ماوقعوا فيه من أخطاء(٣)، ثم ذكر العوامل والأسباب التى أدت بهم إلى ذلك.

مثل التشبهات للأراء، والنقده فى الناقلين، وتقرب الناس للنوى المراتب العليا بالثناء والمدح، والذهول عن المقاصد، وتروهم الصدق، والجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع.

ويرى أن مطابقة الوقائع على الواقع، أو العمران البشرى، كما يسميه تعاد، أصلح مقياس لنقد الروايات التاريخية، التى يقال عنها إنها ممكنة الحدوث، أو مستحيلة الحدوث.

(١) المقدمة ص ٧.

(٢) ساطع المصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ص ٦٤.

(٣) راجع بحثنا عن مرقف ابن خلدون من نقد التاريخ والأدب والنشود ضمن كتابنا منهج النقد التاريخى الإسلامى والمنهج الأوسى ص ٢٢٦ - ٢٢٧ . الناشر : دار اسعفة الجامعة ط: الثالثة.

(فالتقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالامكان أو الاستعانة،
أن تنظر في الاجتماع البشري، الذي هو العمران ونعرف مايلحقه من الأحوال
للأمة، ويعتضى طبعه، وما لا يكون عارضا لا يعتد به، وما لا يمكن أن يعرض
له) (١) وينتهي من هنا إلى وضع مفهوم جديد للتاريخ، وهذا يمثل الجانب
الاجباي من نظريته.

وخلاصة هذا المفهوم، أن التاريخ (خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو
العمران، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال وأصناف التقلبات للبشر
بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله
البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما
يحدث من ذلك العمران بطبيعة الحال) (٢)

ومن ثم، يتسع مفهوم التاريخ، ويتجاوز النطاق الضيق الذي حصره فيه
بعض القدماء، كرواية الأخبار، وتسجيل الأحداث الهامة، والتاريخ للمشاهير
والأعيان، دون سائر الناس (٣) إلى أن يصيح تاريخا حضاريا واجتماعيا، يتناول
ما يتعلق بالمجتمع وأفراده، من عادات وتقاليد ونظم، ومشكلات اجتماعية،
وأحداث وقضايا، وما يطرأ على المجتمع من تغير أو تطور. وهذا هو المفهوم
السائد للتاريخ في عصرنا الحديث.

يقول توينبي (إن التاريخ هو العلم الذي يبحث في الحياة العقلية التي
تحيها الوحدات البشرية، أي المجتمعات، وفي العلاقات القائمة بينها) (٤)

(١) المقدمة ص ٣٣.

(٢) كمنى بعض المؤرخين القدماء مثل الطبري، وابن الأثير، وأصحاب كتب التراجم والسير.

(٣) راجع مثلا، كتاب تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي لحسن إبراهيم.

(٤) لمهدي الصالح في اللغة والعلوم ج ١ ص ١٨.

وطبقا لهذا المفهوم، فقد يتناول التاريخ الحياة الأدبية في عصر من العصور، ويؤرخ لها، ويتداخل بذلك مع تاريخ الأدب، الذي يعد كما أشرنا، تاريخا للحياة العقلية.

وتبدو العلاقة بينهما أشبه بعلاقة الجزء بالكل، والفرع بالأصل. ومن ناحية المضمون، فكثيرا ما يصور الأدب مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية، ويعبر عن مشكلات المجتمع وافراده، في شكل أعمال أدبية إبداعية، شعرية كانت أم نثرية. كما نرى عند كثير من الشعراء في العصر الحديث، وبعض كتاب القصة والمرحبة (١).

وكما نرى عند بعض أسلافنا من الأدباء، في عصر ازدهار الحضارة العربية كالجاحظ (٢)، وابن العميد (٣)، والهمذاني، والحريري (٤)...

فقد عبروا في كتاباتهم عن قضايا مجتمعهم وعصرهم، أصدق تعبير كما صورا كثيرا من عادات المجتمع وتقاليده، ومشكلاته الاجتماعية التي كان يعاني منها كثير من الناس آنذاك، معاناة شديدة حتى لقد أصبحت بعض هذه الكتابات صفحات نقدية، لكثير من نقائص المجتمع وعيوبه الاجتماعية (٥). وقد حدث هذا في الوقت الذي كان فيه المؤرخون، لا يلقون بالآل إلى مثل هذه الأمور، ويعتون

(١) مثل نجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم، وتيمور، ويوسف إدريس.

(٢) راجع رسائله لمحقيق السندوس، وهارون، وكفا، وكفا كتابه البغلاء.

(٣) راجع رسائله.

(٤) راجع مقامات كل منهما.

(٥) ويبدو هذا بوضوح في بعض رسائل الجاحظ، وابن العميد، والهمذاني، ذوات المصامين الاجتماعية ومقامات الهمذاني والحريري.

فى تاريخهم، بالأحداث الكبرى، وأخبار الزعماء، والقواد والمشاهير من الناس (١)، دون النظر إلى مشكلات المجتمع، وأحوال عامة الناس، وعاداتهم وتقاليدهم، ونظمهم المعيشية، وأفراحهم وأتراحهم.

وبناء على هذا، يمكننا القول بأن الأدب، بعد فى هذه الحالة مصدرا من مصادر التاريخ الحضارى والاجتماعى بنوع خاص ويلتقى بذلك مع التاريخ بالمفهوم الحديث.

وعلى أية حال، فقد وضع لنا، وضوحا تاما، مفهوم كل من الأدب والتاريخ قديما وحديثا، وما يكشف تطور هذا المفهوم عما بينهما من تداخل. ولا يقتصر التداخل على هذه الناحية، ولكنه يتجاوز ذلك إلى الموضوع فقد يتناول الأدب بعض الموضوعات التى يعرض لها المؤرخ، مثل بعض الأحداث السياسية والآثار التاريخية.

وهنا يثار سؤال، وهو هل يتفق منحنى المؤرخ والأديب فى هذا التناول؟ ولكن يتسنى لنا الإجابة عن هذا السؤال، فنل بعض الأحداث التاريخية التى تناولها بعض المؤرخين وبعض الشعراء، مثل: ثورة الزنج التى قامت فى القرن الثالث الهجرى ضد الخلافة العباسية، وكان زعيمها رجلا فارسيا، استمال عددا كبيرا من الزنوج إلى جانبه، وادعى أنه يريد أن يحررهم من الرق والعبودية.

ووعدهم كما يقول بعض المؤرخين (أن يقردهم ويملكهم الأموال وحلف لهم ألا يهتد بهم، ولا يخذلهم، ولا يدع شيئا من الإحسان إلا أتى به إليهم...). وأمر

(١) مثل تاريخ الطبرى، وابن الأثير وكتب التراجم والسير.

كل من عنده من العبيد فضربوا مواليتهم كل سيد خمسمائة موط (١)(١٠٠)
واتست ثورته بالتدمير والتخريب، والسلب والنهب، وسفك دماء الأبرياء
من الناس.

ولما تناول المؤرخون هذه الثورة، عتروا بسرو أحداثها، والكشف عن
أهدافها، والآثار المدمرة التي أحدثتها ببعض البلدان العربية والنهاية التي
انتهت إليها (٢)، وذلك في لغة علمية واضحة على نحو ما رأينا في النص
السابق.

أما الشعراء فقد اتجهوا نحو هذا الحدث وجهة أخرى، نابعة من رؤية
الأدب الفنان للمواقع، التي تتخطى غالبا من الوجدان مرآة لها، ينعكس عليها
واقع الأدب الحضاري، أو الداخلي، فيعبر عما أحسه وشعره، ويصور وقعه
على مشاعره، تصويراً صادقا.

والشاعر في مثل هذه المواقف، لا يعبر عن ذاته وحسب، وإنما يعبر كذلك
عن ذات الجماعة.

ومن الشعراء الذين تأثروا بهذا الحدث التاريخي، وعبروا عن ذلك في
شعرهم ابن الرومي، الذي أفزعه، ما أحدثه هؤلاء المتحذرون من تدمير وتخريب
في مدينة البصرة.

يتمثل في ازهاق آلاف الأرواح البرئية، وهتك الأعراض، وسبي الخرائيم
النساء... وسرقة الأموال، وتشتت شمل الأسر :

يقول معبراً عن ذلك، في نغمة حزينة باكية:

ذا دعن مقلتي لذيق المنام شغلها عنه بالدموع السجام-

أى نوم من بعد ما حل بالبص رة ما حل من هنات⁺ عظام

(١) ابن الأثير - الكامل ج ٥ ص ٣٤٢.

(٢) راجع المرجع السابق ج ٥ ص ٣٣٦ - ٤٣٧ ، وكذا المعردى مروج الذهب ج ٢ ص
١٤٥.

+ كنا في اختيار كامل كيلاني، أما في ديوانه ط : دار الكتب "تلكم الهنات الكـ".

أى نوم من بعد ما انتهك الزَّ
أقدم الخائن اللعين عليها
وتسمى بغير حق إماماً
لهف نفس عليك أيتها البص
بينما أهلها بأحسن حال
كم أغصروا من شارب بشارب
كما رضيع هناك قد فطمره
كم فتاة بخاتم الله بكر
ألف ألف في ساعة قتلوهم
من رأيهم في المساق سبابا
من رأيهم يتخذون إماء
ما تذكرت ما أتى الزنج إلا
ما تذكرت ما أتى الزنج إلا
رب بيع هناك قدأ رخصه
رب بيت هناك قدده خلوه
رب ذى نعمة مناك ومال
رب قوم باتوا باجمع شمل

نج جهارا محارم الإسلام
وعلى الله أيما إقدام
لا هدى الله سعيه من إمام
رة لهنا كمثل لهب الضرام
إذ رماهم عبيدهم باصطلام
كما أغصوا من طاعم بطعام
بشا السيف قبل حين الفطام
فضحروها جهرا بغير اكتتام
ثم ساقوا الباء كالأغنام
داميات الوجوه والأقدام
بعد ملك الامراء والتخدام
أضرم القلب أيما إضرام
أوجعتنى مرارة الإرغام
طال ماقد غلا على السرام
كان من قبل ذاك صعب المرام
تركوه محالف الإعدام
تركوا شملهم بغير نظام. (١)

وواضح من هذا النص أن ابن الرومي لم يفصل في الحديث عن أحداث

(١) راجع التصبئة كاملة في دهران ابن الرومي، ط ١؛ دار الكتاب المصرية ج ٦ ص ٢٣٧٧.

وراجع كذلك أخبار كامل كهلاتي ص ٤١٩ - ٤٢٣.

هذه الشررة وأهدافها، وينحو بذلك منحى المؤرخين، ولكنه اكتفى بتصوير واقعة من وقائعها، تكشف عن مدى عنفها، وقوة أصحابها وغلظتهم فى معاملة الناس، والأطفال الأبرياء والكشف عن ألوان التدمير والتخريب، التى أحدثها هؤلاء المتمردون، بهذه المدينة المظننة، معبرا عن ذلك فى لغة مرعبة، تصور احساسه، بفداحة المأساة المفجعة، وتؤثر فى مشاعر القارىء وأحاسيسه تأثيرا قويا، فيستجواب مع الشاعر، تجاوبا وجدانيا صادقا.

إذ يحس باحساسه، ويفزع لفزعده، ويعدى بدائه.

وهذا من أخص خصائص التعبير الأدبى كما أشرنا.

ومن قبيل هذه الأحداث، التى تناولها المؤرخون والشعراء وتهاينت مناحيهم فى ذلك، حادثة وقعت فى إحدى قرى مصر أيام الاحتلال البريطانى، وهى حادثة دنشواى.

التى يذكر المؤرخون وشهود العيان، أنها حدثت صيف ١٩٠٦م. ويرد أحداثها على النحو الآتى مثلا (فى يوم الأربعاء ١٣ يونيو ١٩٠٦م قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم، وقصدوا بلدة دنشواى من أعمال مركز تلامنوفية لصيد الحمام، وهناك أصيب بعض الأهلىين فاصطدموا بالإنجليز، فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت، فثارت ثائرة اللورد كرومر - عميد الدولة البريطانية إذ ذاك - وعقدت المحاكمة المخصصة ... وقضت المحكمة بأعدام أربعة ، وحبس وجلد ثمانية.. ، ونقل الاعدام والجلد فى نفس البلدة على هرأى ومسمع من أهله..) (١).

أما الشعراء الذين عرضوا لهذه الحادثة فى أشعارهم ، فقد عبروا عن

(١) راجع هامش ١ . ص ٢٠ من ديوان حافظ إبراهيم ج ١ . ط ١ : الهيئة المصرية للكتاب.

إحساسهم ، وإحساس الشعب المصرى كله ، بتداحة هذه المأساة .
ومن خير التناجج الشعرية ، التى تصور ذلك ، قصيدة أحمد شوقى التى
قالها فى الذكرى السنوية الأولى ، لهذه الحادثة ، والتى استهلها بقوله :

هذهبت هأنس ربوعك الأيام .	بادنشواى على ريباك سلام
هيهات للشمل الشتيت نظام .	شهداء حكمك فى البلاد تفرقوا
ومضى عليهم فى القيود العام .	مرت عليهم فى اللحد أهلة
وبأى حال أصبح الأيتام .	كيف الأرامل فيك بعد رجالها
بعد البشاشة وحشة وظلام .	عشرون بيتا أفقرت وانتابها
أم فى البروج منية وحمام .	بالبت شعرى فى البروج حمام
لعرفت كيف تنفذ الأحكام .	"نيرون" لو أدركت عهد كرومر
شعبا بوادى النيل ليس بنام .	نوحى حمام دنشواى ودوعى
سحرا وبين فرائشه الأحلام .	إن نامت الأحياء حالت بينه
ضجت لشدة هولاه الأقدام .	متوجع يتمثل اليوم الذى
متوحشات والجنود قهام .	السرط يعمل والمشائق أربع
تدمى جلود هولاه وعظام .	والستارالى الفظائع ناظر
جزعا من الملاء الأسف زحام .	فى كل ناحية وفى كل محلة
وعلى وجوه الشاكلات وغمام .	وعلى وجوه الشاكلىن كآبة

والواقع أن أحمد شوقى (١) ، لم يتعامل مع هذا الحدث بعقله ، شأن أى
مؤرخ ، بل بوجدانه ، كأي شاعر صادق .
ولذا فقد استهل قصيدته بمخاطبة دنشواى ، كما يخاطب الشعراء القدماء .

(١) الثريات ١٠ ص ٢٤٤ .

الدهار ودروعها، محاولا استنطاقها، كى ترد عليه، وتجيبه عما يسأل عنه
وحزنه، من أحوال أهلها، الذين تفرق شملهم، وغمرهم الأسى والحزن، وذلك بعد
انقضاء حول على هذه المأساة، ويخص بالذكر الأرامل، والأيتام، ويلتحق إلى أن
وراء هذه المأساة، طاغية أشد طغيانا من نيرين روما وينادى الحسام، كى يشاركه
حزنه، بتوجه على الموتى، مشيرا بذلك مشاعر الشعب المصرى، الذى لم ينس هذه
المأساة، فنصورتها لا تزال ماثلة أمام عين كل مصرى.

صورة جلد من جلد من هؤلاء الأبرياء، وصورة شق من شق منهم،
والانفعالات النفسية، التى بدت مظاهرها مرتسدة على وجوه أهلهم، أثناء تنفيذ.
القصاص الجائر.

ولقد عبر شوقى عن هذا كله فى لغة شعرية صادقة، مصورة أصدق
تصوير، احساسه بالأسى والحزن، التى استحوذ على مشاعره ويتمثل فى كثير
من صور هذه القصيدة.

كصورة الحزن الذى خيم على روى هذه القرية، وعلى بهوت القتلى
والمسجونين، وعلى وجوه الذين قفلوا أبناهم، وعلى وجوه الشاكلات.

وصورة أبراج الحمام، التى تحولت الى أبراج موت ودمار...، وصورة
الشعب الذى ينز ويتوجع، وكأنه أصيب بألم شديد..

وعلى أمة حاله، فقد استطاع شوقى أن يجعل من هذا الحدث التاريخى
لمجربة شعرية صادقة على النحو الذى رأينا.

وقد غلب عليه هذا النحى فى تناوله للموضوعات التاريخية باستثناء بعض القصائد التى بنا فيها ناهيا لاشاعرا. (١)

وهذا الحكم ينطبق كذلك على منحى بعض الشعراء المعاصرين له فى تناولهم لبعض الموضوعات التاريخية. (٢)

ومن الموضوعات المتداخلة بين الأدب والتاريخ كذلك، وصف الآثار التاريخية، ومن أشهر ما وصف من هذه الآثار، فى عصر ازدهار الحضارة العربية، أبوان كسرى.

وقد عنى المؤرخون والاختياريون فى وصفهم له، بتحديد موقعه محددا دقيقا، وصورته من الخارج ومن الداخل، وتقدير مساحته وارتفاعه، والمادة المستعملة فى بنائه، والاشارة الى العصر الذى بنى فيه... (٣) أما عن وصف الشعراء له، فخير ما يمثله سينية البهترى، التى أنشدها حينما زار هذا القصر، فى ظروف نسبية سيئة.

نقد كان يعاني من حالة إحباط نفسى، بسبب بعض التقلبات السياسية، التى أحاسه من نارها بعض الشرور.

نقد أدى نجاح مؤامرة اغتيال الخليفة العباسى المتوكل، بتدبير من الجند الأتراك وولى العهد، إلى اقضاء أنصار المتوكل عن قصر الخلافة وحرمانهم من كثير مما كانوا يتمتعون به من جوائز وهبات مالية.

وكان البهترى واحدا من هؤلاء الذين عانوا كثيرا بسبب هذا الحرمان المادى، ولأسباب معنوية أخرى.

(١) مثل «منتهى النى مثلها» - هست الفلك واحتياها الماء وحداها بين نفل الرجا - راجع الشوليات ج ١ . ص ١٧ - ٣٣.

(٢) راجع كتابنا فى نظرية الأدب ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢٩.

(٣) راجع مثلا معجم البلدان، لهارت الحسرى مادة «البيض».

منها مثلاً أنه لم يعد شاعر الدولة والمتحدث الرسمي باسمها ، كما كان في عهد التوكل ، واختفى بعيداً عن الأضواء ، وجفاء الكثيرون . وأحياناً بشيء من الغربة ، فقرر الرحيل وطمح وجه شطر مدينة المدائن ، حيث إيران كبرى .

الذي وجد نفسه مشدوداً نحوه ، وكأنه قطعة منه . ويبدو أنه أحس أن هلا الإبران يعانى مما يعانى به ، فأخذ يصفه ما زجاين ما سانه ، ومأساة الإبران مزجا نفسياً رائعاً ، حتى يخيل لنا ، أنه قد حل في المادة الموصوفة ، وحلت فيه ، بحيث يصعب التفريق بين الموصوف والواصف .

ومما يصور ذلك قوله عن هلا الإبران :

يتظنى من الكآبة إذ يمس	دو لعينى مصبح أو ممس .
مزعجا بالفرار عن السس إلسف عز أو مرهقا بتطبيق عرس	
عكست حظه اللبالي ويات المشتري فيه	وهو كوكب نحس
فهو يبدى لجلدا وعليه كلكل	من كلا كل الشعر موسى .
لم يعبه أن يز من بسط الدب	باج واستل من ستور الدمقس .
مشمخر تعلوله شرفسات	رفعت في رموس وضوى ولذس .
لاهبسات من الهياض قمايه	صر منها الاغلاكل برس .
ليس يدري أصنع إنس بلن	سكنوه أم صنع جن لإنس .
غير أنى أراه يشهد أن لم	بك هانيه في الملوك بنكس . (١)

ولا ندري هنا من الذي يبدو كتيباً مرهقا كأنه فارق أنيسه أو انفصل عن

زوجته ١١

ومن الذي انعكس حظه ، وانعكس على المشتري كوكب السعد فانقلب

(١) راجع ديوان البحترى ج ٢ ص ١٥٩ - ص ١٦٠ : تحقيق الصيرفى ط : دار المعارف

حين زاره كوكب نحس ٢١

ومن الذى يتجلد ويتلقى صدمات الدهر، بصبر وثبات؟

ومن الذى يشمخ بأنفه إلى أعلا؟

أهو الشاعر؟ أم الإيوان؟ أم هما معا؟

إن صدق تهمرة الشاعر، جعله يبدو فى وصف هذا الإيوان على النحو الذى رأينا من الاستغراق فى المادة الموصوفة.. وإن شدة إعجاب الشاعر بماضى الإيوان، وتقديره للفرس أصحابه وحضارتهم، جعله يستعيد صور هذا الماضى فى أكثر من لوحة من لوحات وصفه.

من تلك ملاحظات:

نكأنسى أرى المراتب والقو	م إذا ما بلغت آخر حصى.
وكان الوفود ضاحين حصى	من وقوف خلف الزحام وخنىس.
وكان القيان وسط القاصب	يرجعن بين هو ونفس.
وكان اللقاء أول من أم	س ووشك الفراق أول أمس.
وكان الذى يريد اقباعا	طامع فى لحولهم صبيح خمس.
عمرت للسروردها فصا	رت للتعزى رباعهم والتأسى.

فماضى هذا الإيوان يشهد على عظمته، وتلوح صور منه أمام الشاعر كصورة وقوف رعايا كسرى حسب مراتبهم الاجتماعية أمام باب الإيوان وصورة الوفود الكثيرة التى كانت تتوافد على الإيوان، وقد بدأ عليها الاعياء، وصورة مغنيات كسرى وهن يغنين.

ويخيل للشاعر أن الذى يراء أمامه، واقع حدث منذ يوم أو يومين وأن أصحابه لا يزالون على قيد الحياة، ومن يريد اللحاق بهم، فلن يستغرق منه ذلك سوى أيام قليلة.

ومهما يكن من أمر، فقد استطاع الباحثون من خلال وصفه لهذا الأثر التاريخي الجامد، أن يحركه ويثبت فيه نسمة الحياة، ويشخصه فيجعله إنساناً بحس وشعر، ويتفاعل مع الشاعر، ويتفاعل الشاعر معه، تفاعلاً قرياً، ريبوان شبيهاً واحداً.

ويختلف الباحثون في هذا المنحى الوصفي عن كثير من الشعراء السابقين عليه والمعاصرين له، الذين كانوا يقصرون وصفهم على النقاط الصور الخارجية للمادة الموصوفة (١)، دون الكشف عن انعكاساتها على وجدانهم.

وهذا على العكس مما نراه في هذا الوصف الوجداني، الذي يشبه في كثير من خصائصه، منحى الشعر الرومانسي في الوصف (٢).

كما يختلف كذلك عن منحى المؤرخين والأخباريين في الوصف، الذي يفرغ على تسجيل ونقل صورة الأثر التاريخي نقلاً حرفياً، كما يبدو في الواقع، دون زيادة أو نقصان، وذلك في لغة علمية واضحة.

وعلى أية حال، فقد كانت سيئبة الباحثين، بما تتضمنه من وصف وجداني لهذا الأثر التاريخي، مبعث إعجاب بعض شعرائنا المعاصرين، كأحمد شوقي، الذي مر بالتجربة نفسها، حين نفى إلى أسبانيا وشاهد آثار العرب هناك، وعبر عن ذلك، في قصيدة طويلة بلغت أكثر من مائة بيت، وهي سيئبة كذلك، وقد حاول معارضة سيئبة الباحثين بها.

ولا يعني هذا المفاضلة بينه وبين الباحثين في هذا المجال، أو البحث عن تفوق على الآخر، وإن كان للسابق فضل السبق على اللاحق، ولكن التي يعنيه هنا، هو الكشف عن منحى شوقي في وصف الأثر التاريخي، ومن أهم الآثار

(١) راجع فروع الوصف في كتابي: التيارات الأجنبية في الشعر العربي ص ٢٢٩ - ٢٥١ ط ١، الثانية.

(٢) راجع الرومانتيكية، لغنيس هلال ص ١٣٠ - ١٤٠، والشعر المصري بعد شوقي للدكتور ج ١ ص ٤٩ - ١٢٢، ج ٢ ص ١٢٨ - ١٤٧ وانظر للدكتور كذلك في الشعر ص ٩٨ - ١٠١.

التاريخية، التي أثار إعجابه صورها في هذه القصيدة، السجد الجامع في قرطبة، الذي يعد من أعظم مساجد الأندلس.

وقد عنى المؤرخون في وصفهم له بالحديث عن تاريخ بنائه، وتصميمه المعماري بوصف أعمدته ودرواقه، والمادة المستعملة في بنائه والجدران التي تحيط به (١).

(ما وصفه شوقي له، فيتمثل في هذه الأبيات)

ورقيق من الهمم عتيق	جاء الألف غير مدموم حرس.
أثر من "محمد" وتراث	صار للروح ذى الولاء الأمان
بلغ النجم ذروة وتناهى	بين ثيلان في الأساس وقلس
مرمر تبج النواظر فيه	ويطول المدى عليها فترسى.
وسوار كاتها في استواء	ألفات الوزير في عرض طرس.
فترة الدهر قد كست مطربها	ما اكسى الهدف من فتور ونعس.
ويحها كم تزينت لعليم	واحد الدهر واستعدت لخمس.
وكان الرقيق في مسرح العبد	ن ملاء مد ثراث الدمقس.
وكان الأليات في جانبيه	يتزلن في معارج قلس.
منبر تحت "منزل" من جلال	لم يزل يكتسبه أو تحت قس.
ومكان الكتاب يفرحك ربا	ورده غائبا، فتدنو للمس.
صنعة الداخل المبارك في الفر	ب وآل له ميامين شمس. (٢)

ويكشف هذا النص عن منحنى أحمد شوقي، في وصف هذا الأثر العظيم، الذي يبدو من خلاله، ملتزما بمنحنى الشاعر الأديب الذي يعنى بتصوير وقع ما يراه، ويعجب به على وعطائه وأحاسيسه معبرا عن ذلك في لغة شعرية مرعبة، حافلة بكثير من الصور الفنية ويحرك الشاعرنا، دوافع نفسية وشعورية

(١) تراث الإسلام ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣١.

(٢) الشوكلات ج ٢ ص ٤٩ - ٥٠.

قوية، تجاه هذا الأثر التاريخي، تبدو لى إعجابه الشديد بدقة الصنعة وجمالها المعماري الذي يمثل لى بقاء هذا الأثر غضا ناضرا، بالرغم من تجاوزها الألف عام.

كما يمثل فى أكتيته المرمومة، وفى تناسق أعمدته وأستوائها، وزخارفه سقفه، التى تبدو ملائط حريرة مطرزة، وما يجعلها من آيات قرآنية، كأنها وحى منزل من السماء.

ومن هنا يتضح لنا، أن وراء إعجاب الشاعر بالجمال الملى لهذا الأثر، شعور داخلى بقيمته الروحية، ولذا تتجلى عاطفته الدينية فى هذا الرصف. فبرى خلف هذا الجمال الحسى، جمالا روحيا، نآيات القرآن الكريم التى تزين السقف، تبدو معنى روحيا أى وحيا منزلا من السماء.

والجمال الحسى للشعر، بغلفه جمال روحى، يستدل على المنبر وما حول والأثر الروحى للمصحف لايزال باقيا، ويستدل عليه بهذه الرائحة الزكية التى تفوح من قاعة المصحف، مع أنه غير موجود بها.

ومن ثم، فإن وصف شرقى لهذا الأثر التاريخى، يعد وصفا وجدانيا كذاك. وبهذا يلتقى مع الباحثى فى وصفه لإبوان كسرى، وإن اختلفت دوائع كل منهما فى وصف الأثر التاريخى.

وعلى أنه حال، فما ذكرناه من أمثلة نصيبة يوضح لنا، أن الأدب والتاريخ، قد يلتقيان فى الموضوع، ولكنهما يختلفان فى الصياغة لتباين معنى الأديب عن معنى المؤرخ فى تناول الفنى.

وذلك لأن المؤرخ- كما وضع لنا - حين يصف حادثة أو أثرا تاريخيا ينقل ما رآه وشاعده نقلا حرفيا، وإذا لم يكن شاهد عيان للحادثة، فإنه ينقل روايات شهود العيان كما وردت على ألسنتهم دون زيادة أو نقصان ، وذلك فى لغة

علمية واضحة، مجردة من أى أثر انفعالى أو عاطفى.
أما الأدب والشاعر بنوع خاص، فإنه لا يصف الحادثة، أو الأثر التاريخى،
وإنما يصف إحساسه بذلك، ووقعه على مشاعره.

ومن هنا، فإن ما يصفه الأدب المبدع، لا يبدو على صورته الحقيقية، بل على
صورة معدلة عن الأصل، وقد تكون أجمل مما هى عليه على الواقع، وقد لا يكون
لها صلة بالواقع، وإنما تخيل الأدب المبدع، أو الشاعر، وأفعالها.

ولذا يرى أرسطو (أن مهمة الشاعر الحقيقية ليست فى رواية الأمور كما
وقعت فعلا، بل رواية ما يمكن أن يقع) (١) ويتخذ من هذا دليلا على التفريق
بين المزج والأدب المبدع فيقول (إن المزج والشاعر، لا يختلفان لكون أحدهما
يروى الأحداث شعرا، والآخر يرويها نثرا، وإنما يتميزان من حيث كون أحدهما،
يروى الأحداث التى وقعت فعلا بينما الآخر يروي الأحداث التى يمكن أن
تقع) (٢)

وبغض النظر عن الغاية التى يهدف إليها أرسطو من وراء هذه المزاينة بين
الشاعر والمزج، وهى الاعلاء من شأن الشاعر، فإن ما ينمى أن نستخلصه من
عبارته هو أن التاريخ مرتبط بالواقع، ومقيد بحدوده من الزمان والمكان،
لا يستطيع الانفصام عنها.

أما الأدب والشعر بالذات، الذى يعد لب الأدب، بل الأدب الخالص، فقد
يتجاوز حدود الزمان والمكان، وينطلق إلى آفاق أرحب، وأبعد من هذه بكثير.
ومن هنا، يبدو البون بين الأدب والتاريخ شاسعا
وبصبح التناقض، مرعونا، باقتراب الأدب من الواقع، أو عودة التاريخ،
إلى فطرته الأولى، التى فطر عليها، حين نشأ نشأة أدبية.

(١) فن الشعر - ترجمة عبد الرحمن بدوي ص ٢٦.

(٢) المرجع السابق والصفحة

المتزجم العزبى والمصطلح الفنّى

د.أ/محمّد مّحمّد حلمى هلىل

ورقة مقدمة لندوة الترجمة والتنمية الثقافية

فى الفترة ما بين ٥ الى ٧ مارس ١٩٩١

بقاعة الندوات بالهئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة - جمهورية مصر العربية



المترجم العربي والمصطلح الفني

محمد محمد حلمي هليل

(جامعة الاسكندرية)

تعالج هذه الورقة المشاكل التي يقابلها المترجم العربي في حقول الدراسات العملية والامسانية وذلك بالتركيز علي ظاهرة واحدة هي المصطلح الفني ومقايله العربي ، ثم يتعرض البحث بشيء من التفصيل الي مثالب المعاجم الثنائية المتخصصة التي تزيد من صعوبة عمل المترجم المتخصص ثم يتناول إنعكاسات هذه القضية علي البرامج في حقول الترجمة.

المترجم والمصطلحي:

ان وظيفة المترجم المتخصص واعداده وكذلك المصطلحي واعداده لاتزال في عالمنا العربي قضية محتاج الي شيء كثير من اعادة النظر . فلقد اصبحت الترجمة علماً معترفاً به له أسسه ونظرياته (Wills 1982, Nida 1964) وكذلك المصطلحية (Terminology) التي تكسب ارضا كل يوم بدعمها مركز العلوم الدولي للمصطلحية والمعروف بالافتوترم Infoterm (Picht & Draskau 1985, Felber 1984)

فميز أولاً بين عمل المصطلحي والمترجم . ان عمل المصطلحي يتركز اساساً في:-

١ - جمع وتسجيل المصطلحات المخصصة للتصورات في الحقول المعرفية الخاصة

٢ - وصف التصورات وذلك بشرحها أو تعريفها أو تقييس التعاريف

٣ - اتباع المبادئ المصطلحية (Terminological) ومبادئ التدوين

المصطلحي (Terminographical) ونقصد به تسجيل ومعالجة

البيانات المصطلحية على اساس من البحث في التصورات.

٤ - ضبط المصطلحات والعمل على مواسمتها في الحقول المعرفية المستقرة.

٥ - وضع مصطلحيات (Terminologies) الحقول المعرفية الجديدة (امثلة:

علم الكمبيوتر، اللسانيات، علم العظومات الخ).

ويشارك المترجم مع المصطلحي في قدر من هذه المهام، فعمله لا يقتصر على ان يكون مستهلكا لعمل المصطلحي بل هو أيضا منتج للمصطلح خاصة في عالمنا العربي حيث انه هو اول من يستقبل الراقد الجديد محاولا ايجاد المقابل العربي له لنقله للقارئ العربي لاسيما مترجم الامم المتحدة فالمبادئ التي تتناولها التقارير والوثائق الصادرة عن هذه المنظمة الدولية هي مبادئ معظمها جديد (ديداوي ١٩٨٩). من ثم يجب تدريب المترجم تدريباً مصطلحياً ايضاً بمتطلبات وظيفته.

حيمة المترجم العربي

يفتقر عالمنا العربي وكثير من الدول الاقل تقدماً الى المصطلحي المدرب تدريباً حديثاً في علم المصطلحية (Terminology Science) والتلويح المصطلحي (Terminography) وكذلك المعجمية الحديثة (Lexicography) مما كان له أثر على نوعية المعاجم المتخصصة الثنائية اللغة والمتعددة اللغات وكلها تمثل علة المترجم ويضيع ما لا يقل عن نصف وقته في البحث عن المقابلات العربية لما يواجهه من مصطلحات فنية. تعاني هذه المعاجم من مشالب عديدة تضع المترجم في حيرة وتشغره بعجزه لانه لم يسبق تدريبه على ان يواجه الموقف مواجهه علميه يجد فيها الخلاص.

نعرض هنا لهذه المشالب معتمدين على تفحص دقيق لبعض المعاجم الثنائية الانجليزية العربية وكذلك السارد بما فيها المعاجم الموحدة التي اشرف

عليها مكتب تنسيق التعريب بالرباط وقد قمنا بالبحث في حقول متعددة من الدراسات الانسانية والعلمية لفهم المشكل. من أهم هذه المثالب :-

١- غياب المصطلحات المستحدثة

تخلو هذه المعاجم من المصطلحات المستحدثة (neologisms) ومقابلاتها العربية لان ظهور المعاجم يقف عند سنة الاصدار بل قبلها ولا يتعدى ذلك . أضف الي ذلك ان اختيار المفردات في معاجمنا المتخصصة لا يزال ينهج نهجا عشوائيا لانه غير مبني علي اسس توثيقية صحيحة. لذا يجد المترجم نفسه في حيرة من امره وان عليه هو ان يبتدع المقابل العربي وأفضل مثال لذلك هو مترجم الامم المتحدة الذي يتعامل، في اغلب الاوقات ، مع مادة حديثة لصيقة بقضايا العالم المعاصر بكل تعقيداته، بها مصطلحات مُحَدَّثَة في ميادين جديدة لم يسبق ان تُرجمت للعربية (دهدارى ١٩٨٩).

فالمعاجم المتخصصة لاتضم الكثير من المصطلحات التي تتناول مجالات مُتجددة في بعض الحقول مثل اللسانيات وعلم المعلومات وبعض المصطلحات في هذه الحقول لا يمكن الحصول عليها في المعاجم او السارد المتاحة بل في ثانيا بعض المقالات او الكتب الحديثة المترجمة التي بها مسارة للمصطلحات الاجنبية ومقابلاتها العربية ويعكس هذا حاجة لترجم الماسة الى برنامج تدريبي في اسس التوثيق (Documentation).

٢- تبليين المكافئات العربية للمصطلحات الاجنبية والتفاهات التي التقييم

ان وجود مكافئين او اكثر من المقابلات العربية لمصطلح اجنبي بعينه قضية علي جانب كبير من الاهمية لانها قد تعيق الاتصال العلمي لا علي المستوى العربي فحسب بل علي المستوى القومي ايضا.

ينصب هذا التباين على المعاجم الثنائية المتخصصة بمقارنتها ببعضها بعضا وكذلك بمقارنتها بالمعاجم الموحدة لمكتب تنسيق التعريب بالرباط (انظر جدول ١)

أمثلة

١- حقل الكمبيوتر

المصطلح الأجنبي	قاموس المعلوماتية ومصطلحات الكمبيوتر	قاموس الكمبيوتر	معجم مصطلحات علم المكتبات والمعلومات
chip	شريحة	الشرة	شريحة
interface	تتبي	منقل ، أوجه تداخل	مُوصَلات مُوحدة
software	البرامجيات، الأنظمة البرامج الجاهزة		نظام الحاسب
terminal	طرفية	الوحدة الطرفية	محطة اتصال
flow-chart	مخطط انسيابي	خريطة التدفق	رسم تخطيطي، خريطة تسلسل

جدول (١) تباين المصطلحات في حقل الكمبيوتر

ب - حقول المكتبات والمعلومات

يركز الصريح (١٩٨٦ : ٢٤ - ٢٥) على الاختلافات والفوارق التي يلقاها المتخصص أو المترجم أو الدارس في مهنة المكتبات والمعلومات مُجَمِّعاً بعض المصطلحات الشائعة باللغة الانجليزية، مُسْتَعْرِضاً في ذلك لبعض المعاجم والسارد المتخصصة وتشمل :-

(أ) كتب المكتبات والمعلومات المترجمة

(ب) المقالات المنشورة في المجلات المتخصصة في المكتبات والمعلومات

(ج) المؤلفات والدراسات العربية الحديثة

(د) المعاجم المتخصصة في علم المكتبات والمعلومات

نتتالي منها مايلي :-

المصطلح الاجنبي	المقابل
١ - access	وصول ، اناحة ، تدارل ، التقاط
٢ - data base	لاعدة معلومات ، مرصد معلومات ، مرصد بيانات
٣ - file	ملف ، مِهْلَه ، فايل
٤ - microfiche	ميكروفيش ، مُصْغَرُ بطاقي
٥ - network	منظومة ، شبكة معلومات ، نظام شبكي

جدول (٢) : تبين المصطلحات في علم المكتبات والمعلومات

ويصل الصرينع (١٩٨٦ : ٤٤) في دراسته الي انه "من خلال المراجعة
 السريعة للاتاج الفكري المؤكف والمترجم يتضح ان هناك تفاوتاً واضحاً في
 استخدام المصطلحات العربية المتخصصة". ثم يبين خطورة هذا التفاوت ليقول :
 "لا شك ان اختلافات المصطلحات .. يؤدي الي اختلاف الملولات ايماناً
 وبالتالي الي صعوبة تحديد مفاهيم مشتركة بين المرسل والمستقبل في عملية
 تبادل المعلومات علي مختلف الوسائط ولمختلف الأغراض البحثية والتعليمية.
 ويحدد من نتيجة ذلك إجهام المتخصصين أو تخوفهم من خوض غمار الترجمة، مما
 ادي الي تاخر حقل المكتبات والعلومات عن مرحلة تأليف الكتب الدراسية أو
 المواد الاولية البسيطة". وينطبق مايقوله الصرينع علي حقل اخر هو حقل
 اللسانيات كما يتضح من الامثلة التالية (انظر جدول "٣") وقد اخترناها من
 خمسة مصادر.

ج- اللسانيات

المصطلح	معجم مصطلحات علم اللغة الحديث	معجم علم اللغة النظرى	قاموس اللسانيات	معجم اللسانية	المعجم المرحل لمصطلحات اللسانيات
pitch-١	طبقة الصوت	نغم ، درجة الصوت ، طبقة الصوت	مكائفة	نغم ، درجة الصوت	طبقة الصوت ، درجة الصوت
-٢ metalinguage	ما وراء اللغة	لغة واصفة	لغة تعبدي	لغة واصفة	- اصطلاح - رضع ثان (فى) مقابل الرضع الأول
-٣ topic	الموضوع / المستد اليه	مبتدا	مبار	موضوع الكلام ، مبتدا	- موضوع - الخفث عنه
-٤ comment	الحبر (فى النحر)	تعليق ، خبر	تعقيب	شرح ، تفسير ، تعليق	خبر جلة (فى النحر) - مستند (فى مقابل المستد إليها)
-٥ paralanguage	-----	لغة مصاحبة	إهائية	لغة مصاحبة	خارج عن اللغة

جدول رقم (٣) تبين المصطلحات فى اللسانيات

د- مصطلحات علمية مشتركة بين علوم الطب والحيوان والنبات

ونسحب مما تقوله هنا حتى على العاجم المرحلة التي يشرى عليها مكتب،
تنسيق التعريب، ويشير الهلاكي (١٩٨٨) الى هذا التباين بدراسته لثلاثة معاجم
هي : المعجم الطبي المرحل (١٩٨٣) والمعجم المرحل للمصطلحات العلمية
في مرحلة التعليم العام الجزء الرابع معجم مصطلحات علم الحيوان
(١٩٧٦) والجزء الخامس معجم مصطلحات علم النبات (١٩٧٨) ليري
مدي التوافق بين عدد من المصطلحات المشتركة بين الثلاثة حقول الطب والحيوان
والنبات وقد عرض عددا كبيرا منها (ص ٢٢٣ - ٢٤٠) نختار منها بعضها
(انظر جدول ٤).

المصطلح الانجليزي	المعجم الطبي	معجم مصطلحات علم الحيوان	معجم مصطلحات علم النبات
web-١	وترة	نسج العنكبوت	غشاء
-٢ toxin	ذيفان	ذيفان، تركسين	توكسين ، سام
-٣ epiglottis	البلع	لسان الزمار	--
-٤ dehydration	تجفاف، نكز	تجفيف	نزع الماء
-٥ hypodermis	النسجة تحت الجلد	الطبقة تحت الأدمة	تحت البشرة

جدول (٤) : تباين المصطلحات المشتركة في علوم الطب والحيوان والنبات

وعدنا الخطيب (١٩٨٦) أيضا بامثلة عديدة من التسميات العلمية في حقل النبات ليدلل على الفوضى المصطلحية وتبنى دراسته علي خمسة معاجم. ويزيد من هذه الفوضى ان المترجمين غير المتخصصين قد يأتون بمقابلات جديدة من خلقهم دونما فهم دقيق للحقل الذي هم يصدد ترجمته. كما ان المترجمين، بشكل عام، يعارضون في الاختيار. وحين لا يرضون بما هو متاح يضيفون مصادر لما يفضلون استعماله وتلك تختلف عن الموجودة في المعاجم او الكتب الاخرى الخاصة بنفس الموضوع مما يزيد من بلبله القارى والدارس.

٢-الترادف

هو استعمال مقابلين او مصطلحين او اكثر لتصوير واحد. تعاني معاجمنا المتخصصة تخمة في المرادفات مما يشير البلبله والابهاء لدي القارى. بان المترجم يتعامل مع تصويين مختلفين لتصوير واحد. وقد اخترنا بعض الامثلة للترادف من حقول مختلفة (انظر جدول ٥).

المفردات	المعجم	المصطلح	المفرد
المكتوبات القائمة، عمه	قاموس جني الطبي المعجم	alexia	١- الطب
دقيقة، مستتبت زجاجي	معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية	greenhouse	٢- الزراعة
التنظيمات الارشادية، تنظيم الوثائق	معجم مصطلحات علم المكتبات والعلوم	archival arrangement	٣- علم المكتبات
حزمة، حبة، وزمة، حشرة	قاموس الكمبيوتر	pack	٤- علم الكمبيوتر
صائت غاري، صائت امامي	معجم علم اللغة النظري	palatal vowel	٥- اللسانيات

جدول (٥) الترادف في المعاجم المتخصصة

٤- الاشتراك اللفظي

تعاني المعاجم المتخصصة كثرة الاشتراك اللفظي وهو استخدام لفظة عربية واحدة مقابل أكثر من تصور أو مصطلح اجنبي. ونضرب الأمثلة هنا من حقل اللسانيات وكلها من المعجم الموحد:

(أ) تستعمل لفظة (اللسانيات) الرياضية لأكثر من تصور أو مصطلح اجنبي statistical (linguistics), computational (linguistics) mathematical (linguistics)

(ب) تستعمل لفظة كلام لستة تصورات مختلفة أو مصطلحات اجنبية parole, sentence, speaking, speech act, speech, utterance

(ج) تستعمل لفظة صيغة مقابلاً لاربعة مصطلحات اجنبية form , aspect, tense, mood

والاشتراك اللفظي يلعب بدقة الدلالة ويضيع الفروق بين مصطلح وآخر. فهناك فروق عديدة بين tense و aspect مثلاً. فبينما يشير المصطلح tense الى زمان حدوث الفعل في الماضي أو الحاضر أو المستقبل يشير المصطلح aspect الى حالة الفعل من حيث البدء أو الاستمرار أو التمام أو الانقطاع. أما المصطلح form فيقصد به التغيرات التي تطرأ على بنية الفعل.

٥- تكرار الخطأ من نتاج مترجم

إن المعاجم الحديثة تتعد، دونما تنسيق، على المعاجم السابقة لها وقد يتكرر بذلك الخطأ من معجم لآخر ويستعملها المترجم غير المتخصص بل والمتخصص أيضاً ظناً منه أنها القابل الصحيح للمصطلح الاجنبي. ونضرب هنا مثلاً، أحداً من حقول الملاحة البحرية يشير اليه الملائكة (١٩٨٤) :

(٢٣١) وهو المصطلح metacentre وقد وضعوا له المقابل المركز البيئي الذي تركز في العاجم التالية: معجم المصطلحات الفنية (١٩٦٩) ومعجم المورد (١٩٨١) ومعجم الياس المصري (١٩٨٢) ومعجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية (١٩٨٤) واختلط الامر بين هذا المصطلح بفهرمه الخاص ومصطلح اخر قريب الصلة به هو centre of buoyancy فجاء المقابل العربي لدى المعجم العسكري الموحد (١٩٧٠) (مركز الطغوى) وفي معجم الفني (١٩٨٧) (مركز الطغوى الحائل) وحتى معجم البحرية (١٩٨٩) وهو احدها فقد كثر الخطأ (المركز البيئي). وقد ترجمت البادئة meta "بيئي" في حين ان المقصد بها في هذا المصطلح هو المركز الاهلي أو الثقل أو الأبعد ويعرف المصطلح metacentre بأنه نقطة التقاء الخط الرأسى المرسوم من نقطة طفو جسم عائم بالخط الرأسى المرسوم من نقطة طفوه الجديدة بعد احواله لليل. وتقع هذه النقطة وهي هامة في دراسة توازن السفن فوق كل من مركز الطغوى ومركز ثقل الجسم العائم وليس بينهما (الملائكة ١٩٨٤ : ٢٢١).

٦- اتباع النظام الالفبائي لا التصوري

ان النظام الالفبائي لا يزال النظام المتبع في معاجمنا الفنية ونقصه به ادراج المصطلحات الاجنبية تبعاً لهجاتها الفبائية مع مقابلاتها العربية بتعريف، او في اغلب الاحيان، بدون تعريف دون النظر الى الصلات المتعقدة بينها. وقد نُعت هذا النظام بأنه "الفرضي المنظمة" (Grinov, 1989) اذ ان من معايير ترتيب التصورات ترتيباً تعسفياً لا يسمح بتمثيلها تمثيلاً مترابطاً. فهو لا يظهر اي نوع مُجدٍ من العلاقات غير العلاقة العشوائية لادراج كلمات لها نفس الجذر. فالعلاقات القائمة بين التصورات وشبكاتهما تمثل عنصراً هاماً في عملية فهم المصطلح وتعريفه ومن ثم ايجاد المقابل العربي الصحيح الدقيق بل

والخذ من العرادي والاشعراك واللبس .

يتضح مما ذكرنا ان المترجم العربي عليه ان يكون مصطلحيا ومعجميا اذا دعت الحاجة ومن ثم فهر في حاجة ماسة الي التدريب المصطلحي ، وهذا النوع من التدريب تفتقر اليه معاهد الترجمة في بلادنا .

النظرية المصطلحية والتدريب المصطلحي

اصبح البحث في المصطلحات الفنية ونقل المعرفة والمهارات التقنية من لغة لاخري موضع دراسة علم جديد هو علم المصطلحية (Terminology Science) الذي يمكن ان يفيد من أسسه المترجم التخصص (انظر القاسمي ١٩٨٥ ، ١٩٨٥ ، Felber, 1984 Picht & Draskau, 1985). يبحث هذا العلم في العلاقة بين التصورات العلمية والمصطلحات الفنية التي ترمز لهذه التصورات، وجم علم يمتزج المعارف تتاخم حدوده اللسانيات وعلم الوجود (Ontology) وعلم المعلومات ولغة الاهداف الخاصة (LSP) والمعجمية والتأثيل (Etymology). وثمة نظريات عديدة للمصطلحية لكن النظرية المتطورة والفنية في مادتها العلمية سراء باللغة الانجليزية او الفرنسية هي نظرية Wuster المعروفة باسم النظرية العامة في المصطلحية (General Theory of Terminology) ويدون الدخول في تفاصيل النظرية وتطبيقاتها العلمية نحدد موضوعاتها كما تحصها فلبر (Felber 1983, 1984):

طبيعة التصورات وما بين هذه التصورات من علائق وانظمتها ووصفها (تعريفها) وقصر مصطلح علي تصور معين او تصور علي مصطلح بعينه، كما تتضمن ايضا البحث في طبيعة التصورات وتقييمها وتقييم عناصرها، وتقييم التصورات والمصطلحات وتوحيد التصورات والمصطلحات وطرق رصد المعلومات المصطلحية مع الاستعانة بالحاسب الالي او بدونه، ولجميع المفردات المتخصصة لتحقيق الاتصال المعرفي واعداد مكانز

أما العمل المصطلحي الذي تقترحه للمترجم فيتكون من شقين :-

(أ) البحث النظري (ب) الممارسة التطبيقية

ويضم الشق النظري حقل علم المصطلحية ويضم الشق التطبيقي البحث في منظومات التصورات والمصطلحات لحقل موضوعي معين أو الخصوصيات المصطلحية للغات أو حقل موضوعية معينة. والتصورية (انظر Nedobity, 1983) هي حقل هام للمترجم المتخصص وتعني بطبيعة التصورات والعلاقات بين التصورات ومنظومات التصورات وطرائق صياغة المصطلح لتصوير معين أو العكس .

وقد بدأ تقديم نظرية المصطلحية والمبادئ المصطلحية واستعمالها في عدد من الجامعات في النمسا وكندا وتشيكوسلوفاكيا والناغارك وجمهورية ألمانيا الاتحادية وفرنسا وجمهورية ألمانيا الديمقراطية، وبريطانيا والاتحاد السوفيتي ويتم اليوم توجيه المصطلحية بشكل متزايد نحو احتياجات مهنية معينة كاحتياجات الاختصاصيين وكذلك المترجمين وأخصائى علم المعلومات (Felber, 1988) لذا فلا بد أن يقوم التمرين المصطلحي بالنسبة للمترجم في بلادنا بلور متميز وذلك بمساعدة الانفورتم، ذلك المركز الدولي الذي يهذل الجهود لمساعدة الاختصاصيين في البلاد ذات المصطلحيات الأقل نمواً، فيوفر لهم المادة التدريبية ويقدم لهم المشورة فيما يختص بالبرامج التدريبية

من ثم يتضح ان تعليم النظرية المصطلحية ضروري للمترجم المتخصص ولا بد من أن يدخل كتمكون هام في برامج تدريب التوجمين في الوطن العربي فالتواصل في اللغة الخاصة لابد وأن يبرأ من اللبس المحتمل وقوعه في اللغة العادية والا انفرط عقد الاتصال العلمي. وإزاء هذا العجز في معاجم المتخصصة ولما كان المترجم في عالمنا العربي اسرع من المعجمي او المصطلحي

في وضع المقابل العربي ولا كانت الترجمة هي نقل مفهومي لرسالة من لغة لاخري فالترجم لاهد له من الاحااطة الشامة بالمقاربة ذات التوجّد التصوري (concept-oriented approach) ذلتي هي حجر الزاوية بالنسبة للنظرية المصطلحية.

لقد كان المترجمون في السابق كما يقول القاسمي (١٩٨٩) :
٤٠. "يعترفون مهنتهم دون اعداد متخصص واقا كان معظمهم من دراسي اللغات الاجنبية الذين تموا لديهم مهارات الترجمة بالممارسة. اما اليوم فان معظم المترجمين قد حصلوا علي تأهيل رسمي متخصص في الترجمة". وبذلك علي قوله باحصائيات لها مغزاها من دراسة قامت بها M.Grindod (١٠١ - ٩ : ١٩٨٦) وهي أنه في الولايات المتحدة لا تتجاوز نسبة المترجمين اللين لم يتموا تكوينهم الجامعي في الترجمة ٣٠ ٪ وتنخفض هذه النسبة في بريطانيا والمانيا والاراضي المنخفضة الي ١٠ ٪ اما في البلاد الاسكتدنافية فتكاد لا نجد هذا النوع من المترجمين البتة. من ثمّ واذا اخذنا قضية التعريب في وطننا العربي في الحسبان، وأن المترجم العربي المتخصص سيكون عليه سواء في الحقل الاتسانية او الحقل العلمية، معالجة مادة صعبة مليئة بمصطلحات واداة جديدة يلزم نقلها للعربية، ادركنا حاجة وطننا العربي الي المترجم المدرب تدريبا مصطلحيا صحيحا.

المراجع

١- المعاجم حسب وزود هالي البحث

قاموس المعلوماتية ومصطلحات الكمبيوتر (مع مسرد انجليزي - عربي) ر.ج.
اندرسون واعداد أ.و. حداد ، ١٩٨٥ ، بيروت : مكتبة
لبنان.

قاموس الكمبيوتر (الانجليزي - عربي) . محمد السعيد خثيه ومحمود عبد العظيم
عبد الله ١٩٨٧ ، القاهرة : دار الاشعاع.

معجم مصطلحات علم المكتبات والمعلومات. عبد الله الشريف ، ١٩٨٥ -
طرابلس : المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان.

معجم مصطلحات علم اللغة الحديث (عربي - انجليزي وانجليزي - عربي) . وضع
نخبة من اللغويين العرب ، ١٩٨٣ بيروت : مكتبة لبنان.

معجم علم اللغة النحوي (انجليزي - عربي) . محمد علي الخولي ، ١٩٨٢ ،
بيروت مكتبة لبنان.

قاموس اللسانيات (عربي - فرنسي وفرنسي - عربي) مع مقدمة في علم المصطلح.
عبد السلام المسدي ، ١٩٨٤ ليبيا - تونس : الدار العربية
للكتاب.

معجم اللسانية (فرنسي - عربي) بسام بركة ، ١٩٨٥ : بيروت : جروس برس
المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (الانجليزي - فرنسي - عربي) ١٩٨٩ . تونس
: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

المعجم الطبي الموحد - ط ٣ اتحاد الاطباء العرب ، منظمة الصحة العالمية
والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٣ - ميدلبانت
سويسرا..

المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مرحلة التعليم العام ، ج ١ ، معجم

مصطلحات علم الحيران، المنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم، ١٩٧٦، بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي .

ج ٥ معجم مصطلحات علم النبات . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

١٩٧٨ . دمشق : المطبعة التعاونية

قاووس حتي الطبي للجيب (انجليزي - عربي) يوسف حتي وأحمد شفيق الخطيب

١٩٨٨ . بيروت : مكتبة لبنان.

معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية (انجليزي - عربي) أحمد شفيق

الخطيب ط ٦ ١٩٨٤ . بيروت : مكتبة لبنان .

معجم المصطلحات الفنية : الجمهورية العربية المتحدة، القوات المسلحة ، ١٩٩٢

القاهرة

المورد (انجليزي - عربي) منير البعلبكي - ط ١٥ ، ١٩٨١ - بيروت : دار العلم

للملايين.

قاووس الياس العصري (انجليزي - عربي) الياس انطون الياس وأدوارد أ. الياس

ط ٢٥ ، ١٩٨٢ . القاهرة : دار الياس المصرية.

المفني الاكبر (انجليزي - عربي) حسن سعيد الكرمي . ١٩٨٧ - بيروت : مكتبة

لبنان.

المعجم العسكري الموحدة . "لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية،

١٩٧٠ - القاهرة : دار المعارف

معجم المصطلحات البحرية (انجليزي - فرنسي - عربي) الاكاديمية العربية للنقل

البحري، ١٩٨٩ - الشركة المصرية العالمية للنشر - لورنجيان

ب- المراجع الانجليزية:

Felber, H. (1983) "The general theory of terminology-a theoretical basis for information" in Cahiers de la Docu-

mentation / Bolden voor de Documentatie, 37, 2/3: 85-91

(1984) Terminology Manual. General Information Programme and UNISIST. International Centre for Terminology (Infoterm) Paris / Wien

(1986) "The terminology in today's world". Wien: Infoterm (Infoterm 16-86 en)

Grindod, M. (1986) "Portrait of a profession" in Language Monthly, 29: 9-10.

Grinov, S. V. (1989) "Some problems of terminological dictionaries and their classification" Unesco ALSED- LSP Newsletter, vol 10, no 2 (27)

Nedobity, W. (1983) "Conceptology and semantics: a comparison of their methods and examination of their applicability in terminology". Wien: Infoterm (Infoterm 1 - 83)

Nida, E. A. (1964) Towards a Science of Translating. Leiden: Brill

Picht, H and Draskau, J. (1985) Terminology: An Introduction. The University of Surrey : Guildford Surrey.

Wills, W. (1982) The Science of Translation : Problems and Methods Tübingen : Gunter Narr

ج- المراجع العربية:

دايداري ، محمد (١٩٨٩) " التدرين المصطلحي اساس التوحيد والتقييس "

ورقة مقدمة لندوة التقييس والتوحيد المصطلحيان في النظرية

والتطبيق ١٢-١٧ مارس ١٩٨٩ تونس .

الخطيب ، محمد أنور (١٩٨٦) " منهج بناء المصطلح العلمي العربي " ندوة

التعاون العربي في مجال المصطلحات علما وتطبيقا ٧-١٠ يوليو

١٩٨٦، تونس .

الصنيع ، علي (١٩٨٦) " مفارقات المصطلح في علم الكميات والمعلومات "

مكتبة الادارة العامة المجلد (١٣) العدد (٢) فبراير ١٩٨٦ .

القاسمي ، علي (١٩٨٥) مقدمة في علم المصطلح . الموسوعة الصغيرة العدد

(١٧٩) بغداد: دائرة الشؤون الثقافية والنشر

(١٩٨٩) "مشاكل المترجم العربي في المنظمات الدولية "

النسان العربي (٣٣) : ٣٧ - ٤٤.

اللائكة ، جميل (١٩٨٤) " المصطلح العلمي ووحدة الفكر " في اللغة العربية
والوعي القومي بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
الهلالى ، صادق (١٩٨٨) " تباين مصطلحات المعاجم العلمية واثره على
التعريب " النسان العربي (٣٠) : ٢١٩ - ٢٤٠

كينونة اللغة في الفكر الغربي

دكتور / محمد علي الكردى



كينونة اللغة في الفكر الغربي

د. محمد علي الكردي

ينسب نودوروف . أحد مشاهير النقاد الفرنسيين المعاصرين، إلى أن "الأدبية"، أي الخصوصية الأدبية للخطاب، بدأ مع تضخم ما يُسميه "حرفية" اللغة وانحسار وظيفتها المألوفة كأداة للتخاطب والاتصال ويقصد نودوروف بالحرفية الإهتمام باللغة من حيث هي لغة، أي الإهتمام بطرائق تركيبها وأساليبها التعبيرية، وبالصور البيانية المختلفة التي تتميز بها وتنمو وتطور عن طريقها لا كقوالب مفروضة على المادة الأدبية وإنما كجزء أساسي تقوم عليه هذه المادة. ولقد عني بتطوير هذا المفهوم واستغلاله في ممارساتهم الأدبية رواد الزاوية الجديدة في فرنسا، وعلي رأسهم كلود سيمون وآلان روب - جريه وروجيه بنجيه وجان ريكاردو وغيرهم. ومن المعروف أن جزءا كبيرا من روايات هذه "المدرسة" يقوم على ميكانيزمات توليد سواء على المستوي الصوتي، وما يتيح هذا المستوي من إنتاج التماثلات الصوتية، على شاكلة السجع والجناس، والتلاعب بها (لقد تبين أن هناك علاقة بين بعض هذه الكتابات ونظريات اللعب، أو على مستوى تداعي المدلولات والمعاني باستغلال ميكانيزمات الاستعارة والكناية هذا بالإضافة إلى ضروب عديدة من "الموضوعات الكتابية" التي تستمد من مواد أو مجالات فنية مختلفة كالسينما والرسم والتصوير والطباعة والإعلان، الأمر الذي يوفر للكاتب مخزونا كاملا من فنون العرض وأساليب الإخراج اللازمة له لأداء "حرفته" أو صداسته على أكمل وجه.

إلا أن الإهتمام باللغة من هذا المنظور الصناعي البحث، أي لمادة خام لها حضورها القوي وكثافتها الخاصة بها، لا يمكن أن يمثل، في نظرنا، مجرد اختيار

يرتبط بزاج الكاتب، أو بشكل مجرد صفة لا يمكن تبريرها أو تعليلها. في الواقع، إن مفهوم اللغة الذي يتولد هنا - ولا أريد أن أطرف إلى دور موسير في إبراز هذا المفهوم - قد يرتبط بمفهوم آخر بالغ الأهمية في مجال الممارسات الأدبية، وهو مفهوم "الكتابة" (l'écriture) كما يلمزه وصقله "رولان بارت" في دراسته المشهورة "الدرجة الصفر في الكتابة" (١٩). وهكذا نستطيع بفضل "بارت" أن نعرف أن الكتابة هي ضرب من الاستخدام اللغوي، الذي بشكل مستوي خاص لا يطابق من جهة، مفهوم اللغة عند "موسير" كنسق رمزي جماعي سابق علي الكلام، ولا يصل، من جهة أخرى، إلى مستوى الأسلوب كخاصية شبه مزاجية تعبر عن الطبيعة الجمعية للكاتب، وعن فرديته المطلقة في تعامله مع عناصر اللغة من دم، يمكن القول بأن الكتابة هي ما ينطبق علي مجموعة من التكوينات اللغوية التي تميز كل منها بتركيباتها الخاصة، والتي لا يمكن فصلها، كما يذهب بارت، عن رؤية الكاتب لممارسته لعملية الكتابة. إن هذه التكوينات اللغوية التي تمثل مجموعة من الأدوات والممارسات والظرائق التعبيرية، غالبا ما تنشأ في ظروف تاريخية محددة، إلا أن هذا لا يمنع من تعميم بعض مقوماتها، أو من تشكيل بعض مكوناتها في صورة أنماط كتابية عامة مثل النمط الكلاسيكي أو الرومانسي أو الرمزي أو الواقعي، نظرا لما غشله هذه الأنماط من استعدادات والمجاهات أساسية في تركيبه النفس البشرية.

إلا أن هذا الاهتمام بتحديد خصوصية اللغة وإبراز ميكانزماتها من خلال مستوى الإنجاز الأدبي غالبا ما كان يعبر عن رأي بعض الكتاب والنقاد الذين يرون في تغيير منظورهم للغة جزءا لا يتجزأ من عملية التحدد الشامل الذي يسعون إلى تحقيقه، إذ أنه ليس من المعقول، في نظريهم، تحويل الرؤي التقليدية في الرواية أو الشعر أو المسرح من غير تحويل اللغة لحاملة أو المشكلة لهذه الرؤي، لأن الكاتب يتعامل، في نهاية الأمر، مع اللغة ومع آليات الكتابة

التي تعد الرؤى تتاجا لها أكثر مما تكون هذه الأخيرة مضامين تعبر عنها اللغة كما ينهـب الفكر التقليدي السابق علي إنجازات "سوسير" (Saussure). غير أن هذا لا يفسر لنا، إذا استبعدنا آراء الكتاب واهتماماتهم، كيف انشق هذا المفهوم "الغريب" الذي يضفي علي اللغة "كينونة" خاصة بها، كينونة أعمق وأكثف من وظيفة الاتصال المنطوقة بها، كينونة فرضت وجودها كقوة خارجية علي الإنسان

وهنا لابد لنا من الرجوع إلي تفسيرات "ميشيل فوكو" "الأركيولوجية" لتبيين الظروف الموضوعية التي أدت إلي ظهور هذا المفهوم الثوري الذي يعبر عن تحولات عميقة في طبقات الثقافة الفرنسية أو الغربية. ويبدو أنه لكي نفهم هذه الظروف، علينا أن نرجع بخيالنا، بعض الشيء، إلي عصر النهضة، فني هذا العصر، كما ينهـب الكاتب، تقوم لغة الفكر علي مقولة أساسية هي مقولة "التشابه" التي تعمل كبند تنظيمي عام لجعل الحقل المعرفي. وتناط بهله القاعدة التشابهية العامة وما يتفرع عنها من مفاهيم ملازمة لها مثل "التوافق" و"التنافس" و"التجانس" و"التعاطف"، عملية كشف العلاقات الخفية الكامنة بين الموجودات علي أساس العلاقات والرموز الظاهرة التي يوقرها لنا عالم الطبيعه إلا أنه لا كشف من غير فن خاص للتفسير والتأويل، من ثم يقول لنا الكاتب ،

"إن القرن السادس عشر قد جمع بين علم للعلامات (سميولوجيا)

وبين فن للتأويل (هرمينوطيقا) في صورة من التماثل والتشابه،

بحيث أصبح البحث عن المعني هو القاء الضوء علي التشابهات،

والبحث عن قانون العلامات هو اكتشاف الأشياء القابلة للتشابه،

ومن ثم يكون فن التأويل هو نحو الموجودات والكائنات." (٢)

إلا أن هذه الأرضية المعرفية التي تشكلها اللغة في القرن السادس عشر

سوف تحول، بطريقة جذرية، إبان العصر الكلاسيكي، بحيث يتغير "كيان" اللغة من طبيعته الثلاثية، التي تعتمد على اتصال "دال (صورة العلامات) "بملول" (مضمون هذه العلامات) عبر "ظروف مرادية (التشابه الذي يمكن اكتشافه بين الأشياء والعلامات) إلى تركيبة ثنائية لاتتعدي ارتباط دال بملول ومعنى ذلك، في نظر الكاتب، هو نهاية التطابق القائم بين اللغة والعالم، وتحريم العلامات من ارتباطها بالطبيعة الناشئة ومن الشبهة حتى يمكن للغة أن تصبح مجرد نسق (اعتباطي) من العلامات يقوم على نظام عام للتمثيل. (représentation)

لقد تحددت العلامة اللغوية إذن، بعد استخلاها عن عالم الأشياء والطبيعة خلال القرن السابع عشر، بوظيفتها كحدث معرفي بحت، فهي لم تعد تستمد طابعها الاحتمالي أو اليقيني من الطبيعة، وإنما من مكانتها داخل إطار معرفي. لقد أصبحت تعبر عن "علاقة إبدال ممكنة بين عنصرين"، كما "أن الأشياء قد أصبحت بفضلها متميزة، محافظة على وحدتها وقابلة للتحليل والتركيب"، وهو ما يتيح، كما يدعي فوكو، للفكر الفرنسي أن يصل إلى مرحلة الحكم والتقويم.^(٣) أضف إلى ذلك أنه إذا كانت العلامة قبل إلى الاعتبارية، فهذه - من غير شك - اعتبارية وظيفية، إذ أن الذي كان يعني به الكلاسيكيون هو إنشاء لغة تحليلية وتركيبية جيدة حتى يتمكنوا من صياغة القوانين المكونة للطبيعة إلا أنه إذا كانت العلامة اللغوية فتبعد عن الطبيعة لتصبح في إطار النسق المعرفي الكلاسيكي مجرد علاقة بين فكرتين، فهنا لا يعني قدرها على التمتع بصفاتها العلامية بطريقة مستقلة، بل على العكس. إن هذه الصفة لاحت لها إلا بفضل قدرها التمثيلية معنى ذلك، أنه لن يكون هناك بين العلامة ومضمونها أي وسيط ولن تقوم أية عمدة أو ظلال وكما كان علم العلامات يلتقي، خلال عصر النهضة، بفن التأويل عبر

مبدأ التشابه، فإن هذا العلم نفسه سوف يلتقي، في العصر الكلاسيكي، بتقنية التفسير السمة ويفضل السمة التمثيلية البحتة المناطة به. وليس من شك، في أن غياب أي نوع من الغور بين الدال والمدلول في الفكر الكلاسيكي يشكل سمته المتميزة بالنسبة للفكر الغربي الحديث، وذلك بالقدر الذي سيحتاج فيه هذا الأخير إلى نظرية كاملة للدلالة لتفسير الفجوة القائمة بين الدال والمدلول، والتي يناط بها عمل الشعور ونشاطه. (٤)

إن الوظيفة التمثيلية تصبح، من ثم، دعامة اللغة في العصر الكلاسيكي. وليس من شك، في أن "الفعل" سيقوم فيها بدور بالغ الأهمية، خاصة فعل الكينونة الذي يناط به تجاوز العلامات اللغوية بما تقتله من ضرورة اتفاقية بحثه إلى أساس وجودها الفكري. لا غرو، من ثم، أن تكون وظيفة الفعل هي الصيغة التي تتواجد من خلالها اللغة، وهي القدرة على التمثيل بواسطة العلامات والربط بين هذه العلامات. إلا أن هذا لا يجب أن يحجب أهمية "الإسم" الذي يشكل "مادة الجملة رأساً لها القائم بذاته، بل ومحورها الذي دلتف حوله بقية عناصرها من صفات وأدوات ربط ووصل وغير ذلك.

إن الإسم، في الواقع، هو محور النظرية الكلاسيكية للغة من حيث كون "التسمية" هي مبدأ التصنيف العام الذي يعد بجانب النظام الرياضي (mathesis) الخاص بقياس المقادير والأحجام والكميات والامتداد، القاعدة الأساسية لجداوله الكائنات وتصنيفها وفقاً للنظام العقلي العام. ذلك أن الإسم من حيث هو "ملتقى كل وظائف اللغة" والوسيلة التي تتيح ترجمة العملية التمثيلية في صورة جمل وأحكام، بعد ركيزة الخطاب وشرط إمكانية اتصال الخطاب بالمعرفة وإذا كان الخطأ والصواب لا يرتبطان أساساً، كما يقول الكاتب، به وإنما بالحكم، أي بالتصور السليم الواضح لعلاقات النظام الفكري،

لأن الحكم لا يميز إلا بواسطة الوساطة الجملة المرتبطة به. ومن هنا ينشأ التلازم بين الفكر السليم والعمل اللغوي المطابق للمنهج. وبين اللغة التحليلية الدقيقة المنظمة التي لا تحدث فيها إنزلاقات أو هجومات قائمة على التوليفات الخيالية والتجريدات أو التعميمات المتسرعة. (٥)

من ثم، أبضاً، في نظر فوكو، هذه "الإسمية" (nominalisme) المنجزية التي تطبع الفكر الفلسفي الغربي منذ "هيز" وحتى تألف فلسفة "الأبديولوجيين" في أوائل القرن التاسع عشر، وهي فلسفة تقوم أساساً على تحليل اللغة والشك في كل ألوان العبارات والمصطلحات التي تقوم على التجريد والتعميم، كما يبرز ذلك عند "بركلي" و"هيوم" و"كوندياك". مع افتراضها، في الوقت نفسه، قدرة اللغة، كأداة بالغة الشفافية والوضوح، على تسمية الأشياء والتعبير عنها بصورة مطابقة في إطار نسق من إشارات المصطمة. ولكن إذا كان الاسم يمثل، على هذا النحو، غاية الخطاب، حيث أن تسمية الأشياء هي إدراكها، فإنه يمثل - لامتحالة - نهايته في الوقت نفسه. ولعل ذلك يفسر لنا، كما يذهب فوكو، ازدهار "الربطية" ووضوحها في الأدب الكلاسيكي. وذلك رغبة في تأجيل لحظة النطق بالاسم، والتمهيد لظهوره المرتقب يحشد من الصور والتشبيهات الخيالية التي لا تنفي تشوقنا إليه وإلى ما بعدنا به من نشوة اللقاء والكشف إن هذا - كما يبدو - هو ما يتحقق في عالم "ساد" الأدبي البالغ الحصف، حيث يلتقي الاسم، وهو مادة اللغة وغايتها، بعالم الرغبة لقاءاً بدوياً فيه إلى درجة انفلاق اللغة على نفسها، وانفصالها في كينونة غريبة عن وظيفتها التمثيلية المنوطة بها، وعن كل ما يربطها باستقطات الواقع والفكر. (٦)

إلا أن قيام هذه "الكينونة" لم يتم بصفه قاطعة، كما يبدو، إلا مع ظهور

علم "الفيلولوجيا" الذي تأثر في تكوينه تأثيرا حاسما بالنموذج الوظيفي السائد في علم الحياة، ومناطق ذلك أن العملية التمثيلية لم تعد هي التي تشكل بمفردها خصوصية العلامة اللغوية ، أو تحدد مكانتها داخل تركيب الجملة وعلاقتها ببقية العناصر اللغوية فالكلمة، حتى وإن كان لها دور تصويري أو إخباري لا يرتبط بنظام عقلي أو منطقي للعلامات بقدر ما يرتبط بظروف تاريخية خاصة عملت على تشكيل صورتها، وتحديد الأصوات التي تكونها، وإنشاء القواعد التي تحكم تحولاتها، أو بمعنى آخر، إن ما يستخلصه فوكو من "الفيلولوجيا" هو رفضها لفكرة ربط اللغة بنظام التصورات، وإخضاعها، بدلا من ذلك، لضوابط النظم النحوية والصرفية والصورية التي تشكل "حاملها" التاريخي، إن صح هذا التعبير، كما تشكل معبرها الأساسي نحو الواقع وصوراته.

إن إدخال مفهوم "التاريخ" إلى مجال اللغات بغرض دراسة التحولات والتغيرات التي تصيب هياكلها ونظمها التكوينية ما كان ليتم، في نظر الكاتب، إلا ملازما لدخول مفهوم التطور في مجال علوم الحياة، وهو ما يفترض ضمنا مقارنة اللغات بالكائنات الحية ذات التنظيمات العضوية والوظائف الحيوية المرتبطة بها، إلا أنه إذا كان من الممكن اعتبار مفهوم التاريخ أو "التاريخية" بمثابة الخلفية الأركيولوجية التي قام عليها كل من علم الحياة وعلوم الفيلولوجيا، فإن هناك فرقا جوهريا يظل، مع ذلك، قائما بين المجالين ذلك أن تاريخية حياة الكائنات، كما يقول الكاتب، لا تقوم إلا بمساندة الحياة الخارجية المحيطة بها، بينما تاريخية اللغة هي اكتشاف لماهيتها الداخلية، أي لما يؤسسها كموضوع قابل للنسج والتحليل مثل بقية الموضوعات، وبالتالي من غير اعتبار لما تحمله من تصورات وروى إنسانية توافرت عبر العصور.

غير أن فوكو يعتقد أن تحويل اللغة إلى موضوع للدراسة والبحث ما كان ليتلاءم كلية مع الطبيعة الخاصة للغة، وهي كونها، بجانب الدور المعرفي الذي تلعبه، أداة اتصال وتعبير عن الإحساس والشعور، وهو الأمر الذي يدفع إلى صياغتها في شكل خطاب، ومن ثم خضوعها، أردنا أم لم نرد، لذات التعلم أضف إلى ذلك أن إخضاع اللغة للدرس والتحليل قد قابله نوع من النزعة النقدية، وخاصة بعد ربط اللغة، في المنظر الفيلولوجي، بعادات الشعوب وتقاليد أروانها الروحي وعقليتها المتشكلة عبر التاريخ، من هنا أصبح ينظر إلى اللغة لا كتأجيل لإرادة الأفراد، وإنما كأطار قلبي يعمل على تشكيل عقول الشعوب وأخيراً، يعتقد فوكو أن توضع اللغة، عبر الدراسات الفيلولوجية، مع ما يفترضه هذا التوضع من إبراز لتخصوصية اللغة وتحديد لكيانها وماهيتها، كان عاملاً حاسماً في الكشف عن الطبيعة الأدبية للاستخدام اللغوي الذاتي، وهو الأمر الذي كان معروفاً بالسلفية منذ القدم، بفضل بعض النصوص الفذة التي مازالت تقاوم الزمن. وليس من شك في أن كشف هذا "الكيان اللغوي"، كما يسميه فوكو، سوف يتجلى من خلال عملية الخلق الأدبي، لا من حيث ارتباطه بوظيفة تقليد الواقع أو محاكاة أحداثه، ولا من حيث تقديمه مرآة صادقة لنفسية الفنان أو للظروف التاريخية والاجتماعية التي يعيش فيها، وإنما من حيث التحامه بعملية الكتابة وقدرتها اللاواعية على تفجير القوي الخاصة بالكلام. وليس من شك في أن ما يقصده فوكو هنا، هو هذا التحول الكبير الذي تشهده اللغة الأدبية بعد تخلصها من منظور المحاكاة والوضوح العقلاني اللذين كانا يهيمنان على الرؤية الكلاسيكية للوجود. إذ أن وظيفة الأديب لم تعد من الآن فصاعداً، تقوم على مطابقة الخطاب الأدبي للفكر السائد، ومن ثم ترسيخ القيم الفوقية في صورة قواعد عامة صورية تحكم الذوق، وتشكل الرؤية المطلقة للحقيقة والخير والفضيلة. إن الأدب، كما يقول فوكو، سوف يتمركز حول نوع

من "اللغة الازمة" التي لاهنيها ما تحطمه من أعراف وأحكام مسبقة، ولا ما قد
تفجره من طاقات غير متطورة طالما أنها كامنة فيها، وبالتالي في الإنسان، إن
هذه اللغة لن تخضع لقواعد التصوير أو التمثيل، إذ أن ههما الأكبر هو تحقيق
ذاتها الخالصة ، وإدراك وجودها كعملية كتابية مستقلة لا غاية لها إلا تأكيد
حركتها المولدة لجوهر كل أدب مبدع (٧)

مواضع البحث

Roland Barthes, Le degré zéro de l'écriture. Paris, (١)
Ed. du seuil (points), 1972.

(٢)

Michel Foucault, Les mots et les choses, Paris

Gallimard, 1966, pp. 42-44

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٥

(٤) المرجع نفسه، ص ٨١

(٥) المرجع نفسه، ص ١٣٢

(٦) المرجع نفسه، ص ص ١٣٣ - ١٣٤

(٧) المرجع نفسه، ص ص ٢٩٣ - ٣١٣ .

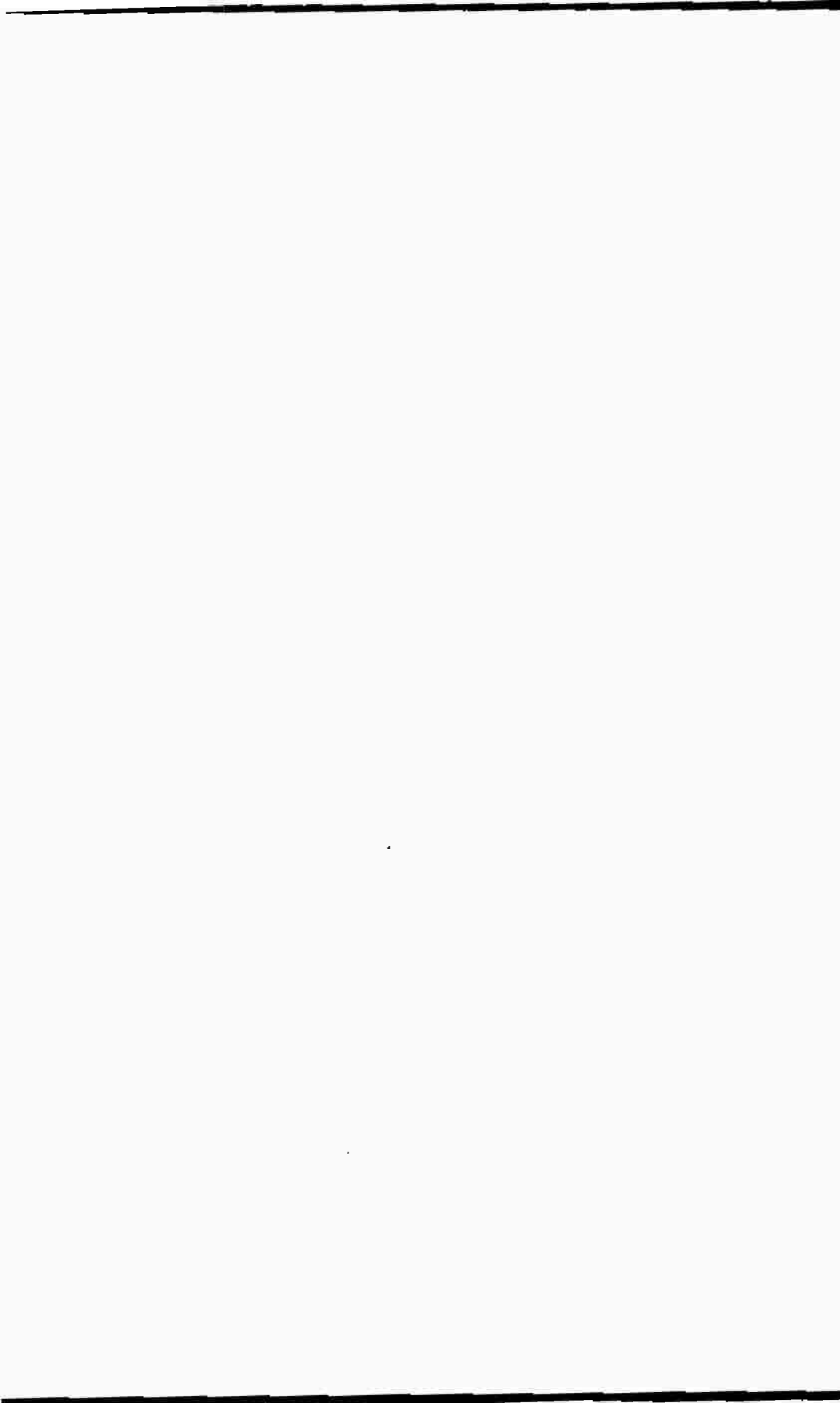
بعض الخواطر عن العبادات عند قدماء المصريين

محاضرة

للأستاذة الدكتورة

نفيصة عبد الفتاح شاش

أستاذ الآداب المقارن والترجمة بقسم اللغة الفرنسية وآدابها
بكلية الآداب • جامعة الأسكندرية



حِثِّمُ أَفْتَحُ الْيَحْيَى الْيَحْيَى

يعتقد الكثيرون أن قدماء المصريين " متعددى الآلهة " ولكنهم فى حقيقة الأمر كانوا يلجأون فى عبادتهم إلى رموز شتى تم تفسيرها بعد إكتشاف أسرار الكتابة الهيروغليفية التى كانت مدونة على جدران المعابد وأوراق البردى وغيرها - وقد أشار العديد منها إلى تلك العبادات التى مارسها الفراعنة على مدى آلاف السنين والتى كانت مرتبطة بالعهد التاريخية والقيادات الحكامية فى تلك الأونة .

وقد ظهرت العبادات عند الفراعنة فى قالب مميز مرتبطا ارتباطا وثيقا بأشكال متعددة منها الحيوان والنبات وغيرها - وترمز فى كثير من الأحيان إلى القوى الطبيعية من سماء وأرض وشمس وقمر وطيور وزهو ... إلخ .

واهتم قدماء المصريين منذ بادئ الخليقة بالأرض التى أطلقوا عليها اسم الآلهة الام التى تحتضن كل من الحيوان والنبات والإنسان ثم نظروا إلى السماء التى تضم الكواكب والشمس والقمر ومن ثم أصبحت السماء والأرض هما القوتين الهائلتين اللتين تهيمنان على كل ما يراء الإنسان المصرى القديم فى هذا الكون العظيم .

وبلاحظ أن كل هذه المخلوقات لها دوراً هاماً وفعالاً فى عبادات هذه الشعوب العريقة - ويقول المفكر الكبير GASTON BACHELARD

" أن الرموز الحيوانية قد تقوم فى كثير من الأحيان بترجمة الأحاسيس الدفينة والكامنة فى الخيال البشرى وتعبّر عن مدى تحمل هذه الأحاسيس لما يواجهها من صعوبات ولقد كانت مصر الفرعونية تضم العديد من رجال الذين اشتهروا

يواجهها من صعوبات ولقد كانت مصر الفرعونية تضم العديد من رجال
الذين اشتهروا

بمعرفة العميقة وامتلاكهم مفاتيح اللغة الأولى الخاصة " بعلم الحيوان الإلهي "
"Le bestiaire Divin".

وجاء بعد ذلك اليهود والكلدانيين وغيرهم من الشعوب ليأخذوا هذه المفاتيح -
ويقول المؤرخ الفرنسي : ADOLPHE ERMAN

" لقد فقد رجال الدين المصريون تلك المفاتيح الواحد تلو الآخر ولكنهم
ظلوا محتفظين بأسرارها " .

وكثيرا ما لمجد في عبادات مصر الفرعونية العديد من الحيوانات المقدسة
وأشهرها العجل أبيس APIS بمدينة ممفيس والجدي آمون AMON بمدينة طيبة
والكباش أوزيريس OSIRIS والتمساح سيب SEBEH والقطعة باست BASTET
والصقر حورس HORUS والبقرة هاتور HATHOR والطانر تحت THOT والكنب
أو الثعب أنوبيس ANUBIS وثعبان المعابد للعديد من الآلهة الإناث منها والذكور.
وكانت القطعة لها دوراً هاماً في هذه الساحة الدينية حيث إنها كانت ترمز للقسر
وكانت تظهر الآلهة إيزيس وعلى رأسها شعار القطعة المقترن بالهلال القمري - وكانت
بالتالي تعتبر هي المهيمنة على القوى المغناطيسية والحيوية الموجودة على الأرض.
والمعادرة من هذا الكوكب المضيئ الذي كثيراً ما استخدمه السحرة في السحر
الأسود من أجل أعمال الشر (ولكنه كان يستخدم أيضاً في بعض أعمال الخير) .

وارتبط هذا الحيوان أي القطعة في اللغة الهيروغليفية المقدسة بأحرف كلمة الأم
لأنه كان دائم الإتصال بالعالم الساكن لكوكب القمر الذي يعتبر مصدر الأمومة
والإنجاب .

وأصبحت القطعة رمزا للعديد من الآلهة الإناث وأشهرهن إيزيس وباستت
وكانت لهذه الآلهة طقوس تقام في المعابد المخصصة لكل منها .

ونرى أيضا حيوان آخر يرأس الطقوس الجنائزية ويبدو في شكل ذئب أو كلب
هو أنوبيس ANUBIS وكان يختص برسالة العالم الآخر إلى جوار إله الموتى
ومن خلال هذه الرموز تنعكس لنا صورة العجل أبيس والبقرة هاتور وهما برمزان
إلى تنظيم العالم والسهر على أمنه وأمانه وصحته كما جاء في

كلمات FRANCOIS DAUMAS:

ورمزت هذه الحيوانات لاوزيريس الذي أطلق عليه إسم "أوزيريس الإله
الأخضر " وإيزيس التي سميت " إيزيس الإلهة السماء " وهذه الألوان تعبر عن
الأرض الخصبة وأيضاً عن السحاب المكثف بالمياه - وبالتالي أصبح العجل والبقرة
هنا شعار الأعمال الزراعية والأرض الخصبة التي تتروى بمياه الأمطار فتتمو وتأتي
بالشمرات والخيرات وحينئذ تقام الإحتفالات الدينية وتلى التراتيل وتعد الطقوس
الكبيرة .

وبحدثنا الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور عبد النعم عبد الحليم سيد أستاذ
التاريخ القديم والآثار عن تلك البقرة فيثبت أنها هي التي ذكرت في القرآن الكريم
في الآية في ٦٩ من سورة البقرة ويقول الحق تبارك وتعالى " أعوذ بالله من
الشیطان الرجیم - بسم الله الرحمن الرحيم - إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر
النظرين " .

ذلك لأن المصريين القدماء كانوا يصنعون لها تماثيل مغطاه بالذهب حيث أن
اللون الأصفر والذهب بالذات برمزان إلى الخلود طبقا للإعتقادات القرعونية كما
جاء في كتاب رموز الألوان في العصور القديمة والوسيطة والحديث لتفريد بريك

بروتال FREDERIQUE PORTAL

وتبدو لنا صورة أخرى للعبادات من خلال صورة الثعبان الذى كثيرا ما اقترن بصورة المرأة طبقا لكتابات المحلل النفسى GASTON BACHELARD ولكن كتاب الموتى يوضح لنا أنه كان يرتبط أيضا بصورة الرجل .

فقد كان قدماء المصريين يعتقدون أن أول كائن خلق على وجه الأرض وقام بعبادة الإله رع هو الثعبان مما جعلهم يتوجون به رؤوس ملوكهم .

ويرمز الثعبان إلى القوى الإلهية التى ترتفع وتعلو من أجل إيقاظ المعرفة .

وتعتبر صورة الثعبان عن الخير تارة وعن الشر تارة أخرى فنجد الثعبان يودايوس URAEUS رمزا للقوى الحارقة والثعبان أبوبسيس APOPIS رمزا للعداء فهو عدو الإله رع RE وتأتى صورة ثالثة هى صورة الثعبان أوربودس OURO BOROS الذى يرمز للقوى المغناطيسية التى تحيط بالكوكب الأرضية والتى يهتم بها علماء الغيبيات .

ويشير المفكر الفرنسى جاستون باشلار إلى أن الثعبان يرمز إلى القوى الخفية التى تتجدد وتبعث من جديد وذلك ربما يرجع إلى طبيعة الثعبان فى إمكانياته فى تغيير ولحميد جلده .

ونلاحظ أن صورة الثعبان كثيرا ما تقترن عند الفراعنة بصورة الطيور كالصقر أو العنقاء . والصقر حرورس وهو إله الزكاء والموهبة . أما طائر العنقاء ، وقد انقرض الآن فقد كان يرمز هو الآخر للزمن المتجدد والبعث والخلود . فهو رمز الحياة الأبدية بضد أن الموت ما هو إلا مرحلة إنتقالية تأتى بعدها الحياة الحقيقية المشرقة بالأمل والتفاؤل والسعادة والخير كما جاء فى كتاباتهم .

وتعد هذه الأمثلة بعض ما استخدم فى العبادات الفرعونية من حيوانات أو طيور .

أما النبات فقد كان هو الآخر من أهم الألهة التي تقام لها الطقوس والعبادات المختلفة ولوحظ أن قدماء المصريين كانوا يؤلهون كل ما هو مفيد وفعال .

وقال الكاتب الفرنسي جيراردى نرفال عندما زار مصر فى القرن الماضى .

• هلت زكريات مصر القديمة قوية فى نفسى لدرجة أننى كنت كثيراً ما أخشى خدش أى نبات من النباتات فلربما جرحته إلاها بداخله * (١) .

وكان رجال الدين الفراعنة يتحاشوا أكل بعضها مثل الثوم أو البصل بسبب أهميتهم فى التحنيط وفى طرد الأرواح الشريرة وكذلك فى الطب فقد كان يستخدم البصل كمنعش وملين ومهضم ويشفى من امراض وأشباه كثيرة مثل عضه الكلب ولدغة العقرب وإذا وضع أمام حجر من حجور الافاعى كان يمنع من الخروج منه .

^١ وكثيراً ما ترى فى النقوش الواضحة على جدران المعابد وخاصة فى معبد آمون رع بالكرنك فى مدينة الأقصر بعض المشاهد التى تبين أهمية هذا النبات . فقد كان يقدم كقربان إلى أوزيريس .

وأوضح لنا PLINE المفكر الاينى القديم الذى عرف بكتاباتة الشهيرة عن التاريخ الطبيعى والمدونة فى ٣٧ مجلد والتي تعتبر من أهم الموسوعات العلمية عن القدماء أن قدماء المصريين كانوا تعتبر البصل والثوم من أهم ما يقسم به من بين الآلهة - وها نحن الآن فى أواخر القرن العشرين نقوم بالعديد من الأبحاث والاكتشافات التي تؤكد أهمية هذه النباتات فى علاج وتغادى الكثير من الأمراض .

أما على الصعيد السيكلولوجى فالنباتات عموماً يعتبر من أهم ما يعبر عن الشاعر وكذلك عن الرغبة فى العودة إلى الماضى وكذلك العودة إلى الحياة .

(1) GERAR DE NERVAL - VOYAGE EN ORIENT - P.123

ففى مجال النبات اعتبر قديما - المصريون زهرة اللوتس رمزا حيا للمولد وللمبعث وكانت هذه الزهرة لديهم هى شعار المولود الأول الذى نشأ من وسط المياه الأولى LES EAUX PRIMORDIALES وهو أوزيريس وتقول الأساطير أنه الابن الأول للشمس وأنه المولود الأول الذى ظهر فى مصر وكان مقربا فوق زهرة من زهور اللوتس -

ويعتبر أوزيريس بالفعل أول نبي أو رسول جاء على الأرض بعد آدم عليه السلام ليرفع لواء الوحدة كما جاء فى القرآن الكريم . هذا الكتاب المبيد الذى يحمل الكثير والكثير من المعاني والذى يمدنا بالمعلومات الفياضة التى لا تحصى ولا تنضب على مدى العصور - فقد قال الحق تبارك وتعالى فى سورة مريم (الآية ٥٦ ، ٥٧) .

” أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ”

بسم الله الرحمن الرحيم

واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً (٥٦)

ورفعناه مكاناً عليا (٥٧) .

فلنتوقف قليلا هنا لتوضيح معانى هذه الآيات الكريمة - قد نلاحظ أن التشابه بين الاسمين إدريس وأوزيريس قائما بالفعل كما قال فضيلة الامتاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى فى موسوعة الجواهر فى تفسير القرآن الكريم أن كلمة إدريس فى تعريب لكلمة أوزيريس (ص ٤١) وهذا الاسم فى الآثار المصرية ألفت له المصريون القدماء رواية خلدت بسبب أول نوع من الكبارز إلا وهو الحسد الذى بدأ بتغلغل فى نفس أخيه ست الذى قام بتقطيع جسده إلى عدة قطع ، وألقى بها فى أنحاء مصر والتي قامت بعد ذلك زوجته وأخته ايزيس بجمعها

وتحنيطها ومن هنا بدأ التحنيط عند قدماء المصريين ، وهو من أهم العلوم التي ظلت حتي الآن محور المناقشات والابحاث العديدة من أجل معرفة أسرارها .

وكان هذا الملك أول من علم المصريين العلوم والمعارف وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من اتخذ السلاح وأول من نظر في علم الحساب وما يتوضع من كلمة " إنه كان صديقاً نبيا " وصفه بالصدق وهو أهم أوصافه . والصديق هو كثير الصدق والتصديق . وكلمة نبيا تبين لنا موقف هذا الرسول الذي أنعم الله عليه بنعم دينية وأخرية من ذرية آدم . وتشير هذه الصورة الكريمة إلى العديد من الرسل والأنبياء في هذه الساحة الدينية الهائلة مما يعد من اعجاز القرآن الكريم .

(إدريس ونوح ومن حملنا مع نوح) أولاده سام وحام - سام من ذرية إبراهيم عليه السلام ومن ذرية إبراهيم اسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن ذريته موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد ﷺ .

أما عن قول الله تعالى " ورفعناه مكانا عليا " فتتوضع لنا مغنيان :
الأول : أن إدريس أو أوزيريس لم يميت بعد تقطيع جسده ولكن ظل حيا ورفع إلى السماء وظل يتابع أعماله في الأرض ويحكم فيها وكذلك في السماء مما جعل المصريين يطلقون عليه إله الموتى .

والثاني : أن هذا الملك تمكن بمعرفته الكثيره أن يرتقى بالأمة المصرية فيجعلها ترتفع وتتفع الأمم وتهذب الأجيال وتظل شامخة أبدا الدهر .

وقد يتضح لنا أيضا في كثير من المخطوطات الهيروغليفية منذ عهد أوزيريس في العصر الفرعوني القديم اثباتات قوية على وحدانية الله سبحانه وتعالى وأن - العبادة الحقيقية كانت لله الأعظم والذي كانت تطلق عليه أسماء شتى وهنا يظهر المعنى الحقيقي لكلمة " الاله " عند الفراعنة التي استخدمت للطيور

أو للحيوانات أو النباتات أو غيرها .

هذه الكلمة ما هي إلا لفظ تكريم أو تفخيم أو تكبير لكل ما كان جدير
بالإحترام أو مهابة تحشيتة - وبالتالي تصبح كلمة إلاء مرادفاً للقب " سر " أو
" معالي " أو " سعاد " أو فخامة " .

أما الإله الأكبر فكانت له مكانة واضحة وثابتة في العديد من
المخطوطات . وقد وجد العديد من النصوص التي تدل على ذلك وكانوا
يطلقون عليه أسماء كثيرة مثل :

AMON , ATON , ATOUM , RÈ ...

وشبهونه بالشمس أو الصقر أو الأم أو الفنان أو الراعى أو غيرها من
المسميات المختلفة .

فتقول بعض النصوص الهيردغليفية :

السلام عليك يا شمس النهار التي خلقت الإنسان وجعلته يعيش ويحيا
بأيها النسر القوى ذو الريش الجميل الذي جاء إلى الوجود ليرفعه معه .
وجاء إلي الوجود بقوته وقدرته ولم يلد له أحد

وخلقت الكائنات كلها من أصغرها إلى أكبرها

انت الأم العظيمة التي جاءت بالآلهة والبشر

أنت الفنان الماهر الذي لم يكل من أعمال لا تحصى

أنت الراعى القوى الذى يرعى كل من حوله .

وقد وجد أيضا مدونا على أوراق البردى وعلى جدران المعابد والأهرامات

منذ عصر أوزيريس هذه المعاني :

" عندما لا يستطيع الإنسان تحقيق رغبته

فإن إرادة الله هي التي تتحقق... "

" لا تبخل على الفقير بأموالك

فهو مريد من الله الذي أعطاه لك ... "

" ولا تلمس والدتك على الغضب

فقد ترفع بديها إلى الله فيستجاب دعاؤها... "

" القليل الذي يمنحك الله حللا طيبا

أفضل من الآلاف التي تحصل عليها بالحرام ... "

" إن الله يفضل من يحترم الفقير

على من يبخل الغنى ... " (١)

إذن فالعديد من المخطوطات الهيروغليفية أشارت منذ بداية الخليقة إلى
وحدانية الله سبحانه وتعالى وظل المؤرخين أمثال

ETIENNE DAJTON, AODLPH ERMAN, RICHARD PATRICK, VAN
DE WALLE SACAVES, JACQUES -VANDIER

وغيرهم . يتساطون عما إذا كان قدماء المصريين متعددي الآلهة أو كانوا
يؤمنون بإله الواحد الأحد ؟

(1) FRANCIS -DAUMAS -LA CIVILISATION -PHARAONIQUE -PARIS

ويقول : FRANCOIS DAUMAS أن التشابه بين ما حملته بعض المخطوطات الهيروغليفية وبين ما جاء في الكتب المقدسة كالعهد القديم والإنجيل ليس بعيد .

وهامى بعض المعانى التى ترجمت على لسان الإله الأكبر " قبل أى وجود كنت أنا موجود أنا الذى خلقت الخلق فى وحدانيتى قبل أى وجود وأسمى هو " HEKA " ونلاحظ أن كلمة HEKA قريبة بالفعل من كلمة " حق " أو الحق

وكان كبار المفكرين والكهنة الفراعنة يشيرون إلى أن " HEKA " أو الحق موجود بالنسبة للحياة المنطقية ولا يجوز إظهاره فى شكل معين فكثيرا ما كان يذكر على هيئة قوة هائلة أشادوا بها .

أما الطبقات الأخرى من الشعب فلم تستطيع مجازاة هؤلاء ومع مرور الأيام، تمسكوا بالرموز والماديات الملموسة وضلوا الطريق ونسوا الحق ووحدانية الله سبحانه وتعالى .

وينقسم العهد الفرعونى إلى ثلاث عصور : القديم والوسيط والحديث ففى العصر الفرعونى القديم وبالذات فى عصر OSIRIS أجمعت النصوص على وحدانية الله ثم أخذت تتلاشى فى العصر الفرعونى الوسيط ولم تعود إلى صوابها مرة أخرى إلا فى العصر الفرعونى الحديث على أيدى نبي مرسل لم يذكر فى القرآن بل جاء ليحمل لواء الوحدانية ويعيد الأمة إلى الطريق المستقيم مما أثبتته معانى الآية الشريفة ١٦٤ من سورة النساء .

" ورسلا قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك "

وجاء أمينوفيس الرابع الذى سمي نفسه أخناتون أى " الذى يروق لأتون " أو " الذى رضى عنه الآله آتون " فعظم الأصنام بدخل المعابد وجعلها بدون أسقف

تعرشها .

وأصبحت الصلاة تنام في هذه المعابد لا يظلمها إلا السماء وقام بالغاء كلمة آلهة
وأصبحت لا تذكر إلا في المفرد : لا آله إلا الله -

وجاءت النقوش ترضع هذه المعاني واتخذت الشمس رمزا للاله وجاء على لسان
قاضى من القضاء . الكلمات الآتية :

"إني لم أؤذى أحد من البشر ابتغاء رضى الله

وكنتم أحكم بالعدل الذى يحبه الله "

ووجد أيضا مكتوبا على المقابر :

" كنت أعمل ما يرضى الله لاني كنت اذكر دائما اني عند موتي سأعود
إلى الله "

وتعددت مثل هذه الإتهابات في الاسرة الـ ١٨ إلى الاسرة الـ ٢٢ ومن
هنا كله يتضح لنا أن التوحيد ظهر في العصر الفرعوني بل ظهر مع ظهوره أول
إنسان على الأرض أي ظل يدوم منذ آدم عليه السلام وعلى مدى العصور .

ثم إلى أونفيريس أو إدريس ثم اخناتون ثم نوح ثم إبراهيم عليه السلام
أبو الأنبياء وكانوا كل هؤلاء الرسل والأنبياء يحملون لواء الوحانية وفصلت
بينهم فترات زمنية كان الإنسان يبعد فيها عن الحقيقة فيضل الطريق ثم يعود
ثانية إلى طريق الحق علي يد رسول يبعثه الله إلى الأرض .

إذن فإن مصر الفرعونية من أوائل من حمل لواء الوحانية وعباده الإله
الواحد الأحد ، المفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

Bibliographie .

BACHELARD . Gaston . La terre et les reveries du repos.

Paris . José Corti , 1974 .

BALTRUSAITIS , Jurgis . La Quete d' Isis , Essai Sur la

legende d' un mythe . France , Olivrier Perrin . 1967 .

BRIOTON . Etienne & **VALENDIER** Jacques , Les peuples de l' Orient mediterraneen. L' Egypte , Paris , Presses Universitaires de France , 1952

CHAMPDOR . Albert , Le Livre des morts , Paris , 1963 .

CHEVALIER . Jean Dictionnaire des Symboles , Tome I I I , Paris , Seghers , 1975 .

DAUMAS , François , La Civilisation de l' Erypt Pharaonique , Paris , Arthaud , 1971 .

DUCHAUSSOY , Jacques , Le Bestiaire divin ou la Symbolique des animaux , Paris , Edition du Vieux colomier , 1958.

ENCRENAZ , O .. " Vivante étoile " in Archives des l' ettres modernes . 1971 , n° 127 .

ERMAN . Adolphe , La reliqion des Egyptiens , Paris , Edition Payot , 1952 .

FRMAN , Adolphe , La religion des Eryptiens , Paris , Edition Payot , 1952 .

FREUD , Prof , Sigmund , Introduction à la psyhanalyse , (Traduit de l' allemand par le Dr . S . Jankeslevitch) . Paris , petite bibliotheque payot . 1962

JACOBI , Jolan , La psychologie de Jung , actualités pédagogiques et psychologiques (Traduction de V . Baillos) Paris , Delachaux et Nica,illé , 1965 .

MAYSSIS . S . , Mysteres et initiations de l' Egypte ancienne . Athenes , B . A . O . A . , 1957 .

NERVAL , Gerard de Les Chimères - " Vers dorés " Edition commentée par Jeanine Moulin , Droz , Lille - Geneve , 1949 .

Voyage en Orient , Paris , Charentier .1851

NERVAL , Gerard de Les Ill umines , " Quintus Ancler " , Paris . Lecou , 1852

PATRICK . Richard , La mythologie Egyptienne , Paris Edition Robert Laffont , 1976

PICHON Jean - Charles . Histoire des mythes Paris , petite bibliothèque Payot , 1971

PORTAL , Frédéric , Des couleurs symbliques dans l'antiquité le moyen - age et le temps moderne , paris , EditionNiclaus , 1938 .

RICARD Jean , pierre Poésie et Profondeur Paris Editions du Seuil , 1955

IUCHER . Jean Gérard de Nerval Paris Edition P. Seghers 1968

SERVIER , J . , L ' homme et l'invisible , Paris , 1964.

VAN DE WALLE , B . , Mythologies de la Méditerranée au Genq
Mythologie Egyptienne , Paris , Larousse , 1963 .

WESTERMARCK , E . , Ritual and Relief in Morocco. London . 2
Volumes . 1926 .

تراثنا بين الأخطاء والأخطار
الأستاذ الدكتور / لطفي عبد الوهاب



تراثنا بين الأخطاء والأخطار

الحديث عن التراث حديث بدأ يتردد في وطننا العربي منذ فترة طويلة - يزداد ترداده حيناً، وينساب هادئاً حينئذٍ آخر، ويخف أو يخفت في أحيان كثيرة حتى يكاد يقتصر على عدد من الحقائق المتناثرة نستحضر من خلالها لحظات أو لقطات مساطعة من بين ما قام به أسلافنا في هذا الجانب أو ذاك من جوانب الانحياز، نرتاح اليها أو نستعيد بذكرها قدراً من الثقة في أنفسنا بشكل أني ثم لا نزيد على ذلك كثيراً. على أن الوعي بالتراث العربي بدأ يستعيد نبضه مؤخرًا في عدد من الاتجاهات : أولها زيادة استقطابه للاهتمام الرسمي على مساحة الوطن العربي، إلى جانب الاهتمام الشعبي سواء على مستوى الهيئات أو الأفراد. كذلك هناك تعدد الجوانب المطروحة من التراث، علماً أو أدباً أو فكراً أو فناً أو نصراً عسكرياً أو غير ذلك. وأخيراً، وليس آخراً، باتى الاهتمام بنشر هذا الوعي عن طريق عدد متزايد من قنوات التعليم والاعلام وبعالجات تخدم الأهداف المتفاوتة، ابتداءً من الحديث العام الذي يقصد الى التعريف السريع بجانب أو بأخر من جوانب التراث من جهة وانتهاء بالدراسات المتخصصة التي تستهدف التفصيل والتحليل من جهة أخرى.

والحديث الذي أقدمه في هذه السطور ليس حديثاً عن مضمون تراث الوطن العربي من حيث مجالات المعرفة التي تدخل ضمن هذا المضمون وما تشتمل عليه هذه المجالات من تفاصيل ، وإنما يتناول ما يتعرض له هذا التراث في إطاره العام من أخطاء في التصور تقع فيها نحن أبناء هذا الوطن ، أو أخطار تنطلق من خارج وطننا وتستهدف تراثنا في صورة أو في أخرى. ولكنى تدرك الحجم الحقيقي لهذه الأخطاء والأخطار، لا بد لنا من وقفة

قصيرة نحدد من خلالها ما نقصده بالتراث، حتى نتعرف على قيمته فى حياتنا ومن ثم ندرك أبعاد ما ينبغى أن نقوم به فى سبيل المحافظة عليه. ورغم تعدد التصورات التى قُدمت ولا تزال تُقدّم حتى الآن حول ما نقصده بالتراث، فإن تحديدًا بسيطًا يمكن أن يفى بهذا الغرض فى عمومهِ : وهو أن التراث هو كل ما توصل اليه المجتمع من إنجازات فى تعامله ، عبر التاريخ، سواء مع ظروف البيئة التى ينتمى إليها ومحيط به مباشرة، أو مع الظروف الخارجية التى يجد نفسه فى مواجهتها أو على اتصال بها- انتفاعا بإيجابيات هذه الظروف وتطويرا لها أو تفاديا لسلبياتها وتقليصا لها. وفى ضوء هذا التعريف أو التحديد يصبح فى مقدورنا أن ندرك أهمية التراث: فمحصلة حوارنا مع هذه الظروف ومدى لمجانحنا فى التعامل مع ما تقدمه من تحديات ، سواء على المستوى المحلى أو على مستوى الاحتكاك مع الآخرين على مر العصور ، هى التى تحدد نوع تجربتنا التى تتميز عن تجارب غيرنا، وقدر عطائنا على المستويين المحلى والخارجى. ومن ثم الموقع الذى يشغله دورنا الحضارى على مسار الحضارة الإنسانية - وهو الدور الذى يشكل محور هويتنا الحضارية. وهذه الهوية الحضارية الممتدة فى تطورها على مسار تاريخنا، هى التى تتخطى وجودنا كأفراد لتجعل منا كيانا له أبعاده الخاصة به التى تحفظه من الاندثار أو الانزواء فى الكيانات الأخرى - وهنا تكمن قيمة المحافظة على التراث.

على أن المحافظة على تراثنا ، إذا كان شقها الأول هو جمع هذا التراث وتوصيله إلى أبناء هذا الوطن على كافة المستويات وبشتى الوسائل التى تلجأ تحت أيدينا أو التى يمكن أن نتوصل إليها، فإن الشق الآخر الملزم لذلك هو التعرف على المساحة الحقيقية للدائرة التى تضم هذا التراث - ومن هنا ندخل فى حديث الأخطاء والأخطار التى يمكن أن تنتقص من هذه المساحة أو تشوش على حدود الدائرة التى تحتونها.

وفى مجال الحديث عن الأخطاء التى تقع فيها، هناك ثلاثة أخطاء رئيسية: أولها يخص المنطلق الزمنى لتراث الوطن العربى، وأعنى بذلك البداية التاريخية الحقيقية لهذا التراث. ان التصور الشائع والغالب حتى الآن ، سواء فى الأوساط المثقفة أو على المستوى العام، هو أن تراثنا العربى يبدأ مع بداية المد الإسلامى والفتوحات العربية. ولأنك أن المد الإسلامى الذى واکب الانطلاقة الفعّية للعقيدة الجديدة، بكل ما رسمته لنفسها من دور عالمى ، شكّل الدفعة الهائلة وراء المد الحضارى العربى فى العصر الإسلامى. ولا شك كذلك فى أن حركة التعريب التى جاءت فى أعقاب هذا المد أدت الى أن تصبح العربية هى أداة التعبير الوحيدة، ومن ثم الوسيلة الموحدة للتداول الفكرى فى كل أرجاء المنطقة التى أصبحت وطننا العربى . وقد أدت هذه الوسيلة الموحدة الى وحدة الحركة الثقافية وحالت ذون تبعثرها ، وبذلك أعطتها الزخم الذى قيز به جهازها. ولكن ، الى جانب هاتين الحقيقتين الثابتتين ، هناك حقيقة أخرى لا سبيل الى نكرانها أو الماراة فيها : وهى أن المد الحضارى العربى فى العصر الإسلامى لم يبدأ من نقطة اللانثى. فالمنطقة التى شهدت هذا المد لم تكن خلوا من الانجازات الحضارية التى تضرب جذورها فى أعماق الماضى لعدة آلاف من السنين . وقد كانت هذه الانجازات والتجارب الحضارية فى الروافد التى جمعتها قوة الدفع الجديدة وحركة التعريب لتصب فى المجرى الحضارى العربى فى العصر الإسلامى، فمستوعبها وعضم اليها روافد من حضارات قديمة أخرى عن طريق حركة الترجمة ، ثم بطورها ويزيد عليها لتشكّل فى النهاية مرحلة جديدة من مراحل مسيرتنا الحضارية ، ومن ثم من مراحل النمو الطبيعى لتراثنا وهويتنا الحضارية.

وفى ضوء ما قدمته فإن الحضارة العربية التى قامت فى العصر الإسلامى تصبح فى حقيقة الأمر استمرارا وتطورا للتجارب الحضارية التى

عرفتها منطقتنا منذ بداية تاريخها، ويصبح التردد أمام هذه الحقيقة أمراً لا مبرر له مهما كانت الاعتبارات التي تقف وراء هذا التردد. وفي الواقع فإننا بتجاهلنا للجدول أو الرواقد الأولى لحضارة الوطن العربي إنما نبخر النتائج عن مقدماتها الطبيعية، ونصور حضارتنا في العصر الاسلامى على أنها بناء قام على غير أساس من التطور الحضارى الطبيعى الذى تؤدى فيه مرحلة حضارية الى المرحلة التى تليها، وتكون بذلك قد استغنيا، طواعية، عن شروط من مسار تراثنا يمتد من فجر التاريخ حتى القرن السابع الميلادى.

أما الخطأ الآخر الذى نتع فيه فى مجال التعرف الكامل على تراثنا، فسببه عدم الاهتمام أو عدم المعرفة الواضحة. وأشير فى هذا الصدد الى ما قدمه أبناء منطقتنا من عطاء حضارى لم يتوقف خلال ألف سنة من تاريخنا - وفى الفترة التى امتدت بين فتح الاسكندر المقدونى للمنطقة وبين المد العربى فى العصر الاسلامى. والسبب الذى يحجب عنا هذه الحقيقة هو أن هذا العطاء أو هذا الانجاز الحضارى تم التعبير عنه آنذاك من خلال وسيلة للتداول الفكرى ردت الينا من خارج المنطقة فى ظروف تاريخية استوجبت ذلك، ثم ما لبثنا أن تبينناها - فى ظل هذه الظروف - أداة للتعبير الثقافى عن المجازنا الفكرى. وأعني بهذه الوسيلة: اللغة اليونانية التى أصبحت لغة الثقافة السائدة خلال هذه الفترة فى القسم المتخضر من أوروبا وفى كل منطقة الشرق الأدنى وشمالى أفريقيا - ومن بينها منطقتنا.

لقد ظهر فى هذه الفترة عدد كبير من علماء منطقتنا ومفكرها قدموا انجازاتهم من خلال اللغة اليونانية، وكان لمعانيهم أثر فعال فى حضارة الفترة المذكورة لم يقتصر على المنطقة، ولكنه تخطى حدودها لينقل أثره الواضح فى المجتمعات الأوروبية. ومن بين هؤلاء، على سبيل المثال لا الحصر، علماء مدرسة الاسكندرية مثل اراتسطين فى مجال الفلك وهو من قورينث فى ليبيا، واقليدس

السكندري في مجال النظريات الهندسية وبطلميوس كلاوديوس من صعيد مصر في مجال الرياضيات - وجميعهم ولدوا العلوم الأوروبية بما توصلوا اليه في هذه المجالات . ومن بين هؤلاء كذلك فلاسفة من أمثال زينون السوي، مؤسس المذهب الرواقى الذى نادى ببدا الأخرة العالمية ودرسه في أثينا لتتبناه بعد ذلك الأوساط الثقافية في رومه . ومن بينهم الشاعر ملباغروس الأردني الذى ولد وترعرع في أم ليس (جَلَرَه كما كانت تدعى آنذاك) وقضى فترة رجولته في مدينة صور وتغنى ، مرة أخرى ، بفكرة الأخرة العالمية التى بشر بها زينون ، في عصر كان فيه الانحياز العرقى اليونانى بحكم الخناق على العقول والنفوس . ومن بينهم ، أخيرا وليس آخرا ، يوسيبوس المفكر الدينى الفلسطينى ، الذى ولد وعاش في قيسارية وقام بنور هائل في إبراز الخط الانسانى في العقيدة المسيحية ، الجديدة آنذاك ، أمام الهجمات التى وجهتها اليها الامبراطورية الرومانية ، فكرا وممارسة ، والتى وصلت الى ذروتها أثناء فترة اضطهاد شرسة شهدتها وصحدت خلالها هذه المدينة الفلسطينية . وهكذا جاءت أفكار هؤلاء الفلاسفة والشعراء والمفكرين الدينيين تجسيدا للهوية الحضارية للمنطقة في وجه الهجمة الأوروبية على كيانها وثقافتها .

ثم نأتى الى الخطأ الثالث الذى نقع فيه ازاء تراثنا ؛ وهو عدم التحديد الذى يجعلنا نقف على استحياء ، أمام قسم من التراث العربى في العصر الاسلامى ، والسبب الذى يؤدى الى ذلك هو أن عددا من الانجازات التى شهدتها منطقتنا العربية آنذاك تم علي يد علماء ومفكرين ينتمون الى أصول غير عربية ، مثل الرازى وابن سينا اللذين ينحدران من أصل فارسى ومثل الفارابى الذى ينحدر من أصل تركى . ان البعض منا قد يقف حائرا أو حترودا أمام هذه الظاهرة التى يبدو فيها ، للوهلة الأولى ، قدر من التناقض ؛ فالصفة العربية للانجازات حاضرة لا يمكن تجاهلها ، ومع ذلك فهذا الحضور يبدو غائما من

خلال الأصل غير العربى لأصحاب هذه الانجازات .

ومع ذلك فان هذا التناقض ليس له في الحقيقة الا وجود ظاهرى، ومن ثم فالمجيرة والتردد أو الاستحياء، الذى قد يتساب بعضنا ازاءه، أمر لا ينبغي أن يكون واردا من أساسه. فالصفة العربية لتراث الوطن العربى ليست هوية عرقية أو عنصرية ولا يمكن أن تكون كذلك. فوطننا العربى، شأنه شأن العديد من الكيانات الأخرى، يضم خليطا من الانتماءات العرقية - بعضها عربى، وبعضها عناصر من أبناء البلاد التى تعربت أو استعربت فى أعقاب المد العربى فى العصر الاسلامى، وبعضها الآخر عناصر جاءت من الهجرات. عديدة التى انطلقت من الخارج واستقرت فى منطقتنا فى ظروف تاريخية متعددة ومختلفة. وإنما الصفة الحقيقية للتراث هى هوية الانتماء الثقافى، بالمعنى الحضارى للثقافة: وهو أسلوب الحياة والفكر الذى يشيع فى مجتمع يعيش فى منطقة واحدة وفى ظل نظام حياتى واحد.

وقد كانت هذه هى الصفة التى سادت المجتمع الذى ينتمى اليه العلماء والمفكرين المسلمون الذين يرجعون الى أصول عرقية غير عربية- عاشوا فيه وتعلموا وأنجزوا ضمن مناخ الحضارى الذى أتاحتها الدولة التى تدير لها أن تكون مسئولة عن تربيته ورعايته، ثم قدموا الانجازاتهم بلفة هذا المجتمع الذى أصبحوا جزءا منه حياة وفكرا وانتماء . فالانجاز الذى يقوم به الأفراد لا يمكن أن ينشأ من فراغ، وإنما ينشأ ويتم فى ظل مناخ حضارى يسود المجتمع بأكمله ويدمج بميسمه كل ما يتم داخل هذا المجتمع من أعمال أو أفكار أو انجازات.

وقد كان هذا المجتمع هو المجتمع العربى فى العصر الاسلامى، سادته الثقافة العربية ومن ثم شكلت الانجازات التى ظهرت فيه تراثا عربيا يفض النظر عن الأصول العرقية التى ينتمى اليها أشخاص المنجزين . ولعل أقرب مثال لذلك فى الفترة التى نعيشها الآن هو الانجازات الحضارية التى تتم فى مجتمع

مثل المجتمع الأميركي فتصيح المجازات أميركية تدخل ضمن التراث الأميركي،
بنقض النظر عن الانتماءات العرقية لمن قاموا بها في هذا المجتمع الذي ينحدر
أبناؤه من أصول عرقية جاءت من كل قارات العالم دون استثناء.

وأترك الآن حديث الأخطاء التي تقع فيها إزاء ما ينبغي أن يكون عليه
تصورتنا لتراثنا، لننتقل إلى الحديث عن الأخطار التي تحيط بهذا التراث من خارج
المنطقة التي شهدت جلور تاريخنا والتي قدر لها أن تصبح وطننا العربي ولقد رنا
العربي. وأود، قبل أن أشير إلى هذه الأخطار، أن أذكر أنها لم تقتصر على
مرحلة دون أخرى من المراحل التاريخية التي مررنا بها، فقد ابتدأت في العصور
القديمة واستمرت عبر العصر الإسلامي ولا تزال قائمة وضارية حتى الفترة الحالية
التي أصبحنا نعيش فيها كيانا العربي - وهو الكيان الذي بشكل تراثنا محوره
الزمانى المتد علي مسار التاريخ.

وتقع هذه الأخطار في عمومها ضمن المجالات ثلاثة : أولها هو ما يمكن
أن نسميه محاولة الطمس الحضارى أو التعتيم على الحضارات التي شهدتها
الوطن العربي . بشكل متزايد في الآونة الأخيرة، لدى عدد متزايد من الكتاب
الغربيين. وأسارع هنا فأقول إن هذا لا ينطبق على الدراسات المتخصصة التي
يقوم بها الباحثون المتخصصون في أحوال منطقتنا، وإنما الكتاب الذين أعينهم
في هذا الصدد هم الذين يكتبون للقارئ العام - والخطر هنا هو أن القارئ
العام يمثل النسبة الغالبة من الرأي العام المثقف بالمقارنة مع القارئ المتخصص.
وفي صدد استعراض هذه الكتابات العامة للحضارات العالمية نجد الحديث
واضحا ومفيدا، ابتداء من حضارة الصين في أقصى الشرق إلى حضارة الهنود
الحمر في أقصى الغرب. أما فيما يخص المجازات الحضارية في منطقتنا،
سواء في عصورها القديمة أو الإسلامية، فالحديث عابر أو مقتضب أو ناقص
فيهد غير قليل من الكتابات المذكورة . وهذا يندر واضحا بالمقارنة مع الحديث

عن الدولة اليهودية القديمة مثلا، الذي تبدو العناية فيه واضحة بنظمها وعقيدتها وحضارتها وفكرها وأثر كل ذلك في الحضارة الأوروبية - وهذا كله في تفصيل وتحليل لا يتناسب والصفة العامة للكتابات المذكورة.

أما الخطر الثاني فيمكن في تشويه عدد من الكتاب الغربيين للتراث العربي في أكثر من صورة. ومن بين طرق التشويه فيما يخص المجازات الحضارية في العصور القديمة ما ذكره الفيلسوف الإنجليزي المعاصر برتراند رسل في مجال المقارنة بين الحضارة اليونانية القديمة وحضارات الشرق الأدنى القديم. وهنا يذكر أن اليونان القدماء اخترعوا العلوم، أما في الشرق الأدنى فقد عرف المصريون والعراقيون شيئا من الحساب (هكذا)، ولكن ما عرفوه في هذا الحقل كان شيئا تقريبا - وهو قول غريب من جانب هذا الفيلسوف في ضوء ما خلفه لنا هذان الشعبان من نقوش ووثائق مكتوبة عن التطوير المتخصص في الرياضيات (ناهيك عن بقية العلوم)، وهو ما توفّر على درسه ونشره المتخصصون من الباحثين العرب والغربيين على السواء.

وأختم هذه السطور بالحديث عن خطر ثالث يتعرض له تراثنا من الخارج، وهو خطر السطو على هذا التراث على مر العصور. وفي هذا الصدد نجد الكتاب اليونانيين القدماء الذين نهلوا من منجزات حضارتنا القديمة ينسبون إلى أنفسهم ما أخذوه عنا من نظريات الطب والصيدلة والعلوم والرياضيات، وهو تناكير سبقناهم إليه بعدة آلاف من السنين في بعض الأحيان، ولا يزال قسم كبير من كتاباتهم قائما حتى هذه اللحظة وشاهدا على هذا النقل الذي لم ينسبه الناقدين إلى أصحابه الحقيقيين.

والشيء ذاته نجده في العصور الوسطى لدى بعض الكتاب الأوروبيين، ان قاموا بترجمة الاجازات العلمية العربية إلى العصر الإسلامي إلى اللاتينية. وهناك مرة أخرى، نجد بعض هؤلاء المترجمين ينسبون ما ترجموه إلى أنفسهم، وهنا لم يرد الحق إلى نصابه إلا بعض العلماء المعاصرين من المهتمين بتاريخ العلوم عند

العرب، سواء من العرب أو المستشرقين الأوروبيين ممن قاموا بمقارنة الكتابات العربية واللاتينية وكشفوا النقاب عن هذا السطر التراثي.

أما في الفترة المعاصرة، لقد دخل اليهود بثقلهم في هذا الميدان من مسالك ، تبدأ جانبية، ولكنها لاتلبث عن طريق المباشرة أن تأخذ مظهر الحقيقة. ومن أمثلة ذلك إدراجهم ضمن التراث الاسرائيلي بعض ما أنجزته الحضارة العربية في العصر الاسلامي على أساس أن عددا من يهود أوروبا في العصور الوسطى قاموا بترجمة هذه الإنجازات العربية الى اللاتينية التي كانت لغة الثقافة في أوروبا آنذاك ، ومن ثم أسهموا في إشاعة ما حوته من معرفة في دائرة الحضارة الأوروبية، وبذلك بحق لهم - حسب دعواهم - أن يدخلوا هذه الإنجازات ضمن التراث الإسرائيلي ، بغض النظر عمّن قاموا فعلا بهذه الإنجازات وعن انتسابهم الحضاري الحقيقي.

هذا، وفي نهاية الحديث، أجد من الخير أن أذكر - رغم مخاطرة التكرار - أن تراث الوطن العربي (الذي تعرضت في هذه العجالة إلى جانبه الفكري والعلمي) هو المحور الذي يدور حوله بعد أساسي من أبعاد كيانتنا، وهو البعد الزمني الذي تمثله إنجازاتنا عبر العصور - ومن ثم يصبح انتبه إلى كلّ ما يؤثر سلبيا على هذا التراث أمرا حيويا ، سواء أجا ذلك في صورة أخطاء تقع فيها من حيث موقفنا إزاءه، أم قتل في أخطار تنطلق من الخارج بهدف تشويهه أو الانتقاص من حججه أو التعتيم عليه.

دراسة حول التاريخ للأنبياء

الأستاذ الدكتور

محمد بيوهى مهوان

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم

بكلية الآداب جامعة الإسكندرية



(١) النبى والنبوته :-

النبى : لغة ، قبل المتبأ المأخوذ من التبا ، أي الخبر المفيد لماله شأن ، ويصح فيه معنى الفاعل والمفعول ، لأنه متبأ عن الله تعالى ومتبأ عنه ، وإن كان الإمام ابن تيمية يفضل أن يكون بمعنى مفعول ، فإنه إذا أنبأه الله ، فهو نبى الله ^(١) ، والنبى بالتشديد أكثر استعمالا ، أبدلت الهمزة فيه ياء ، لأنه من أنبأ عن الله فهو ينبئ عنه ، والإسم منه منبئ ، أو هو من النبوة ، وهى الرفعة والشرف ^(٢) ولجميع كلمة "نبى" على "نبيين وأنبياء" ^(٣) ، وقد حكى سماعا عن العرب فى جمع النبى ^(٤) "النَّبَاء" وذلك من لغة الذين يهمزون "النبى" ومن ذلك قول عباس بن مرداس فى مدح النبى ، صلى الله عليه وسلم.

يا خاتم النبأ إنك مرسل .. بالخير كل هدى السبيل هداكا ^(٥)

والنبوة : وحى الله إلى أفضل البشر ، وأكملهم عقلا ، وأزكاهم طهارة عن ارتكاب القبائح ، والرسالة لغة : القول المبلغ ، وشرعا هى كالنبوة فى حقيقتها المذكورة ، ومن ثم فالنبوة فضل يسبغه الله تعالى على من يشاء من عباده ، وهبة ربانية يمنحها الله تعالى لمن يريد من خلقه ، وهى لا تترك بالجد والتعب ، ولا تنال بكثرة الطاعة والعبادة ، ولا يتوسل إليها بسبب ولا نسب ، وإنما هى بمحض الفضل الإلهى ، فالله يختص برحمته من يشاء ، وهى تأتى إلى النبى من تلقاء نفسها ، وعلى غير توقع منه ، فهى إذن اصطفاء واختيار من

(١) ابن تيمية : التواتر - بيروت ١٩٨٧ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ (٢) تفسير الطبري ١٤١-١٤٠/١ (دار المعارف) ، محمد رشيد رضا: الوحي المصحف - القاهرة ١٩٥٥ ص ٣٧ (٣) أنظر: سورة البقرة: آية ٦١ ، آل عمران: آية ١١٢ ، تفسير الطبري ١٣٩/٢ - ١٤١ ، ١١٦/٧ - ١١٨ (٤) وردت كلمة "نبى" فى القرآن الكريم ٤٣ مرة ، وكلمة "النبيين والنبيين" ١٦ مرة ، والأنبياء ٥ مرات ، وكلمة النبوة ٥ مرات ، وكلمة "نبيا" ٩ مرات (٥) أنظر: سيرة ابن هشام ١/٢٤ ، تفسير الطبري ١٤١/١ ، ثم لارن: تفسير البحر المحيط ٢٢/١

الله سبحانه وتعالى ، للمصطفين الأخيار من عباده ^(١) ، وصلّى الله العظيم ، حيث يقول :
" الله أعلم حيث يجعل رسالته " ^(٢) .

ومن ثم فإن الله سبحانه وتعالى إنما يختص بهذه المنّة العظيمة ، والمنقية
الكرامة ، من كان أهلاً لها ، بما أهله - جل شأنه - من سلامة الفطرة ، وعلو
الهمة ، وزكاء النفس ، وطهارة القلب ، وحب الخير والحق ، وكان أذكياً العرب
فى الجاهلية - على شركهم بالله تعالى - يعلمون أن الصادقين معبى الحق ،
وقاعلى الخير من انفضلاء ، أحل لكرامته تعالى وعنايته ، كما يؤخذ من
استنباط أم المؤمنين خديجة فى حديث أم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنهما ،
فى بدء الوحى ، فإنه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، لما قال لخديجة : لقد
خشيت على نفسى ، قالت له خديجة : كلا إبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً .
والله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعنوم ، وتقري الضيف ،
وتعين على نوائب الحق ^(٣) ... " .

ومن المعروف أنه من فضل الله تعالى على رسله وأنبيائه ، وسنته فى
اصطفائهم ، أن يختارهم من أكرم البيوت ، وأشرف الظهور ، وأظهر البطون
وأبعدها عن الدنايا ، وألصقها بمكارم الأخلاق ، على مايقول الله تعالى " إن الله
اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض ،
والله سميع عليم " ^(٤) ، وعلى مايقول " الله أعلم حيث يجعل رسله " ^(٥) . وقد
بيّن سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى
يقوله الشريف - فيما رواه مسلم والترمذى - " إن الله اصطفى كنانة من ولد

(١) تفسير المنار ٣٣/٨ ، ٣٤ ، محمد على الصابونى : النبوة والأنبياء ، بيروت

١٩٧٠ ص ١٠ (٢) سورة الأنعام : آية ١٢٤ (٣) صحيح مسلم ٢/٢٠٠ - ٢٠١ (بيروت

١٩٨١) ، شرح المفيدة الطحاوية - المكتب الاسلامى - بيروت ١٣٩٢ هـ ص ١٦٠ - ١٦١

(٤) سورة آل عمران : آية ٣٣ - ٣٤ (٥) سورة الأنعام : آية ١٢٤ .

اسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار^(١١) وأخرج ابن مردويه عن أنس أنه قال - قرأ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، "لقد جاءكم من أنفسكم ، بفتح الفاء" وقال : أنا أنفسكم نساء وصهرا وحبا^(١٢)

هذا وليس صحيحا ما ذهب إليه " سيجال" من أن كلمة "نبي" عبرية الأصل، وأن لفظ "النبي" إنما كان خاصا بينى إسرائيل، إذ ليست هناك نقوش تثبت وجوده فى اللغة الكنعانية والفينيقية، ثم إن الفعل "نبا" الذي اشتق منه الاسم "نبي" لا يوجد فى عبرة العهد القديم (التوراة) فى صورته الأساسية، أي فى الفعل الثلاثى المجرد، وأن الفعل الذي جاء للدلالة على عمل النبي فى العهد القديم، إنما جاء فى الصيغ المزيدة على زنة "فعل" و "تفعل"، وعلى فى الحقيقة مشتقة من الاسم "نبي" نفسه ، وهذه الحقيقة تدعونا إلى الاعتقاد بأن الاسم "نبي" قديم جدا فى العبرية الإسرائيلية، وأنه يصعد إلى ما قبل التاريخ من حياة بنى إسرائيل، ولما كان هذا الاسم يميز عمادا حيا وفعالا فى حياة الأمة، فإنه حظ منذ تلك الحقب السحيقة، بعد أن نسي الفعل المجرد "نبا" الذي اشتق منه، مع توالى العصور، وانتهى أمره واختفى من اللغة^(١٣)

وفى الواقع ، فإن كلمة "نبي" - كما يقول أدولف لودز^(١٤) - ليست عبرية الأصل ، ومن ثم فإن علماء اللاهوت الأوربيين وغيرهم - من أمثال جوستاف هولشر^(١٥) ، وشميدت، ولودز^(١٦) ، وكلود سوريري^(١٧) - إنما يتفقون على أن

(١١) صحيح مسلم ٣٦/١٥، الفسطاطي : المراهب اللدنية ١٣/١ (٢) أنظر: محمد بيرس مهران: السيرة النبوية الشريفة - الجزء الأول - بيروت . ١٩٩٠ ص ٦٨

(٢) م، سيجال : حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل - بيروت ١٩٦٧ ص ١٧-١٨

(٤) A.Lods Israel From its Beginnings to the middle of the Eight Century, London, 1962, P.445

G.Holscher, Die Profeten untersuchung zur Religion Geschichte Israel, (٥) P.145-146.

كلمة "نبى" عربية الأصل، وليست عبرية فى شكلها ومعناها، وأن أصل الكلمة ساسى قديم، موجود فى الأكديّة بمعنى "يدعو" (NABW)^(١١)

غير أن الأمر - كما يقول الأستاذ العقاد^(١٢) - طيب الله ثراه - غنى عن المحبط فيه بالظنون مع المستشرقين، من يفقه منهم اللغة العربية . ومن لا يفقه منها غير الأشباح والخيالات، فإن وفرة الكلمات التى لا تلتبس بمعنى "النبوة" فى اللغة العربية . كالعرافة والكهانة والعيافة والزجر والرؤية ، تغنيها عن اتخاذ كلمة واحدة للرأى والنسب، وتاريخ النبوات العربية التى وجدت فى التوراة سابق لاتخاذ العبريين كلمة النبى بدلا من كلمة الرأى والناظر، وتلمذة موسى للنسب شعيب مذكورة فى التوراة قبل سائر النبوات الإسرائيلية . ومن المعروف أن موسى الكليم عليه السلام، هو، دوغاريب، رائد النبوة الكبرى بين بنى إسرائيل^(١٣)

ثم إن كلمة "النبى" عربية لفظا ومعنى، عربية لفظا، لأن المدنى الذى تؤديه لاجتماعه كلمة واحدة فى اللغات الأخرى، فهى تجمع معانى الكشف والروحى والإنباء بالغيب والإنذار والتبشير، وهى معانى متفرقة تؤديه فى اللغات الحديثة كلمات متعددة، فالكشف مثلا تؤديه فى اللغة الإنجليزية كلمة (REVELATION) والروحى تؤديه كلمة (INSPIRATION) واستطلاع الغيب تؤديه كلمة (Oracle أو DIVINATION) ولا يجتمع كلها فى معنى النبوة، كما يجتمع فى هذه الكلمة باللغة العربية.

A.Lods, the prophets and the Rise of Judaism, London, 1937 (١١) =

C.Saunbrie, the Holy man in Israel, A study in the Development of prophecy, (١٢) in JNES, 6, 1946, P.216

P.K.Hitzi, the Near East in the History, princeton, 1961, p.107 (١١)

(١٢) عباس العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه - بيروت ١٩٦٦ ص ٩١-٩٢

(١٣) خروج ١٨/١٣-٢٧

وقد وجدت كلمة "النبرة" في اللغة العربية غير مستعمارة من معنى آخر، لأن اللغة العربية غنية بكلمات العرافة والعيافة والكهانة وما إليها من الكلمات التي لا تنتمي في اللسان العربي بمعنى النبرة، كما تلتبس في الألسنة الأخرى عن أصل التسمية واشتقاق المعاني الجديدة عن الألفاظ القديمة، فكلمة "النبي" تدل على معنى واحد لا تدل على غيره، خلافاً لمثالها من الكلمات في كثير من اللغات.

وقد استعار العبريون كلمة "النبي" من العرب في شمال شبه الجزيرة العربية بعد اتصالهم بها، لأنهم كانوا يسمون الأنبياء الأقدمين "بالآباء"، وكانوا يسمون المطلع على القيب بعد ذلك باسم "الرائي" أو "الناظر" ولم يفهموا من كلمة "النبرة" في مبدأ الأمر، إلا معنى الإنذار^(١).

وأما كلمة (Prophet) الإنجليزية، وكلمة (Prophete) الفرنسية، وكلمة (Profeten) الألمانية وغيرها، فإنها منقولة عن اليونانية القديمة، ذلك أن الأمم التي كانت تشيع فيها نبوة الجذب، يكثر أن يكون مع المجدوب مفسر يدعى العلم بمفزي كلامه، ولحن رموزه، وإشارات، وقد كانوا في اليونان يسمون المجدوب "مانتي" (manti)، وسمون المفسر "بروفيت" (Prophet) أي المتكلم عن غيره، ومن هذه الكلمة نقل الأوربيون كلمة "النبرة" بجميع معانيها^(٢).

هذا فضلاً عن أن العرب إنما قد عرفوا النبوة قبل بنى إسرائيل، عرفوها مع هود وصالح وشعيب، عليهم السلام، حتى وإن كانوا بعد إبراهيم عليه السلام، فإن إبراهيم الخليل، على أمة حال، جد العرب، قبل أن يكون جد بنى إسرائيل، ثم هو عربي الأصل.

(١) عباس العقاد : إبراهيم أبو الأنبياء، ص ١٥٩

(٢) تفسير المنار، ١/١٢٢-١٢٣، قاموس الكتاب المقدس ١٤٩/٢

وعلى أية حال ، فالنبوة : لفظة تفيد معنى الإخبار عن الله تعالى ، وعن الأمر الدينية ، ولا سيما عما سيحدث فيما بعد بشأن مصير الشعوب والمدن والأقذار ، وذلك بوحى خاص منزل من الله على أنبيائه المصطفين الأخيار ^(١)

(٢) الفرق بين النبى والرسول :-

يفرق العلماء بين النبى والرسول ، اعتمادا على أمور عدة ، منها ماورد فى كتاب الله من عطف النبى على الرسول فى قوله تعالى "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته" ^(٢) ، ومنها وصف الله بعض رسله بالنبوة والرسالة ، مما يدل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة ، كقوله تعالى " واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصا ، وكان رسولا نبيا " ^(٣) ، وكقوله تعالى " واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا الوعد ، وكان رسولا نبيا " ^(٤) ، ومنها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن النبى (ﷺ) أن عدة الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبى ، وعدة الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر رسولا ^(٥)

ومن هنا ذهب فريق من العلماء إلى أن النبى من أوحى إليه بشرع ، سواء أمر بتبليغه أو لم يؤمر ، والرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه ، ^(٦) قال تعالى " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ... الآية " ، ويرى الإمام ابن تيمية أن الله فى قوله " من رسول ولا نبى " قد ذكر إرساله يعم النوعين ، وقد خص أحدهما بأنه رسول ، فإن هنا هو الرسول المطلق الذى أمر بتبليغ رسالته إلى

(١) عباس العقاد : حقائق الإسلام وأبناطيل خصومه ص ٩٠

(٢) سورة الحج: آية ٥٢ (٣) سورة مريم: آية ٥١

(٤) سورة مريم: آية ٥٤ (٥) مسند الإمام أحمد ٢٦٥/٥-٢٦٦ ، وانظر : تفسير ابن

كثير ٢/٤٢٢-٥٢٦ ، تفسير روح المعاني ٨٨/٢٤ ، مجمع الزوائد ٨/٢١٠ ، مشكاة

الصابيح ٣/١٢٢ ، تفسير النسفى ١/٢٦٢-٢٦٤ (٦) تفسير القرطبى ص ٤٤٧٢ ، شرح

العقيدة الطحاوية ص ١٦٧ ، الديار بكرى : تاريخ الحبس ص ٧

من خالف الله . كنوح عليه السلام ، والذي ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض ، وقد كان قبله أنبياء ، كمشيث وإدريس ، وقبلهما آدم كان نبياً مكلماً^(١).

على أن العقل لا يستطيع أن يوحى الله العلى القدير الى نبي بشرع ، ثم لأمره بتخليفه ، لأن الشرع أمانة وعلم ، وأداؤه واجب ، وكتمان العلم نقص ورذيلة^(٢) ، ثم إن الله لا ينزل وحيه ليحكم وينقن في صدور واحد من الناس ، ثم يموت هذا العلم بموته ، هنا فضلاً عن الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، والذي يقول فيه (عَنْهُ) " عرضت على الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرهط والرجلان ، والنبي وليس معه أحد " فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ ، وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم^(٣) .

على أن هناك وجه آخر للنظر يذهب إلى أن الرسول من أوحى إليه بشرع ، وأنزل عليه كتاب ، كإبراهيم وموسى ، وداود وعيسى ومحمد ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والنبي الذي ليس برسول هو من أوحى إليه بشرع ، ولم ينزل عليه كتاب ، كإسماعيل وشعيب ويونس ولوط وزكريا ويحيى وغيرهم من الأنبياء ، وهذا التعريف لا يستقيم أيضاً ، لأن الله سبحانه وتعالى قد وصف بعض الأنبياء الذين لم تنزل عليهم كتب بالرسالة^(٤) ، فقال تعالى عن إسماعيل " واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد ، وكان رسولا نبياً^(٥) " ، وقال تعالى عن لوط " وإن لوطاً لمن المرسلين^(٦) " وقال تعالى عن يونس " وإن

(١) ابن تيمية : كتاب النبوات ص ٢٥٥ .

(٢) محمود الشرفاوي : الأنبياء في القرآن الكريم - القاهرة ١٩٧٠ ص ٩-١٠ .

(٣) عمر سليمان الأشقر : الرسل والرسالات - الكويت ١٩٨٥ ص ١٤-١٥ .

(٤) محمود الشرفاوي : المرجع السابق ص ١٠ . (٥) سورة مريم : آية ٥٤ .

(٦) سورة الصافات : آية ١٢٢ .

يونس لمن المرسلين^(١).

وهناك وجه ثالث للنظر يذهب إلى أن الرسول من الأنبياء، إما هو من بعثه الله بشرع جديد يدعو الناس إليه، أما النبي الذي ليس برسول، فهو من بعث لتقرير شئ سابق، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام، ومن ثم فقد قيل إن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا^(٢)، غير أن "ابن تيمية" يرى أنه ليس من شروط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فإن يوسف كان رسولا، وكان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة^(٣)، قال تعالى عن مؤمن آل فرعون "لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا"^(٤).

ومناك وجه رابع للنظر يذهب إلى أن الرسول يختلف عن النبي، لأن اختلاف الأسماء، إما يدل على اختلاف السميات، والرسول أعلى منزلة من النبي، ولذلك سميت الملائكة رسلا، ولم يسموا أنبياء، هنا وقد اختلف من قال بهذا في الفرق بينهما على ثلاثة أقاويل: أحدها أن الرسول هو الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي، والنبي هو الذي يوحى إليه في نومه، والثاني أن الرسول هو المبعوث إلى أمة، والنبي هو المحدث الذي لا يبعث إلى أمة والثالث أن الرسول المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام، والنبي هو الذي يحفظ شريعة غيره^(٥).

ومن ثم فإن الإمام الطحاوي إذا يذهب في التقبلة إلى أن الرسول أخص من النبي، وأن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، ذلك لأن

(١) سورة الصافات: آية ١٣٩

(٢) تفسير المنار ١٩٤/٩-١٩٥، تفسير البضاوي ٩٥/٢-٩٦، الإمام الطحاوي: المرجع السابق ص ١٦٧، عبد الحليم محمود: في رحاب الأنبياء - الرسل - القاهرة ١٩٧٢ ص ٤٢

(٣) الإمام ابن تيمية: المرجع السابق ص ٢٥٧ (٤) سورة غافر: آية ٢٤

(٥) أبو الحسن الماوردي: أعلام النبوة - القاهرة ١٩٧١ ص ٣١

الرسالة تتناول النبوة وغيرها ، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء ، وغيرهم ، بل الأمر بالعكس ، فالرسالة أعم من جهة نفسها ، وأخص من جهة أهلها ^(١)

وأما عدد الأنبياء والرسل ، فعلم ذلك عند ربي ، جل جلاله ، ولكننا نعرف من القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين من هؤلاء المصطفين الأخيار ، ونعلم كذلك أنه مامن أمة إلا وجاءها رسول من عند الله العلي القدير ، فلقد اقتضت حكمة الله تعالى في الأمم ، قبل هذه الأمة ، أن يرسل في كل منها نذيراً ، ولم يرسل رسولاً للبشرية كلها ، إلا سيدنا محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم ، واقتضى عدله أن لا يعذب أحداً من الخلق ، إلا بعد أن تقوم عليه الحجّة ^(٢) ، قال تعالى " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " ^(٣) ، ومن هنا كثر عدد الأنبياء والرسل كثرة ، ماثلة ، قال تعالى " وإن من أمة إلا خلا قبها نذير " ^(٤) ، وقال تعالى " وكم أرسلنا من نبي في الأولين " ^(٥) وقال تعالى " منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك " ^(٦) .

ومن هنا كان الخلاف على عدد الأنبياء عليهم السلام ، فمن قائل إنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، ومن قائل إنهم ثمانية آلاف ، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل ، وأربعة آلاف من سائر الناس ، ومن قائل إنهم أربعة آلاف ، ومن قائل إنهم ثلاثة آلاف ، وأن الرسل من الأنبياء ثلاثمائة وثلاثة عشر ، أولهم آدم ، وآخرهم محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم ^(٧)

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧ . (٢) عمر سليمان الأشقر: المرجع السابق ص ١٧

(٣) سورة الإسراء آية ١٥ ، وانظر سورة طه آية ١٣٤

(٤) سورة قاطر : آية ٢٤ (٥) سورة الزخرف: آية ٦

(٦) سورة غافر: آية ٧٨ ، وانظر سورة النساء : آية ١٦٤

(٧) تفسير ابن كثير ١/ ٨٩٢-٨٩٦ (بيروت ١٩٨٦) ، تفسير القرطبي ص ٢٠١-٢٠٨ (دار الشعب -

القاهرة ١٩٩٧) ، تفسير روح المعاني ٢٤/ ٨٨-٨٩ ، تفسير المنار ٢/ ٥٠-٥٠٧ ، مجمع الزوائد ٨/ ٢١٠ ، ابن تيمية:

للعارف - القاهرة ١٩٣٤ ص ٢٦ ، أبو الحسن المارودي: المرجع السابق ص ٥٧ ، محمد يونس مهران: دراسات تاريخية من

القرآن الكريم الجزء الثاني - في مصر - ص ١٢-١٧ (بيروت ١٩٨٨)

وعلى أية حال، فليس من المستحب - فيما أظن - وليس كل الظن إثماً - الخوض في إحصاء الرسل والأنبياء، فإنه لا يعلم إلا برحى من الله تعالى، ولم يبين ذلك في كتابه الكريم، غير أن هناك حديث أبي ذر المشهور، والذي جاء فيه: أنه دخل المسجد النبوي الشريف، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده، فسأله عن أشياء كثيرة، منها الصلاة والهجرة والصيام والصدقة، ثم سأله: كم الأنبياء؟ فقال: مائة وأربعة وعشرون ألفاً، قال: قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر، جم غفير، كثير طيب، قال: قلت: فمن كان أولهم؟ قال: آدم، قلت: أنبي مرسل؟ قال: نعم خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وسواه قبلاً^(١).

هذا وقد ذهب القاسم الرسي وابن المرتضى والبصرية من المعتزلة إلى أنه يصح أن يكون النبي نبياً في المهد، مستشهدين بعيسى عليه السلام، وخالفهم أبو القاسم البغلي قائلاً: كان كلام عيسى إرهاباً بنبوته بعد بلوغه ذلك أن النبوة تكليف، ولا تكليف على من في المهد لعدم التمييز والتدرة، إلا أن يجعلها الله له، فهو على كل شيء قدير، وقد أنطق الله عيسى لإظهار براءة أمه من الإثم، ثم رجع إلى حال الأطفال، قال ابن عباس: كان كلامه في المهد ساعة واحدة بما قضى الله تعالى لنا، ثم لم يتكلم حتى بلغ أو أن الكلام، وإن ذهب ابن الإخشيد إلى أنه كان يتكلم دائماً، وكان كلامه تأسيساً لنبوته، وإرهاباً لها، وقال الجبائي: إنه سبحانه أكمل عقله، عليه السلام، إذ ذاك، وأوحى إليه بما تكلم به، مقروناً بالنبوة، وجز أن يكون ذلك كرامة لمريم، دالة على طهارتها، وبراءة ساحتها بما نصبه أهل الإثك إليها^(٢).

(١) مستد الإمام أحمد ٢٦٥-٢٦٦، تفسير ابن كثير ٨٩٢-٨٩٦، مجمع الزوائد ٨/ ٢١، مشكاة المصابيح

١٢٢/٣، تفسير النفي ٢٦٣-٢٦٤، معجم يرمى مهران المرجع السابق ص ١٧-١٨

(٢) تفسير الفخر الرازي ٨/ ٥١-٥٢، تفسير الطبري ٣/ ٢٧٦-٢٧٣، تفسير ابن كثير ١/ ٥٤٥، تفسير النفي

١٥٨/١، تفسير الكشاف ١/ ٢٧٨، تفسير روح المعاني ٢/ ١٦٢-١٦٤، أحمد محمود صبحي: المذهب =

(١٣) الإسلام دين الأنبياء جميعا -

لعل من الأهمية بمكان التأكيد هنا على أن الأنبياء جميعا - كما أخير القرآن الكريم^(١) - إنما كان دينهم الإسلام، ومن هنا فإن نبوة القرآن الكريم إنما تؤمن بكل ما سبقها من نبوات، لأن الهدف واحد، والعقيدة واحدة، فالأنبياء، عليهم السلام، دينهم واحد، وإن تنوعت شرائعهم^(٢)، وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال " إنا معشر الأنبياء ديننا واحد " ^(٣)، قال تعالى " إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا بكم فائقون " ^(٤).

ومن هنا طلب القرآن الكريم الإيمان بكل الرسل، وبكل ما أنزل عليهم، وكان الإيمان بالبعض دون البعض خروجاً عن دين الله وهديده^(٥)، قال تعالى " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك

= التمهيد - الاسكندرية ١٩٨٦ ص ٢٥، محمد يونس مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الثالث - في بلاد الشام - بيروت ١٩٨٨ ص ٢١٧-٢١٨.

(١) أنظر سورة البقرة آية ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، آل عمران: آية ٥١-٥٢-٦٤، ٦٧-٨٢-٨٥، المائدة: آية ٤٤، ٤٥، الأعراف: آية ١٢٦، يونس: آية ٧٢، ٨٤، ٩٠، يوسف: آية ١٠١، الأنبياء: آية ١، ٨، الحج: آية ٧٨، النحل: آية ٣٩، ٣٨، ٤٢، القصص: آية ٥٢، الزمر: آية ١٢، فصلت آية ٢٣، الشورى: آية ١٣، تفسير المنار ١/٦٧، ٤٧٧.

(٢) فتاوى ابن تيمية ٢٥٧/١ (الرياض ١٣٨١ هـ).

(٣) روي الحديث بعدة روايات في البخاري ومسلم وأحمد، واللفظ هنا لمسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ، صلى الله عليه وسلم " أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والأخرة، قالوا كيف يا رسول الله، قال الأنبياء أخوة من عللت أمهاتهم شتى ودينهم واحد، فليس بيننا نبي، وفي رواية " أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أبناء علات، وليس بيني وبين عيسى نبي " (صحيح مسلم ١١٩/١٥ (بيروت) (٤) سورة المؤمنون: آية ٥٢، وأنظر: سورة الشورى: آية ١٣ (٥) محمد أبو زهرة: العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم - القاهرة ١٩٦٩ ص ٨٥-٨٦، تفسير المنار ١/١٨٢-١٨٣.

المصير" (١١) ، ومن ثم فإن القرآن يعلمنا أن كل رسول يرسل ، وكل كتاب ينزل إنما قد جاء مصدقا ومؤكدا لما قبله ، فالإنجيل مصدق ومؤكد للتوراة ، والقرآن مصدق ومؤكد للتوراة والإنجيل ، ولكل ما بين يديه من الكتب (١٢) ، قال تعالى " رفقينا على آتاهم عيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ، وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيئنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شيعا ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا ، فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ١٣ -

وجاء في إنجيل متى ، على لسان المسيح عليه السلام ، " لا تنتظروا أنى جئت لأقتضى الثاموس والأثيباء ، ما جئت لأقتضى بل لأكمل ، فإن الحق أقول لكم : إلى أن تزدل السماء والأرض ولا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الثاموس حتى يكرن الكل " (١٤)

ولارب في أن هذا التصديق لا يعنى أن الكتب المتأخرة مجتهد للمقدمة وتذكير بها ، فلا تترك فيها معنر ، ولا تغير حكما ، وإنما الواقع غير ذلك ، فلقد جاء الإنجيل بتبديل بعض أحكام التوراة ، كما جاء القرآن بتبديل بعض أحكام الإنجيل ، وإن كان هذا لا يعنى نقضا من التأخر للمتقدم ، ولا إنكارا لحكمة أحكامه في إبانها ، وإنما كان ولفوا عند وقتها المناسب ، وأجلها المقدر (١٥) ،

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٥

(٢) محمد عبدالله دراز: الدين بحوث مهمة لنواسة الأديان - القاهرة ١٩٦٩ ص ١٨٥

(٣) سورة المائدة: آية ٤٦-٤٨

(٤) إنجيل متى ١٧/٥ - ١٨ (٣) أنظر : سورة آل عمران: آية ٥٠ ، الأعراف : آية

١٥٧ ، محمد عبدالله دراز: المرجع السابق ص ١٨٥-١٨٦ .

ومن هنا كان قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " وهكذا فإن الله تعالى يقتضى حكمته في رسالاته . إنما كان يجعل كل نبي يبشر بمن يجيء بعده . فالتوراة بشرت بالمسيح ويعهد^(١) ، عليهما الصلاة والسلام ، والمسيح بشر بمحمد ، صلى الله عليه وسلم .^(٢) كما أخذ الله الميثاق على كل نبي ، إذا جاءه رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره^(٣) . وصدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صور الرسالات السماوية في جملتها أحسن تصوير في قوله الشريف " مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثلى رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " .^(٤)

وقريب من هذا صلاة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ، ليلة أن أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، إنما تشير إلى وحدة الرسالات والنبوت ، وأنها جميعا من عند الله . وأن الأنبياء والمرسلين إنما أرسلوا من أجل هداية الناس ، ودعوتهم إلى التوحيد^(٥)

(١) عن بشارات التوراة بسيدنا محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم (أنظر : سفر التثنية ١٨/١٥ ، ١٨/٢٣ ، أشعيا . ١/٦ - ١/٧ ، ٤٢/٧ ، ١٢-١٠ ، حرق ٣/٢ - ٤)

(٢) سورة الصف : آية ٦ ، وعن بشارات الإنجيل (انظر متى ٢١/٧ - ٢٣ ، ١٥/٨ - ٩/٢٣ ، ٤٢/٤٣) وانظر : إبراهيم خليل أحمد : محمد في التوراة والإنجيل والقرآن - الطبعة الخامسة - القاهرة ١٩٨٣ ص ٣٣-٩٥ ، بشري زخاري ميخائيل : هكنا بشرت به الأنجيل - القاهرة ١٩٧٢ ، ابن كثير : المعيرة النبوية ١/٢٨٦ - ٢٤٠ ، محمد بيومي مهران : المعيرة النبوية الشريفة ١/١٣٩ - ١٦٠ (بيروت ١٩٩٠)

(٣) محمد عبدالله دراز : المرجع السابق ص ١٨٥ (٤) صحيح البخاري ٢٢٦/٤ (القاهرة ١٣٧٨) ، (٥) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٢٧٤ - ٢٧٧ ، عماد الدين خليل : دراسة في المعيرة - بيروت ١٩٧٤ ص ١١٥ - ١١٦ ، عبدالله شحاته : تفسير سورة الإسراء - القاهرة ١٩٧٥ ص ٨

على أننا يجب أن نلاحظ الفرق بين الذين في ثباته وعدم تبدله بتبدل الأنبياء . وبين تبدل الشرائع وتغيرها بتبدل الأنبياء . وتغيرهم ، بل ينبغي أن يكون هذا الفرق واضحا في ذهن ، مانغا في الفهم ، وهو كذلك فيما يقر القرآن الكريم . فأما من ناحية العقل والفكر . فإن الدين - أي دين - إنما هو قائم على أصول ثلاثة . أولها : الإيمان بأن لهذا الكون إلها خالقا مدبرا . ومحيط العلم ، بالغ القدرة ، لا يعزب عن علمه شيء . ولا يعترض قدرته شيء وثانيها : الدعوة الى العمل الصالح الذي يشيع على الإنسانية الأمن والسلام ، وأما ثالث الأصول : أن الله لم يخلق الناس عبثا ، ولن يتركهم مدني وأنهم لابد راجعون إليه ، ومحاسبون بين يديه ، ومجازون على ما عملوا ، إن خيرا فخيروا ، وإن شرا فشر .

وأما ما يتصل بالشرائع . من حيث هي مجموعة قوانين تنظم السلوك في المجتمع ، فإنها قابلة للتغيير والتبديل ، بمقتضى تغير البئات واختلاف المصالح . وقد أشار الى ذلك القرآن الكريم والحديث الشريف ^(١)

(٤) صعوبة التأريخ للأنبياء :-

لاريب في أن هناك صعوبات كثيرة تواجه المؤرخ الذي يتعرض للتأريخ للأنبياء . عليهم السلام ، ولاريب في أن هذه الصعوبات إنما ترجع لأمرين ، لعل من أهمها (أولا) أن القرآن الكريم - فضلا عن التوراة والإنجيل - وهي مصادرنا الأساسية عن الأنبياء ، لم تؤرخ لنبي من الأنبياء ذلك لأن القرآن الكريم - مثلا - لم ولن يكون كتاب تاريخ يتحدث عن أخبار الأمم ، كما يتحدث عنها المؤرخون ، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد للنبي هي أقوم ^(٢) ، أنزله الله سبحانه وتعالى ليكون دستوراً للمسلمين ، ومنهاجا يسيرون عليه في

(١) فتاوي ابن تيمية ٣٥٧/١ ، وانظر : أحمد حسن الباقري : مع القرآن - القاهرة ١٩٧٠ ص ١٢٧-١٢٩ عبدالله شحاته : المرجع السابق ص ١٠ ، محمد بيومي مهران :

دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٢٨/٢ - ٣٤

(٢) سورة الإسراء : آية ٩

حياتهم ، ويدعوهم الى التوحيد ^(١١) ، والى تهذيب النفوس ، والى وضع مبادئ للإخلاص ^(١٢) ، وميزان للعادلة ^(١٣) ، واستنباط لبعض الأحكام ^(١٤) ، فإذا ما عرض لمادة تاريخية ، فإنما للعبارة والعظة ^(١٥)

ومن ثم فإن القرآن الكريم فى كل ما جاء به من قصص - وإن لم يكن كتاب تاريخ يقدم لنا تفصيلات عن الأحداث التى يتعرض لها ، إلا فى عرض القصة حيث يقتضيه السياق - تعليم للمصلحين ، وتربية للهداة ، ولكنه فى كل ذلك - لا يأتسبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ^(١٦) . ثم " إن هذا هو القصص الحق ^(١٧) " و " لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ^(١٨) " ، وإن فى القرآن الكريم قصصا شتى ، من غير قصص الدعوة ، أو قصص الجهاد فى تبليغ الرسالة ، ولكنها تراد كذلك لعبورتها ، ولا تراد لأخبارها التاريخية ، ومنها قصة يوسف وإسماعيل عليهما السلام ^(١٩)

ومنها (ثانيا) أن احتمال العثور على أسماء الرسل والأنبياء - غير أولئك الذين لم يكونوا ملوكا وأنبياء - فى النصوص الإنسانية ضعيف، ذلك

(١) أنظر مثلا : فى قصة نوح (سورة نوح: آية ٢-٢٠) وفى قصة يوسف (سورة يوسف: آية ٣٧-٤٠) وفى قصة عيسى (سورة النساء : آية ١٧١-١٧٢ ، آل عمران : آية ٥٩ ، المائدة : آية ٧١-٧٦) (٢) أنظر مثلا : سورة البقرة: آية ٤٤ ، الأعراف : آية ٨٥-٨٧ ، هود: آية ٨٤-٨٨ (٣) أنظر مثلا : قصة دارة (سورة ص: آية ٢١-٢٦) (٤) أنظر مثلا فى قصة هابيل وقابيل (سورة المائدة: آية ٢٧-٣٢ ، ٤٢-٥٠ ، البقرة: آية ١٧٨-١٧٩) (٥) عن أحداث القرآن ومقاصده (أنظر: تفسير المنار ١/٦١-٢٩٣)

(٦) سورة فصلت : آية ٤٢ (٧) سورة آل عمران : آية ٦٢ (٨) سورة يوسف : آية ١١١ (٩) أنظر عن قصة يوسف وإسماعيل (محمد يرمى مهراڤ: دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الأول ص ١٥٩-١٩٧ ، الجزء الثانى ص ٣٧-١٣٢)

لأن حقيقة الصراع بين دعوات الأنبياء ، وسلطات الملوك المؤلهين أو شبه المؤلهين ، يدعو الى عدم سماح الملوك بتسجيل مبادئ هذه الدعوات السماوية والصراع بينها وبينهم ، وتلك ظاهرة يلحسها المؤرخ بوضوح فى تاريخ الشرق الأدنى القديم - كما فى قصة إبراهيم عليه السلام مع ملك العراق ، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون مصر^(١)

ومنها (ثالثا) أن المصادر المصرية القديمة ، والتي تتنازع عن غيرها من مصادر الشرق الأدنى القديم ، بوضوحها وكثرة آثارها ، كان من المنتظر أن تقدمنا بمعلومات عن قصة بنى إسرائيل فى مصر ، منذ عهد يوسف وحتى عهد موسى عليهما السلام ، غير أن هذه المصادر ، كما هو معروف ، إنما كتبت بأمر من الملوك ، أو برضى منهم ، أو على الأقل برضى منهم ، فإذا ما تذكرنا أن الملك كان فى العقيدة المصرية القديمة - كما أثبتت النصوص ، وألمع القرآن الكريم^(٢) يزعم أنه إله أكثر منه بشرا ، ومن ثم فقد كان من الطبيعى ألا يستسيغ المصريون أن يهزم الملك فى حرب خاض غمارها ، ولهذا فإن النصر كاد أن يكون حليفه ، وقد تكون الحقيقة غير ذلك^(٣)

ومن المعروف أن قصة موسى مع فرعون - كما جاءت فى التوراة والإنجيل والقرآن العظيم - إنما انتهت بغرق الفرعون وجنوده فى البحر ، ونجاة موسى ومن آمن معه بالله الواحد القهار ، ومن ثم فليس من المنتظر - طبقا للعقيدة المصرية القديمة - أن تسجل نصوص الفراعين ، غرق الفرعون المؤله ، ونجاة عبيده العبرانيين ومن هنا كان من الصعب العثور على آثار تتحدث عن

(١) أنظر عن قصة إبراهيم وموسى (محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الرابع ص ١٠٣-١٧٢ ، الجزء الثانى ص ١٣٢-٤٤٧ ، إسرائيل ١/ ١٨٤-٥ ، ٢٤٥-٤٩٣)

(٢) أنظر : سورة الشعراء : آية ٢٩ ، سورة القصص : آية ٣٨ ، سورة النازعات : آية ٢٤-٢٢ (٣) أنظر : محمد بيومى مهران : الشدة الاجتماعية الأولى فى مصر الفرعونية

ص ٣ ، الحضارة المصرية القديمة - الجزء الثانى ص ١١٩-١٣٦ (الاسكندرية ١٩٨٩)

موسى عليه السلام، رغم ضخامة التركة الأثرية المصرية، وإن كنا لانقطع الأمل فى العثور على تلك الآثار، التى ربما سجلت بطريقة أو بأخرى عن طريق المعارضين لفرعون، المؤمنين برب موسى وهارون، والله وحده يعلم الغيب من الأمر.

وعلى أية حال، فلقد أدى عدم العثور على أسماء الرسل والأنبياء فى النصوص الإنسانية إلى أن يشك بعض المتنطعين من أدعياء العلم فى وجود الأنبياء أنفسهم، ناهين - أو متناسين - أنه ليس من العلم الذى يدعونه، فضلا عن الإيمان بكتب السماء، أن نشك فى أمر أجمعت عليه هذه الكتب كما أنه ليس ببعيد أن تكشف أعمال التنقيب، فيما تكشف، عن بعض الآثار التى تروي قصة هذا النبى أو ذاك^(١) ومن المعروف أن قصة عاد، قوم هود، عليه السلام - شأنها فى ذلك شأن قصة ثمود - لم ترد فى التوراة وإنما هى قصة قرآنية صرفة، كما أن شهرتها عند العرب فى الجاهلية والإسلام، كشهرة إبراهيم وقومه^(٢). وكان هذا سببا فى أن كثيرا من المستشرقين قد تعجلوا الأمر، فأنكروا عادا وثمودا، وأنكروا الكوارث التى حاقت بهم بغير حجة، وكأنهم يحسبون أن المنكر لا يظالب بحجة، ولا يعاب على النفى الجراف، فما لبثوا طويلا حتى تبين لهم أن "عادا" (oditae) و"ثمودا" (thamudida) مذكورتان فى تاريخ بطليموس (حوالى ١٥٠م)، وأن إسم عاد مقرون باسم "أرم" فى كتب اليونان، فهم يكتبونها "أدراميت" (Adramitae)، ويؤيدون تسمية القرآن لها باسم "إرم ذات العماد"^(٣) ومنها (ثالثا) أن أحدا من الأنبياء لم يولد فى ضوء التاريخ، غير سيدنا ومولانا محمد (ﷺ) (فضلا عن الأنبياء الملوك)، وقد روي أن الإمام مالك قال: إنه لا يعرف قبر نبى اليوم على

(١) أنظر محمد بيوى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٢/ ٣٣٢-٣٣٠ (٢)

تاريخ الطبري ٢٣٢/١ (القاهرة ١٩٦٧)

(٣) عباس العقاد : مطلع النور - القاهرة ١٩٦٨ ص ٦١ ،

C.FORSTER, THE HISTORICAL GEOGRAPHY OF ARADIA, II, P.32

وكذا

وجه الأرض ، غير قبر محمد (ﷺ) ، ومن كان قبر محمد (ﷺ) عندهم فينبغي أن يعرفوا فضلهم على غيرهم (يعنى أهل المدينة) .

ولعل تفسير ذلك أن سيدنا رسول الله (ﷺ) قد كتب له نُجُحًا بعينه .
الذي في أن يقيم الدولة الإسلامية ككيان سياسي بين الكيانات السياسية في العالم ، وكسلطة وليه لجميع من يستظلون بظلالها ، ويعيشون في كنفها ومهيمنة عليهم ، وقد اتخذ (ﷺ) أول ما اتخذ من الخطوات: بناء مقر للدولة (المسجد) ، ثم تسمية الأوضاع الداخلية في المدينة ، وهكذا ، وباستقرار النبي (ﷺ) في المدينة المنورة بدأ طور الدولة الذي يتجلى في أربعة أمور : الجيش والعلم والنشيد والإمارة .

فأما الجيش فيتجلى في السرايا والغزوات ، وقد غزا رسول الله (ﷺ) ٢٧ غزوة، وبعث أصحابه في ٤٧ سرية ^(١) ، وأما النشيد فيتجلى في الأذان الذي تضمن خلاصة الدعوة المحمدية ، وفي ذروتها أفراد الله تعالى بالعزة والكبرياء ، وتوحيده بلا شريك ولا نظير . فالاعتراف بمحمد نبيا ورسولا ، ثم العناية بالصلاة التي هي عماد الدين ، وروح العبودية الحققة لله رب العالمين ، وأما العلم فيتجلى في الرايات والألوية التي كان يعقدها النبي (ﷺ) لأصحابه ، وأول لواء عقده (ﷺ) إنما كان لعمه "حمزة بن عبد المطلب" .

وأما الإمارة فتتجلى أولا في شخص القائد الأعظم سيدنا ومولانا وجدنا محمد رسول الله (ﷺ) ، ذلك النبي الرسول الذي استطاع ، بفضل الله ، أن

(١) يذهب علماء السيرة الى أن الغزوة هي التي خرج فيها سيدنا رسول الله (ص) على رأس الثقاتين من أصحابه ، وأما السرية أو البعث مالم يخرج فيها النبي (ص) بنفسه ، فقد يعقد اللواء لها على وجه من أصحابه ، وقد تطلق على السرية مجازا غزوة ، وإن كان ذلك قليلا ، وكان عدد الغزوات ٢٧ ، وعدد السرايا ٤٧ . وهناك أقوال أخرى في الغزوات والسرايا بالزيادة والنقصان (أنظر : محمد بيومي مهران: السيرة النبوية الشريفة ٥٥٥/٢-٥٦)

يقيم - ولأول مرة في تاريخ الدنيا - في الجزيرة العربية قوة عظمى قوة لم ينبغ مثلها من قبل في تلك الجزيرة ، التي كان أمرها مفرقا بين قوي متناحرة ، وعشائر بعضها لبعض عدو ، فإذا هي الآن - بفضل الله ويهدي الإسلام ، ونبوة محمد (ﷺ) - دولة موحدة ، لها زعيم واحد ، وقائد سياسي واحد ، وقائد عسكري واحد ، لا يتنازع سلطانه أحد ، لأن سلطانه فوق مستوى البشر ، فهو رسول الله ، ولسان السماء ، وكل في دولته مأمور بطاعته ، كما يطيع الله تعالى ، يقتدي به بحياته ، بل وتهون عليه حياته في سبيل ما يأمر به ، تطلعا إلى الجنة التي وعد الله المتقين من عباده وأعد للشهداء من المجاهدين ، وهكذا أصبحت شبه الجزيرة العربية دولة واحدة ، تدين بدين واحد ، وتعبد ربا واحدا ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

ثم تتجلى ثانيا في استخلاف أولئك السادة الأصحاب الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكمل اليهم أمر المدينة ، عاصمة الدولة ، كلما خرج منها غازيا أو معتمرا أو حاجا ^(١)

بقيت الإشارة إلى أنه من الأسباب التي دفعتني إلى دراسة هذا الموضوع - بعد أن قدمت دراسة لتاريخ النبوات في أربعة أجزاء بعنوان "دراسات تاريخية من القرآن الكريم" وقد صدرت في بيروت عام ١٩٨٨ ، ثم دراسة عن السيرة النبوية وآل البيت في عشرة أجزاء بعنوان " في رحاب النبي وآل بيته الطاهرين" ، وقد صدرت في بيروت في عام ١٩٩٠م - إنما هو إحساس عميق بأن تنال الموضوعات التاريخية المتصلة بالكتب المقدسة - وعلى رأسها تاريخ الأنبياء ، فضلا عن التأريخ لهم - قسطا وافرا من جهد المؤرخين المسلمين ، بعد أن امتلأت رفوف المكتبات بإنتاج المؤرخين من غير المسلمين في هذا الميدان ، وربما ساعدني على هذه المحاولة تخصصي في التاريخ القديم وهو الميدان الذي

(١) أنظر : محمد بيومي مهران : السيرة النبوية الشريفة - الجزء الثاني ص ١٩-٢٧ .
أحمد حسن الباقوري : صفة السيرة النبوية - القاهرة ١٩٧٨

يدرس تاريخ تلك العصور الطويلة التي ظهر فيها الأنبياء حتى ختموا بسيد المرسلين ، سيدنا محمد (ﷺ) هذا فضلا عن دراسات إسلامية ، بدأت بحفظ القرآن الكريم . ثم استمرت طوال الشطر الأول من حياتي العلمية في معاهد العلمين . وإن كنت لأزعم لنفسى فيها - بحال من الأحوال - مكانة تعاد مكانة عامة المسلمين الذين تعلموا من أمور دينهم القدر الذي يتعرضون به عليه . وإن كان مما لا ريب فيه أنه لا يصل بهم الى مكانة الخاصة من المتخصصين في دراسات القرآن الكريم والحديث الشريف وعلميهما ، وأخيرا فلهذا أكتفى المحاولة التي قمت بها في " دراسات تاريخية من القرآن الكريم " قدرا من المعلومات تساعدني على التأريخ للأنبياء عليهم السلام .

ولنحاول الآن أن نؤرخ للأنبياء الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم ، على قدر ما يتوفر لنا من معلومات ، لعلنا نستطيع أن نصل - بحسب الله - إلى رأي قريب من الصواب ، أو لا يبعد عن الصواب كثيرا ، مؤمنين بآم الإيمان أن اليقين مازال ، وسيظل أبدا الدهر ، عند صاحب اليقين ، وما زال العلم ، وسيظل ، عند رب العلم ، يؤتبه من عباده من يشاء . وهو علام الغيوب ، وما تقوم به ، أو يقوم به غيرنا ، لا يعدو محاولات قد تخطئ وتصيب ، بل قد تخطئ كثيرا ، وتصيب قليلا ، وأن ما فيها من صواب فمن الله ، وما فيها من خطأ فمن الشيطان ، والله وحده الهادي إلى سواء السبيل .

(١) آدم وإدريس عليهما السلام : -

إذا بدأنا بآدم أبو البشر ، عليه السلام ، فلا نستطيع القواء أكثر من أنه أبو البشر ، فما جاء عنه في القرآن الكريم ^(١) لا يتيح لنا ، بحال من الأحوال ، أن نقول أكثر من ذلك . وإن جعلته التوراة يعيش تسعمائة وثلاثين سنة ^(٢) . والأمر كذلك بالنسبة الى إدريس عليه السلام ، والذي لا نستطيع أن

(١) أنظر: سورة البقرة : آية ٣٩-٤٠ (٢) توكين ٤/٢ ، ٢٥ ، ١/٣ - ٢٤ .

نقول أكثر من أنه كان بين آدم ونوح عليهما السلام ، وقد أشارت التوراة التي دعت - أختوخ - إلى أنه عاش ثلاثمائة وخمسا وستين سنة ^(١)

(٢) نوح عليه السلام :-

تجمع الكتب المقدسة على أن نوحا عليه السلام عاش تسعمائة وخمسين عاما ^(٢) ، وقد قسمتها التوراة إلى فترتين ، الواحدة قبل الطوفان وعاش فيها ستمائة عام ، والثانية بعد الطوفان ، وعاش فيها ثلاثمائة وخمسين سنة ^(٣) .

هذا وقد اختلف المفسرون في مبلغ عمر نوح عليه السلام ، فقبل مبلغ عمره مذكروه الله تعالى في كتابه الكريم ، قال قتادة : لبث فيهم قبل أن يذعوهم ثلاثمائة سنة ، ودعاهم ثلاثمائة سنة ، ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة . وقال ابن عباس : بعث نوح لأربعين سنة ، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، وعاش بعد الفرق ستين سنة ، حتى كثر الناس وفشوا ، وعنه أيضا : أنه بعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة ، ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين ، وعاش بعد الطوفان مائتي سنة ، وقال وهب : عمّر نوح ألفا وأربعمائة سنة ، وقال كعب الأحبار : لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، وعاش بعد الطوفان سبعين عاما ، فكان مبلغ عمره ألف سنة وعشرين عاما ، وقال عروة بن أبي شداد : بعث نوح وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة ، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين سنة ، فكان مبلغ عمره ألف سنة وستمائة وخمسين سنة ، ونحوه عن الحسن (أي الحسن البصري) ^(٤)

هذه هي آراء المفسرين في مبلغ عمر نوح عليه السلام ، ولكن الذي يلزمنا هو كلام الله عز وجل ، وليس مادرج المفسرون أن يقدموا ، فإنما هو

(١) تكمون ٢٣/٥ (٢) سورة العنكبوت: آية ١٤ ، تكمون ٢٩/٩ (٣) تكوين ٦/٧ ٢٨/٩

(٤) تفسير ابن كثير ٦٤٩/٣ ، تفسير القرطبي ص ٤٨ - ٤٩ .

اجتهاد ، وفوق كل ذي علم عليم . وقد قال الله تعالى " ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين ^(١)

وإذا ما أردنا أن نغرق لعصر نوح عليه السلام ، فعلينا أن نذكر - يادى ذي بدء - أن قائمة الملوك السومرية إنما تعتبر حادث الطوفان الكبير (طوفان نوح عليه السلام فيما نرجح) بمثابة كسر فى عملية استمرار تاريخ العراق القديم ، ومن ثم فهو حد فاصل بين عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخى .

لقد عثر " سيرليونارد وولى " (١٨٨٠-١٩٦٠) فى حفائره فى خرائب "أور" ^(٢) - وهى تل المقيمر الحالية ، على مقربة من محطة القطار فى الناصرية ، وعلى مسبعة ١٦ كيلا شرقى نهر الفرات ، ١٩٠ كيلا شمال مدينة البصرة الحالية - وذلك فى عام ١٩٢٩م على طبقة من الغرين السميك والرواسب الحالية من الآثار ، تبعا بين ٦٩م ، ٢٥م ، فوق مستوي سطح البحر ، وقد اعتبر ذلك دليلا ماديا على الطوفان السومري ، نظرا لكثافة تلك الطبقة الغرينية ، وتوافقها الزمني إلى حد كبير مع النصوص السومرية ، هذا فضلا عن أن تلك الطبقة الغرينية إنما تقع فوق آثار تنسب إلى عصر حضارة "بيد" ^(٣) ، والتي تمثل عصر ما قبل الأسرات الأولى فى جنوب العراق .

هذا وقد ألجأ " وولى " بعد ذلك إلى الحفر فى موقع يعيد عن "أور" بحوالى ٣٠٠ ياردة من ناحية الشمال الغربى ، للبحث عن مدي امتداد تلك

(١) سورة العنكبوت : آية ١٤-١٥

(٢) أنظر : C.L. WOOLLEY, UR OF THE CHALDEES, LONDON, 1950, P.22-29 ,

C.L.WOOLLEY, EXCAVATIONS AT UR, LONDON, 1963, P.26-36

(٣) أنظر عن حضارة العبيد (محمد بيرمى مهراڤ : مصر والشرق الأدنى القديم - الجزء العاشر - العراق القديم - الامكنة : ١٩٩ ص ٢٨-٣٠ .

الطبقة الغربية ، وكانت نتيجة الحفر ايجابية ، مما أدى الى القول بوجهة النظر المشهورة في ارتباط تلك الطبقة الغربية السميكة بالطوفان الذي ذكرته الكتب المقدسة ، على أن هناك من يتردد في ذلك ، لأن جنوب العراق القديم قد واجه الكثير من الفيضانات والطوفانات ، فهناك أدلة غربية على طوفان كبير في شورياك (قارة) يرجع الى نهاية عصر " جمدة نصر " وآخر في " كيش " (تل الأجير) ، وهكذا بات من الصعب علينا المقارنة بين تلك الطوفانات ، وأيهما هو الذي يتفق مع قائمة الملوك السومرية ، وإن تميز طوفان "أور" بطبقته الغربية السميكة للغاية ، رغم عدم العثور على الطبقة الغربية الموازية في كافة المدن السومرية ^(١)

وعلى أية حال ، فإن "وولي" إنما يعتبر طوفان أور ، طوفانا كبيرا مروعا ، لا مثيل له في أي عصر لاحق في تاريخ العراق القديم ، ومن ثم فقد ظل عالقا في الأذهان بين الأجيال التالية ، ومعروفا لديهم باسم "الطوفان" صحيح أن هناك في أور ، وفي مواضع أخرى من بلاد النهرين ، أدلة على فيضانات مؤقته ومحلية ، حدثت في أوقات مختلفة من تاريخ العراق القديم ولكنه صحيح كذلك أن الطوفان الذي وضع نهاية لحضارة العبيد ، إنما يتفق في توقيته مع التاريخ السومري الذي وصل إلينا عن طريق التقاليد ، وأنه يعينه الطوفان الذي لمحدث عنه قائمة الملوك السومرية ^(٢) ، وهو الطوفان الذي روته التوراة في سفر التكوين (طوفان نوح عليه السلام) .

(١) أنظر: J.FINEGAN, LIGHT FROM THE ANCIENT PAST, PRINCETON, 1969, P.24 ,

H.W.F.Saggs, the Greatness that was Babylon, London, 1962, P.34-35

(٢) أنظر عن قائمة الملوك السومرية: S.N.Kramer, the Sumerians, Chicago, 1970, P.328-331 , A.L.Oppenheimer, ANET, 1966, P.265-267

وكننا J.Finegan , op-cit, P.29-30 , T.Jacobsen, the Sumerian Kingslist, Assyrian Studies, II, 1939

على أنه يجب أن لا يفهم أن قصة الطوفان السومرية صحيحة بحذافيرها صحيح أن الخلفية التاريخية حقيقية، ولكنه صحيح كذلك أن التفاصيل قد زخرفها المؤلف السومري - وكذا فعل صاحبه العبري - ببيانات تتفق وهدف كل منهما من كتابتها، فمثلا تقول التوراة إن الماء غدا ارتفع ٢٦ قدما، وهذا فيما يبدو ، صحيح الى حد كبير، كما أن القصة السومرية تصف إنسان ماقبل الطران بأنه كان يعيش في أكواخ من بوص ، وهذا أمر قد أثبتته الحفائر في العبيد، وفي أور ، وأن نوحا، عليه السلام - في رواية التوراة - قد بنى فلكه من خشب خفيف لا ينفذ منه الماء ولا يؤثر فيه ، وأنه قد طلاه من الداخل والخارج ، وهو أمر قد أثبتته الحفائر في أور ^(١).

وهناك من أدلة "بولي" على طوفان أور الكبير هذا ، ما عثر عليه هو نفسه في "أور" أسفل طبقة المباني السومرية، من طبقة طينية مليئة بقدر من الفخار الملون ، وقد اختلطت بها أدوات من صوان وزجاج بركاني ، وكان سمك هذه الطبقة حوالي ثلاثة أمتار ، أسفل المباني الطينية التي يمكن تأريخها بحوالي عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد ، وأن أور قد عاشت أسفل هذه الطبقة في عصر ماقبل الطوفان، ولم تخرج حتى الآن حفائر على نطاق واسع في هذه المنطقة وكل ما يمكن إثباته هو وجود مدينة قبل الطوفان ، وأن الفخار الملون قد اختفى مرة واحدة ، ويعمل "بولي" لذلك بأن الطوفان قد قضى تماما على سكان هذه البلاد، وحتى من بقي منهم حيا ، فقد فقد القدرة على الإنتاج ، نجاء شعب جديد هم " السومريون" إلى تلك البلاد الخالية ، وأسسوا حضارة جديدة، وكان فخارهم مصنوعا على دولاب الفخار بدلا من الفخار المصنوع باليد ، الذي كان سائدا في عصر ماقبل الطوفان كما استعملوا الأدوات المعدنية ، بدلا من الصوان ^(٢).

(١) Sir Leonard Woolley, Excavations at ur, London, 1963, P 34-36

(٢) محمد عبد القادر : قصة الطوفان في أدب بلاد النهرين ، القاهرة ١٩٦٥ ص ٩٦-٩٧

وهكذا يمكننا القول - اعتمادا على نتائج الحفائر الأثرية - أن طوفان نوح عليه السلام يمكن أن يؤرخ بحوالى عام ٢٧٠٠ ق.م. فإذا ما أخذنا برواية التوراة وقتادة^(١)، من أن نوحا عليه السلام قد عاش قبل الطوفان ستماية وبعده ثلاثماية وخمسين عاما، فإن نوحا عليه السلام يمكن أن يكون قد عاش فى الفترة (٢٣٠٠-٢٣٥٠ ق.م) وأما رواية ابن عباس التى تجعل بعثته فى سن الأربعين ، ثم مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم عاش ستين عاما بعد الطوفان ، ومن ثم يمكن أن يكون قد عاش فى الفترة (٣٦٩٠ - ٢٦٤٠ ق.م)، وطبقا لرواية أخرى لابن عباس ، فهو قد عاش فى الفترة (٣٩٠٠-٢٥٠٠ ق.م) ، وكلها تواريخ افتراضية بنيت على أن الطوفان قد حدث حوالى عام ٢٧٠٠ ق.م ، الأمر الذى لا يمكن الجزم بصحته ، هذا فضلا عن أننا لو أخذنا بآراء أخرى (وهب بن منبه - كعب الأحبار - عون بن أبى شداد) لتوصلنا إلى تواريخ أخرى تبعد أو تقرب قليلا أو كثيرا ، عن هذه التواريخ الآتفة الذكر .

(٣) هود عليه السلام :-

لا ريب فى أن الحديث عن تحديد عصر لسيدنا هود عليه السلام ، إنما هو أمر بالغ الصعوبة ، فالقصة قرآنية صرفة ، وليس فى القرآن الكريم أو السنة الشريفة ، إشارة صريحة الى تاريخ هود، والآثار صامتة تماما فى هذا المجال ، وليس هناك أى نوع من الوثائق التاريخية التى يمكن للمؤرخ أن يعتمد عليها فى الوصول الى نتيجة يظن أنها الصواب ، أو حتى قريبا من الصواب ومن ثم فإن المحاولة لاتعلم أن تكون حتميا عن غير يقين .

على أننا نستطيع أن نحدد ذلك العصر بالألف الثانية قبل الميلاد ، على وجه التقريب ، ذلك لأن القرآن الكريم إنما يذكر عادا قبل ثمود^(٢)، وهى دونما

(١) تكمين ٦/٧ ، ٢٨/٩ ، تفسير القرطبي ص ٥٠٤٨ ، تفسير ابن كثير ٦٤٩/٣ .

(٢) أنظر: سورة التوبة: آية ٧٠ ، هود: آية ٨٩ ، إبراهيم :آية ٩ ، الفرقان: آية ٢٨ ، =

رب أوضح تاريخيا من عاد ، هذا إلى أنه إنما يذكر عادة كذلك بعد قوم لوط ، وأما حمود ، فهي واحدة من القبائل العربية التي جاء ذكرها في الكتابات الآشورية، على أنها كانت تعيش في شمال شبه الجزيرة العربية منذ القرن الثامن قبل الميلاد. هذا فضلا عن أن منطقة عاد ، قوم هود عليه السلام، رغم أن المؤرخين المسلمين يذهبون إلى أنها تقع في الأحقاف ، إلى الشمال الشرقي من حضرموت في جنوب الربع الخالي^(١)، فإن الآراء الحديثة^(٢) إنما تتجه إلى أنها تقع في شمال الجزيرة العربية ، وليس في جنوبها ، وأنها ربما كانت تخرج في المنطقة الممتدة من منطقة "حسمى" في سيناء ، حتى منطقة "أجأ وملمي" في منطقة قبيلة شمر^(٣) ، هذا إلى جانب اقتران ذكر عاد بـحمود "الذين جابوا الصخر بالواد"^(٤)، ولعله "وادي القري"^(٥)، أحد الأودية التي تتخلل جبال حسمى ، ومن بينها جبل إرم، والذي يسمى الآن "رم" ، ويكون الحد الشمالي للحجاز ، وعنده يوجد الكثير من الماء^(٦)

وأما قوم لوط، فقد كانوا معاصرين لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد حددنا له الفترة (١٩٤-١٧٦٥ ق.م) ، كما سنرى، ومن ثم فإننا ربما نستطيع القول : إن عادًا إنما كانت في الفترة، فيما بين عهد إبراهيم عليه السلام، وبين

= غافر : آية ٣٦، فصلت : آية ١٣، ثم قارن الحاقة : آية ٤ (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٨٥/١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٧٠/١ ، السعدي : مروج الذهب ١٢/٢
 أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ٩٧/١ ، تاريخ ابن خلدون ٩/٢ (٢) أنظر : محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٢٤٧-٢٤٩ (٣) عبد الرحمن الأتصاري : لمحات عن القبائل البائدة في الجزيرة العربية - الرياض ١٩٦٩ ص ٨٨ (٤)
 سورة الفجر : آية ٩ (٥) تاريخ الطبري ٢٢٦-٢٢٧ ، ابن قتيبة : المعارف ص ١٤ ، الديار بكري : تاريخ الحبش ص ٨٤ ، تفسير روح المعاني ١٢/٨ ، ٧٦/١٤ ، ابن الأثير ١٩/١

(٦) ألويس مويل : شمال الحجاز - ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني - الاسكندرية

١٩٥٢ ص ١٣٧

عهد نمرود . ومن هنا قلر وضعنا تاريخ سيدنا هود . عليه السلام ، فى التصف
الثانى من الألف الثانية قبل الميلاد . لما تجاوزنا الصواب بكثير ^(١١) .

على أن الأمر قد يختلف كثيرا ، إذا ما كان صحيحا ماذهب إليه بعض
الباحثين من الربط بين "إرم" و"أرام" ، وأن "إرم" إنما تتصل بالأموريين ، ويعنى
آخر أن هناك صلة بين قوم عاد وبين الأراميين عن طريق عاد إرم ، والأراميون ،
كما نعرف . لم يكونوا إلا عرما . هاجروا من شبه الجزيرة العربية الى منطقة
الهلال الخصيب ^(١٢) ، ومن ثم فقد التبس الأمر على المؤرخين المسلمين بين "عاد
إرم" و "عاد أرام" ، وظنوا أن ذات العماد صفة لإرم ، فزعموا أنها مدينة بناها
عاد أو شداد بن عاد ^(١٣) .

وعلى أية حال ، فإذا صح الربط بين "أرام" و "إرم" . وأن "إرم" تتصل
بالأموريين ، فإن قوم عاد إنما يرجع تاريخهم إلى ما قبل ظهور الأموريين فى
القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد فى العراق القديم ، وهذا يتفق مع وجهة
النظر الإسلامية التى تذهب إلى أن عادا إنما كانوا قبل عصر ابراهيم عليه
السلام ، أي قبل القرن العشرين قبل الميلاد .

وإذا صدقت وجهة النظر هذه ، فإننا نستطيع أن ندعمها بعدة أدلة ، منها
تلك الآيات الكريمة التى جعلت قوم عاد خلفاء لقوم نوح ^(١٤) ، ومنها ورود قصة
هود بعد قصة نوح عليهما السلام ، فى كثير من المرات فى القرآن الكريم ^(١٥) ،
ومنها ذكر عاد ونمرود بين قوم نوح وقوم إبراهيم ^(١٦) ، ومنها قوله تعالى " ألم

(١١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٦ .

(١٢) R.A.Bowman, Arameans, Aramaic and the Bible , JNES,7,1948, P.66-67

(١٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٩/١ ، البكري : معجم ما استعجم من أسماء البلاد
والمواضع ١٤٠/١ ، معجم باقوت الحسرى ١٥٥/١ - ١٥٧ ، جواد على : المفصل فى تاريخ
العرب قبل الإسلام ٣٠٣/١

(١٤) سورة الاعراف : آية ٦٩ ، إبراهيم : آية ٩ ، غافر : آية ٣١ (٥) أنظر مثلا سورة
هود والأعراف والمؤمنون والشعراء (٦) سورة التوبة: آية ٧

بأتكم نبأ الذين من قبلكم ، قوم عاد وثمود ، والذين من بعدهم لا يلهيهم إلا الله ^(١) . " وقد اتخذ البعض من هذه الآية الكريمة ، والتي قبلها ، دليلاً على أن هذه الأقوام ، إنما سبقت عهد موسى عليه السلام - أي القرن الثالث عشر قبل الميلاد - على أساس أن الخطاب هنا موجه إلى قوم موسى ^(٢) ، غير أن ابن كثير إنما يرى أن الخير مستأنف من الله لهذه الأمة - أي أمة محمد (ص) - لأن قصة عاد وثمود ليست في التوراة فلو كان هذا من قول موسى لقومه وقصصه عليهم ، فلا شك أن تكون هاتان القصتان في التوراة ^(٣) ، وتوسط البيضاوي بين أن يكون من كلام موسى ، أو كلام مبتدأ من الله ^(٤) . هذا فضلاً عن أن الترتيب إنما يختلف في سورة الشعراء ، إذ تسبق قصة موسى (١-٦٨) قصة إبراهيم (٦٩-٨٩) ثم تأتي بعد ذلك قصة نوح (١٠٥-١٢١) فقصة هود (١٢٤-١٤٠) ثم قصة صالح (١٤١-١٥٩) فقصة لوط (١٦٠-١٧٥) ثم قصة شعيب (١٧٦-١٩١) ^(٥) . بل إن ثموداً إنما تتقدم عاداً في سورة "ق" حيث يقول تعالى " كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود ، وعاد وفرعون وإخوان لوط ^(٦) "

(٥) صالح عليه السلام : -

يتجه بعض المؤرخين الإسلاميين إلى أن عصر صالح عليه السلام ، إنما كان على أيام إبراهيم عليه السلام وأن الفترة بين هلاك عاد وهلاك ثمود كانت خمسمائة عام ^(١)

على أن هناك من يذهب إلى أن عاداً إنما هلكوا بعد عهد إبراهيم الخليل

(١) سورة إبراهيم : آية ٩ ، وانظر : غافر: آية ٣١ (٢) تفسير الطبري ١٣/١٨٧

(طبعة المجلس ١٩٥٤) (٣) تفسير ابن كثير ٢/٨١٢ (بيروت ١٩٨٦) (٤) تفسير

البيضاوي ١/٥٢٥-٥٢٦ (٥) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٢٦٦-٢٦١

(٦) سورة ق: آية ١٢-١٣ (١) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال - القاهرة ١٩٦ ص ٧

وبناء الكعبة ، وقبل زمن موسى عليه السلام^(١) ، وإذا كان صحيحا مآذنها إله فى دراسات أخرى ، من أن إبراهيم قد عاش فى الفترة (١٩٤٠-١٧٦٥ ق.م) وأن موسى قد خرج بنى إسرائيل من مصر فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد^(٢) ، فإن صالحا عليه السلام - طبقا لهذا الرأي - قد عاش فيما بين القرنين الثامن عشر والثالث عشر ق.م ، غير أن صاحب هذا الرأي نفسه ، إنما يستبعد أن يكون قوم عاد أقدم من قوم إبراهيم ، وأن قوم ثمود كانوا يتلون قوم عاد فى الوجود والظهور^(٣) ، وقد رأينا من قبل أن هناك آيات فى كتاب الله يسبق فيها الثموديون قوم عاد^(٤) ، وأخرى تسبق فيها قصة موسى قصة إبراهيم ، ثم تاتى قصة نوح ، فقصة هود وصالح ولوط وشعيب^(٥) .

هذا فضلا أننا حتى الآن لا نملك أدلة علمية مؤكدة نستند إليها فى التأريخ لقوم ثمود ، ومن ثم فإننا نستطيع القول - حدسا عن غير يقين - أن الثموديين بصفة عامة ، ربما كانوا يشغلون صفحات فى التاريخ منذ أوائل الألف الأول قبل الميلاد ، وأنهم استمروا كذلك حتى القرن الخامس الميلادى ، نقول منذ الألف الأول قبل الميلاد ، لأن لدينا كتابة آشورية تتحدث عن الثموديين صراحة منذ القرن الثامن قبل الميلاد ، وبالتحديد منذ عصر " سرجون الثانى " (٧٢٢-٧٠٥ ق.م)^(٦) ومن البدهى أن هؤلاء الذين حاربوا الملك الآشورى لم يظهروا فجأة فى التاريخ ، وإنما لهم أسلاف عاشوا قبل ذلك بقرون لا ندرى مداها على وجه اليقين .

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء - القاهرة ١٩٦٦ ص ٥٠-٥٩

(٢) أنظر (محمد بيروى مهران : إسرائيل ٧٢/١ - ٨٢ ، ٤١٣-٤٣٦)

(٣) عبد الوهاب النجار: المرجع السابق ص ٤٨ (٤) : سورة ق آية ١٢-١٣

(٥) أنظر: سورة الشعراء ، حيث تسبق قصة موسى (١٠-٦٨) قصة إبراهيم (٦٩-٨٩) ،

ثم تاتى بعد ذلك قصة نوح (١٠٥-١٢١) فقصة هود (١٢٤-١٤٠) ثم قصة صالح

(١٤١-١٥٩) فقصة لوط (١٦٠-١٧٥) فقصة شعيب (١٧٦-١٩١)

A.Leo Oppenheim, Babylonia and Assyrian Historical Texts, (٦) in ANET, 1966, P.286

وأما أنهم استمروا حتى القرن الخامس الميلادي ، ذلك لأن لدينا نقشا يرجع الى النصف الثاني من القرن الثالث ، وبالتحديد الى عام ٢٧٢م^(١) ، ومن الهدى - مرة أخرى - كما أنهم لم يبدأوا فجأة ، فإنهم لم يختفوا فجأة كذلك ، ومن هنا قلنا أنهم استمروا حتى القرن الخامس الميلادي ، بل ان هناك ما يدل على أنهم كانوا في ذلك القرن فرسانا في جيش الروم ، وأنهم كانوا يعسكرون في مصر وفي فلسطين^(٢)

(٥) أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام :

اختلف الباحثون في التاريخ لعهد أبي الأنبياء إبراهيم الخليل ، عليه الصلاة والسلام ، فذهب "أونجر" إلى أنه عاش في الفترة (٢١٦١-١٩٨٦ ق.م) ، ثم حاول بعد ذلك أن يقدم لنا تاريخا محدداً لكل حدث من الأحداث الهامة في حياة أبي الأنبياء ، فهو يرى أنه ولد في عام ٢١٦١ ق.م ، على أيام الملك "أورنامو" (مؤسس أسرة أور الثالثة ٢٠٧٠-١٩٦٠ ق.م)^(٣) في مدينة "حاران" - وتقع على نهر بلخ على مبعدة ٩٦ كيلا من اتصاله بالفرات ، وإلى الغرب من تل حلفاء ٤٤٨ كيلا الى الشمال الشرقي من دمشق^(٤) - وليس في "أور"^(٥) ، وانه قد هزم الملوك الخمسة الذين أسروا ابن أخيه "لوط" عند مدينة "دان" - وهي تل القاضي الحالية على مبعدة ٥ كيلا غربي بانياس ، قرب منابع الأردن^(٦) - ثم طاردهم حتى مجاورات دمشق حوالي عام ٢٠٧٠ ق.م ،

A. Van de Braden, Les Inscriptions Thamoudeens, Louvian, (١) 1950, P.410

C.M. Daughy, Travels in Arabia Deserta, New York, 1946, P.229 (٢)

A. Sprenger, Die Alte Geograpy Arabiens, Berlin, 1875, P.28 وكنا

(٣) أحدث الآراء أن "أور-نامو" حكم في الفترة (٢١١٣-٢٠٩٦ ق.م) وأن أسرة أور الثالثة كانت في الفترة (٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م) (محمد بيومي مهراڤ: تاريخ العراق القديم ص ١٧٣، ٥٠٧) (٤) قاموس الكتاب المقدس ٢٧١/١ (٥) محمد بيومي مهراڤ إسرائيل I. Epstein, Judaism, 1970p.21-22 وكنا

(٦) قاموس الكتاب المقدس ٢٥٧/١

ثم رزق بولده اسماعيل - جد العرب - حوالى عام ٢٠٧٦ ق.م، وبولده إسحاق - جد بنى إسرائيل - حوالى عام ٢٠٦١ ق.م، وأن حادث القداء القذ إنما حدث حوالى عام ٢٠٣٦ ق.م، ثم مات ، عليه الصلاة والسلام، حوالى عام ١٩٨٦ قبل الميلاد^(١)

هذا وينسب " آرثر ويجال " إلى أن أبا الأنبياد عليه السلام، خرج من مصر على أيام الملك "أمنمحات الأول" وأن الإشارة إلى الأسبوين فى " نبوة نفرتى"^(٢) ، إنما يقصد بها هذا الحدث بعينه^(٣) . فإذا ما تذكرنا أن "أمنمحات الأول" قد حكم مصر فى الفترة (١٩٩١ - ١٩٦٢ ق.م) - طبقا لتأريخ جاردنر^(٤) وأن إبراهيم - طبقا لرواية التوراة^(٥) - كان فى الخامسة والسبعين من عمره ، عندما هاجر من "حاران" إلى كنعان، ثم من كنعان إلى مصر، بعد فترة لاتتري مداها على وجه اليقين، فمعنى هذا أن إبراهيم الخليل، عليه السلام ، قد ولد حوالى منتصف القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد.

على أن أطلس "وستمنستر" التاريخى إنما يحدد عصر الخليل عليه السلام، فيما بين عامى ٢٠٠٠... ١٧٠٠ قبل الميلاد، وأن الملك البابلى "حمورابى" قد أتى فى ختام هذه الفترة، على أساس أنه قد استولى على مدينة "مارى"^(٦) حوالى عام ١٧٠٠ ق.م^(٧) . هذا فى الوقت الذى حددت فيه

= وكنا
Memill F.Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970,p.239
Ibid,p.10-14 (١)

(٢) أنظر عن نبوة نفرتى : محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة - الجزء الأول -
الأدب والعلوم الاسكندرية ١٩٨٩ ص ٢٩٩-٣٠٥

(٣) A.Weigall, AHistory of the pharaohs, II,London, 1922 p.40

(٤) A.H. Gardiner, Egypt of th pharaohs, Oxford, 1961,p.439

(٥) تكوين ١٢/٤ (٦) انظر النزاع بين حمورابى وبين ملكة ماري (محمد بيومى مهران
تاريخ العراق القديم ص ٢٢٥-٢٢٨)

(٧) Westminster Historical Atlas to the Bible, philadelphia, 1946, (٧)
p.234

"موسوعة وستمنتشر" - اعتماداً على تقدير الأسقف يرشر - مولد الخليل ، عليه السلام بعام ١٩٩٦ قبل الميلاد^(١).

هذا ويذهب "سيرليونارد دولي" إلى أن أبا الأنبياء إنما كان معاصراً لأسرة "لارسا" (٢) - وهي تل سنكرة الحالية ، على مبعده ٣٠ كيلا شمال غرب الناصرة - أي في الفترة (١٩٢٠-١٧٠٠ ق.م)، مستشهداً في ذلك بما دونته العهد القديم، وتحقيق كلمة "عابرو" التي يري أنها تدل على العبرانيين^(٣).

ويري "كيلر" أننا إذا تتبعنا التواريخ التي أعطتها التوراة، فإننا سوف نجد أن إبراهيم قد ترك موطنه الأصلي في "حاران" قبل خروج بني إسرائيل من مصر بحوالى ٦٤٥ سنة، ثم تجولوا في الصحراء في اتجاه الأرض المقدسة تحت قيادة موسى ، عليه السلام ، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهذا التاريخ قد تأكد عن طريق علم الآثار، ومن ثم فإن إبراهيم الخليل - طبقاً لذلك ، يكون قد عاش حوالى عام ١٩٠٠ ق.م^(٤)

ويذهب "جورج روكس" إلى أن الرحلة التي قام بها أبر الأنبياء إلى كنعان إنما كانت حوالى عام ١٨٥٠ ق.م، أو بعد ذلك بقليل، وهذا يعنى أن الخليل عليه السلام، قد ولد في الربع الأخير من القرن العشرين قبل الميلاد^(٥)، وأما "چاك فنجان" فالرأي عنده أن إبراهيم قد دخل أرض كنعان عام ١٩٠٠ ق.م، وأنه قد ترك بلاد العراق القديم (ميزوبوتاميا) في عصر الغزو الآشوري

(١) قاموس الكتاب المقدس ١٢/١، عباس العقاد: إبراهيم أبر الأنبياء، ص ٦٩

(٢) تنجى الآراء الحديثة إلى أن حكم أسرة لارسا إنما كان في الفترة (٢٠٢٥-١٧٦٣ ق.م)

وعدد ملوكها ١٤ (أنظر : محمد يوسى مهران : الربع السابق ص ٢٠٢-٢٠٤

(٣) L.Woolley, Abraham, Recent Discoveries and Hebrew the Be-Origins, ginnings of civilization, p.492 وكن

W. Keller, the Bible as History, 1967, p.69 (٤)

G.Roux, Ancient Iraq, 1966, p.215 (٥)

والعيلامي^(١)، وأن الاضطرابات التي حدثت في التي اضطرتة الى الرحيل من موطنه الأصلي^(٢).

على أن هناك من يعين تاريخ أبي الأنبياء في زمن متوسط بين أوائل القرن التاسع عشر، وأوائل القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، ويجعلونه معاصراً لدولة العموريين (الاموريين) في العراق، والرعاة (الهكسوس) في مصر^(٣)، وأن ولادة الخليل في هذه الفترة ترجحها النتائج التي قمشت في سيرته عليه السلام، والإضطراب الى الرحلة الدائمة من أور الى أشور، وإلى فلسطين ثم مصر فبيت المقدس، ثم الى صحراء الجنوب ، وتقترب زلازل الطبيعة وزلازل السياسة، فلا يستقر لأحد من المقيمين في ديارهم قرار، فضلا عن القبائل الرحل في طلب المرعى وطلب الأمان^(٤)

وهناك فريق آخر حاول الربط بين أبي الأنبياء والملك البابلي "حمورابي"^(٥) بصلة من نوع ماعن طريق "أمرافل" ملك "شتعار" الذي هزمه ابراهيم عند محاولته إنقاذ ابن أخيه لوط، وهكذا رأي بعض الباحثين أن "أمرافل" الذي تقول التوراة عنه أنه "ملك شتعار في تلك الأيام" هو "أمرابل" والد حمورابي^(٦) الذي كان يجلس على عرش بابل قبله^(٧).

وهناك فريق ثالث يذهب الى أن "أمرابل" الذي حارب ابراهيم الخليل، إنما

(١) أنظر عن الغزو الأموري العيلامي (محمد بيومي مهران : تاريخ العراق القديم ص ١٨٦-١٩٠)

(٢) J.Frinegan, Light from the Ancient past, I, princeton, 1969,p.72-73

(٣) أنظر عن "الهكسوس في مصر" (محمد بيومي مهران: حركات التحرير في مصر

القديمة - القاهرة ١٩٧٦ ص ١٠١-٢٢٣) (٤) عباس العقاد : المرجع السابق ص ١٨٣

(٥) أنظر عن حمورابي والآراء التي دارت حول التاريخ له (محمد بيومي مهران : تاريخ

العراق القديم ص ٢٢-٢٨٣) (٦) والد حمورابي والذي كان يجلس على عرش بابل قبله

هو " سن مرياليت " (١٨١٢-١٧٩٣ ق.م) ثم حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م فيما يري

البعض) (CAH,II,pt.2,1971,p.636-638)

(٧) تكوين ١/١٤ . ول ديورانت : قصة الحضارة ٢/٢٣٤.

وكنا W.M.F.petric, Egypt and Israel, London, 1925, p.17

هو "حمورابى" نفسه ^(١١)، أو على الأقل فيما يرى آخرون - ومنهم جاك فنجان ^(١٢) وهربرت ويلز ^(١٣) أن أبا الأنبياء إنما كان يعيش فى نفس الوقت الذى كان يعيش فيه حمورابى فى بابل، ويؤرخ الدكتور نجيب ميخائيل هذه المرحلة بعام ١٩٦٠ ق.م، وهى فيما يرى، تعاصر حمورابى . كما تعاصر سنوسرت الأولى (ثانى ملوك الأسرة الثانية عشرة المصرية) ذلك لأن حمورابى قد عاصر حمورابى، كما عاصر "سنوسرت الأول" ثم "أمنمحات الثانى" على التوالى ^(١٤)

وهناك فريق رابع - ومنهم لوثر كلارك - يرى أن عصر حمورابى متأخر زمنيا عن عصر الوقائع التى تنسب إلى "أمرافل" بمائة سنة أو أكثر، وأن أمرافل وحمورابى لا يبدلان على شخص واحد . وأن الغزو العميق الذى فلق أمراء البحر الميت أقدم جدا من الوقت الذى قنر لخراب المدن المذكورة فى قصة إبراهيم عليه السلام ^(١٥)

على أن هناك فريقا خامسا إنما يحاول توحيد إبراهيم الخليل بالمدعو "دمقى اليسر" ذلك لأن "دويرتى" إنما يترجم إسم "دمقى اليسر" بمعنى " حبيب الله" من اللغة بمعنى الحب . والإيل بمعنى الله ، وضمير الإضافة، ثم جاء "جون فليبي" فظن أن هنا الإسم بطابق فى الزمن والصفة اسم إبراهيم الخليل، وأن الخليل كان ملكا من الملوك الذين حكموا جنوب العراق ، عند الخليج العربى ، ذلك لأن الأقوال متواترة بمقام الخليل هناك فى أور الكلدانيين، ولأن إسم "دمقى اليسر" ورد فى الآثار البابلية كمالك ملك فى أسرة بابل الثانية (أسرة القطر البحرى الأولى)، وقد حدد "ديلابورت" لهذه الأسرة الفترة (١٩٢٥-١٧٦١ ق.م) ^(١٦)

(١١) S.Smith, Early History of Assyria to 1000B.C, London, 1928,p.70-71

(١٢) J.Finegar, op-cit, p.73

(١٣) H.G.Wells, Ashort History in The World, 1959, p.74

(١٤) نجيب ميخائيل : مصر ٩٦/٢ الاسكتريه ١٩٦٦

(١٥) عباس العقاد: المرجع السابق ص ٩٤

(١٦) محمد بيرى مهران: تاريخ العراق القديم ص ٢٩٣-٢٩٥، ل.ديلابورت : بلاد ما بين

النهرين ص ٧٤، العقاد : المرجع السابق ص ١٣٤ ،

J.B.Philby , the Background of Islam, Alexandria, 1947

وانظر:

هذه هي مختلف آراء الكثير من العلماء والباحثين الذين تعرضوا للتأريخ لأبى الأنبياء ، سيدنا ابراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، وإنه - كما يبدو واضحا - لأمر جد صعب المفاضلة بين هذه الآراء المختلفة ، وذلك لعدم وجود نصوص نظمئن إليها (أولا) ، ولعدم وجود آثار تشير بوضوح الى تاريخ ابراهيم الخليل عليه السلام. (ثانيا) وأما ثالث الأسباب فإنه يتصل بذلك الرأي الذي حدد ٦٤٥ عاما، للفترة بين دخول أبى الأنبياء كنعان، وخروج بنى إسرائيل من مصر، فلقد اعتمد هذا الرأي على نص التوراة العبري، ولكننا في الوقت نفسه لو أخذنا بنص التوراة السبعينية^(١)، فإن دخول ابراهيم الى كنعان يجب أن يكون قبل خروج بنى إسرائيل من مصر بحوالى ٤٣ سنة، وليس ٦٤٥ سنة إذ يضيف هذا النص السيتاجونى (السبعينية) كلمة واحدة تختزل إقامة بنى إسرائيل في مصر الى النصف .

وأما الآراء التى حاولت الربط بين ابراهيم وحمورابى ، فيقف في طريقها مااستقر عليه العلماء الآن من أن حمورابى كان يعبش - فى أرجح الآراء^(٢) - فى الفترة (١٧٢٨-١٦٨٦ ق.م) ، فلوا افترضنا أن ابراهيم الخليل كان يحاصر حمورابى على الأقل ، وطبقا لنص التوراة - العبري أو السبعينية - فإن إقامة بنى إسرائيل فى كنعان إنما كانت ٢١٥ سنة . وهذا يجعل دخولهم مصر حوالى عام ١٥١٣ ق.م. وهو تاريخ يقع فى أخريات أيام القرعون "مخوتمس الأول" (١٥٢٨-١٥١٠ ق.م). وبعد طرد الهكسوس من مصر (حوالى عام ١٥٧٥ ق.م) بأكثر من نصف قرن . والهكسوس هم الذين يفترض دخول الإسرائيليين مصر على أيامهم . هنا فضلا عن أنه على الرغم مما يذهب إليه البعض من أن إسم "أمرافل" قريب من اسم حمورابى . الأمر الذي مايزال مجال مناقشة واعتراض ، كما أن إسم "أمرافل" مايزال حتى الآن يصعب تحديد اسم صاحبه

(١) أنظر عن الترجمة السبعينية للتوراة (محمد بيومى مهران: إسرائيل - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٧٩ ص ١٠٧-١١٤)

(٢) أنظر عن الآراء المختلفة لعصر حمورابى (محمد بيومى مهران: تاريخ العراق القديم ص ٢٢٢)

على وجه اليقين ، فضلا عن زملائه الآخرين الذين جاء ذكرهم في سفر التكوين (١).

وأما الرأي الذي يروحد الخليل عليه السلام بالمدعو " دمقي البشو " - ثالث ملوك أسرة القطر البحري الأولى - وماذهب إليه " جون فليبي " من أن أبا الاتبياء كان ملكا من الملوك ، الأمر الذي لم يرد أبدا في التوراة أو الانجيل أو القرآن العظيم - رهي دوغاريب مصادرونا الأصلية عن أبي الأنبياء عليه السلام - هذا فضلا عن الرأي الذي يجعل من " حاران " ، وليس " أور " موطنًا لل خليل ، والذي ارتضيئه من قبل ، إنما يقف عقبة كؤود في سبيل قبولنا لهذه الفكرة ، كما أن هذه الفكرة إنما تجعل هجرة أبي الأنبياء بسبب غزو الكاسيين لبابل ، أو العيلاميين لأور ، وليس من أجل دعوة التوحيد التي حمل لواءها طوال حياته ، وبالتالي فإنها تتعارض وماجاء في القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام (٢)

ولهذا كله ، وانطلاقا منه ، فليس أمامنا سوى أن نفترض - حدسا عن غير يقين - أن الرأي الذي يجعل إبراهيم الخليل عليه السلام ، يعيش حوالي عام ١٩٠٠ ق.م ، ربما كان أقرب الى الصواب من غيره ، على أساس أن بني اسرائيل قد خرجوا من مصر - أو طردوا منها - في أخريات القرن الثالث عشر قبل الميلاد في عصر الفرعون " مرتيتاح " (١٢٢٤-١٢١٤ ق.م) - كما سوف نرى - وأنهم دخلوا مصر على أيام الهكسوس حوالي عام ١٦٥٠ ق.م ، ولما كانت مدة إقامتهم في مصر - كما تحددها التوراة - ٤٣٠ سنة (٣) ، فإن قدوم إبراهيم الى كنعان إنما كان حوالي عام ١٨٥٠ ق.م ، وعلى هذا ، وطبقا لرواية التوراة التي تجعل هجرة الخليل الى كنعان وهو في الخامسة والسبعين من عمره (٤) ، فإنه يكون قد ولد حوالي ١٩٤٠ ق.م ، ولما كان قد عاش في هذه

(١) تكوين ١/١٤ - (٢) أنظر (محمد بيومي مهران: إسرائيل ١-٨٢-٩١ ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم ١-١٢٧-١٥٦) (٣) سفر الخروج ١٢/٤٠ (٤) تكوين ١٢/٤

الدنيا ١٧٥ سنة^(١١)، فإنه يكون قد عاش في الفترة (١٩٤-١٧٦٥ ق.م.)، وإذا أخذنا ببعض الروايات الإسلامية من أنه قد عاش ٢٠٠ سنة^(١٢)، فإنه يكون عاش في الفترة (١٩٤-١٧٤ ق.م.).

(٦) إسماعيل وإسحاق ويعقوب :-

يمكننا القول - إنطلاقاً مما سبق، وتخريجاً منه- أن إسماعيل عليه السلام - أكبر ولد إبراهيم - قد عاش في الفترة (١٨٥٤-١٧١٧ ق.م.)، ذلك لأن الحليل عليه السلام قد رزق به ، وهو في السادسة والثمانين من عمره^(١٣) وأنه قد عاش ١٣٧ سنة^(١٤)

وإذا كان صحيحاً ماذهب اليه البعض من أن إسماعيل ، عليه السلام، كان في الثلاثين من عمره، يوم شارك أباه إبراهيم في بناء الكعبة المشرفة، فإن بناء الكعبة حينئذ يكون في حوالي عام ١٨٢٤ ق.م. على أساس أن إسماعيل قد ولد في عام ١٨٥٤ ق.م. عندما كان إبراهيم في السادسة والثمانين من عمره^(١٥)، كما أشرنا آنفاً . وأما إسحاق عليه السلام، فلقد عاش في الفترة (١٨٤٠ - ١٦٦٠ ق.م.) ، ذلك لأن أبا الأنبياء قد رزق به ، وقد أكمل المائة من عمره^(١٦) وأنه عاش ١٨٠ سنة^(١٧)

وأما يعقوب عليه السلام، فقد عاش في الفترة (١٧٨٠-١٦٣٣ ق.م.) على أساس أنه ولد لإسحاق، وهو في الستين من عمره^(١٨)، وأنه عاش ١٤٧ سنة^(١٩)، وأن بني إسرائيل دخلوا مصر، حوالي عام ١٦٥٠ قبل الميلاد. عندما (١) تكوين ٧/٢٥ (٢) نذهب بعض الروايات الإسلامية إلى أن إبراهيم الحليل عليه السلام قد عاش ١٧٥ سنة ، ونذهب أخري أنه عاش ٢٠٠ سنة (ابن كثير: البداية والنهاية ٥٦٦-٥٧٠ ، المقدسي : البدء والتاريخ ٥٣/٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٢٤/١) (٣) تكوين ١٦/١٦ (٤) تكوين ١٨/٢٥ (٥) المسعودي: مرجع الذهب ٢٢/٢ ، على حسنى الخريوطي : الكعبة على مر العصور - القاهرة ١٩٦٧ ص ١٦ ، وانظر : محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم ١٩٥/١ (٦) تكوين ١٧/١٧ (٧) تكوين ١٨/٣٥ (٨) تكوين ٢٦/٢٥ (٩) تكوين ٢٨/٤٧

كان يعقوب في الثلاثين بعد المائة من عمره^(١)

وهكذا نستطيع أن نستنتج من ذلك كله أن ابا الأنبياء ، إبراهيم الخليل عليه السلام، إنما قد شرف أرض الكنانة علي أيام الأسرة الثانية عشره (١٩٩١-١٧٨٦ ق.م)، وربما في عصر "سورس الثالث" (١٨٧٨-١٨٤٣ ق.م)^(٢) وأن بنى إسرائيل قد دخلوا مصر- بقيادة يعقوب عليه السلام- على أيام الهكسوس (١٧٢٥-١٥٧٥ ق.م).

(٧) يوسف عليه السلام :

يختلف المؤرخون في عصر يوسف عليه السلام، وبالتالي في وقت دخول بنى إسرائيل مصر، ولعل السبب في ذلك أن التوراة والقرآن العظيم لم يحددا وقتا لدخول الصديق عليه السلام أرض الكنانة، بل إنهما حتى لم يذكرأ إسم الملك الذي عاصر يوسف عليه السلام، هذا فضلا عن أن مصر- وهى البلد الذي كان يأمل العلماء أن يجدوا فيه وثائق معاصرة للأحداث التى جاءت فى التوراة - لم تشر أبدا الى هبوط الصديق أرض الكنانة، بل لبست هناك أبة إشارة فى التاريخ المصري القديم إلى بنى إسرائيل ، فيما قبل عصر "مرنبتاح" (١٢٢٤-١٢١٤ ق.م)، وحتى هذه لم تزد عن جملة جاءت فى نقش يتحدث عن هروب الفرعون فى غربى آسيا "خربت إسرائيل وزالت بقرتها"^(٣). ومن هنا كان الخلاف بين العلماء على تحديد هذا العصر، حيث انقسموا الى فريقين، الواحد يراه فى عصر الهكسوس، والآخر يراه على أيام الفرعون أمنحتب الثانى .

(١) تكوين ٩/٤٧

(٢) أنظر عن دخول ابراهيم مصر (صحيح البخاري ١٧١/٤ ، ٢٧/٩-٢٨، فتح الباري ٢٤٦/٦، محمد بن موسى مهران : إسرائيل ٧٢/١-٨٢ (الإسكندرية ١٩٧٨) ، مصر ٤٢٣-٤٣٦ (الإسكندرية ١٩٨٨) ، الحضارة المصرية القديمة ٥٥٢/٢-٥٥٥ (الإسكندرية ١٩٩٠)

J.A.Wilson, ANET,1966,p.378

(٣)

الرأى الأول :

يذهب أصحابه الى أن عصر الهكسوس هو العصر الذي هبط فيه يوسف مصر، اعتمادا على عدة أدلة، منها (أولا) أن التوراة تروي أن يوسف كان يركب فى عربة الفرعون الثانية على أساس أنه "نائب الملك" وفى هذا دلالة على عصر الهكسوس ، أول من أدخل عربة الحرب السريعة الى مصر، ومنها (ثانيا) أن الهكسوس أول من استعمل العربات الرسمية فى المناسبات العامة فى مصر، وكانت الأولى من نصيب الملك ، والثانية لوزيره الأول،ومنها (ثالثا) أن "ساكن الرمال" أو البدوي ماكان يستطيع أن يصل الى منصب الوزير (العزى) على أيام الفراعين لأن البدو كانوا يعملون فى تربية الحمير والغنم "وأن كل راعى غنم رجس عند المصريين"^(١)، ومن هنا ، وفى عهد سيادة الهكسوس فحسب، يجد الآسيوي الفرصة، ومن هنا وجدنا أسماء سامية لموظفين على أيام الهكسوس،^(٢) وإن كانت نبوة يوسف الصديق وتأويله للأحاديث ، هما سبب وصوله الى منصبه ، وليس لأنه آسيوي^(٣)، ومنها (رابعا) أن هناك جمولا من عصر الهكسوس جاءت بها أسماء ، مثل "يعقوب حر" ، ومهما يكن معنى "حر" فمن الصعب أن ننحى وجهة النظر القائلة بأن الأب يعقوب قد خلد اسمه هنا، مما جعل " برستد " يعتبر ذلك إشارة إلى أن قائد قبيلة يعقوب الإسرائيلية، ربما نال الفرصة ليصل إلى بعض السلطة فى وادي النيل فى تلك الفترة المظلمة، والتي تتناسب مع احتمال دخول بنى إسرائيل الى مصر وقت ذاك^(٤)

ومنها (خامسا) ماذهب اليه البعض بأن للهكسوس أصولا سامية شمالية غربية (شمال غربى الجزيرة العربية) ومن ثم فهم أقرباء للعبرانيين، مما جعل

(١) تكوين ٣٤/٤٦ (٢) W.Keller, op-cit, p.105-107

(٣) أنظر سورة يوسف : آية ٣٦-٥٧، تكوين ١٦/٤-٥٧/٤١

(٤) J.H.Breasted, AHistory of Egypt from the Earliest Times to the persian Conquest, New york, 1946,220

يوسف العبراني يجد القصة ليصل إلى مركز القوة في البلاط المصري. بل ويقابل أبوه وأخوته بالترحاب من الحكام الهكسوس الساميين، الذين مسحوا لهم بالاقامة في "أرض جوشن"^(١) ومنها (سادسا) أن دخول بنى إسرائيل مصر على أيام الهكسوس، وخرجهم على أيام رمسيس الثاني أو ولده مرنبتاح، يتفق وفترة إقامتهم في مصر - فترة أربعة قرون^(٢) ومنها (سابعا) أن القرآن الكريم قد حرص في سرده لقصة يوسف عليه السلام ، على أن يلقب الحاكم الذي عاصره بـ"ملك"^(٣)، بينما حرص على أن يلقب الحاكم الذي عاصر موسى بـ"فرعون"^(٤)، ومن المعروف تاريخيا أن لقب فرعون لم يستعمل للدلالة على شخص الملك ، إلا منذ أيام "تحوتس الثالث" (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م)^(٥)، وبصفة مؤكدة منذ أيام إخناتون (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م) ، مما يدل على أن عصر يوسف إنما كان قبل عصر الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٥ - ١٢٠٩ ق.م) التي استعمل فيها لقب "فرعون"^(٦)

وانطلاقا من هذا ، فإن إطلاق لقب " فرعون " ^(٧) على ملك مصر قبل

(١) C. Roth, A Short History of the Jewish people, London, 1969, p.4

وكننا I. Epstein, Judaism, 1970, p.15

(٢) C. Roux, op-cit, p.242

(٣) سورة يوسف: آية ٤٣ . ٥٤ . ٥٥ . ٧٢ . ٧٦

(٤) سورة الأعراف آية ٣ . ٤ . ٥ . ٩ . ١١٣ . ١٢٣ . ١٢٧ . ١٣٠ . ١٣٧ . ١٤١ .

وهكذا كما في الأنفال ويونس وهود وإبراهيم وطه والمؤمنون والشعراء والنمل والقصص وغيرها

(٥) A.H.Gardiner, Egyptian Grammar, 1966, p.75

(٦) A.H.Gardiner, op-cit, p.75 وكننا J.A.Wilson, the Culture of Ancient Egypt

Egypt, 1963, p.102

(٧) ذكر لقب فرعون في القرآن الكريم ٧٤ مرة في أماكن متعددة من سورة البقرة وآل عمران والأعراف والأنفال ويونس وهود وإبراهيم والإسراء وطه والمؤمنون والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت وص وغافر والزخرف والدخان وق والذاريات والقر والتحریم والحاقة والمزمل والتأوهات والبروج والفجر .

عصر " تحوتمس الثالث" إنما بعد خطأ في تسلسل الأحداث ^(١)، حيث أصبحت لفظة "فرعون" تعبيراً محترماً، يقصد به الملك نفسه منذ هذه الفترة من عصر الأسرة الثامنة عشرة ^(٢)

ولاريد في أن هذا من إعجاز القرآن الكريم ، حيث استعمل لقب "الملك" مع الملك الذي عاصر يوسف عليه السلام (عصر الهكسوس)، واستعمل لقب "فرعون" مع الفرعون الذي عاصر موسى عليه السلام، وعلى العكس من ذلك ، نرى التوراة تستعمل لقب "فرعون" في الوقت الذي يجب أن تستعمل فيه لقب "ملك" (في قصة يوسف) وذلك في الفترة السابقة للأسرة الثامنة عشرة، وفي نفس الوقت إنما هي تستعمل لقب " ملك " حين يجب أن تستعمل لقب " فرعون"، وذلك منذ الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها ^(٣)

ومنها (ثامناً) أن هناك ما يشير الى أن يوسف عليه السلام، إنما قد وصل الى ماوصل اليه من النفوذ في عصر الهكسوس - وربما ليس بعد عام ١٧٠٠ قبل الميلاد - ففي التوراة ما يشير الى أن قصر الملك لم يكن بعيداً عن أرض جوشن ^(٤) في شرق الدلتا، وهذا يعني ان عاصمة مصر وقت ذاك كانت في الدلتا ، وهو أمر يتفق وعصر الهكسوس ، حيث كانت عاصمتهم "أواريس" (حت وعمرت = تانيس = صان الحجر - مركز قارسكور - محافظة الشرقية) هنا فضلاً عن أن التوراة تقرر أن إقامة بني اسرائيل في مصر إنما كانت ٤٣٠ سنة ^(٥) ، وبما ان الخروج قد تم بعد عام ١٣٠٠ ق.م (١٢١٤ ق.م) ، فإن ذلك يرجع بعهد يوسف الى حوالي عام ١٧٠٠ ق.م (أو ١٦٤٤ ق.م)، وهي فترة

A.H.Gardiner, Egypt of the pharaoh, oxford, 1961, 52 (١)

J.A.Wison, op-cit, p.102 (٢)

(٣) محمد بيومي مهران : إسرائيل - الجزء الثالث - الإسكندرية ١٩٧٩ ص ٢٧٥ - ٢٧٨

(٤) أنظر عن أرض جوشن : ١ محمد بيومي مهران : إسرائيل - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٧٨ ص

٢٢٢-٢٢٣

(٥) خروج ١٢ / ٤٠

تتفق وحكم الهكسوس في مصر (١).

بل إننا نستطيع أن نصل الى نفس النتيجة من إشارة التوراة إلى أن قصر الملك المعاصر ليوسف عليه السلام كان في " أرض جوشن " ، ذلك أن عاصمة مصر لم تكن في شرق الدلتا ، الا في عصر الهكسوس ، وفي عصر الرعامسة ، حيث كانت " أورائس " في العصر الأول ، ثم " بر-رعسبس " (تشير - على مبعده ١٩ كيلا جنوبى صان الحجر) في العصر الثانى ، ولما كان عصر يوسف لا يمكن أن يكون - بحال من الأحوال - في عصر الرعامسة (الأسرتان التاسعة عشرة والعشرون) ، فهو إذن في عصر الهكسوس ، بل إنه في أكبر الظن ، أن تحديد إقامة بنى إسرائيل في أرض جوشن - وهى كما نعرف منطقة نفوذ الهكسوس الأساسية ، وقاعدة هذا النفوذ - إنما يعّد دليلا على أن عصر وجود بنى إسرائيل في مصر ، إنما كان على أيام الهكسوس (١٧٢٥-١٥٧٥ ق.م) (٢).

ومنها (تاسعا) أن هناك ما يشير الى أن يوسف قد حمل الى مصر ، حيث كانت لحجارة الرقيق من البنين والبنات الأسويين تلقى يومئذ رواجاً ، دل عليه ما كشفت عنه بردية في متحف بروكلين بالولايات المتحدة الأمريكية (٣) جاء فيها ذكر مايريو على أربعين أسبوعاً من تيف وثمانين ، كانوا يعملون خدماً في بيت من عصر الأسرة الثالثة عشرة (١٧٨٦-١٦٣٣ ق.م) قبل مجئ الهكسوس ولم يكن من سبيل - يحكم ما هو معروف من تاريخ تلك الفترة ، وأحوال العصر المتواضعة وقت ذاك - أن يكون هؤلاء مع إخوان لهم في بيوت أخرى ، من أصري الحرب في زمان لم تقع فيه حروب (٤).

(١) The Westminster Historical Atlas to the Bible, p.28

(٢) محمد يرمى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٣/٢ .

(٣) W.C.Hayes, Apopyrus of the late middle kingdom in the Brooklyn Museum, 1955

(٤) أحمد عبد الحميد يوسف: مصر في القرآن والسنة - القاهرة ١٩٧٢ ص ٤٣

وأما عدم ذكر يوسف الصديق عليه السلام فى الآثار المصرية ، رغم انه شغل منصب الوزير (العزير فى القرآن الكريم)^(١) فهذه - فى أكبر الظن - تؤيد هذا الرأي ولا تهدمه ، إذ لو عاش يوسف فى غير عصر الهكسوس ، لكان من الممكن أن نعثر على دليل أثري يؤيد وجوده ، او على الاقل يشير الى الأحداث التى روتها التوراة ، ذلك لأن التاريخ المصري - رغم أنه يمتاز على تاريخ الشرق الأدنى القديم بوضوحه وكثرة آثاره - فإن عصر الهكسوس بالذات إنما يمتاز بالقصور ، بل انه ليعد واحدا من أغمض فترات التاريخ المصري القديم ، ذلك لأن المصريين ماكانوا براغبين فى تسجيل ذكرى هذا العصر البغض الى نفوسهم^(٢) ، بل انهم لم يحاولوا حتى الاشارة إليه ، إلا على أيام الملكة "حتشبسوت"^(٣) (١٤٩٠ - ١٤٦٨ ق.م) ، هذا فضلا عن تدميرهم لآثار الهكسوس ، بعد نجاحهم فى طردهم وتحرير البلاد من سيطرتهم

هذا فضلا عن أن يوسف عليه السلام ، رغم أنه كان ذا مكانة فى حكومة مصر ، غير انه لم يعد أن يكون وزيرا فحسب ، وأن كل عمل عظيم يقوم به ويستحق التسجيل ، إنما كان ينسب الى الملك ، الذى كانت النقوش تهدف إلى تعظيمه والاشادة بذكوره ، لأن كل شئ فى مصر إنما كان من وحيه هو ، ومن ثم فإن اسم يوسف لم يكن ليظهر بطبيعة الحال^(٤) .

وانطلاقا من هذا كله ، فإننا إذا ما أردنا أن نتحدد - طبقا للمعلومات المتوفرة - ملك مصر الذى عاصر الصديق عليه السلام ، مستعينين فى ذلك بقوائم الملوك من تلك الفترة ، ومستعينين فى الوقت نفسه بالمصادر الإسلامية ،

(١) أنظر سورة يوسف : آية ٣٠ ، ٥١ ، ٧٨ ، ٨٨ (٢) أنظر : محمد بيومى مهران :

حركات التحرير فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٩ ص ١٠٣ - ١٠٦

(٣) أنظر A.H.Gardiner, Davies's Copy of the Great speos

Artemidos Inscriptions, JEA,32,1946,p.45-8

(٤) سليم حسن : مصر القديمة - الجزء السابع - القاهرة ١٩٥٠ ص ١٠٧ - ١١٠

لوجدنا أن واحداً من ملوك الهكسوس كان يدعى "ساؤسر إن رع - خيان" (١١) من ملوك الأسرة الخامسة عشرة - أول الأسرات الهكسوسية في مصر - أي في بداية عصر الهكسوس ، ولوجدنا في نفس الوقت ، أن المصادر الإسلامية تذكر أن ملك مصر على أيام يوسف الصديق عليه السلام، إنما كان من ملوك العرب، المعروفين "بالرعاة" (الهكسوس) ، وأنه كان يدعى "الريان" (١٢) ، ولأنى لأظن - وليس كل الظن إثمًا - أنه ليس من الصعب كثيراً تصحيف الاسم "ريان" إلى "حيان" وهو أشهر ملوك الهكسوس وأقوامهم، وأكثر من ترك من بينهم آثاراً، لا في مصر وحدها ، بل وفي البلاد المجاورة كذلك ، وما يزال بعضها في متاحف كاندنيا (١٣) والقاهرة (١٤) والمتحف البريطاني في لندن (١٥)، مما دفع البعض إلى القول أن "حيان" قد أقام امبراطورية عالمية تضم المنطقة فيما بين النهرين إلى كريت ، وتشمل سورية وفلسطين ومصر ، ولكننا نستبعد الآن هذا الزعم لأنه خيالي وأن امبراطورية الهكسوس هذه لا تعد أن تكون أسطورة مختلفة (١٦).

(١١) أنظر عن الملك خيان (محمد بيومس مهران : المرجع السابق ص ١٤٥-١٤٨، وكنا A.H.Gdrdiner , Egypt of the pharaohs, oxford, 1961,p.158

وكنا W.C.Hayes the Hyksos khyan and his successors, in CAH, II, Part, 1, 1973, p.60-64

(٢) تاريخ الطبري ١/٣٢٥-٣٣٦، تفسير الطبري ١٦/١٧ ، تفسير ابن كثير ٢/٧٣١ (بيروت ١٩٨٦) ، تاريخ ابن خلدون ٢/٧٥-٧٦، المعردي: مروج الذهب ١/٦١ ، ابن الاثير: الكامل في التاريخ ١/١٤١ ، سعد زغلول عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الإسلام بيروت ١٩٧٥ ص ١٠٤

(٣) A.Evans, the palace of minos at konossos, 1921, p.419
وكنا H.R.Hall, the Ancient History of the Near East, London, 1963, p.217-218

(٤) Naville, Bubastis, pl.XII

(٥) H.R.Hall,op-cit,P/217

وكنا T. Save Sodcrbergh, the Hyksos Rule in Egypt, JEA, 37,1951,p.63

(٦) H.R.Hall, op-cit,p.218

وكنا W. C. Hayes, op-cit, p. 61

ويذهب أصحابه ^(١) إلى أن بني إسرائيل قد هبطوا مصر على أيام الفرعون "أمنتحتب الثاني" (١٤٣٦-١٤١٣ ق.م) ، بسبب طرد الآدوميين لهم من فلسطين ، كما أن "لابان" -صهر يعقوب وخاله - كان يتعقبهم (أي القبائل الأرامية ، وماجازتل العمارنة) ، هذا فضلا عن أن "الخابيرو" ، والذين سموا "عابيرو" (العبرانيين) ^(٢) قد وجهوا هجومهم بصفة خاصة نحو "شكيم" - وهي تل بلاطة شرقي نابلس - وأن جماعة منهم - متضمنة يوسف ، وربما شمعون ولاوي ، قد أخذت طريقها نحو مصر ، أثناء حكم "أمنتحتب الثاني" حيث استقروا هناك - طبقا للترجمة السبعينية للتوراة - مدة ٢١٥ سنة ^(٣) ، غير أن الجزء الأساسى من بني إسرائيل إنما قد بقى فى فلسطين ، ومن ثم فقد ذكروا فى سجلات "سيتى الأول" (١٣٠٩ - ١٢٩١ ق.م) وولده "رعميسين الثانى" (١٢٩٠-١٢٢٤ ق.م) ، والأمر كذلك بالنسبة إلى إسرائيلى عصر مزنبتاح (١٢٢٤-١٢١٤ ق.م) أو فى فترة الاضطرابات التى تلت موته ^(٤) .

على أن هناك كثيرا من العقبات التى تقف فى وجه قبولنا لهذا الرأى ، منها (أولا) أنه يتعارض مع التوراة - مصدرنا الأساسى فى هذه الفترة من تاريخ بني إسرائيل - ذلك لأن التوراة - وكذا بعض آي الذكر الحكيم - إنما تذهب إلى أن إسرائيل إنما قدموا مصر بسبب مجاعة حلت بأرض كنعان ، ثم

(١) أنظر محمد بيومى مهران : إسرائيل ٢٤٩-٢٥٩

وكتنا C.F.Burney, Israel settlement in Canaan, 1918

وكتنا C.F.Burney, The Book of Judges, 1920

(٢) الخابيرو أو العابيروا: ليسوا هم العبرانيين (أنظر: محمد بيومى مهران: إسرائيل

٢٢/٢٨-٢٢٢٢. وعن تعقب "لابان" ليعقوب (أنظر: تكوين ٢١/١-٥٥) (٣) خروج

١٢/٤١-٤٠. مع ملاحظة أن بعض المصادر الإسلامية ذهبت الى هذا الاتجاه (أبو الفداء :

المختصر فى أخبار البشر ١/٢٠. ابن حزم: الفصل فى الملك والامراء والنحل ١/١٠)

(٤) A.Lods, op-cit,P.184-185

بدعوة من يوسف الصديق عليه السلام^(١) ، وليس بسبب طرد الآدوميين لهم . ومنها (ثانياً) أنه يختصر مدة إقامة بنى إسرائيل في مصر الى ٢١٥ عاماً ، والرواية صريحة في نص التوراة العبري ، من أن مدة إقامتهم بمصر كانت ٤٣٠ سنة^(٢) ، وإن كانت تتفق مع الترجمة السبعينية ، فضلاً عن بعض المصادر الإسلامية . ومنها (ثالثاً) أنها تربط بين روايات إسرائيلية تتعلق بأحداث جدا مبكرة ، وبين قصة دخول بنى إسرائيل مصر ، ومنها (رابعاً) أنها تجعل دخول بنى إسرائيل مصر مقصوراً على أسباط بعينها ، مع أن التوراة تجعل ذلك للإسرائيليين عام^(٣) - وكذا ألمع القرآن الكريم في قوله تعالى "إذهبوا بقمبصى هذا ، فآلفوه على وجه أبى يأت بصيرا ، وأتوني بأهلكم أجمعين"^(٤) ، ومنها (خامساً) أن يوسف عليه السلام - كما هو معروف - قد شغل منصباً كبيراً في الدولة ، ولم يكن أبناً من عامة القوم - وإن بدأ حياته بمصر بداية متواضعة جدا - فكيف لم تشر إليه التصوص المصرية ؟ وهى التى أشارت إلى كثير من الوزراء وكبار الموظفين - بجانب ملوكهم - وهو أمر قد عللناه في عصر الهكسوس بغموض هذا العصر وضباب آثاره ، وهذا ما لم يقل به أحد من أرواحا لعصر الفرعون " أمنحتب الثانى " (١٤٣٦-١٤١٣ ق.م)^(٥) .

والرأى عندي ، أن عصر الهكسوس - وليس غيره - إنما هو العصر الذي شرفت مصر فيه بإقامة سيدنا يوسف عليه السلام فيها ، وكانت أيام الصديق في مصر خيراً كلها - ديناً ودنياً - بل إن وجود يوسف في مصر حيناً من الدهر ، شرف لمصر مابعد شرف ، وأن دعوته كانت رحمة وهداية للمصريين ، مافى ذلك من ريب ، وأن الله تعالى قد انتقد مصر ، على يد نبيه ورسوله يوسف عليه السلام ، من مجاعة محققة ، كادت تهلك الحرث والنسل ، وأنه قد نشر في مصر

(١) سورة يوسف : آية ٥١ - ١٠٠ ، تكوين ٤١/٥٦-٤٥/٢٨ (٢) خروج ١٢/٤٠-٤١

(٣) تكوين ١٦/٤٥-٢٨ (٤) سورة يوسف : آية ٩٣

(٥) محمد بيومى مهران : إسرائيل ٢٥٩/١

دعوة التوحيد ، وبث العقيدة الصحيحة ، مافى ذلك شبهة من رب ، وهكذا حمل الصديق عليه السلام الى مصر نور الإيمان ، وهداية التوحيد ، وعدالة السماء ، وكل ما هو خير وطيب من نعم الله تعالى التى يجريها سبحانه على أيد المطصفين الأخيار من أنبيائه الكرام البررة (١)

(٨) أيوب عليه السلام :-

يذهب بعض الباحثين الى أن أيوب عليه السلام ، إما كان أقدم من موسى عليه السلام ، بل ويحددون له تاريخا حوالى عام ١٥٢٠ قبل الميلاد (٢) (نرى عصر الملك تحوتس الأول فى مصر ١٥٢٨ - ١٥١٠ ق.م) ، بل أن "هاليس" يجعل من عام ٢٣٠٠ قبل الميلاد تاريخا لسيدنا أيوب (٣) اعتمادا على أن سفر أيوب فى التوراة لم يشر أبدا الى خروج بنى اسرائيل من مصر (حوالى عام ١٢١٤ ق.م) ، فضلا عن المدن التى دمرتها الزلازل وقت ذاك ، كما أنه لم يرد فى السفر أي ذكر لرب اسرائيل "يهوه" (٤) ، وإنما ورد ذلك فى المقدمة والذيل ، وهذا مضافان بعد عصره ، كما هو راجع عند شراح التوراة (٥) .

على ان هناك وجها ثالثا للنظر يذهب أصحابه الى أن أيوب إما عاش على أيام يعقوب ، عليهما السلام (١٧٨٠ - ١٦٣٣ ق.م) ، وقد تزوج من ابنته "دينة" (٦) ، بدليل قول الكاتب فى مستهل السفر "رجل فى أرض عوص" (٧) فضلا عن الإشارة اليه فى سفر حزقيال (٨)

- (١) محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الثانى - بيروت ١٩٩٠ ص ٧٣-٧٤ (٢) باروخ سينورا : رسالة فى اللاهوت والسياسة - القاهرة ١٩٧١ ص ٢١٥ (مترجم) (٣) قاموس الكتاب المقدس ١٤٨/١ (٤) أنظر عن "يهوه" (محمد بيومى مهران : إسرائيل - الجزء الرابع - الإسكندرية ١٩٧٩ ص ٢١-٨٢) (٥) عباس العقاد : إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٦-١٦٦ ، قاموس الكتاب المقدس ١٤٨/١ (٦) باروخ سينورا : المرجع السابق ص ٣١٥ ثم قارن : تفسير الطبرى ١/٣٢٢ ، تفسير روح المعانى ١٧/٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٢١/١ (بيروت ١٩٩٥) (٧) أيوب ١/١ (٨) حزقيال ١٤/١٤

هذا ومن المعروف أن لأيوب سفرًا في العهد القديم . ومكانه في الترجمة السريانية بين سفرى التثنية ويثوع . وقد اختلف الباحثون في تاريخ كتابة هذا السفر . فهناك من يرجعه الى عصر الآباء الأوائل . ومن يرجعه إلى سليمان عليه السلام (٩٦-٩٢٢ ق.م) . وحجتهم انه يحمل بين ثناياه إشارات من ذلك العهد ^(١) . على أن هناك وجها ثالثا للنظر يذهب إلى أن السفر قد كتب قبل السبى البابلى (٥٨٦-٥٣٩ ق.م) . وربما فى عصر إرمياء (٦٢٦-٥٨٠ ق.م) بالذات ^(٢) . وأخيرا فهناك وجه رابع للنظر يذهب الى أنه كتب بعد السبى البابلى . وذلك بسبب الصراع الواضح فيه بين الشراب والعقاب ^(٣) . والذبابة بعد الموت . وعدم ضياع الناس فى متاهات "شبول" ^(٤) - كما آمن بذلك الأولون - والمعروف أن العبرانيين - طبقا لما جاء فى كتبهم المتداولة اليوم . وليس كما جاء بها أنبياء الله - قد عرفوا الحياة بعد الموت فى حقبة متأخرة من تاريخهم . ربما فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد ^(٥) .

وأما لغة سفر أيوب . ففيها تأثيرات أرامية وعربية لاتخطئها العين . وربما تشير الى تاريخ متأخر لكتابة السفر . ومن ثم فقد ذهب البعض إلى أنه كتب حوالى عام ٤٠٠ ق.م ^(٦) . وفضل آخرون القول بأنه كتب خلال القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد ^(٧) .

(١) قارى : أيوب ٨/١٥ . ١٤-١/٢٦ . بالإصحاح الثامن من سفر الأمثال

وأنظر M.F.Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, P.594

(٢) حزقيال ١٤/١٤ . حبيب سعيد : الدخلى الى الكتاب المقدس ص ١٥٣

(٣) لأموس الكتاب المقدس ١/١٤٨ (٤) أنظر عن "شبول" (مزمو ٨٨/١ .

١٨/١٧ . أيوب ٩/٧ . ٦-٥/٢٦ . أمثال ١٨/٢ . أشعيا ٩/٤-١١ . ١٤/٢٦ . ١٩

وكننا E.W.Heaton, the Old testament prophets, 1969, P.137

(٥) أنظر عن الحياة بعد الموت عند بنى إسرائيل (محمد بهيمى مهران : النبوة والأنبياء

عند بنى إسرائيل - الاسكندرية ١٩٧٩ ص ١٠٢-١٠٦)

(٦) M.F.Unger, 6p-cit, P.594

(٧) حبيب سعيد : المرجع السابق ص ١٥٣

(٩) شعيب عليه السلام :

يرجح بعض الباحثين أن عصر سيدنا شعيب عليه السلام ، إنما كان قبل عصر سيدنا موسى عليه السلام ، معتمدين في ذلك على أن الله - سبحانه وتعالى - إنما ذكر شعيباً بعد نوح وهود وصالح ولوط ، عليهم السلام ، وقبل موسى ^(١) كما في سورة الأعراف ويونس وهود والحج والعنكبوت - غير أن آيات سورة يونس إنما تتحدث عن قصة نوح عليه السلام في الآيات (٧١-٧٢) ثم آية (٧٣) وهي جملة لا تذكر أمماً بعينها ، ثم تأتي بعد ذلك قصة موسى عليه السلام ، هذا فضلاً عن الآيات (١٢-١٤) من سورة "ق" إنما تذكر قوم نوح ثم أصحاب الرس فشمود ، ثم عاد وفرعون وإخوان لوط ثم يأتي أصحاب الأيكة ، فقوم ثيج .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن قصة شعيب ، إنما ترد بعد قصة لوط مباشرة في سورة الأعراف وهود والحجر والشعراء ، بل إن الآية الكريمة (٨٩) من سورة هود ، إنما تصرح ، دوغما ليس أو غموض ، بقرب قوم شعيب من قوم لوط . مكاناً أو زماناً ، لانستطيع التحديد على وجه اليقين ، قال تعالى " وما قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ، وما قوم لوط منكم ببعيد " ^(٢) .

وإذا ما اعتبرنا هذا القرب في الزمان ، وعدنا إلى عصر إبراهيم الخليل ، عليه السلام (١٩٤٠-١٧٦٥ ق.م) ، وتذكرنا أن قوم لوط إنما كانوا معاصرين لأبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام ^(٣) ، لأمكننا القول إن شعيباً وقومه إنما كانوا يعيشون بعد القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، بخاصة إذا ما كان صحيحاً ما ذهب إليه التوراة من أن قوم شعيب إنما كانوا ينتسبون إلى "مدين" - أو حتى

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء - القاهرة ١٩٣٦ ص ١٤٩

(٢) هود : آية ٨٩ (٣) أنظر : سورة الحجر : آية ٥١-٧٧ سورة العنكبوت : آية

٢٦-٣٥ ، سورة النازيات : آية ٢٤-٣٧ ، وانظر : تكمين ١/١٤-٢٤ ، ١/٢٨-٢٣

مديان - ولد ابراهيم الخليل من زوجه الكنعانية قطورة^(١)، على أننا نستطيع القول ، من ناحية أخرى - حدسا عن غير يقين - إن القوم إنما كانوا يعيشون فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، إذا ماكان صحيحا ماذهبت إليه بعض روايات التوراة من أن "بشرون" كاهن مدين ، وصهر موسى^(٢)، إنما هو نفسه "شعيب" نبي مدين العربى^(٣)، وذلك لأن رحلة موسى الى مدين ، بعد فراره من مصر - وكذا لقاءه مع كاهن مدين بعد قيادته لخروج بني اسرائيل من مصر - إنما تم فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد^(٤)، وهكذا يمكننا ان نستنتج من نصوص التوراة تاريخين لعصر شعيب ، عليه السلام ، الواحد : هو القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، والثانى : هو القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وهذا ماغفل اليه وترجمته .

(١) تكوين ٢٥/٢ - أخبار أيام أول ٣٢/١

(٢) لاحظ التناقض العجيب فى التوراة بشأن صهر موسى هذا ، فهو فى سفر الخروج (١١/٣) يشرون كاهن مديان ، وهو فى سفر العدد (٢٩/١٠) حويات بن رعوئيل ، بل إنه مرة ثالثة فى سفر الخروج (١٦/٢-١٨) رعوئيل نفسه ، والأمر كذلك بالنسبة للقبيلة التى صاهرها موسى ، فهى مرة قبيلة مديانية ، كما رأينا ، وهى مرة أخرى - كما فى سفر القضاة (١٦/١) قينية ، ثم يعود نفس سفر القضاة (١١/١٤) وذلك فى ثنايا قصة دبور، حين تتعرض لنسب "صابر القينى" ، فتقرر انه من "بنى حباب" حمى موسى ، ومن ثم فرما كان بنو القينى فرعاً من المديانيين

Encyclopaedia Biblica, P.3080

أنظر

وكتا 6 J.Hasting, Dictionary of the Bible, Edinburgh, 1936, P.61

(٣) أنظر : السعودى: مروج الذهب ١/١١ ، تاريخ ابن خلدون ٢/٤٣-٨٢، معجم باقرت الحموي ٥/٢٧-٧٨، البكري : المرجع السابق ص ١٢٠ ج ٤ ، عباس العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين - القاهرة ١٩٦٠ ص ٨٠

(٤) محمد بيوس مهراڤ : دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الأول - فى بلاد العرب - الرياض ١٩٨٠ ص

٢٠١-٢٠٢

(١٠) موسى وهارون عليهما السلام :-

اختلف العلماء - القدامى منهم والمحدثون - فى تاريخ خروج بنى إسرائيل من مصر - بقيادة موسى وهارون عليهما السلام - وبالتالي فى الاستقرار الذي تلاه فى كنعان ، فضلا عن التأريخ للبيئتين الكرعيين ، موسى وهارون ، عليهما السلام ، وعلى أية حال ، فإن أهم الآراء التى دارت حول تاريخ خروج بنى إسرائيل من مصر ، إنما هى خمسة آراء ، أولها : أن الخروج تم أثناء طرد الهكسوس من مصر على أيام أحسن الأول ، حوالى عام ١٥٧٥ ق.م ، وثانيها : أنه تم على أيام تحتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ ق.م) أو ولده " أمنحتب الثانى (١٤٣٦-١٤١٣ ق.م) ، وثالثها : أنه تم فى أعقاب أيام إخناتون (١٣٦٧-١٣٥٠ ق.م) ، ورابعا فى الفترة فيما بين موت إخناتون ، وتولية "حورمحب" العرش حوالى عام ١٣٣٥ ق.م ، ورابعها : أنه تم على أيام "رععمسيس الثانى" (١٢٩٠-١٢٢٤ ق.م) ، وخامسها : أنه تم على أيام "مرنبتاح" (١٢٢٤-١٢١٤ ق.م) ، وهنا ماقتيل إليه ونرجسه .

على أن هناك آراء أخرى ، ذهب أولها : أن الخروج تم على أيا "سيتى الثانى (١٢١٤-١٢٠٨ ق.م) ، وذهب ثانيها : إلى أنه تم فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة ، وثالثها تأخره الى ما بعد عهد "رععمسيس الثالث" (١١٨٢-١١٥١ ق.م) ^(١)

ولعل من الأهمية بكان الإشارة الى أننا قد اعتمدنا فى ترجيحنا للرأى الذي يتبادى بأن الخروج تم فى عصر "مرنبتاح" ، ومن ثم فهو فرعون الخروج ، على أدلة كثيرة منها (أولا) أن التوراة تذكر أن مدينة "رععمسيس" (بر-رعسيس) - وهى قنطرة الحالية بمركز الحسينية محافظة الشرقية - هى المدينة التى بدأت منها مسيرة بنى إسرائيل نحو سيناء ، ومن المعروف أن

(١) قدم الباحث عدة دراسات عن تاريخ خروج بنى إسرائيل من مصر ، والآراء التى دارت حوله (أنظر: محمد يرمى مهران: إسرائيل ١/٣٥٧-٤٣٩ ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٢/٢٦٣-٢٣٢)

"بر-رعسيس" إنما هي من إنشاء رعمسيس الثانى وحده ، بل إننا نعرف أنه ابتداء من هذا العصر قد انتقل مركز الثقل من الصعيد إلى شرق الدلتا ^(١) ، ومنها (ثانياً) أن قائمة التوراة القديمة " للملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبلما مَلِكُ مَلِكُ لبني إسرائيل" ^(٢) ، لا تذكر إلا ثمانية ملوك بين "بالع بن بعور" - والذي وُحِدَ بيلعام بن بعور، طبقاً لتقاليد جاءت فى التوراة - وبين "هدار" ، فإذا سمعنا بفترة من ٢٥ إلى ٣٠ سنة ، كحد وسط لكل عهد ، فسوف نحصل على مجموع من السنوات ، ما بين ٢٠٠... ٢٤٠ ، وهذه الفترة تتناسب مع الفترة منذ خروج بني إسرائيل من مصر - طبقاً لهذه النظرية - وبين قيام ملكية شاول (طالوت فى القرآن) قبل القرن العاشر قبل الميلاد ، بعقد أو عقدين من الزمان . ^(٣)

ومنها (ثالثاً) أن القول بأن مرنبتاح هو فرعون الخروج يعطينا تفسيراً لما حدث فى فلسطين فى الفترة (١٤٠٠-١٣٠٠ ق.م) فيما يتصل بوجود أسماء شمعون وأشير، فرما كانا اسمين لجموعتين عيريتين لم تهاجر الى مصر وان كان هذا يخالف التقاليد العبرية ^(٤) ، فضلاً عما جاء فى القرآن الكريم بشأن دعوة يوسف أهله أجمعين للإقامة فى مصر ^(٥) ، ومن ثم فرما كانا هذين الأسمين لأماكن أو مدن كنعانية، أطلقها الإسرائيليون عليها فيما بعد ، وهذا ما نغفل إليه وترجمه، ومنها (رابعاً) أن العلماء يتفقون على قيام مرنبتاح بنشاط حربي فى فلسطين، ولعل مما يؤكد ذلك نعت " قاهر جازر" ، هذا فضلاً عن أنه من العسير القول بأن نص "لوح اسرائيل" مختلف تماماً، إذ يصعب عتذ أن نجد تفسيراً مقبولاً لإسم اسرائيل فى قائمة الأقاليم المذكورة ، بل ان مجرد ذكر إسرائيل يخلع على النص شبهة من الحق لا يمكن انكارها، لأنه لم يرد فى أي نص

(١) أنظر: محمد بيومى مهران: مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ ص ٤٦-٦٦ (٢) تكوين ٣٦/٣٦-٣٩ (٣) أنظر عن قيام ملكية شاول (محمد بيومى مهران: إسرائيل ٦٦٨-٦٧٤) (٤) تكوين ٢٦/٤٦-٢٧ (٥) سورة يوسف : آية ٩٢-١٠٠

مصري من قبل (١).

ومنها (خامساً) أن الحفريات والأبحاث أثبتت أن بحالك أدوم ومؤاب وعمرون لم تكن قد تكونت حتى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، مع أن سفر يشوع يذكر هذه الممالك بالإسم ، بل وينهب الى أنها كانت نامية ومزدهرة إبان حملات يشوع الحربية (٢) ، ومنها (سادساً) استمرار السلطة المصرية على أيام "أمنحتب الثالث" (٥ : ١٤ - ١٣٦٧ ق.م) في فلسطين بدليل اكتشاف جمول صيد الأسرد في "لخيش" (تل الدوير على مبعده ٨ كيلا جنوب غرب بيت جبرين) تخليداً لمهارة الفرعون في صيد ١.٢ أسداً ، خلال السنوات العشر الأولى من حكمه (٣) ، وقد استمرت السيادة المصرية على سورية وفلسطين قوية حتى القرن الثالث عشر - ماعداً فترة أزمة العمارة - بدليل وجود جعارين من عهد "رععميس الثاني" ، فضلاً عما تشير اليه حروبه وحروب أبيه من قبل ، على بقاء السيادة المصرية هناك في سورية وفلسطين (٤) .

ومنها (سابعاً) وجود إناء مكسور عليه كتابة مصرية لأحد جياة الضرائب

(١) محمد بيومي مهران : مصر ١٨٤٢/٢ - ١٨٤٤ ، وكذا ، J.A.Wilson, ANET , P.376-378

وكذا E.Naville, JEA,12,1915,p.196

وكذا W.C.Hayes,the Scepter of Egypt,II,1959,P.359

وكذا A.H.Gardiner,op-cit,P.273

وكذا J.H.Breasted,ARE,II,P.165-166

وكذا G.Legrain,ASAE,2,1901,P.269-279

وكذا J.A.Wilson, the Culture of Ancient Egypt,Chicago, 1963,P.25

(٢) جرن إندرو: الأحجار تتكلم - علم الآثار يزيد الكتاب المقدس ص ٤٤ (مترجم) وكذا M.F.Unger,op-cit,P.334

(٣) A.H.Gardiner, op-cit, وكذا J.H.Breasted, ARE,II,P.346-347 (٤) cil,P.206

(٤) J.Finegan,op-cit,P.162 وكذا J.A.Wilson,op-cit, P.206

فى "تحيش" وقد سجل فيها تسلمه لشحنة من القمح فى السنة الرابعة من عهد
 فرعون معين ، تشير الدلائل كلها على أنه مرنبتاح ، ومن ثم فالسنة الرابعة هنا
 تعنى عام ١٢٢٠ قبل الميلاد^(١) ، مما يؤكد أن السيادة المصرية على فلسطين
 ظلت قائمة حتى السنة الرابعة من عهد مرنبتاح ، وأن بنى إسرائيل لم يكونوا قد
 استولوا على هذه المدينة ، حتى ذلك الوقت ، أي عام ١٢٢٠ ق.م. ، ومنها
 (ثامنا) أن سلسلة الأثواب الكهنوتية - وكذا تقارير التوراة فى سفر القضاة -
 إنما تتفق مع تاريخ الخروج على أيام الملك مرنبتاح^(٢) ، ومنها (ثامنا) أن إسرائيل لم
 تظهر فى حملات رعمسيس الثالث (١١٨٢-١١٥١ ق.م) ، سواء قبل هزمته
 لشعوب البحر فى عام حكمه الثامن^(٣) (١١٧٤ ق.م) أو بعده ، وإنما ظل
 الفرعون محتفظا بإمبراطوريته الواسعة فى فلسطين وجنوب سورية ، وقد عثر له
 على تمثال فى "بيسان" ، وآخر فى "مجدو" ، فضلا عن بنائه معبداً لآمون فى
 فلسطين ، وكان خط الحدود عند "زاهى" فى مكان ما عند الشاطئ فى فينيقيا
 الجنوبية ، ومن هنا فإن حملة الفرعون الثانية على أموره ، إنما كانت للحفاظ على
 أملاك مصر فى فلسطين وسورية ، ومن البدهى أن هذا كله إنما يشير الى عدم
 وجود " إسرائيل " ككيان سياسى مستقر فى فلسطين حتى أيام "رعمسيس
 الثالث" (١١٨٢-١١٥١ ق.م) .

ومنها (عاشرا) أن حالة الإضطراب التى كتب على أرض الكنانة أن
 تعيشها ، فيما بين وفاة مرنبتاح عام ١٢١٤ ق.م. ، وبداية حكم رعمسيس الثالث
 عام ١١٨٢ ق.م^(٤) . كانت أكثر الفترات ملاءمة لأن يعيش بنو إسرائيل فى

(١) W.F.Albright, BASOR,68,1937,P.23F,74,1939,P.20-
 J.Finegan, op-cit,P.162 و 22,132,1953,P.46

(٢) W.M.F.Petrie,Egypt and Israel, 1925,P.38

H.Nelson, the Naval Battle Pictures at medinet Habw,(٣)
 JNES,2,1943,P.40-55

(٤) أنظر عن هذه الفترة (محمد بيومى مهران: مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس=

التيه ، وهم فى مأمن من أن تهاجمهم القوات المصرية فتقضى عليهم أو تعيدهم الى مصر ثانية، ومنها (حادي عشر) أن اضطراب الامور فى سورية وفلسطين بسبب شعوب البحر ، التى أدت الى القضاء على دولة الحيثيين ^(١) ، وبالتالي هروب الكثيرين منهم - مع شعوب أخرى - إلى سورية وفلسطين ، الأمر الذى يبدو واضحا فى التقاليد اليهودية التى نحدثنا عن تجمعات حبشية كبيرة استقرت فى كتعان ، واحتلت الإقليم الجبلى ، وقد وجدهم رسل موسى عليه السلام ، الذين ذهبوا يستطلعون الأرض الموعودة التى تفيض عسلا ولبنًا وتخفوا منهم قاتلين لا تقدر أن تصعد الى الشعب لأنهم أندما ^(٢)

ومنها (ثانى عشر) أن فترة دخول بنى إسرائيل كتعان - طبقا لهذه النظرية - تتفق وغزوات شعوب البحر على سورية واشتباك رعسيس الثالث معهم فى حرب ضروس، دارت رحاها على الأرض الأسبورية مرة ، وعلى الأرض الأفريقية مرتين ، بل ان انتهاء فترة التيه ، وبداية دخول بنى إسرائيل كتعان ، اتفا تتفق وحمله رعسيس الثالث على سورية فى عام حكمه الثامن (١١٧٤ ق.م) للإشتباك مع شعوب البحر عند "زامى" ثم انشغاله بعد ذلك فى حروبه ضد شعوب البحر على حدوده الغربية ^(٣) ، فإذا كان ذلك كذلك ، فقد مكنت هذه الظروف بنى إسرائيل من دخول كتعان وأعطتهم الفرصة ليعيشوا فى الأرض فسادا .

= الثالث ص ١٢-٢٧٦

وكذا J.Wilson, ANET, 1966, P.160

وكذا V.Beckerath, JEA, 49, 1963, P.71-74

وكذا J.Cerney, JEA, 29, P.243-258

وكذا A.H.Gardiner, op-cit, P.279-281

(١) O.R.Gurney, the Hittites, 1969, P.38-39 عدد ١٢-١/٢٣

(٢) محمد بيومى مهران : مصر- الجزء الثالث ص ١٨٥-١٩٧.

وانظر W.Edgerton and J.A.Wilson, Historical Records of Ramsses, III, Chicago, 1936

ومنها (ثالث عشر) أن خلفاء رعمسيس الثالث ماكانوا بقادرين على الحفاظ على الامبراطورية المصرية فى آسيا ، ربما لأنهم كانوا أضعف من ذلك وربما لأن الظروف الداخلية لم تساعدهم على ذلك ، وربما لتغير ميزان الاقتصاد العالمى ، بظهور معدن الحديد الذي لا تملكه مصر ، مما اضطرها إلى التخلي عن امبراطوريتها فى آسيا الغربية ، وربما كانت هذه الأسباب مجتمعة هى السبب ، وأيا ماكان الأمر ، فليس هناك من دليل واضح على أن مصر - بعد وفاة رعمسيس الثالث - قد احتفظت بامبراطوريتها فى فلسطين وسورية ، وإن ذل لها نفوذ فى كثير من المناطق ، بدليل العثور على جعارين لرعمسيس الرابع فى تل الصاقى وتل زكريا وتل جازر ، ولرعمسيس السادس فى تل أسانة فى سورية ، وقشال من البرونز لنفس الفرعون فى مجدو ، على أن هذه الأشياء الصغيرة لا تدل على معان قوية لها من القيمة من ناحية سلطان مصر هناك ، ومن هنا كانت فرصة بنى إسرائيل فى الإستيلاء على جزء من فلسطين كما تمكن البلست (الفلسطينيون) من احتلال بعض مدن كنعانية فى الساحل كما احتل الشيخر مدينة "دد" جنوبي الكرمل (١).

ومنها (رابع عشر) ما جاء فى القرآن الكريم من أن فرعون موسى قد طلب من هامان أن يوقد له على الطين قبينى له صرحا ، قال تعالى " وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ، فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين " (٢) . على أن ما عرف عن فراعين مصر ، وما تشهد به اليوم آثارهم ، أنهم كانوا ينشئون - ماشاسوا - من الحجر ، وهو كثير واقر يغنيهم عما سواه ، إن أرادوا لما ينشئون الدوام والمُلُود ، فكانوا يتخذون منه المعابد والمسلات والقبور ، ولم

(١) J.Cerney, Egypt from the Death of Ramsses III, to The End of the Twenty-First Dynasty Cambridge, 1965, P.11-13

(٢) سورة القصص: آية ٢/١ . وانظر: غافر: آية ٣٦

يصطنعوا الطوب المحروق ، ولغير ذلك كانوا يتخذون اللبن من طين غير محروق فكانوا يتخذون منه بيوتهم ، سواء أكانت للعلية من القوم والملوك ، أم للعامة وغمار الناس ، وربما تردد القارئ فيما يسمع من قول الله فى أمر فرعون أن يوقد له على الطين ، وقد عرف أن المصريين - فيما خلفوا من آثارهم - لم يتخذوا الأجر المحروق فى البناء قبل عصر الرومان^(١)

عل أن الأئمة من علماء التفسير - كالطبري والقوطى والتفسى والبيضاوي والسيوطى وغيرهم - إنما يرون عن علماء السلف - كابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير وابن جريج وعبد بن حميد وغيرهم - أنهم قالوا : إن فرعون موسى كان أول من اتخذ الأجر ليبنى به الصرح^(٢) ، مما يشير الى أنهم كانوا يستندون إلى طائفة من الخبر الصحيح .

هذا وقد أعثرتنا حفائر "بتري" فى نبيشة و"دفتة" ، غير بعيد عن مدنية "بر - رعسيس" عاصمة ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، فى شرق الدلتا ، على غير مألوف الفراعين بالبناء بالأجر المحروق ، حيث بنيت به قبور وأقيمت به بعض من أسس المنشآت التى ترجع الى عصر الفراعين رعسيس الثانى ومرنبتاح وسبتى الثانى . وقد قال "بتري" إن حرق اللبن ظل نادرا فى مصر الى عصر الرومان ، وهو قول لا يكاد يخالف المفسرين من بدأ اتخاذ الأجر المحروق على عهد فرعون موسى ، وهو كذلك من قرائى القرآن الكريم التى تتخذها مطمئنين فى تحديد عصر خروج بنى اسرائيل من مصر - بقيادة موسى وهارون عليهما السلام - على أيام الأسرة التاسعة عشرة ، وهى الأسرة التى بدأت - كما ألع القرآن الكريم وأثبتت الحفائر - تصطنع فى بنائها الأجر المحروق^(٣) .

(١) احمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ص ١٢٧-١٢٨ (٢) تفسير التفسى ٢٢٧/٢ ، تفسير القرطبي ص ٥٠٠٤ ، تفسير البيضاوي ١٢٨/٤ - تفسير الدر المنثور للسيوطى ١٢٩/٥ ، تاريخ الطبري ٤٠٥/١

(٣) احمد عبد الحميد يوسف : المرجع السابق ص ١٢٨ ،

W.M.F.Petrie, Nebesheh and Defennch P.18-19,47

وكنا

والذي نرجح أنه عصر مرنبتاح .

ومنهما (خاص عشر) الحديث النبوي الشريف الذي رواه أنس بن مالك عن سيدنا ومولانا وجدنا محمد رسول الله (ص) حيث يقول (ص): "خير نساء العالمين أربع . مريم ابنة عمران . وآسية امرأة فرعون، وثالثة بنت خويلد ، وقاطمة بنت محمد رسول الله" ، وفي رواية - للبخاري ومسلم - " ثلث من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم . " - (١٩) -

وإذا ما ذكرنا أن " إست نفرت " (إيسه - نفرة) كانت الزوجة الثانية لرعمسيس الثاني - بعد نفرتاري - بل إن الأثرية " مس مري " (٢٠) إذا توي أنها الزوجة الرئيسية، كما أن بعض الباحثين يعتبرها " أم الأمراء " الذين لهم حق ورائحة العرش (٢١) ، وهناك في متحف بروكسل جزء من تمثال صغير لهذه الملكة ، مازالت عليه بعض نعوت لها تكاد تكون فريدة في نوعها ، فعلى الجهة اليمنى نقرأ "وعندما تدخل في المقر المزدوج . فإن قاعة الإستقبال في القصر تضوع بشذي عبيرها ، وإنها حلوة الرائحة بجانب والدها الذي يتجهج لرؤيتها، الزوجة الملكية ... " ، وعلى الجهة اليسرى نقرأ " التي تقرأ قاعة أجلسة بعبيرها ، وهي الفريدة بعطورها ، إذ تعادل بلاد بونت (٢٢) (حيث كان المصريون يحصلوا على أخشاب البخور والمر وغيرها من الأشجار ذات الرائحة الزكية) بشذي أعنانها ، الزوجة الملكية " ، وفي الواقع أن هذه النعوت النسوية الدالة على طيب العبير،

(١٩) أنظر عن الحديث الشريف برواياته المختلفة (صحيح البخاري ١٩٣/١ ، صحيح مسلم ١٩٨/١٥ - ١٩٩ (بيروت ١٩٨١) تحفة الأحوذى ٣٨٩/١ ، الدر الثمر السوطى ٢٢/٢ ، سنن الترمذي ٢٢٥/٤ - ٢٢٦ ، مسند الإمام أحمد ١٣٦/٢ ، المستدرک للحاكم ١٩٤/٣ ، تفسير ابن كثير ٥٤٢/١ - ٥٤٣ (بيروت ١٩٨٦) ، البداية والنهاية لابن كثير ٥٩/١ - ٦٢ ، تفسير الطبري ٣٩٣/٦ - ٤٠٠ (دار المعارف)

(٢٠) Miss Murry, Ancient Egypt, 1925, P.100-104 (٢)

(٢١) أنظر : محمد بيومي مهران : مصر ١٣٩٧ - ١٤٠٠

(٢٢) أنظر عن بلاد بونت ، والآراء التي دارت حولها (محمد بيومي مهران : العرب وعلاقتهم النولية في العصور القديمة - الرياض ١٩٧٦ ص ٢٠٧ - ٢١٠

وما يصُوع منها من شذي العطور ، لم توصف بها ملكة من قبل ^(١١) .

ولعل هذا إنما يدل على مدى شدة حب الفرعون لها ، ودالتها عليه ، وإذا ما تذكرنا أن قصة موسى عليه السلام - كما جاءت في التوراة والقرآن العظيم - وكيف القته أمه في اليم ، فالتقطه آل فرعون لينشأ في قصر فرعون نفسه ، وذلك عندما "قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ، لا تقتله عسى أن يتفعلننا أو نتخذة ولدا" ^(١٢) ، إذا ما تذكرنا ذلك كله ، وقارنا بين اسم امرأة فرعون - كما ورد في الحديث الشريف ، وفي الآثار المصرية - لما وجدنا صعوبة كبيرة في تقريب "إيسة" (أو إيسى أو حتى إست) إلى "أمية" (آسيا) ، مع مراعاة اختلاف قراءة أسماء الإعلام في اللغتين المصرية القديمة والعربية ، وهكذا نستطيع القول إن الفرعون الذي التقطت امرأته موسى عليه السلام ، إنما هو "رعمسيس الثاني" ، وهو فرعون التسخير ، وأن الفرعون الذي جابه موسى عليه السلام هو "مرنبتاح" ، وهو فرعون الخروج .

ولعل "مرنبتاح" نفسه هو الذي ذكر موسى بتربيتهم له ، وتنشئتهم إياه على فراشهم ، ثم قتله واحداً من رعاباهم وهرويه الى مدين ، ثم عودته مرة أخرى طالبا إطلاق سراح بني إسرائيل ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى "قال ألم نريك فينا وليداً ، وليست فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين" ، فرد موسى عليه السلام "قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ، ففررت منكم لما خفتكم فزهد لى ربي حكما وجعلنى من المرسلين ، وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل" ^(١٣) .

وهكذا يبدو لى بعد كل الحجج والأسانيد التى قدمناها أن الرأي الذى يجعل خروج بني إسرائيل من مصر فى عهد مرنبتاح ، وبالتالى فهو فرعون

(١١) سليم حسن : مصر القديمة ٦/٦٣٤ - ٦٣٧ ،

Chronique d'Egypte, 33, 1934, P. 74-79

وكنا

(١٢) سورة القصص : آية ٩ (٣) سورة الشعراء : آية ١٨-٢٢

موسى، إنما هو أقرب الى الصواب من غيره . وهو الرأي الذي تميل إليه وترجحه لأنه يعتمد على أدلة من التاريخ والأثار، ومن القرآن والسنة النبوية الشريفة، على أن يكون الخروج فى العام الأخير من حكم الفرعون مرتتاح - وليس فى العام الخامس كما هو مفترض - سواء أكان هذا العام الأخير هو العام العاشر من الحكم (عام ١٢١٤ ق.م) كما ترى جمهرة المؤرخين ، أو هو العام الثامن من الحكم (عام ١٢١٦ ق.م) كما يرى البعض .

وأما سبب تحديدنا للعام الأخير من حكم مرتتاح تاريخا لخروج بنى إسرائيل من مصر - بقيادة موسى وهارون عليهما السلام - فذلك لأن التوراة^(١) والقرآن العظيم^(٢)، يرويان أن الفرعون قد غرق فى البحر عند محاولته اللحاق بموسى وبنى إسرائيل . وإن أضاف القرآن الكريم أن جثة الفرعون قد انتشلت لتكون آية لمن خلفه ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى " فالיום ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية"^(٣)، ولم تكن الآية لمن خلفه جبلا أو جبلين ، بل بقيت آية للعشرات الكثيرة من الأجيال والمئات الكثيرة من السنين ، وهى إنما صارت كذلك بما مكن رب العرش لأهل مصر من سلطان العلم وأسرار التحنيط^(٤)

وهكذا نستطيع - عن طريق تحديدنا للخروج بالعام الأخير من حكم مرتتاح - أن نوفق إلى حد كبير ، بين أحداث التاريخ القديم ، وبين ما جاء عن هذه الأحداث فى التوراة والقرآن العظيم ، فضلا عن إيجاد تفسير مقبول لتسجيل انتصارات مرتتاح على لوحة ليست له ، وإنما لسلفه البعيد "أمنتحتب الثالث" (١٤.٥-١٣٦٧ ق.م)، وذلك بسبب موته المفاجئ، وأما أن اللوحة قد

(١) خروج ٢٦/٢٦ - ١٥/١ - ٥. الرسالة إلى العبرانيين ٢٩/٥

(٢) أنظر: سورة البقرة: آية ٥٠ ، الأعراف: آية ١٣٦ ، يونس: آية ٩٠-٩٢ ، طه: آية ٧٨ ، الشعراء: آية ٦٣-٦٦ ، وغيرها

(٣) سورة يونس: آية ٩٢ (٤) أحمد عبد المسهد يوسف: المرجع السابق ص ١٢١

حدثت حادث الخروج بالعام الخامس من عهد مرنباح ، فذلك يتناقض تماما مع ما جاء عنه فى التوراة والقرآن العظيم ، لأن ذلك يعنى أن الفرعون قد بقى على قيد الحياة بعد خروج بنى اسرائيل من مصر ، هذا فضلا عن ان حملته على سورية ، والتي ذكرت على اللوح ، إنما كانت فى العام الثالث ، وأما تحديد العام الخامس بالذات تاريخا للنص ، فربما كان من كتبه (بعد غرق الفرعون) إنما يهدف الى تخليد ذكرى انتصاراته على الليبيين وحلفائهم من القهق والموش ، إلى جانب خمسة من شعوب البحر ، وإنقاذ أرض الكتانة من أن تقع فى أيديهم .

بقيت الإشارة الى أن هناك جمهرة كبيرة من المؤرخين ترى أن مرنباح هو فرعون الخروج ، وأن أباه رعمسيس الثانى هو فرعون التسخير^(١) ، والواقع أن اعتبار رعمسيس الثانى هو فرعون التسخير ، أمر يتفق مع نشاطه البنائى الكبير ، بخاصة وأنه قد استقر فى شرق الدلتا ، وأن الإنطباع العام الذى تعطيه لنا التوراة أن بنى اسرائيل كانوا يقيمون فى مكان ما (أرض جوشن) ليس بعيدا عن البلاط الفرعونى فى "قنتير" ، كما أن المزمور (٧٨) يعطينا تأكيدا بأنهم كانوا يعيشون فى "أرض مصر فى حقول صوعن" ، وصوعن هو الاسم العبرى لمدينة "تانيس" (على مبعدة ١٩ كيلا من قنتير) ، حيث كان بلاط الفرعون فى هذه المنطقة فى عهد رعمسيس الثانى وليس قبله .

ويذهب " جاك فنجان" ^(٢) إلى أن بنى إسرائيل قد استخدموا ، هادئ ذي بدأ ، على أيام " سيسى الأول" ، ولكنهم لم يحملوا أثقالهم إلا على أيام ولده رعمسيس الثانى ، وفى هذا الوقت ولد موسى عليه السلام ، وترى ثم عاش فى

(١) فليب حتى تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١٩٢/١ .

وكننا E.Naville, Archaeology of the Old Testament, London, 1913, P.93

وكننا A.H.Sayce, the Egypt of the Hebrews an Herodots, London, 1896

وكننا W.M.F.Petrie, Egypt and Israel, London, 1925, P.38

وكننا M.F.Unger, op-cit, P.332,550

J.Finegan, op-cit, P.120,134 (٢)

البرية . وأخيرا عاد الى مصر ، كما يروي سفر الخروج (٢/١-٢٥).

وهناك في القرآن الكريم ما يشير الى تحريض الملأ من قوم فرعون على أن يقوم فرعون بمذبحة جديدة بين بنى إسرائيل، وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى "وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلتهك ، قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا نؤتهم قاهرين"^(١)، وقال تعالى "قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وماكيد الكافرين إلا في ضلال ، وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد"^(٢).

ومن المعروف أن بنى إسرائيل قد عانوا من قبل ، منذ مولد موسى ، مثل هذا التنكيل الوحشي من فرعون ومثله كما يقول تعالى " إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين "^(٣)، ومن ثم فهناك - فيما يري صاحب الظلال - أحد احتمالين ، أولهما : أن فرعون الذي أصدر ذلك الأمر الأخير، كان قد مات وخلفه ولده وولى عهده ، ولم يكن الأمر منفذا في العهد الجديد ، حتى جاء موسى عليه السلام ، وواجه الفرعون الجديد، الذي كان يعرفه وهو ولى العهد ، ويعرف قصته، وثانيهما: أن فرعون الذي تبنى موسى ما يزال على عرشه، ولكنه تراخى أو أوقف ذبح الأبناء واستحياء النساء ، فالخاشية تشير بتجديده، وتخص به الذين آمنوا مع موسى وحدهم بالإرهاب والتخويف^(٤)، ومن البدهى أن الإحتمال الأول إنما يشير ، على الأقل ، الشك في أن يكون رعمسيس الثانى هو فرعون الخروج ، ومن ثم فإننى أميل الى أن رعمسيس الثانى هو فرعون التسخير، وأن مرتباج هو فرعون الخروج.

(٢) سورة غافر : آية ٢٥-٢٦

(١) سورة الأعراف : آية ١٢٧

(٤) فى ظلال القرآن ٣٠٧٧/٥-٣٠٧٨ (بيروت

(٣) سورة القصص : آية ٤

(١٩٨١)، وانظر :ابن كثير : البداية والنهاية ٢٥ / ١

وانطلاقاً من كل هذا ، فإذا كان صحيحاً ماذهب إليه بعض المؤرخين من أن موسى عليه السلام ، قد ولد على أيام رعمسيس الثاني ^(١١) ، بل إن "كيرلنج" إنما يحدد عام ١٢٩٠ قبل الميلاد ، تاريخاً مولد الكليم عليه السلام ^(١٢) ، وأنه - طبقاً لرواية التوراة ^(١٣) - قد عاش ١٢٠ سنة، فإنه يكون قد عاش في الفترة (١٢٩٠ - ١١٧٠ ق.م).

وأما هارون عليه السلام ، أخو موسى وصاحبه في دعوة فرعون إلى الإسلام ^(١٤) ، فهو أكبر من موسى بثلاث سنوات ^(١٥) ، ومن ثم فقد ولد في عام ١٢٩٣ ق.م. ثم عاش ١٢٣ سنة ^(١٦) ، وبالتالي فقد عاش في الفترة (١٢٩٣ - ١١٧٠ ق.م).

(١١) داود وسليمان عليهما السلام :-

يتفق المؤرخون - أويكادون - على أن داود عليه السلام - وكان ملكاً نبياً - إنما حكم إسرائيل في أخريات القرن الحادي عشر وأوائل القرن العاشر قبل الميلاد - وإن اختلفوا في تحديد سنوات الحكم على وجه اليقين - ومن ثم فقد ذهب رأي إلى أنه حكم في الفترة (١٢٠٠ - ٩٧٢ ق.م). ^(١٧) بينما ذهب رأي آخر إلى أنه حكم في الفترة (١٠١٠ - ٩٥٥ ق.م). ^(١٨) ، على أن هناك من يرى أنها في الفترة (٩٦٢ - ٩٠٤ ق.م) ^(١٩) ، ومن يرى أنها في الفترة

(١) J.Finegan, op-cit, P.120

(٢) Emil G.Kraeberg, Historical Atlas of the Holy land, New york, Chicago, (١٩٥٩), p.81

(٣) تنبيه ٧/٢٤ (٤) أنظر : سورة الاعراف : آية ١٠٣ - ١٢٧ ، سورة طه : آية ٩ - ٨ ، سورة الشعراء : آية ٩٠ - ٩٨ ، سورة القصص : آية ١ - ٤٢ ، سفر الخروج (٥) خروج ٧/٧ (٦) عند ٣٩ - ٢/١/٢٣

(٧) I.Epstein, Judaism, 1970, p.35

(٨) G.Rout, op-cit, P.454

وانظر (مجمع بيومى مهران : إسرائيل ٦/٢ - ٧ - ٧٧)

(٩) قلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٢

(٩٨٥ - ٩٦٣ ق.م)^(١) ، وأخيرا فهناك من يري أنها فى الفترة (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م)^(٢) وهنا ماغيل إليه ونأخذ به .

وأما سليمان عليه السلام - وكان كاهيه ملكا نبيا - فإن المؤرخين يتفقون على أنه حكم فى القرن العاشر قبل الميلاد ، ولكنهم يختلفون فى تحديد فترة حكمه من هذا القرن العاشر ، فهناك من يري أنه حكم فى الفترة (٩٧٤ - ٩٣٢ ق.م)^(٣) ، ومن يري أنه حكم فى الفترة (٩٧١ - ٩٣١ ق.م)^(٤) ، ومن يري أنه حكم فى الفترة (٩٧٠ - ٩٣٣ ق.م)^(٥) ، ومن يري أنه حكم فى الفترة (٩٦٣ - ٩٢٢ ق.م)^(٦) ، ومن يري أنه حكم فى الفترة (٩٦٣ - ٩٢٩ ق.م)^(٧) ، وأخيرا فهناك من يري أن النبي الكريم قد حكم فى الفترة (٩٦٠ - ٩٢٢ ق.م)^(٨) ، وهنا ماغيل إليه ونرجعه ، وإن كان أستاذنا الدكتور حسن ظاها يجعلها فى الفترة (٩٧٣ - ٩٣٦ ق.م)^(٩) ، ويجعلها "روث (١٠) (٩٧٣ - ٩٣٣ ق.م)

(١) Historical Atlas of the Holy Land, New york, 1959, P.81

(٢) W.F.Albright, op-cit, P.120-12

(٣) فضل حوراني : العرب والملاحة فى المحيط الهندي - ترجمه وزاد عليه السيد يعقوب بكر - القاهرة ١٩٥٨ ص ٣٤

(٤) I.Epstein, op-cit, P.36 (٥) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٥ (مع ملاحظة أن هناك نصافى الثوراء (ملوك أول ٤٢/١١) يجعل حكم سليمان أربعين سنة (٦) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٥

(٧) Historical Atlas of the Holy Land, P.81

(٨) W.F.Albright, op-cit, P.120-122

(٩) حسن ظاها : الساميون ولغاتهم - الاسكندرية ١٩٧٠ ص ٨٤

(١٠) C.Roth, Ashort History of the Jewish people, London, 1969, P.20

وأما موسكاثى وهيتون فيريان أنها فى الفترة (٩٦١ - ٩٢٣ ق.م) (أنظر : سبتينوموسكاثى : الحضارات السامية القديمة ص ١٤٣ (مترجم)

وكنا E.W.Heaton, the Old Testament prophets, London, 1969, P.172

بقيت الإشارة إلى إنه إذا كان صحيحا مازدبت إليه التوراة، من أن داود عليه السلام كان في الثلاثين من عمره عندما ملك في بني اسرائيل، وأنه ملك أربعين سنة^(١)، ومن ثم فإن النبي الكريم إنما قد عاش - طبقا للرأي الذي ارتضينا - في الفترة (١٠٣٠ - ٩٩٠ ق.م).

وأما سليمان عليه السلام، فطبقا لرواية في التوراة^(٢)، أنه ولد لأبيه في "أورشليم"^(٣)، ومن المعروف أن داود عليه السلام قد أخذ القدس في عام حكمه الثامن^(٤) (حوالي ٩٩٢ ق.م)، ولو افترضنا أن سليمان قد ولد بعد عامين من دخول أبيه القدس (أي حوالي عام ٩٩٠ ق.م)، وأنه مات عام ٩٢٢ ق.م، فهو إذن قد عاش في الفترة (٩٩٠ - ٩٢٢ ق.م).

(١٢) إيلياس واليسع عليهما السلام :-

يذهب فريق من علماء السلف إلى أن "إيلياس" إنما هو "إدريس" عليه السلام، قال قتادة وابن اسحاق : يقال إيلياس هو إدريس، وكذا قال عكرمة، وروي ابن أبي حاتم بسنده عن عبدالله بن مسعود قال : إن إيلياس هو إدريس، وكذا قال الضحاك .

على أن هناك فريقا آخر - وهو أكثر المفسرين - إنما يذهب إلى أن إيلياس، إنما هو نبي من أنبياء بني اسرائيل، وهو إيلياس بن ياسين، من ولد هارون أخى موسى، عليهما السلام، وأن الله تعالى بعثه في بني اسرائيل بعد حزقيل، وكانوا قد عبدوا صنما يقال له "بعل" فدعاهم إلى الله تعالى، ونهاهم

(١) صموئيل الثاني ٥/٤ - ٥، ملوك أول ١١/٢ (٢) صموئيل ١٢/٥ - ١٦

(٣) أنظر عن أورشليم (محمد بيومي مهران: إسرائيل ١٢/٢ - ٨٦٦، بلاد الشام ص

٣٠٨ - ٣١١ (٤) أنظر عن فتح داود للقدس (محمد بيومي مهران: إسرائيل ٢/٨٢٨ - ٨٢٩

وكنّا R.A.S.Macalister, the Topography of Jerusalem, in: CAH, III, Cambridge,

1965, P.333-346

ولعلنا نستطيع القول ، ولكن يحذر (٢) ، أن الياس النسي عليه السلام الذي جاء ذكره في القرآن الكريم ، إنما هو "إيليا" (وهو صيغة مختصرة من إيلاهو ، بمعنى الله يهوه) الذي جاء ذكره في التوراة (٣) ، معتمدين في ذلك على قصة هذا النبي الكريم ، كما جاءت في التوراة والقرآن العظيم ، فقصة التوراة تشير الى عبادة "بعل" في اسرائيل على أيام الملك "أخاب" (٨٦٩-٨٥٠ ق.م) وزوجه "إيزابيل" ابنة ملك صور الفينيقية، ثم معارضة "إيليا" العنيفة لهذه الوثنية الصورية ، ودعوته إلى عبادة "يهوه" رب إسرائيل (٤)

وأما في القرآن الكريم فقد ذكر إلياس عليه السلام في سورة الأنعام، قال تعالى "وذكرنا يحيى وعيسى والياس كل من الصالحين" (٥) ، وقال تعالى "إن إلياس لمن المرسلين ، إذ قال لقومه ألا تتقون ، أتدعون بعلا، وتذرون أحسن الخالقين ، الله ربكم ورب آبائكم الأولين ، فكذبوه فإنهم لمحضرون، إلا عباد الله المخلصين ، وتركنا عليه في الأولين ، سلام على آل ياسين ، إنا كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين" (٦)

(١) تفسير النفي ٢٧/٤ ، تفسير الطبري ٩١/٢٣-٩٢ ، تفسير الفخر الرازي ١٦١/٢٦ ، تفسير ابن كثير ٣١-٣٠/٤ (بيروت ١٩٨٦) . (٢) يذهب صاحب الظلال إلى أنه من الأرجح أن إلياس عليه السلام ، هو النبي المعروف "بالعهد القديم باسم "إيليا" (في ظلال القرآن ٢٩٩٧/٥) (٣) انظر : قاموس الكتاب المقدس ١١١/١-١١٢ (٤) ملوك أول ٢٩/١٦-٢٣ (٥) سورة الأنعام : آية ٨٥ ، وانظر : تفسير الطبري ٥١/٥٠-٥١ ، تفسير النار ٤٨٧/٧-٤٩ ، تفسير ابن كثير ٢٤٧/٢-٢٤٨ (٦) سورة الصافات: آية ١٢٣-١٣٢ ، وانظر تفسير ابن كثير ٣٠/٤-٣٢ ، تفسير الفخر الرازي ١٦٠/٢٦-١٦٢ ، تفسير النفي ٢٧/٤-٢٨ ، تفسير روح المعاني ١٣٨-١٤٢ تفسير البضاري ٢٩٩/٢ ، تفسير القاسمي ٥٩/١٤-٥٠/١١ ، تفسير مجمع البيان ٨٠/٢٣-٨٢.

وأما متى كان عصر الياس عليه السلام ، فالثابت من نصوص العهد القديم ، وبعض المصادر العربية ، فضلا عن المؤرخين المحدثين ، أن إلياس عليه السلام ، إنما ارسل وصولا إلى بني إسرائيل ، على أياب الملك "أخاب بن عمري" ملك إسرائيل في الفترة (٨٦٩-٨٥٠ ق.م) ، أي أن إلياس كان يعيش في القرن التاسع قبل الميلاد ، وربما في النصف الأول من هذا القرن التاسع قبل الميلاد^(١).

وأما "اليسع" عليه السلام، وهو "اليشع" في التوراة، واليسع ، فيما يرى بعض المفسرين ، معرب الاسم العبراني "يرشع" ، فهو إسم أعجمي دخلت عليه لام التعريف ، على خلاف القياس ، على أن هناك من يرى أنه اسم عربي منقول من "يسع" مضارع "وسع" ، وأنه من ولد اسماعيل عليه السلام ويذهب صاحب تفسير المنار إلى أنه تعريب "اليشع" أحد أنبياء بني إسرائيل، وكان خليفة إلياس (إيليا) ، ومن اليهود في نقل الاسم العبري إلى العربي إبدال الشين المعجمة بالهمزة^(٢) ، وهذا ما قيل إليه ونرجعه . هنا وقد جاء إسم اليسع - في روايات العهد القديم - "اليشع بن شافاط" ، وفي المصادر العربية هو "اليسع بن أخطوب بن العجوز" من سبط أترام ، وقيل هو ابن عم الياس ، وقال ابن عساكر : إسمه أسباط بن عدي بن ثوليم بن أترام^(٣).

هذا وقد جاءت قصة اليسع (اليشع) فاصلة في سفر الملوك الثاني (٢-٩) من العهد القديم ، وقد عاش اليسع على أيام ملك إسرائيل "يهوئام" (٨٤٩-٨٤٢ ق.م) الذي حاول قتله ، بسبب الثورة التي تزعمها ضده^(٤) .

(١) محمد بيومي مهران: إسرائيل ١/٢ ، ٩١-٩٦ ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الثالث - في بلاد الشام ص ٢٤

(٢) تفسير المنار ٧/ ٤٩١-٤٩٠ ، تفسير القرطبي ص ٢٤٦٨-٢٤٦٩

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٢٩-١٣٠ ، تفسير الطبري ١١/ ٥١٢-٥١٠

(٤) ملوك ثان ٨/٦-٢٣-١/٧-٢ ، محمد بيومي مهران : إسرائيل ١/٢ ٩١٧

W.Keller, op-cit,P.230

وكذا

وطبقا لرواية التوراة فقد كان اليسع خليفة إلياس . حيث تجلى رب إسرائيل لإيليا وأمره أن "امسح البشع بن شافاط . من آبل محولة ، نبيا عوضا عنك" (١١)

(١٣) يونس عليه السلام :-

يذهب بعض الباحثين الى أن يونس (١٢) (يونا في التوراة) إنما كان يعيش في الفترة (٧٨٥-٧٤٥ ق.م) . وأنه كان نبيا من أنبياء بني إسرائيل على أيام ملك إسرائيل "يربعام الثاني" (٧٨٦-٧٤٦ ق.م) . وأنه أرسل إلى أهل "نيتوي" (١٣) في أخريات أيام العاهل الآشوري "أشوردان الثالث" (٧٧١-٧٥٤ ق.م) وذلك في الفترة (٧٦٥-٧٥٩ ق.م) (١٤).

وأما أنه كان نبيا قوميا أو عبرانيا . فذلك ما جاء في السفر نفسه " وصار قول الرب الى يونا بن أمثاي قائلا: قم اذهب إلى نيتوي المدينة العظيمة وناد عليها . لأنه قد صعد شرهم أمامي" (١٥) . وأما أنه كان على أيام "يربعام الثاني" . فهنا ما يخالف ما ذهب اليه آخرون من أنه كان نبيا على أيام الملك

(١) ملوك أول ١٦/١٩ . ١٩-٢١

(٢) أنظر عن قصة يونس عليه السلام (محمد بيومي مهران دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الرابع - بيروت ١٩٩٠ ص ١٧٥-١٩٢) (٣) نيتوي: تقع الآن تحت تلي قوينجق والتي يونس . على الضفة الشرقية لنهر دجلة . على فم راند صغير يدعى "الحصر" (الحوصر) على مبعثة ٤٠ كيلا من التقاء الدجلة بالزاب الأعلى . قبالة الموصل وقد اتخذها الملك الآشوري "سنحريب" (٧٠٥-٦٨١ ق.م) عاصمة للدولة . غير أنها لم تعمر كما صممه طويلا . حيث سقطت في أيدي الميديين عام ٦١٢ ق.م. وظلت مجهولة حتى كشفت عام ١٨٤٧م (أنظر : محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم ص ٣٣٠-٣٣١) (٤) حبيب سعيد : المرجع السابق ص ١٢٧-١٢٩ . فؤاد حسين : إسرائيل عبر التاريخ- ١١٤/١- ١١٦

وكننا E.W.Heaton, The Old Testament prophets, London, 1969, P.20-21

وكننا R.D.Wilson, the Authenticity of Jonah, PTR, 16, P.280-289, 430-456

وكننا M.F.Unger, Unger's Bible dictionary, Chicago, 1970, P.601-602

(٥) يونا ١/١ . وانظر ٩/١ حيث يقول : أنا عبراني

"حزقيا" ملك يهوذا في الفترة (٧١٥-٦٨٧ ق.م) . والنبي أشعيا . (٧٣٤-٦٨٠ ق.م) ، هذا فضلا عن أن من ذهبوا إلى أن يونان (يونس) كان على أيام "بريعام الثاني" لم يقدموا أي دليل يؤيدون به وجهة نظرهم هذه ، ومن ثم فأغلب الباحثين يرون أنه كان علي أيام "حزقيا" (٧١٥-٦٨٧ ق.م) ، وأنه قد عاصر النبي العبراني "أشعيا" .^(١)

وعلى أية حال ، فإن العلماء لا يعرفون حتى الآن : من الذي كتب سفر يونان هذا في روايته الحالية - كما جاء ت في العهد القديم ؟ وإن كانوا يذهبون إلى أنه ربما كتب حوالي عام ٣٥٠ قبل الميلاد ، وليس هناك أي دليل يثبت أن يونان هو كاتب هذا السفر الذي يحمل اسمه من بين أسفار العهد القديم .^(٢)

هذا وقد ذكر يونس عليه السلام في القرآن باسمه أربع مرات ، في سورة النساء (آية ١٦٣) والأنعام (آية ٨٦) ويونس (آية ٩٨) والصفات (آية ١٣٩) . وذكر بالوصف في موضعين ، حيث لقبه الله تعالى "بذي النرين" (أي الحوت) في سورة الأنبياء (آية ٨٧) وبصاحب الحوت في سورة القلم (آية ٤٨) ، لأن الحوت التقمه ثم نبذه .

وسمى في السنة الشريفة "يونس بن متى" ، وهو إسم أبيه على ما في صحيح البخاري وغيره ، وصححه "ابن حجر" قال: ولم أقف في شيء من الأخبار على اتصال نسبه^(٣) ، وروي البخاري بسنده عن قتادة عن أبي العالبيه عن ابن عباس عن النبي (ص) أنه قال "ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى" ونسبه إلى أبيه ، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود من حديث شعبه به ، قال

(١) محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الرابع ص ١٨٨-١٨٩ (٢) محمد بيومي مهران : إسرائيل - الجزء الثالث ص ٥٢-٥٧ ، قاموس الكتاب المقدس ١١٢٦/٢-١١٢٧

وكنا J.Young, Introduction to the Old Testament, 1949,P.257

(٣) تفسير روح المعاني ١٧/٨٢-٨٣

شعبه . فيما حكاه أبو داود عنه . لم يسمع قتادة عن أبي العالبة سوى أربعة أحاديث. هذا إحداها^(١) . وقال ابن كثير فى التفسير: وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى. ونسبه الى أمه^(٢) .

وروي الإمام أحمد بسنده عن أبي وائل عن عبدالله قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى^(٣) " . وقال ابن الأثير وغيره: إنه اسم أمه. ولم ينسب أحد من الأنبياء إلى أمه غيره، وغير عيسى، عليهما السلام^(٤) ، وفى العهد القديم دعى "يونا بن أمتاي"^(٥) .

هذا وقد ذكر فى القرآن الكريم بـ "يونس" وبذي النون ، كما أشرنا آنفاً. والنون هو الحوت، ويجمع على "نينان" كما فى البحر، وكذا "أنوان" كما فى القاموس^(٦) ، ويقول الرازي فى التفسير الكبير: إنه لاختلاف فى أن ذا النون هو يونس عليه السلام ، لأن النون هو السمكة، وأن الإسم إذا دار بين أن يكون لقباً محضاً ، وبين أن يكون مفيداً، فحمله على المقيد أولى ، خصوصاً إذا علمت الفائدة التى يصلح لها ذلك الوصف^(٧) .

(١٤) وَيَحْيَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

يروى المفسرون عن ابن عباس أن يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان عند النصراني)^(٨) ، إنما هو أكبر من المسيح عيسى بن مريم ، عليه السلام، بستة أشهر، وكان يحيى أول من آمن وصدق بأنه كلمة الله وروحه، ثم قتل يحيى قبل

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٣٦/١ (٢) صحيح البخاري ١٩٣/٤ . صحيح مسلم

١. ٢/٧ . تفسير ابن كثير ٣٢/٤ (٣) مسند الإمام أحمد ٣٩. /١ . تفسير ابن كثير

٦٣٩/٤ (٤) تفسير روح المعاني ٨٣/١٧ . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٣٦. /١

(٥) يونا بن ١/١ (٦) تفسير روح المعاني ٨٣/١٧ . القاموس المحيط ٢٧٦/٤

(٧) تفسير الفخر الرازي ٢١٢/٢٢ (٨) إنجيل متى ١٧-١/٢ . لوقا ١٣/١

رفع عيسى في عهد " هيرودوس أنتيباس " (٦٦ ق.م - ٣٩ م) حاكم اليهودية من قبل الرومان ^(١١) . وعلى أية حال ، بما أن يحيى قد عاصر المسيح ، عليهما السلام ، فإنه من ثم يكون قد عاش على أيام القيصر "أوغسطس" (٢٧ ق.م - ١٤ م) ، والقيصر "تيربوس" (١٤ - ٣٧ م) ، كما عاصر من حكام القدس من قبل الرومان ابن هيرودوس الكبير " (٣٧ - ٤ ق.م) المدعو "أرخيلاس" (٤ ق.م - ٦ م) ثم ولده الثاني "هيرودوس أنتيباس" (٦ - ٣٩ م) ومن الحكام العرب من الأباط " الحارث الرابع " (٩١ م - ٤٠ م) ^(١٢)

هذا وقد اختلف المفسرون في من " زكريا " عليه السلام ، عندما دعا ربه أن يرزقه وليا يرثه (يحيى) وكان قد بلغ من الكبر عتيا ، وكانت امرأته عاقرا ، قال ابن عباس : كان ابن عشرين ومائة ، وكانت امرأته بنت تسع وتسعين ، على أن هناك رواية أخرى تذهب إلى أن من زكريا كان مائة ، ومن زوجته تسعا وتسعين ، وقيل كان له من العمر تسع وتسعون ، وقيل اثنتان وخمسون ، وقيل خمس وثلاثون ، وقيل خمس وسبعون ، وقيل سبعون ، بل وقيل مئتين ^(١٣) .

هذا وتذهب رواية العهد الجديد إلى أن يحيى قد ولد قبل المسيح ، عليهما السلام ، بستة أشهر ^(١٤) ، وقد عينت الكنيسة مولده في ٢٤ يونية من عام ٥ ق.م ^(١٥) ، على أساس مولد المسيح في ٢٥ ديسمبر عام ٥ ق.م ، وإن

(١١) أنظر عن قصة استشهاد يحيى عليه السلام (الجيل متى ١٤/٣-١٢ ، إنجيل مرقس ١٦/٦-٣ ، تاريخ يوسفوس ص ٢١٤ ، قاموس الكتاب المقدس ١١/٢ ، محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٢٦٦/٣ - ٢٧١ ، وكنا M.F.Unger, op. cit. P.472 ثم قارن : تاريخ الطبري ١/١٥/٥ - ٥٩٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١/١-٣ ، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٢ ، مروج الذهب للمسعودي ١/٢٥-٢٦

(١٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٢٧١

(١٣) تفسير الفخر الرازي ٣٩/٨ ، ٢٢/٢١٧ ، تفسير روح المعاني ٣/١٤٩

(١٤) لوقا ١/٢٦ ، ٣٦ (٥) قاموس الكتاب المقدس ١١/٧/٢

كان مولد المسيح نفسه - كما سنرى - موضع خلاف .

وعلى أية حال ، إذا ما افترضنا أن المسيح ولد في العام الأول الميلادي ، وأن يحيى ولد قبله بستة أشهر ، وأنه عاش - طبقا لرواية شراح الكتاب المقدس ^(١) - حتى نهاية عام ٢٧م أو أوائل عام ٢٨م ، فهو إذن قد عاش في الفترة (١-٢٧م ، أو ١-٢٨م) .

على أن هناك روايات إسلامية تجعل نبوته في سن الثلاثين ، ولم يتنبأ أكثر الأنبياء ، عليهم السلام قبل الأربعين ، وإن رأي البعض أن الحكم في قوله تعالى " يا يحيى خذ الكتاب وآتيناه الحكم صبيا " ^(٢) ، أن الحكم ليس بمعنى " النبوة " ، فهي على سن الأربعين ، وإنما المراد الفهم والفقه في الدين وهو غير الحكمة المفسرة بالنبوة ، كما في الآية (٢٥١) من سورة البقرة ، والتي جاءت في حق داود ، عليه السلام ^(٣) ، وإن كان الفخر الرازي يرجع أنها النبوة ، ذلك لأنه تعالى قد أحكم عقله في صباه ، وأوحى إليه ، ذلك لأن الله تعالى قد بحث يحيى وعيسى ، وهما صبيان ، لا كما بحث موسى ومحمد ، عليهما السلام ، وقد بلغا الأشد ^(٤) .

وانطلاقا من كل هذا ، فإننا لانستطيع القول أكثر من أن يحيى عليه السلام ، ولد قبل المسيح بستة أشهر ، وبالتالي فهو قد عاش في الثلث الأول من القرن الأول الميلادي ، ومن ثم فإننا نستطيع أن نحدد - طبقا لروايات المفسرين الإسلاميين ، والتي تراوحت فيما بين ١٢ سنة ، ٦٠ سنة من مولد يحيى - تاريخا لمولد أبيه النبي الكريم سيدنا زكريا عليه السلام .

(١) قاموس الكتاب المقدس ١١.٨/٢ .

(٢) سورة مريم : آية ١٢ (٣) تفسير الطبري ٥٤/١٦ - ٥٥ ، تفسير الكشاف ٥.٤/٢ .

تفسير روح المعاني ٧٢/١٦ ، تفسير النفي ٣. / ٣ ، تفسير ابن كثير ١٨٣/٢

(٤) انظر : محمد يبرمى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٢٤٣/٢ - ٢٧١

(١٥) المسيح عيسى بن مريم عليه السلام :-

ولد السيد المسيح، عليه السلام، فى "بيت لحم" - على مبعده ٦ كيلا جنوبى القدس - وفى مروج الذهب أن مولده إنما كان يوم الأربعاء (الثلاثاء عند اليعاقبى) لأربع وعشرين ليلة خلت من كانون الأول^(١) (ديسمبر)، وقال ابن العميد، مزدخ النصارى - فيما يروي عنه ابن خلدون - ولد المسيح لثلاثة أشهر من ولادة يحيى بن زكريا عليهم السلام - وهذا ما يخالف رواية الأناجيل^(٢) - وإحدى وثلاثين من دولة هيرودوس الأكبر، ولأثنتين وأربعين من ملك أوغسطس قيصر^(٣).

على أن المؤرخين المحدثين إنما يختلفون فى تاريخ مولد المسيح عليه السلام، وإن كان الخلاف محصوراً فى سنين عدا، فلقد كان مولد المسيح على أيام أول قيصرية روما، أوغسطس (٢٧ ق.م - ١٤ م)، وعلى أيام "هيرودوس الكبير" (٣٧ - ٤ ق.م) من قبل الحاكم الرومانى "بيلاليس النبطى"، وعلى أيام "الحارث الرابع" ملك الأنباط، هذا ويذهب البعض إلى أن السيد المسيح إنما قد ولد فيما بين عامى ٦، ٢ قبل الميلاد، على أن هناك فريقاً آخر يذهب إلى أنه ولد عام ٥ قبل الميلاد، أو أوائل عام ٤ قبل الميلاد.

وأما الإحتفال بمولد المسيح عليه السلام فى ٢٥ ديسمبر، فقد بدأ القول به فى القرن الرابع الميلادى، ومن ثم فرميا كان مولده فى ٢٥ ديسمبر عام ٥ قبل الميلاد، وهذا يجعله سابقاً للتاريخ الذى وضعه "ديونيسيوس" فى ٢٥ ديسمبر من العام الأول الميلادى، بخمس سنوات.

على أن هناك فريقاً رابعاً يرى أن مولد المسيح عليه السلام إنما كان فى عام ٤م، وأنه رفع إلى السماء فى عام ٢٧م، ورميا فى ٢٣ مارس عام ٢٩م.

(١) مروج الذهب للمسعودى ٧٦/١، تاريخ اليعاقبى ٦٨/١

(٢) لوقا ٢٦/١، ٣٦ (٣) تاريخ ابن خلدون ١٧١/٢

وهذا يجعله وكأنه عاش ٢٣ سنة أو ٢٥ سنة، مع أن المشهور أنه عاش ثلاثاً وثلاثين سنة، وأخيراً فهناك من يرى أن المسيح عليه السلام، إنما بدأ دعوته - وقد ناهز الثلاثين من عمره - في عهد الامبراطور الروماني " تيبيريوس" (١٤-٣٧م)، وكان حاكم اليهودية من قبل الرومان وقت ذلك "هيروودوس أنطيباس" (٦-٣٩م) - الابن الثاني لهيروودوس الكبير (١١).

(١٦) سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :-

تجمع كتب السيرة النبوية الشريفة - أوتكاد - على أن المولد النبوي الشريف إنما كان في يوم الإثنين الثاني عشر من عام الفيل ، أما أنه ، صلى الله عليه وسلم ، ولد يوم الاثنين ، فيؤكد الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن قتادة: أن أعرابياً : قال يا رسول الله ما تقول في صوم يوم الإثنين؟ فقال " ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل علي فيه ، ويؤكد الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن ابن عباس قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين ، وأستنبئ يوم الإثنين ، وخرج مهاجراً من مكة الى المدينة يوم الاثنين ، وترفع يوم الإثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين " .

وروي ابن إسحاق في السيرة ، أنه ، صلى الله عليه وسلم قال ليلاً: ألا لايفادرك صيام الإثنين ، فإني ولدت يوم الاثنين ، وأوحى إلى يوم الاثنين وهاجرت يوم الإثنين ، وأموت يوم الإثنين " وروي مسلم في صحيحه بسنده عن أبي قتادة الأنصاري ، رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين ، قال : ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت ، أو أنزل

(١١) قبل حتى المرجع السابق ٣١١/١-٣١٢ ، ٢٦٣ . قاموس الكتاب المقدس ٨٦٣/٢-٨٦٤ ، هـ.ج. ويلز: مرجع تاريخ العالم - القاهرة ١٩٦٧ ص ١٧٣ ، ٤١٦ ، محمد بيومي مهران: إسرائيل ١/٣٥٩/٢ ، ١١٤٥ ،

وكتنا Josephus, Antiquities, XIV, 6,4, the Jewish war, I, XIII, 8
وكتنا M.F.Unger, op-cit, P.581F

على فيه . وفي روايه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . سئل عن صوم الإثنين . فقال فيه ولدت . وفيه أنزل على .

وروي الامام الطبري في تاريخه بسنده عن أبي قتادة عن عمر . رحمه الله . أنه قال للنبي . صلى الله عليه وسلم . يانبي الله . صوم يوم الإثنين؟ قال: "ذاك يوم ولدت فيه . ويوم أنزلت على فيه النبوة" . وعن ابن عباس قال: ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين . واستثنى يوم الاثنين . قال أبو جعفر : وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم

ومن ثم فقد أخطأ من قال . إنه صلى الله عليه وسلم . ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول . فأصح الروايات . أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ولد يوم الإثنين . لاثنى عشرة ليلة . خلت من شهر ربيع الأول . عام الفيل^(١) .

وأما أنه . صلى الله عليه وسلم . ولد في ربيع الأول . فهذا رأي الجمهور . وإن نقل ابن عبد البر - عن الزبير بن بكار - وأبا غريب . قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم . " يوم الاثنين لاثنى عشرة خلت من شهر رمضان . وذلك على أساس أنه أوحى اليه في رمضان بلا خلاف . وهو رأي لا يأخذ به العلماء . ويقول العلامة أبو زرعة: لولا أن هذه الرواية ليست هي المشهورة لأخذنا بها . ولكن علم الرواية لا يدخل الترجيح فيه بالعقل^(٢) .

وأما أنه . صلى الله عليه وسلم . ولد عام الفيل . فلقد روي ابن إسحاق

(١) صحيح مسلم ٥١/٨ - ٥٢ (بيروت ١٩٨٢) مسند الإمام أحمد ١٧٢/٤ . ٥٩٧/٥ . سنن البيهقي ٢٩٣/٤ . ابن هشام : سيرة النبي ٩٩/١ . البيهقي : دلائل النبوة ٦/١ - ٨ (القاهر ١٩٩٧) السيرة الخليلية ٩٥/١ (القاهرة ١٩٩٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦٢/١ تاريخ الطبري ٢٩٣/٢ ابن كثير البداية والنهاية ٢٥٩/٢ ٢٦ . السيرة النبوية ١٩٨/١ (القاهرة ١٩٩٤) ابن الأثير الكامل في التاريخ ٤٥٨/١

٢٦ محمد بن جرير . حاتم البجلي ١١٦

فى السيرة عن قيس بن مخزومة أنه قال : ولدت أنا ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عام الفيل ، كنا لدين ^(١١) . وفى رواية الإمام أحمد فى مسنده ، قال : ولدت أنا ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عام الفيل . فتحن لدان ، ولدنا مولدا واحدا . . . وروى البيهقى بسنده عن أبى الحويرث قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقباث بن أشيم الكنانى : أنت أكبر أم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : رسول الله . صلى الله عليه وسلم ، أكبر منى ، وأنا أسن منه ، ولد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عام الفيل ووقفت هى أمى على روث الفيل معيلا أعقله ، وتنبئ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على رأس أربعين (٢) .

وعن سويد بن غفلة قال : أنا لدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولدت عام الفيل ^(٣) هذا ويذهب " ابن قسيم الجوزية " فى " زاد المعاد " إلى أنه لا خلاف فى أنه ، صلى الله عليه وسلم ، ولد بجوف مكة ، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل مقدمة قدمها الله تعالى لنبيه وبهتته ، وإلا فأصحاب

(١) لدان : بمعنى نهران ، والشهور فيه " لدتان " بالتاء ، يقال : فلان لدة فلان ، إذا ولد معه فى وقت واحد (المنشى : شرح السيرة ٥٤/٣)

(٢) مسند الإمام أحمد ٢١٥/٤ ، البيهقى : دلائل النبوة ١١/١ ، ١٣ ، أبو نعيم الأصفهاني : دلائل النبوة ص ١٠٠-١٠١ ، ابن الأثير : أسد الغاية ١٨٩/٤-١٩٠ ، ابن حجر العسقلاني ، الإصابة فى تمييز الصحابة ٢٢٦/٥ ، تهذيب التهذيب ٣٤٢/٨-٣٤٣ .

(٣) أنظر عن المولد النبوي الشريف فى عام الفيل (البيهقى : دلائل النبوة ١٢/١ ، أبو نعيم الأصفهاني : دلائل النبوة ص ١٠٠-١٠١ ، السيرة الحلبية ٩٤/١-٩٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٤٥٨/١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٦٠/٢-٢٦١ ، السيرة النبوية

١٩٩١-٢٠٣ ، الذهبى : تاريخ الإسلام ٢١/١ ، مسند الإمام أحمد ٢١٥/٤ ، سنة

الترمذي ٢٨٣/٢ ، ابن حجر : الإصابة ٢٢٦/٥ ، تهذيب التهذيب ٣٤٢/٨-٣٤٣ ، ابن

سعد : الطبقات الكبرى ٦٢-٦٣ ، تاريخ خليفة خياط ٩/١ ، تفسير

الدر المنثور ٣٩٦ ، موتنجري وات : محمد فى مكة ص ٦٥ ، محمد سعيد البوطى : فقه

السيرة ص ٤٩

القبيل كانوا نصاري أهل كتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة إذ ذاك ،
لأنهم كانوا عباد أوثان ، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرا لاصتغ للبشر فيه
إرهاصا وتقدمة للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، الذي خرج من مكة ، وتعظيماً
للبيت الحرام ^(١١) .

وعلى أية حال ، فإن النصر العظيم الذي أعطاه الله تعالى للعرب على
أصحاب القبيل ^(١٢) ، إنما كان إرهابا بدعوة المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ،
وشرفه العظيم ، فضلا عن دلالة واضحة على شرف البيت الحرام ، وحماية الله له
من كل ظالم غشوم ، وإجابة لدعوة إبراهيم الخليل ، عليه الصلاة والسلام "رب
اجعل هذا بلدا آمنا" ، ومن ثم فقد أصبحت رحلة أبرهة الحبشي فاتحة عصر جديد
في تاريخ حياة العرب القومية ^(١٣) ، حتى أنهم اعتبروها مبدأ تقويم يؤرخون
به الأحداث ، ومن ثم فقد كانت قريش بعد ذلك تزوخ بعام القبيل ^(١٤)

هذا وقد روي البيهقي بسنده عن ابن أبيري قال : كان بين القبيل ، وبين
مولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عشر سنين ^(١٥) ، وأخرج ابن سعد وابن
أبي الدنيا وابن عساكر عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر ، رضوان الله عليه ،
أنه قال : كان قدم أصحاب القبيل للنصف من المحرم ، فبين القبيل وبين مولد
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خمس وخمسون ليلة ^(١٦) ، وروي البيهقي
بسنده عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : بعث الله محمداً ، صلى الله
عليه وسلم على رأس خمس عشرة سنة من بنيان الكعبة ، وكان بين مبعث
النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وبين أصحاب القبيل سبعون سنة ، قال أبو

(١) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد ٧٦/١ (بيروت ١٩٨٥)

(٢) انظر عن قصة أصحاب القبيل (محمد يوسى مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم

٣٥٣/١ - ٤١. (الرياض ١٩٨٠) (٣) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ٧٦/١

(٤) الأزرقي: أخير مكة وماجا ، فيها من الآثار ١٤٨/١

(٥) البيهقي: دلائل النبوة ١٤/١ - ١٥ ، ابن كثير: البداية والنهاية ٢/٢٦٢

(٦) السيوطي: المختصر الكبير ٤٣/١ ، البداية والنهاية ٢/٢٦٢

اسحاق إبراهيم بن المنذر : هذا وهم ، والذي لا يشك فيه أحد من علمائنا ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولد عام الفيل ، وبعث على رأس أربعين سنة من الفيل ^(١) ، ويذهب صاحب "الروض الأنف" إلى أن مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، كان بعد الفيل بخمسين يوما ، وهو الأكثر والأشهر ^(٢) ، وهكذا يختلف من قالوا ان المولد النبوي الشريف إما كان بعد الفيل ، فـى تقديرهم لهذه الفترة ، بأيام أو بأشهر أو بسنين ، يقدرها قوم بثلاثين سنة ، ويقدرها قوم بسبعين ^(٣) .

وأيا ماكان الأمر ، فإن الدراسات الحديثة تذهب الى أن المولد النبوي الشريف ، إما كان فى عام ٥٧٠م أو عام ٥٧١م ، ذلك لأن الرواية العربية تجعله عام الفيل ، وعام الفيل هذا غير معروف على وجه اليقين ، فهو عام ٥٥٢م ، على رأي ^(٤) وهو عام ٥٦٣م ، على رأي آخر ^(٥) ، وكلاهما يخالف المعهود من أن الحملة إنما كانت فى عام ٥٧١م ، وهو ما نرجحه ونميل الى الأخذ به ، طبقا لدراسة " محمود باشا الفلكي " التى أثبت فيها أن مولد المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، كان فى عام الفيل ^(٦) - إنما كان فى يوم الاثنين ، التاسع من ربيع الأول ، الموافق ٢٠ أبريل عام ٥٧١م ^(٧) ، على أن فريقا آخر يري أن المولد النبوي الشريف إنما يتفق وموقعة ذي قار - والأمر هنا كما هو بالنسبة لعام الفيل - موضع خلاف ، ومن ثم فهناك من يذهب إلى أن ذي قار إنما كانت

(١) البيهقى : دلائل النبوة ١٤/١

(٢) السهيلي : الروض الأنف ١٠٧/١ (طبع المغرب) (٣) السيرة الحلبية ٩٥/١-٩٦

(القاهرة ١٩٦٤) ، محمد حنين هيكل : حياة محمد ص ١٠٨-١٠٩ (القاهرة ١٩٦٥)

(٤) Le Museon, 1965, 3-4-p.427-428

(٥) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ٤٩٦/٣ ،

وكنّا Le museon, 1965, 3-4, p.427

(٦) تفسير القرطبي . ١٩٤/٢-١٩٥ ، تفسير روح المعاني . ٢٣٣/٣

(٧) محمود باشا الفلكي : التقويم العربى قبل الاسلام ، وتاريخ ميلاد الرسول ومجرتة -

القاهرة ١٩٦٩ ص ٣٣-٤٤

يوم مولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأنه صلى الله عليه وسلم قال : "هنا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبى نصرؤا" ، على أن فريقا آخر جعلها سنة أربعين من المولد النبوي الشريف بينما ذهب فريق ثالث الى أنها كانت في العام الثالث من مبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، على أن فريقا رابعا جعلها بعد الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة ، بينما جعلها فريق خامس بعد موقعة بدر (٢هـ) مباشرة ، وربما بعدها بأشهر معدودة ، (١) ومن ثم فموقعة "ذي قار" لا تقدم لنا نفعا في تحديد تاريخ المولد النبوي الشريف .

هنا وقد حاول بعض العلماء تحقيق تاريخ المولد النبوي الشريف ، اعتمادا على تاريخين محققين من تاريخه الشريف ، وهما تاريخ الهجرة في عام ٦٢٢م ، وتاريخ الانتقال الى الرفيق الأعلى في عام ٦٣٢م ، غير أنها تواريخ استنتاجية لم تصل بعد إلى درجة اليقين الذي لا سبيل إلى الشك فيه .

وعلى أية حال، فإن "جوستاف لوبون" يرى أن مولد المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، إنما كان يوم ٢٧ أغسطس عام ٥٧٠م ، على أن "كوسان دي برسيغال" إنما يتأخر به فترة يومين فيجعله في ٢٩ أغسطس عام ٥٧٠م ، وأما المرحوم "محمود باشا الفلكي" فقد حدد لمولد سيدنا ومولانا وجدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم ٩ ربيع الأول ، الموافق ٢ أبريل ٥٧١م ، ولعل "سلفستر دي ساسي" إنما يتفق في تأريخه للمولد النبوي الشريف مع الفلكي باشا .

(١) السعدي: مروج الذهب ٣/١-٣/٧ ، التنبيه والاشراق ص ٢٠٧-٢٠٨ ، تاريخ اليعقوبي ٢١٥/١ ، تاريخ ابن خلدون ٢/٢٦٨ ، ٢٧١ ، تاريخ الطبري ٢/٢٠٧ ، الكامل لابن الاثير ١/٤٨٢-٤٨٤ ، ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر ١/١٠١ ، جواد على ٢/٢٩٤ ، سعد زغلول : في تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٢٣١ ، محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم ص ٥٩٤-٥٩٦

، وانظر . R.A.Nicholson, A literary History of the Arabs, Cambridge, 1962 p.70

والحق أن الإمام السهيلي (١١١٤/٥ - ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) قد سبق الفلكي وسلفستر، في تأريخهما لمولد سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بيوم ٢٠ أبريل ، فلقد جاء في كتابه " الروض الأنف " " وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان (أبريل) فكانت لعشرين مضت منه " على أن المترجمين لحياة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إنما يجمعون على أنه ولد في يوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول من عام القيل ، ويذهب جمهور كبير من العلماء إلى أن هذا التاريخ إنما يوافق العام الثالث والخمسين قبل الهجرة ، أي عام ٥٧١ م ، وأما انتقاله إلى الرفيق الأعلى فقد كان في ١٢ أو ١٣ من ربيع الأول عام ١١ هـ ، الموافق ٧ أو ٨ يونيو عام ٦٣٢ م ، بعد أن بلغ ، صلى الله عليه وسلم ٦٣ عاما قمريا بالكامل ، أي أكثر من ٦١ عاما شمسيا ، بحوالي شهر وأكثر من نصف شهر ^(١) .

وعلى أية حال ، ورغم أن هناك عدة آراء - كما رأينا - تدور حول المولد النبوي الشريف ، فليس هناك إلى سبيل من ريب في أن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، إنما ولد في ضوء التاريخ وأن التواريخ التي قدمت من قبل ، إنما هي قريبة من بعضها البعض إلى حد كبير ، خاصة وأن سيد الأنبياء والمرسلين إنما ولد في بيئة تكاد لا تعرف التأريخ لأبنائها .

(١) السهيلي : الروض الأنف ١/٧٧ ، الفلكي : المرجع السابق ص ٣٨ ، محمد عبدالله دراز : مدخل إلى القرآن الكريم - ترجمه محمد عبد العظيم علي والسيد محمد بدوي - الكويت ١٩٧٤ ص ٢٢ ، محمد بيومي مهران : السيرة النبوية الشريفة الجزء الأول بيروت ١٩٩٠ ص ٩٦-١٠٠ ، جوستاف لوبن حضارة العرب ص ١٢٩ ، وات مونشجرى : محمد

في مكة ص ٦٥

Cassini de perceval, Essai sur l'histoire des Arabes, L'Paris, 1847, P.283 وكذا

R.Blachre , Le Problem de Mahomet, Paris, 1952, P.15 وكذا

P.Lammens, Age de Mohamamad Berceau de l'Islam a la Veille وكذا
de L'Hegirem JA,1911,P.209 F

وأما مكان المولد النبوي الشريف ، فلا ريب فى أنه معروف فى مكة مشهور ، تقلبت عليه الأحداث فتقلب عليها ، حتى انتهى به الأمر الى أن صار مكتبة فى المدينة المقدسة . ولا ريب فى أن هذا المكان كان جزءا من دار عبد المطلب - جد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، انتقلت إليه السيدة آمنة بنت وهب ، بعد زواجها من عبد الله ، وبقيت فيه ، وهى حامل بالمصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وحتى انتقلت إلى جوار ربها الكريم ، وعمر وليدها العظيم سنوات ست .

وكانت هذه الدار تقع فى " شعب أبى طالب " ، حيث حصرت قريش بنى هاشم ، فيما بين السنة السابعة والعاشرة من البعث ، ثم سعى بعد ذلك " شعب بنى هاشم " ، ويعرف الآن "بشعب على" ، وهو منازل بنى هاشم قبل النبوة وأثنائها ، وفيه ولد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، والإمام على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وكرم وجهه فى الجنة ، ويقع بين جبل أبى قيس وشعب ابن عامر .

وكان شعب على (أو شعب أبى طالب) يأتى من بين جبل أبى قيس عن يساره ، والحنادام عن يمينه ، فيصب فى بطحاء مكة ، فيما يعرف اليوم بسوق الليل ، فوق المسجد الحرام ، بحوالى ٣٠٠ مترا ، وكانت "بئرذر" عند مصبه فدخلت اليوم فى شارع الغزة الكبير ، وردم فيها ، ولم يبق له إسم .

هذا وقد سعى "شعب أبى طالب" فيما بعد بإسم "شعب أبى يوسف" ، وأصبحت دار النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، لعمد بن يوسف ، أخى الحجاج الشافعى ، حتى أخرجته منه "الخيزان" - زوج الخليفة العباس "المهدي" (١٥٨-١٦٩ هـ) ، وأم موسى الهادي وهارون الرشيد - فجعلته مسجدا يصلى فيه ، واستمرت الأمور كذلك حتى العصر الحديث فهدم لكثرة تبرك الناس به ، ثم بنيت مكانه مكتبة عامة ، بناها الشيخ عباس قطان من ماله الخاص عام ١٣٧٠ هـ ، واشترى له مكتبة الشيخ ماجد كردي من أولاده

فجعلها أساس مكتبة مكة اليوم . ثم سلمها لوزارة الإعلام السعودية ، التي سلمتها لوزارة الأوقاف

ومكان هذه المكتبة اليوم - أربعارة أصح مكان المولد النبوي الشريف - هو ٣١ شارع المسجد الحرام ، بجوار عمارة البنك الأهلي التجاري أمام مبنى موقف سيارات القشاشية ذي الطابق السابع ، على مقربة من المسجد الحرام (الكعبة المشرفة) من ناحية المسعى ، في شعب علي ، في بيوت كانت بيوت بنى هاشم ، سادة مكة المكرمة .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وجدنا

محمد رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين

المراجع المختارة

أولاً، المراجع العربية

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - كتب الحديث
- ٣ - كتب التفسير
- ٤ - التوراة
- ٥ - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ بيروت ١٩٦٥
- ٦ - ابن الأثير : أسد الغابة القاهرة ١٩٧٠
- ٧ - ابن تيمية : مجموع فتاوي ابن تيمية الرياض ١٣٨٢ هـ
- ٨ - ابن تيمية : كتاب النبوات بيروت ١٩٨٢
- ٩ - ابن حجر العسقلاني : الإصابة فى تمييز الصحابة القاهرة ١٩٣٩
- ١٠ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون بيروت ١٩٧١
- ١١ - ابن سعد : الطبقات الكبرى القاهرة ١٩٦٨
- ١٢ - ابن عبد البر : الإستيعاب فى معرفة الأصحاب بيروت --
- ١٣ - ابن كثير : البداية والنهاية بيروت ١٩٦٦
- ١٤ - ابن كثير : السيرة النبوية القاهرة ١٩٦٤
- ١٥ - ابن هشام : سيرة النبى صلى الله عليه وسلم القاهرة ١٩٥٥
- ١٦ - أبو نعيم الأصبهاني : دلائل النبوة القاهرة ١٩٧٢
- ١٧ - أبو الحسن الماوردي : أعلام النبوة القاهرة ١٩٧١
- ١٨ - أبو حنيفة الديلمري : الأخبار الطوال القاهرة ١٩٦٠
- ١٩ - أحمد حسن الباقوري : مع القرآن القاهرة ١٩٧٠
- ٢٠ - الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف : مصر فى القرآن والسنة القاهرة ١٩٧٣

- ٢١- البيهقي : دلائل النبوة القاهرة ١٩٧٠
- ٢٢- السيوطي : الخصائص الكبرى بيروت --
- ٢٣- السهيلي : الروض الأنف المغرب --
- ٢٤- الطبري : تاريخ الطبري القاهرة ١٩٧٧
- ٢٥- الطحاري : العقيدة الطحاوية بيروت ١٣٩١ هـ
- ٢٦- المسعودي : مروج الذهب بيروت ١٩٧٣
- ٢٧- الدكتور سعد زغلزل عبد الحميد : في تاريخ العرب
قبل الإسلام بيروت ١٩٧٥
- ٢٨- عباس العقاد : إبراهيم أبو الأنبياء القاهرة --
- ٢٩- الدكتور عبد الرحمن الأنصاري : لمحات عن بعض المدن في شمال
غربي الجزيرة العربية الرياض ١٩٧٥
- ٣٠- عبد الرهاب النجار : قصص الأنبياء القاهرة ١٩٣٦
- ٣١- محمد أبو زهرة - خاتم النبيين القاهرة --
- ٣٢- الدكتور محمد بيومي مهران : حركات التحرير في
مصر القديمة القاهرة ١٩٧٦
- ٣٣- الدكتور محمد بيومي مهران : إسرائيل
(٤ أجزاء) الاسكندرية ١٩٧٨-١٩٧٩
- ٣٤- الدكتور محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى
القديم (١٢ جزءا) الاسكندرية ١٩٨٨-١٩٩٢
- ٣٥- الدكتور محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم
(٤ أجزاء) بيروت ١٩٨٨
- ٣٦- الدكتور محمد بيومي مهران : في رهاب النبي
وآل بيته الطاهرين (عشرة أجزاء) بيروت ١٩٩٠ م
- ٣٧- الدكتور محمد عبد القادر : قصة الطوفان
في أدب بلاد الرافدين القاهرة ١٩٦٥

- ٣٨ - الدكتور محمد عبد الله دراز : الدين القاهرة ١٩٦٩
 ٣٩ - محمود الشرفاوي : الأنبياء في القرآن الكريم القاهرة ١٩٧٠
 ٤٠ - قاموس الكتاب المقدس (جزمان) بيروت ١٩٦٧-٦٤

ثانياً ، المراجع

- ٤١ - ياروخ ميينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة -
 ترجمة حسن حنفي القاهرة ١٩٧١
 ٤٢ - جورج فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط
 الهندي - ترجمة - يعقوب بكر القاهرة ١٩٥٨
 ٤٣ - سبتينو موسكاتي - الحضارات السامية القديمة -
 ترجمة يعقوب بكر القاهرة ١٩٦٨
 ٤٤ - فيلب حنفي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - ترجمة
 جورج حنّاد ، وعبد الكريم رافق بيروت ١٩٥٨
 رم . سيجال : حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل - ترجمة
 حسن ظاظا بيروت ١٩٦٧

ثالثاً : المراجع الأجنبية

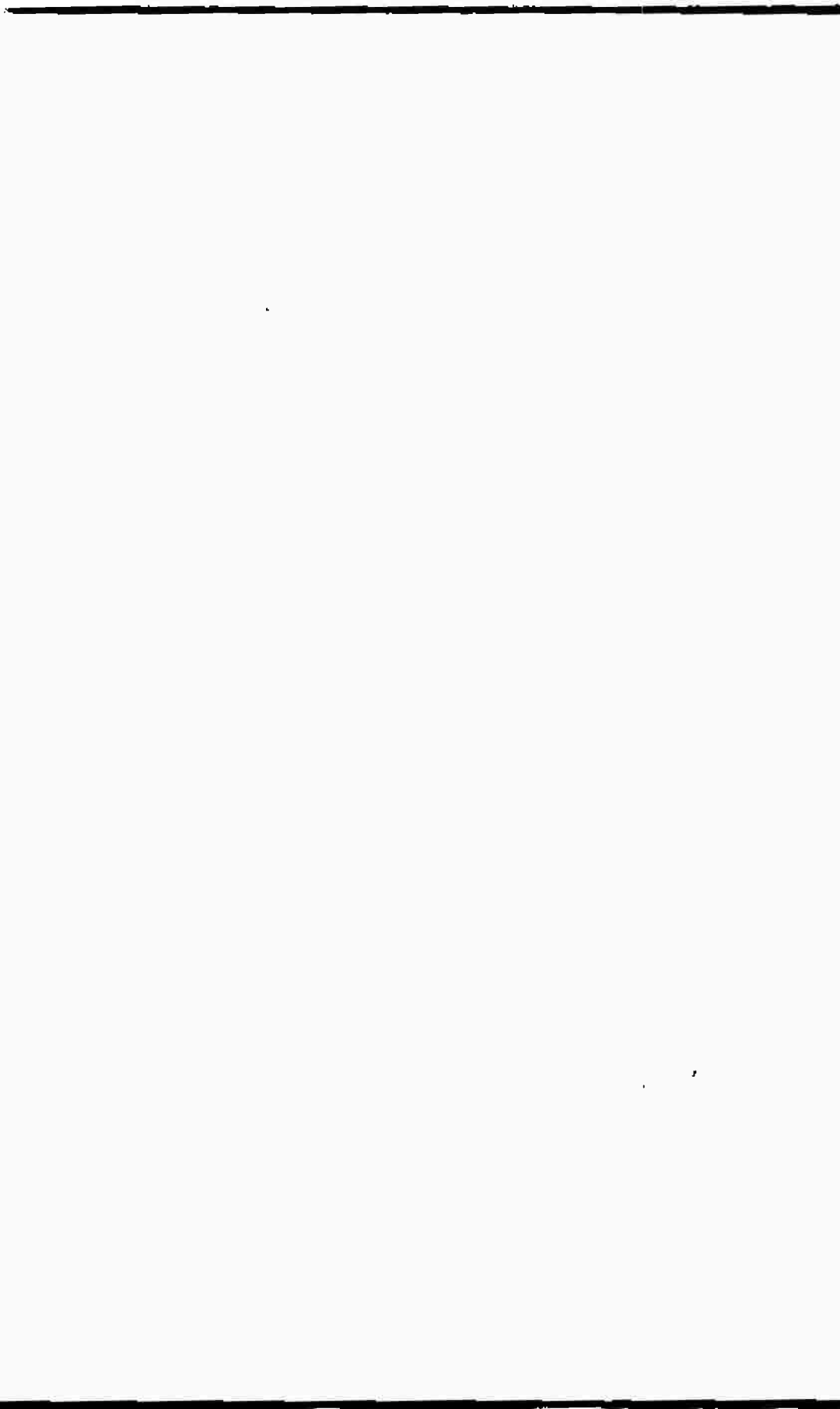
- 45 - Albright, (W.F.), the Bible and the Ancient Near East, London, 1961
- 46 - Albright, (W.F.), the Biblical period, From Abraham to Ezra, New york, 1963
- 47- Finegan, (J), Light from the Ancient past, I, Princeton, 1969
- 48 - Gardiner, (A.H.), Egypt of the pharaohs, Oxford, 1961
- 49 - Hall, (H.R.), the Ancient History of the Near East, London, 1963
- 50 - Hayes, (w.C), the Scepter of Egypt, 2vols, New york, 1953, 1959
- 51 - Hastings, (J.), A Dictionary of the Bible, Edinburgh, 1936
- 52 - Heaton, (E.W.), the Old Testament prophets, London, 1969
- 53 - Keller, (W.), The Bible As History, London, 1967
- 54 - Kramer, (s) the sumerians, Chicago, 1970
- 55 - Kramer, (s) , The Deluge, in ANET, 1966

- 56 - Lods (A.), Israel, From its Beginings to the middle of the Eighth Century London, 1962
- 57 - Macalister (R.A.S), the Topographe of Jerusalem, in CAH,III, 1965
- 58 - Naville (E.), Archaeology of the Old Testament , London, 1913
- 59 - Noth, (M.), The History of Israel, London, 1965
- 60 - Petrie, (W.M.F.), Egypt and Israel, London, 1925
- 61 - Philby, (J.B.), The Background of Islam, Alexandria, 1947
- 62 - Roth, (C.), Ashort Hiostory of the Jewish people, London, 1969
- 63 - Roux,(G.), Ancient Iraq, (Penguin Books), 1966
- 64 - Saurburie, (C.), The Holy Man in Israel, Astudy in the Development of prophecy, in JNES, 6, 1946
- 65 - Unger (M.F.), Unger's Bible Dictionary, chacogo, 1970
- 66 - Woolley, (L.) Ur of the chaldees, London, 1950
- 67 - Woolley, (L.), Excavations at ur, London, 1963
- 68 - Woolley, (L.), Abraham, Recent Discoveries and Hebrew origins, London, 1963
- 69 - Encyclopaedia Biblica
- 70 - Encyclopaedia Britannica
- 71 - Encyclopaedia of Islam

72 - the Jewish Encyclopaedia, New york, 1903

74 - The Westminster Historical Atlas to the
Bible, Philadelphia, 1946

الحجاز في الفكر السياسي إسلامي الهند
الدكتور / جمال حبر



الحجاز في الفكر السياسي لمسلمي الهند

١٩٢٦-١٩٢٤

مقدمة

لعل الخطوة الأولى في أي عمل علمي أن يُعرّف الباحث بالظاهرة موضوع الدراسة، وأن يبين جوانبها المختلفة، وأن يحاول ربطها بالظواهر الأخرى المحيطة، مما يسهم في تقديم فهم أولي وأدق لهذه الظاهرة.

أما الظاهرة فهي أن الحجاز - كان ولا يزال - يتمتع بأهمية خاصة للمسلمي الهند، وكان في الفترة ما بين عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٦، في بؤرة فكرهم السياسي، ولم يثبت أن شاركهم في هذه الظاهرة أحد من المسلمين غير العرب.

والفكر السياسي هو ذلك البيان الفكري المجرد، المرتبط بتصوير الوجود السياسي وتفسيره، وهرمثل كل ما يخطر في ذهن الإنسان حول أوضاعه السياسية، كما هي أو كما يجب أن تكون. وهين ننضج هذه الأفكار وتكامل، فإنها تشكل تياراً واحداً تصاحبه في الغالب حركة سياسية والفكر السياسي الذي نعنيه هنا ولید الواقع السياسي الذي عاشه مسلمو الهند في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، وهو الفكر الذي أدّى إلى قيام دولة باكستان في عام ١٩٤٧. وليس هذا البحث معنياً بهذه النتيجة بقدر ما هو معني بالطرق التي أدت إليها. وقد كان الالتفاف حول فكرة مستقبل الحجاز واحداً منها.

وأما مسلمو الهند، فهم جميع العناصر الإسلامية التي تقطن شبه القارة الهندية، على اختلاف توجهاتها السياسية، وقد كانت هذه العناصر تعاني ضيقاً سياسياً، وبحثت عن هوية بعد انهيار امبراطورية المغول الإسلامية

وسقوطها، وبعد سقوط الهند في قبضة الاستعمار البريطاني. وبعبارة أخرى، لأن مسلمي الهند هم تلك العناصر المقهورة المغلوبة على أمرها، بعد أن كانت لها الكلمة العليا في الهند على مدى ثلاثة قرون من الزمان على الأقل.

وأما الحجاز، فهو ذلك الشريط الساحلي الذي يمتد طولاً بين الساحل الشرقي للبحر الأحمر وسلسلة جبال الحجاز، ويمتد جنوباً إلى إقليم عسير، ويمتد شمالاً حتى يلامس طرف الهلال الخصيب عند فلسطين، وهو الإقليم الذي يضم أقدم مقلدات المسلمين في مكة والمدينة وقد كان جزءاً من دولة الخلافة العثمانية حتى الحرب العالمية الأولى، ثم نجا منحنى آخر حين قاد الشريف حسين الحركة المعروفة بالثورة العربية، بإشراف بريطانيا. ولما انتهت الحرب الكبرى بقي الحجاز ميداناً لحرب إقليمية بين قطبي شبه الجزيرة العربية: عبد العزيز آل سعود و الشريف حسين ووجهاء هذه التطورات كان مسلمي الهند رأي وموقف.

وبعد هذا البحث محاولة لإبراز مكانة الحجاز الخاصة لدى مسلمي الهند أثناء الصراع السعودي- الهاشمي على الحجاز، بين عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٦ . وقد أعملت فيه المنهج التاريخي الذي يهتم بالمصادر الأساسية والوثائق لتفسير الظاهرة. أي أنه يتخطى رصد الظاهرة إلى النقد والتحليل. وهو منهج يرفض التجريد، ويعظم الحوار بين الأفكار و النظم والحياة السياسية، ويركز على دراسة الواقع

واقاضي تطبيق هذا المنهج تناول ثلاث قضايا رئيسية :

القضية الأولى، وعني بظهور ملامح الشخصية السياسية لمسلمي الهند وبلورها.

والقضية الثانية، وتعني بالتغيرات السياسية في الحجاز فيما بين عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٦ .

أما القضية الثالثة، فتعني بالطموحات السياسية لمسلمي الهند في الحجاز عام ١٩٢٦ .

واقترني تناول هذه القضايا الثلاث لتحديد طبيعة الحركة السياسية علي ثلاثة محاور أساسية:

المحور الأول: هو محور العلاقات بين مسلمي شبه القارة الهندية و غير المسلمين فيها، وكان لحركته مردود علي تشكيل هويتهم القومية.

المحور الثاني: هو محور العلاقات بين مسلمي شبه القارة الهندية ودولة الخلافة الإسلامية، و كان لحركته أثر في تشكيل وتأكيد انتماء مسلمي الهند إلي دائرة عقائدية أوسع من الدائرة الجغرافية، التي تنال عناصرها السكانية.

المحور الثالث: هو محور العلاقات بين مسلمي شبه القارة الهندية والأراضي المقدسة في الحجاز. وهي علاقات روحية، تؤكد الحركة علي المحور الثاني، وتندمجها الحركة علي المحور الأول بقا.

هذه المحاور الثلاثة كانت تتحرك معا في وقت واحد بمقتضى الواقع التاريخي، وفي إطار عام شامل من السيطرة، أو النفوذ، أو العداء الذي فرضه الحضور البريطاني في كل من الهند والشرق الأوسط. ووجود بريطانيا في خلفية الصورة كفاسم مشترك أعظم، علي هذا النحو، يجعل من لهم طبيعة الحضور البريطاني مسألة غاية في الأهمية لفهم طبيعة حركة مسلمي الهند السياسية، والنتائج التي يمكن أن يسفر عنها.

وبعبارة أخرى فإن الحركة علي المحور الأول أفرزت الشخصية السياسية لمسلمي الهند في صورتها النهائية علي شكل دولة قومية ، تم ذلك بعد الفترة موضوع الدراسة بعشرين عاما تقريبا. أما الحركة علي المحور الثاني فقد أفرزت حركة الخلافة الهندية، التي كانت مسئولة عن قيادة الحركة السياسية في الفترة موضوع الدراسة، وأما الحركة علي المحور الثالث فهي مجال هذه الدراسة. والحركة علي هذه المعايير الثلاثة متكاملة، وبالتالي فلا يمكن تفسير كثير من الأمور التي جرت علي المحور الثالث دون وعي بما كان يجري علي المحورين السابقين

هكذا لا يمكن للباحث في تاريخ الحركة السياسية لمسلمي الهند أن يعي طبيعتها بعيدا عن فهم طبيعة المؤثرات الخارجية والظروف الداخلية، التي أحاطت بالمسلمين في شبه القارة الهندية، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى سقوط الخلافة في عام ١٩٢٤م. هذه الفترة التي يبلغ طولها ثلاثة أرباع القرن، كانت مليئة بالتغيرات السياسية والأيدولوجية، التي انعكست آثارها علي البلدان الإسلامية الواقعة تحت الاستعمار الأوربي في الشرق.

لقد نشأت الحركة السياسية الإسلامية في الهند علي أساس مقاومة المحتل، فقد اعتبر مسلمو الهند بلادهم "دار حرب" منذ مطلع القرن التاسع عشر، حين أصدر مولانا شاه عبد العزيز الدهلوي في عام ١٨٠٣ فتوي بهذا المعنى^(١). وكان علي مسلمي الهند أن يجاهدوا لتحرير بلادهم من الاستعمار البريطاني، ومع ذلك فقد كان الدافع العقائدي أقوى من الدافع السياسي في تلك المرحلة.

ولم تتبلور أفكار المسلمين الهنود السياسية قبل زيارة جمال الدين الأفغاني للهند في الثمانينيات من القرن التاسع عشر. كان جمال الدين يحلم،

في إطار دعوته لحركة الجامعة الإسلامية، بتكوين جمهورية إسلامية، تضم مسلمي وسط آسيا، وأفغانستان، والمقاطعات ذات الأغلبية الإسلامية في شمال غربي الهند^(٢). هذا التوجه السياسي الجديد الذي غرسه جمال الدين، ماكان له أن يتحقق بغير تفريغ هذه المنطقة من الاستعمار الأوربي في شتي صوره، ومن خلال حركة الجامعة الإسلامية، التي كانت تعني حركة المسلمين السياسية في اتجاه واحد

هذا الهدف الاستراتيجي ، التقت حوله الجامعة الإسلامية مع الثورة البلشفية، خلال الربع الأول من القرن العشرين، بصرف النظر عن الأهداف النهائية لهما ، وهي أهداف تختلف بالضرورة، التي يقرضها الصدام الأيديولوجي بينهما، وبالمصلحة التي تجعل من إنشاء كيان إسلامي ضخم في هذه المنطقة حزاما قويا جنوب الاتحاد السوفيتي يهدد مصالحه وطموحاته بالخطر، ومع ذلك فقد بنى الاتحاد السوفيتي - مرحليا - شعار " وحدة الشرق " الذي رفعه المسلمون الروس بين الحجاج في مكة عام ١٩٢٦ (٣).

هكذا كان الحجاز ميدانا مناسباً لنشاط هاتين الحركتين ، تهيأت فيه ميزات لا تتوفر في غيره ، فهو أرض مقدسة لا تخضع لنفوذ أجنبي ، وبالتالي فهو مسرح ملائم للإنسان المسلم المتهور الواقع تحت الاحتلال، يمر فيه عن طموحاته السياسية دون أن يلحق به أذى. ولذلك كان مسلمو الهند حريصين على أن يبقى الحجاز منبرا حرا لكل المسلمين. ومن الطرف أن الروس أدركوا أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه الحجاز في تيسير مخاطبة المسلمين والوصول إليهم في كل أرجاء الدنيا، فحاولوا استخدام هذا المسرح للخروج من العزلة التي فرضتها عليهم الدول الأوروبية بعد قيام الثورة البلشفية^(٤).

لم يكن الحجاز بالنسبة لمسلمي الهند مجرد أرض مقدسة ، تعنيهم كما

صنى جميع مسلمى العالم، وإذا كان لها خصوصية المتفنى الوحيد للتعبير عن أفكار مائة مليون مسلم، تحت الاستعمار البريطانى، ولا يتألفون مع للانسانه مليون آخرين من الهندوس والسيخ والمسيحيين وغيرهم، داخل شبه القارة الهندية، كان هؤلاء المسلمون يبحثون عن وطن مستقل، وهوية قومية، لم يجعلوها فى غير إطار الجامعة الإسلامية. وكانت مبادئهم المعنوية للدولة العثمانية نابعة من أن السلطان، خليفة المسلمين، هو رمز لتلك الوحدة الإسلامية المفقودة.

وفى الفترة موضوع البحث، خابت آمال مسلمى الهند مرتين، الأولى حين أعلن مصطفى كمال إنتهاء الخلافة الإسلامية فى استانبول عام ١٩٢٤، والثانية حين سقط الحجاز فى يدى عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - سلطان نجد، فى عام ١٩٢٦ .

ومع أن موضوع الخلافة الإسلامية فى استانبول ليس أحد مقاصدنا فى هذه الدراسة، إلا أنه ترك آثارا سلبية على طموحات المسلمين الهنود السياسية، ونشط إلى حد كبير حركة مقاومة الاستعمار الأوروبى، الذى كان منولا عن سقوط دولة الخلافة بشكل مباشر. ولا كان الحجاز يقف رسميا فى صف النزول التى أسقطت دولة الخلافة فى الحرب العالمية الأولى، فإن ذلك قد جعل مسلمى الهند يستشعرون مزبدا من الضياع السياسى، الذى حرك - فى نفس الوقت - مشاعرهم نحو دخليص المقدسات الإسلامية من أي حاكم زمنى، ووضعهم تحت إشراف حكومة إسلامية عالمية، تنتخب انتخابا حرا. فى هذه الظروف كان عبدالعزيز آل سعود قد نجح فى أن يكون ملكا على الحجاز.

ظهور الشخصية السياسية لمسلمى الهند

يرجع أصول الحضور العربى الإسلامى فى الهند إلى أيام الخليفة عثمان بن

عقان، الذي أرسل أولى الحملات الإسلامية إلى شبه القارة الهندية ومنذئذ بدأت بعض العناصر الإسلامية تستقر هناك، وبنى هناك إسلامية في إقليمى السند والبنجاب وبشكل هائل الجبل الإسلامى الأول. أما الجبل الثانى فهو من العناصر الهندية التى دخلت إلى الإسلام جاعا. وبأى الجبل الثالث - بعد ذلك - من المسلمين العرب الذين نزلوا على الساحل الغربى من الهند، حيث أقاموا هناك من أجل التجارة (٥). وهكذا كان التفاعل بين العرب والهنود عسريا وعقائديا وحضاريا.

وقد توطدت أركان الإسلام فى الهند على أهام المقول ولكن بعد أن دخلت الهند فى إطار الامبراطورية البريطانية، وأصبحت مركزا لها فى الشرق، نالت دولة المغول، ومضات نفوذ المسلمين، الذين قاطعوا البريطانيين وقاتلهم، مما أفسح المجال أمام غير المسلمين، فقتلوا الوطائف، وتغلبوا على المسلمين (٦).

وحين دارت الهند ضد بريطانيا فى عام ١٨٥٧، سعت بريطانيا إلى تأسيس جمعية وطنية، يمثل فيها الهنود ويرفع مطالبهم كانت هذه الجمعية نواة حزب المؤتمر الهندى الذى تأسس فيما بعد. وكانت هذه الخطوة - فى حقيقة الأمر - صمام أمان لبريطانيا، شعرت من خلالها على المزايا لها والخارجين عليها (٧). ولكن مسلمى الهند كانوا يشعرون فى هذه الجمعية أنهم أقلية، مما لا يمكنهم من رعاية مصالحهم ولعل هذا الاحساس هو الذى قاد إلى التفكير فى إنشاء جمعية إسلامية خارج المؤتمر الوطنى بمساعدة البريطانيين، الذين كانوا يسعون إلى تحقيق التوازن، فى شبه القارة الهندية. ضمانا لمصالحهم فتكونت "الجماعة المحمدية الإنجليزية" (٨) فى عام ١٨٨٨، ويبدو أن هذه الخطوة كانت تطورا " للجمعية الوطنية المحمدية" التى أسسها فى عام ١٨٧٧ سيد أمير

على، ثانى قاضى مسلم فى المحكمة العليا بكلكتا، وقد كان يدرك ما يتقص المسلمون من خبرة سياسية، وما يتفرق به غير المسلمين عليهم، وقد أصبحت هذه الجمعية تمثل رسميا وواقعيا " المجموعة الإسلامية" (٩٩). وفى عام ١٨٩٨ تالفت " المنظمة السياسية المحمدية" (١٠٠).

ويدور أن سياسة بريطانيا فى الهند لم تكن تهدف فقط إلى تحقيق التوازن بين الهندوس والمسلمين بالمساعدة على إبراز الشخصية الإسلامية، وإنما كان من بين أهدافها ألا تحقق اللقاء بين هذين الطرفين، انطلاقا من أن " بقاء حكما (بريطانيا) لهذه البلاد الكبيرة متوقف على أن نفرق بين جماعاتها الكبيرة القوية ، ثم نقسم كل جماعة منها إلى فرق متعددة" (١١١).

ويؤكد جون مينورده، عضو المجلس البريطانى لحاكم البنجاب أن الاختلاف بين الهندوكيين والمسلمين على العموم بدأ فى عهد بريطانيا" (١٢) ويذهب سيد أحمد خان (١٣). أحد مشاهير الزعماء المسلمين الموالين لبريطانيا، وأحد مؤسسى حركة عليكرة الشهيرة، إلى أن من الصعب معايشة المسلمين للهندوس إذا خرجت بريطانيا من الهند. لأنه فى حالة المعاشة "لابد لاحداهما أن تخضع الأخرى وتقهرها". ويتضح من هذا التصريح أن سيد أحمد خان كان يتبنى تطبيق التوجيهات البريطانية. وفى محاولة من جانبه لضبط المسلمين والهندوس معا فى قبضة بريطانيا، نراه يتفزل فى الهند بقوله "إن الهند كمروس جميلة عيناتها الهندوس والمسلمين، ويقوم جمالها على أن لعينيتها كليهما نفس الوميض والسكر" (١٤). ويذهب سيد أحمد خان إلى أبعد من ذلك حين ينهى أن يكون المؤتمر الوطنى قد أنشئ. بهدف الجمع بين الهندوس والمسلمين ، أو أن هؤلاء وغيرهم يتمنون إلى أمة واحدة، ويستبعد أن يتحقق ذلك فى المستقبل.

ومعنى ذلك أن الجبال التى تغزل به ، جبال مفقودة.

وبلهب الكاتب البريطانى الشهير بلنت W.S.Blunt فى الثمانينيات من القرن التاسع عشر إلى التاكيد على المعانى السابقة، حين كتب يقول : " إن الهند قارة متسعة جدا، وتستوطنها أجناس مختلفة متباينة، بحيث يستحيل توحيدها فى جمعية وطنية تضم ممثلين ينتخبون أى نظام يمكن تصوره... إن الحكم الذاتى فى جميع المسائل القومية بات حاجة ملحة...". ولكنه يشير إلى أن ما لحق بالمسلمين من أذى وأذى إلى ضياع هويتهم السياسية، " ليس بالذى لا يمكن علاجه ونظيره". (١٥)

لقد تازمت العلاقات بين المسلمين والهندوس إلى حد أن التعايش بين الطرفين صار فى عام ١٨٩٠ مليئا بالحساسيات التى لا يمكن تجاهها ، أو على حد تعبير الصحفى الروائى الهندى عبدالحليم شرار "لقد أصبحنا فى زمن من المتعثر فيه أداء الشعائر الدينية لأحدى الأمتين دون أن يس احتصالات الشك لدى الأخرى". (١٦)

وعين شغل كيرزون منصب نائب الملك فى الهند سعى إلى تحقيق مزيد من التوازن بين الكثرة الهندوسية والمسلمين، فاقترح فى سنة ١٩٠٥ تقسيم البنغال إلى منطقتين، إحداهما إسلامية، يكثر فيها المسلمون، ليتمكنوا من بلورة شخصيتهم السياسية. ويعتقد سليم الله نواب دكا "أن التقسيم متعنا فرصة عظيمة لكى تتحرك، وأيقظ فى قلوبنا طغقات قومية جديدة" (١٧). هكذا بدأ الإحساس القومى لدى مسلمى الهند يظهر لأول مرة، وبرزت ملامحه عندما أربط ذلك بالمكان، وهو مالم يكن مهينا من قبل لهم.

صحيح أن الإطار القومى لدى بعض الشعوب الإسلامية قد ساعدها على

حل بعض مشاكلها، ولكن غياب هذا الإطار لدى مسلمي الهند، عثد من مشاكلهم وأطال فترة حلها، ولم يكن ذلك ممكنا قبل نهاية التعف الأول من القرن العشرين، حينما أنشئت دولة باكستان، كترجمة عملية لهذا الإطار. معنى ذلك أن المسافة الزمنية بين مشروع تقسيم البنغال فى ١٩٠٥ وقيام دولة باكستان فى عام ١٩٤٧، إنما كانت محاولات متواصلة لبلورة هذه الفكرة القومية وحتى قيام الكيان القومى الاسلامى فى الباكستان، لم يكن أمام مسلمى الهند أى إطار قومى متاح، وكان الخيار الوحيد أمامهم هو الإحتماء فى إطار المجتمع الأوسع، الذى يشمل جميع مسلمى العالم معا^(١٨). ويرجع الفضل فى هذا الإجماء إلى جمال الدين الأفغانى، كما سبق أن أشرنا.

ولعل الصراع الذى نشأ بين المسلمين والهندوس، منذ أواخر القرن التاسع عشر، هو الذى يلور شخصية المسلمين السياسية فى المقام الأول. فالهندوس كانوا ينظرون إلى المسلمين على أنهم دخلاء، كالأنجليز تماما ، يريدون أخذ بلادهم، ولعل إحساس الأنجليز بهذا التوجه لدى الهندوس هو الذى دفعهم إلى مساعدة الحركة الاسلامية كى تحفظ التوازن فى مواجهة الهندوس.

ويبدو أن التجربة السياسية لمسلمى الهند صارت أكثر نضوجا فى عام ١٩٠٦، أو كما يقول أنما خان فى مذكراته: "علمتنا التجارب أنه لا أمل فى إنصافنا عن طريق الانضمام لحزب المؤتمر، أو التحالف معه، ولذلك فقد طلبنا من نائب الملك - فى شجاعة- أن يقف أمام الحقائق وجها لوجه، طالبين أن يعتبر مسلمو الهند، لا مجرد أقلية، بل أمة ضمن أمة، يجب أن تضمن حقوقها، ويعين واجباتها فى القانون".^(١٩).

ولقد بدأ مسلمو الهند يعملون فى كل مكان من أجل توكيد هويتهم السياسية، وفى عام ١٩٠٨ أسسوا الرابطة الاسلامية فى لندن London

Muslim League ، وفى عام ١٩١٢ اعترض سيد أمير على على قبول رئاسة حزب المؤتمر ، بل دعا إلى خروج المسلمين منه ، وكان يردد " إن أوربا تكرر وحدة ثقافية متجانسة إلى حد أكبر بكثير جدا من وحدتنا المصطنعة المسماة الهند" (٢٠). وتأسست تبعا لذلك ، فى نفس العام ، الرابطة الإسلامية فى الهند ، وانتخب أغا خان أول رئيس لها. وبذلك انتهت محاولات التوفيق بين المسلمين والهندوس للتعايش معا فى إطار قومي واحد. ويفسر أحد الباحثين الأمريكيين ذلك بأن المسلمين وجدوا أنفسهم "مهددين بهدايا الهندوس الذين يسعون إلى إعادة الحكم البرهمنى الغاشم" (٢١).

جاء إنشاء الرابطة الإسلامية - تجسيدا لهيئة خاصة بالمسلمين تتحدث باسمهم وتدعى مصالحهم - بعد عشرين عاما من تأسيس حزب المؤتمر ، الذى يعنى بكل الهنود. وبينمابقى ذلك هو هدف حزب المؤتمر من الناحية النظرية ، كانت الرابطة الإسلامية ، التى نشأت فى أحضان الأرستقراطية الإسلامية ، تبنى بمصالح المسلمين فقط ، ولم يكن لها رصيد شعبى يعادل رصيد حزب المؤتمر ، ولذلك لم يكن لمرورها شأن كبير ، إلا بعد أن رد الهندوس بتكوين رابطة خاصة بهم ، قامت على أكتاف مجموعة من المتعصبين. (٢٢).

وقد شهدت فترة الحرب العالمية الأولى هتفة بين حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية ، استمرت فيما بين عامى ١٩١٥ و ١٩٢١ خلال تلك الفترة اتفق الطرفان على المطالبة بالحرية ، ولكن المسلمين تبينوا أن الهندوس يريدون أن يحرقوا المسلمين بأكثرتهم ، فاعادوا تنظيم أنفسهم للعمل فى إطار الحركة الإسلامية العامة ، من أجل بلورة شخصيتهم السياسية (٢٣).

دور حركة الخلافة في بلورة شخصية مسلمى الهند السياسية:

ساعد فشل تجربة الوفاق القومى بين مسلمى الهند وغيرهم في شبه القارة الهندية على توطيد صلات المسلمين بدولة الخلافة الاسلامية، باعتبار أن الخليفة رمز لوحدة المسلمين. ولكن حين وقف العثمانيون في المعسكر المعادى لبريطانيا صار موقف المسلمين حرجا، فأصبحوا موزعين بين الولاء الروحي لدولة الخلافة والتبعية السياسية لبريطانيا. ولاشك في أن ذلك أحدث تمزقا شديدا بين المسلمين وبعضهم، وبين المسلم ونفسه، في شبه القارة الهندية. وخشية أن يقوم المسلمون بحركة تمرد ضد بريطانيا من أجل العثمانيين، لجأت بريطانيا إلى المداع السياسية، حين وعدت المسلمين بالأمان على ممتلكاتهم، وباحترام وضع الخليفة العثماني، ولم يلتزموا بما وعدوا، كما هو شأنهم في منطقة الشرق الإسلامي. ولم يستطع وزير الهند إدوين مونتيج E. Montagu أن يقاوم حقد رئيس الوزراء لويد جورج على تركيا. (٢٤)

في هذه الظروف أسس الأخوان محمد وشوكت على حركة شعبية حيوية، هي حركة الخلافة، التي ألهبها العلماء، والتي تعتبر مقدمة لحركة إسلامية عامة. ولكن بعض العلماء كانوا لا يزالون يرون أملا في التعامل مع بريطانيا، بينما كان عامة المسلمين الهنود، الذين ربما لم يسمروا عن تركيا، قد أخذوا يندفعون لتأييد هذا التوجه الإسلامي. (٢٥) كان هدف الحركة واضحا في اسمها، فقد كانت تسعى إلى مساعدة الأتراك حملة لواء الخلافة، حاملة الطابعين الدينى والسياسى معا، ودفعها إلى ذلك الغيرة على مقام الخلافة والحرص على تطهير البلاد المقدسة في الحجاز من نفوذ الأجانب. (٢٦).

لقد كان توجه المسلمين الهنود إلى العالم الإسلامى أقوى من توجههم إلى الهند، وذلك لعدم وجود روابط قومية قوية مع شركائهم في الوطن. ومن

التناقضات التي وقع فيها المسلمون وألهمت مشاعرهم ضد بريطانيا، ودفعتهم - في نفس الوقت - إلى الانضمام إلى حركة الخلافة، أن معظم الجنود الذين حاربوا الدولة العثمانية في الشرق، كانوا من مسلمي الهند، الذين اعتبروا ذلك عاراً لحق بهم. وحين انتهت الحرب، كان مسلمو الهند يتحدون لر أن تركيا "تتعت بالسلام مع الشرق"، ولو أن الخليفة استطاع ممارسة صلاحياته لتحقيق حكم إسلامي حر، يمتد ليشمل الأراضي المقتلعة في المهجاز. (٢٧)

لقد أظهرت جمعية الخلافة اهتماماً حقيقياً بمسألة الخلافة، وبمستقبل تركيا، واعتبرت ذلك شرفاً يلحق بها. وكان محمد علي على استعداد لمناقشة هذا الأمر مع جميع المسلمين في الهند، واستطاع أن يوصل صوته إلى كل مكان، في القرى والمدن، ورأت بعض العناصر الإسلامية أنها إن لم ستطع أن تتحرر من الحكم البريطاني "المشرك"، فإن عليهم أن يهاجروا إلى بلد مسلم حر، يعبرون فيه عن آرائهم، ويمارسون فيه شعائرهم بحرية. (٢٨)

كان الهنود، مسلمون وغير مسلمين، يسهون لتحقيق شيء من الاستقلال. ولكن بريطانيا كانت تعرف تلك الحقيقة التي يعرفها ماسو الهند جيداً وهي أن الهند ليست أمة، ولا حتى مجموعة أمم متجانسة، وربما أدى تخفيف قبضتها على هذه البلاد إلى دخول قوى أخرى مثل روسيا. ولكن محافظ بريطانيا على وضعها في الهند، كان لابد أن تؤكد عليه مهما كان الثمن. لذلك كان قرارها بتأجيل الإصلاحات والوعود التي سبق أن قدمت، فأدى ذلك إلى انطلاق المظاهرات في كل مكان ضد بريطانيا من مختلف العناصر الهندية، عندئذ فقط أظهر البريطانيون بعض المرونة. (٢٩)

في هذه الظروف، ظهر غاندي يدعو إلى فكرة العصيان المدني، أو المقاومة السلبية، أو عدم العنف، وكان المسلمون أسرع العناصر الهندية فهما للحركة

واستجابة لها. كانت حركة الخلافة هي البادئة بقبول برنامج غاندى، وحدد اليوم الأول من أغسطس ١٩٢٠ بداية لتلك الحركة (٣٠)، التى كان يسعى غاندى من ورائها إلى تأسيس حركة قومية تجمع كل الاتجاهات، ولم يكن اتجاه المسلمين الانفصالي من القوة - فى ذلك الوقت - بحيث يحول دون انضمام باقى المسلمين إليه. ومع ذلك فلم تكن فكرة إنشاء حكم محلى برعى شئونهم مجدية، لأن هذا الأسلوب - فى تقديرهم - لن يقود إلى حكم اسلامى؛ ذلك أن الوحدة القومية ستؤدي إلى ذوبان ربع سكان الهند من المسلمين في باقى السكان من الهندوس والسيخ والمسيحيين وغيرهم، ولم تكن هذه النتيجة تروق للمسلمين. (٣١)

ومهما يكن من أمر، فقد أسفر المؤتمر الوطنى الهندى فى عام ١٩٢٠ عن قرارات تربط قضايا الهند القومية بالقضايا الاسلامية العامة، حين وضع مطلبين محددين أمام بريطانيا؛

المطلب الأول ، أن تمنح بريطانيا الحكم الذاتى للهند،

والمطلب الثانى، أن تسمح بريطانيا لتركيا بسلام متصرف

ولكن عدم الثقة فى وعود بريطانيا جعل غاندى يشن حملة واسعة من أجل عدم التعاون معها، وبالتالي تركت مسألة " السلام مع الشرف" فى العراء للمسلمين وحدهم، ولم تكن للمسلمين حتى ذلك الوقت صفة سياسية خاصة بهم، ليشتاوروا مع بريطانيا. (٣٢)

فالاتجاه القومى فى نظر المسلمين هو ذلك الاتجاه الذى ينجم مع تراثهم الاسلامى ويحقق لهم على أرض الهند دولة إسلامية خاصة بهم. ولم يكن غاندى يعتقد فى ذلك، ولا فى أن بإمكان الهنود أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم فى إطار من العدالة، وأن الأمر فى نظره يحتاج إلى سنوات من الإعداد والتهيئة. أما

المسلمون فقد أصيبوا بخيبة أمل كبيرة، فلا هم حققوا بأنفسهم الوطن القومي على أرض الهند، ولا الحماية تحت المظلة الإسلامية، لأن الأتراك تخلصوا من السلطان وألقوا الخلافة (٣٣)

فى ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣ أعلن تكوين الجمعية الوطنية التركية، التى انتخبت مصطفى كمال رئيسا لها، وكانت الرغبة متجهة نحو الاحتفاظ بالخلافة مؤقتا، ولكن مصطفى كمال سرعان ما أدرك أن مجرد وجود زعيم دينى خليف بآن يصح بمثابة مركز الدائرة التى يلتف حوله المسلمون وأدت توجيهات مصطفى كمال نحو الحضارة الغربية إلى الانصراف كلية عن الماضى الإسلامى، لأن الارتباط بالماضى - فى نظره - كان سيقوقه عن بلوغ أهدافه، ولذلك اتخذت الجمعية الوطنية قراراً بإلغاء الخلافة وإخراج الخليفة من البلاد. (٣٤)

كان لهذه الخطوة صدى استياح عميق لدى مسلمى الهند، الذين علقوا على تركيا آمالا كبارا فى الخلاص من الاستعمار البريطانى، وانقسم مسلمو الهند على أنفسهم، فتقدم محمد على زعيم حركة الخلافة الهندية للدفاع عن مصطفى كمال، واعتبر أن ما أقامه من حكم جمهورى لا دينى فى أنقرة، هو أقرب إلى نظام الحكم فى الإسلام. وأيد التجربة التركية عدد كبير من المسلمين، مؤكداً على أنه لا سبيل لنهوض المسلمين إلا بالتخلص من نفوذ العلماء والشايخ والسير على خطى الأتراك. بينما راح سليمان الندوى يوظف مجلته "معارف" للدفاع عن الإسلام (٣٥).

الأمر الذى لا خلاف حوله هو أن الفجوة بين مسلمى الهند وبريطانيا أصبحت أوسع منها فى أى وقت مضى، ذلك "أن الدولة التى تنوس الخلافة الإسلامية تحت أقدامها، ولا تندم على ما أقترفته فى الهند من القذائع والمنكرات، لا تستحق أن يخلص لها أحد من أبناء هذه البلاد، لأنها بأعمالها،

أصبحت عنوا للإسلام والمسلمين". (٣٦)

لقد أصبحت بريطانيا مستهدفة من مسلمى الهند، على مستوى شبه القارة، في سعيهم إلى الاستقلال، كما أصبحت مستهدفة أيضا في مناطق نفوذها في العالم الإسلامي، وقد عبر محمد علي، زعيم حركة الخلافة عن هذا الاتجاه حين قال: " إننى أُنسى إلى دائرتين متساويتين في الحجم إلا أنهما لا تتحدان في المركز، إحداهما الهند، وأما الأخرى فهي العالم الاسلامى" (٣٧). هذه النافذة الثانية هي التي سيركز -من خلالها- محمد علي وحركة الخلافة ومسلمو الهند اهتمامهم بشئون قلب العالم الاسلامى في إحدى مراحل التعبير السياسى فيه.

التغييرات الصورية في الدجال ١٩٢٤-١٩٢٥:

كما حاولت بريطانيا أن تلعب لعبتها الدبلوماسية في إحداث التوازن بين القطبين الرئيسيين في الهند (المسلمون والهندوس)، وهو ما ساعد على بلورة الشخصية السياسية لمسلمى الهند في نهاية الأمر، رأى صناع السياسة البريطانيون - على اختلاف اتجاهاتهم- أن الباق الذى جرى بين عبد العزيز آل سعود والشريف حسين على جانبي شبه الجزيرة العربية، يجب أن ينتهى لصالح الخطة الاستراتيجية البريطانية، وليس لصالح قضية إقامة دولة عربية كبرى، تحت حكم هنا أو ذاك؛ لأن إقامة مثل هذه الدولة كان - في نظر كبار الساسة البريطانيين- "أخطر على الدول المبحية من دولة عثمانية قوية. وهذا المسئولون البريطانيون معينين بضرورة حفظ التوازن بين شرقي شبه الجزيرة العربية وغربيها، بدلا من تلك السياسة العرجاء، التى تعتمد على أحد القطبين مرة، وعلى القطب الآخر مرة أخرى. (٣٨)

لقد نشأت السياسة البريطانية العرجاء من : ١ - بنى حكومة الهند البريطانية - بالضرورة - للاتجاه الإسلامى ، فنادى بالقلقل السياسى فى الهند، وفى غيرها من المستعمرات، التى يوجد بها أعداد كبيرة من المسلمين، ومن ٢ - بنى المكتب العربى بالقاهرة لسياسة مناصرة الاتجاه العربى، كسبا لتأييد العناصر العربية لبريطانيا فى الحرب العالمية الأولى. ولا معنى ذلك التناقض الظاهرى أن السياسة البريطانية كانت متناقضة، فليس من الضرورى أن يعترف جميع السياسيين البريطانيين نونة موسيقية واحدة فى سبيل تحقيق المصالح البريطانية العليا. ولهذا فإن تصوير السباق بين عبد العزيز آل سعود والشريف حسين، فى شبه الجزيرة العربية، بأنه رهان بريطانى على جوادين فى سباق واحد، هو تصوير خاطئ. فقاما، لأنه كان فى الواقع رهانا على جوادين فى سباقين مختلفين. (٣٩).

كانت الاستراتيجية البريطانية تسعى جادة إلى تكوين سلسلة من البلدان الخاضعة النفوذ البريطانى - فى شكل أو فى آخر - ما بين شرق البحر المتوسط وجنوب شرقى آسيا، وإعاققة الإصال بين الشمال والجنوب فى هذه المنطقة، لإجهاض المخططات الروسية. وبينما تمسكت الهند البريطانية بهذه السياسة حرفيا، كانت وزارة الخارجية البريطانية أكثر مرونة. ولكن يبقى أن نوضح أن هذه المنطقة ذاتها، أو أجزاء منها على الأقل، كانت داخلة فى برنامج جمال الدين الأفغانى لتكوين دول إسلامية كبرى، وكانت داخلة، فى نفس الوقت، فى برنامج الإتحاد السوفيتى - فيما بعد - لضم ما يمكن ضمة منها، أو تفرغها من الوجود الأوروبى على الأقل. (٤٠)

ومع أن بريطانيا وضعت حدا للطموحات الألمانية والعثمانية فى الحرب العالمية الأولى، إلا أنها لم تستطع أن تضع حدا للتطورات التى جرت فى شبه

الجزيرة العربية، بين عبد العزيز آل سعود والشريف حسين. فقد فشل مؤتمر الكويت (١٩٢٣ - ١٩٢٤) في التوفيق بين الزعيمين، وראت بريطانيا أنها لم تعد بحاجة إلى أى منهما. في هذه الظروف، رأى عبد العزيز آل سعود أن نسوية خلافاته مع الشريف حسين وأبنائه، لن تتم إلا بالقوة، وذلك حين نهب إلى علم إيقاع اللوم بنجد "إذا اتخذت وسائل أخرى أضمن لحياتها وأحفظ مركزها". (٤١)

وساعد إلغاء زعماء تركيا الجديدة لتصب الخليفة، وإعلان الملك حسين نفسه خليفة المسلمين، في احتفال أقيم في شرق الأردن في منتصف مارس ١٩٢٤، على تنمية الإتحاء باستغلال القوة عند عبدالعزيز آل سعود الذي كان من أوائل من سارعوا بمعارضة هذه الخطوة، التي لم يستشر الملك حسين المسلمين بشأنها. وكان ذلك أحد المبررات التي دفعت عبد العزيز لمعارضة الحسين فقد عقد في الرياض -حول ذلك الوقت- اجتماع عام، برئاسة الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، والد السلطان عبد العزيز، الذي خاطب الناس مشيراً إلى ظمهم من علم أداء لفريضة الحج، بقوله: "وصلنى كل ماكتبتموه وأعطت علما بكل ماشكوتونه، إن لكل شئ نهاية، فلا تياسوا، وإن الأمور مرهونة بأوقاتها". (٤٢)

ولكن صبر الإخوان التحمسين نفد، وعبر عن ذلك أحد زعمائهم، سلطان بن بجاد، حين وجه حديثه إلى عبد العزيز، قائلاً: "حنا تبغى الحج، ولا نريد أن نصبر أكثر مما صبرنا ... ليست مكة ملكا لأحد، ولا بحق لأحد أن يمنع المسلمين، أو يصد المؤمنين عن أداء لفريضة الحج، نريد أن نحج بأعبد العزيز، فإذا منعنا الشريف حين دخلنا مكة بالقوة. وإذا كنتم ترون أن من المصلحة تأجيل الحج هذا العام، فلا بد من غزو الحجاز لنخلص البيت الحرام من أيدي

الظالمين المفسدين". (٤٣)

كان عبد العزيز آل سعود قد منح التجديدين من الحج لمدة خمس سنوات، فغادها لوقوع صدامات بين رجاله والأشراف في الحجاز. ولكنه قال في الرد على ابن بجاد "...لست أرى في تطور الأمور ما يبعث الأمل، بل أرى الأمور تزداد شدة وازدياداً، ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تعزز حقوقنا ومصالحنا". يقول الريحاني، عنئذ هتف الجميع " تركنا على الله... إلى الحجاز.. إلى الحجاز". (٤٤)

أما عبد العزيز آل سعود فأعلن - بعد استفتاء العلماء - "إني مسافر إلى مهبط الوحي لنبط أحكام الشريعة... فبعد الآن لا يكون سلطان في مكة إلا للشرع، وجميع الرؤوس يجب أن تطأطئ للشريعة" (٤٥)، وهكذا بدأت الحرب من أجل الحجاز، بعد ستة أشهر فقط من مؤتمر الكويت.

في هذه المرحلة تحرك مسلمو الهند معارضين الشريف حسين، لإعلانه نفسه خليفة للمسلمين، واعتبروه خائناً للدين، ومتمرداً على الخليفة الشرعي، منذ إعلانه الحرب عليه، وقد نسفت جمعية الخلافة الهندية، التي بنت هذا الاتجاه، معارضتها للحسين، مع عبد العزيز آل سعود (٤٦). ولكن عامة مسلمي الهند بدأوا يتخوفون من احتمالات تهديد الإخوان التجديدين لأمن الميلاج في الأراضي المقدسة، إذا قرر لهم أن يضعوا أيديهم عليها. خاصة وأن نشاطاتهم التخريبية على حدود العراق وشرق الأردن، وما أعملوه من تنمير وقتيل، أثناء هجومهم على الطائف، قد انتشرت أخبارها بسرعة بين المسلمين عامة.

ومع أن نتائج منبهة الطائف قد بولغ فيها، إلا أن أصداها كانت عنيفة في الهند وفي غيرها، أكثر من أي أعمال أخرى. يقول فيليبي، الذي كان

معاصرا للأحداث: "ومع أن عدد القتلى لم يتجاوز ٣٠٠، إلا أن هذا كان كافيا لث الرعب والذعر في مكة البعيدة وفي جدة" (٤٧). ويقول أمين الريحاني ، الذي كان هو الآخر معاصرا للأحداث: " كان لحوادث التخريب في الطائف أثر سيخي نفس عبد العزيز، فأمر بتأليف لجنة لتقرير الخسائر، والتعويض عن المنكوبين من الأهالي ومن الهند والجاويين" (٤٨). وفي نفس الوقت أصدر عبد العزيز أوامره إلى قوات الإخوان المتحصة، كي تربيء الهجوم على المدن المجازية، وتجنب الأعمال الحربية في الأراضي المقدسة واضطر عبد العزيز إلى إصدار بيان حول مسألة الطائف، أعرب فيه عن أسفه لما جرى من أعمال تخريبية، وأرجع بعضها إلى قوات البدو، التي كانت قد وافقت الأمير على بن الحسين (الملك على فيما بعد) حين استغلت فرصة إنسحابه ، وبشرت نشاطها التخريبية. (٤٩)

أدت أحداث الطائف إل اضطراب في معظم المدن المجازية، وخاصة في مكة والمدينة وجدة. وسارع الأعيان والتجار لانقاذ بلادهم من اللغز الذي يمكن أن يلحق بها، لو دخلها الإخوان بالقرعة. ورأى أهل جدة أن يتنازل الحسين لابنه على، إنقاذاً للمرقف، وفقادها للصدام مع عبد العزيز وقواته، على أن يصبح على "ملكاً على الحجاز فقط، مقيداً بالستور، شرطاً أن ينزل على رأي المسلمين وأهل الحجاز، في تحقيق آمالهم ورغائبهم، في إصلاح شئون البلاد المادية والمعنوية". واقترح أعيان جدة ومكة مما تشكيل مجلسين، أحدهما نيابي وطني لإدارة الأمور الداخلية والخارجية، والآخر مجلس للشورى ينتخب أعضاؤه من بين المسلمين على اختلاف بلادهم، ومهمته الإرشاد وتقديم العون والإصلاح. ومع أن الملك حسين رفض هذه الأفكار عدة مرات، إلا أنه امتثل في نهاية الأمر (٥٠). وفي ٤ أكتوبر يبيع على ملكاً على الحجاز، طبقاً لشروط وضعها الأعيان، منها ترك مسألة الخلافة للعالم الاسلامي

لم يقتنع عبدالعزيز أو الاخوان بفكرة تنازل الحسين لابنه، وأصرروا على إخراجهما معا من الحجاز، لتقدمت قوات عبد العزيز نحو مكة، واحتلتها في ١٢ أكتوبر ١٩٢٤، أي بعد أسبوع واحد تقريبا من تولي الملك علي الحكم ولكن عبد العزيز أراد أن يرفع عن نفسه أي اتهام بتحقيق طموحات شخصية في الأراضي المقدسة، فأعلن أن هدفه الرئيسي هو تطهيرها من الفساد. ولكي يضع هذه الأفكار موضع التنفيذ، طلب إلى العالم الاسلامي أن يرسل مندوبين عنه إلى مكة ليناقشوا معه مستقبل الحجاز (٥١)

وفي الوقت نفسه، أبرقت لجنة الأعيان المجازية إلى مختلف أقطار العالم الاسلامي، تدعو للتدخل لوقف القتال، وإرسال وفود قتلهم في مهمة الوساطة وطالب الأعيان عبد العزيز بهدنة مؤقتة، إلى أن تصل وفود العالم الاسلامي (٥٢) وبينما كانت زعامات إسلامية وعربية كثيرة مشغولة بقضاياها، استجابت جمعية الخلافة الهندية للتنازل، فقد كانت زعامة الجمعية أكثر ميلا لعبد العزيز آل سعود، وأكثر حرصا على تأمين طموحاتها، بتكوين حكومة إسلامية ديمقراطية في الحجاز. (٥٣)

لقد كانت جمعية الخلافة الهندية تتكلم باسم العالم الإسلامي، واستمد عبد العزيز من تأييدها له في الحجاز قوة على قوته، فتسرع هو الآخر مخاطب العالم الاسلامي . ويناشده إخراج الحسين وأولاده من الحجاز. وكتب - بناء على ذلك - إلى الملك على يقول: "...إذا كنتم تحبون السلام وحقق النعماء، اخلوا الحجاز، وانتظروا حكم العالم الإسلامي، فإن اختاركم أو اختار غيركم، فنحن نقبل حكمه بارتياح. أما إذا بقيتم في أرض الحجاز ، فإن مسئولية ما قد يقع من الحوادث تقع على عاتق غيرنا". (٥٤)

رأت جمعية الخلافة الهندية إرسال وفد لاستطلاع الموقف في الحجاز، واتصل شوكت علي، زعيم الجمعية بمحمد الطربل، رئيس الحزب الوطني الحجازي وناظر الجمارك، في النصف الثاني من أكتوبر ببلغه باستعداد الجمعية لأن تتوسط بين سلطان نجد وملك الحجاز. فوصل إلى الحجاز وفد من سبعة أشخاص، يمثلون جمعية الخلافة، اجتمعوا بالملك علي فور وصولهم، ثم التقوا بالسلطان عبد العزيز في مكة، ولم يسفر هذه الاجتماعات عن موقف حاسم محايد لتحقيق مصالح الحجاز، فقد رأي الوفد أن الملك على يطمح إلى توطيد عرشه، على حساب شعوب الهند الإسلامية... وأن واجب الشعوب الإسلامية، أن تتحد وتضامن، لإيجاد حكومة راقية في الحجاز، تولي حماية الحجاج وسهر على راحتهم. (٥٥)

امتثل عبد العزيز للهدنة التي طلبها الحجازيون، انتظارا لموقف واضح من العالم الإسلامي، تاركا الملك على في جنة، بينما استغلت حكومة الحجاز ظروف الهند، وارسلت وفدا رسميا إلى الهند، في يوليو ١٩٢٥، بهدف تربية خلافتها مع جمعية الخلافة والتقى رئيس الوفد (محمد الطربل) بشوكت علي (رئيس الجمعية) وبعض أعضائها، واتفق الطرفان على أن تواصل الجمعية توسطها بين عبد العزيز وعلى، وأن تتوقف عن الدعاية "للوهابية". ويبدو أن هذه المواقف كانت لردية، ولم تكن تعبر عن الموقف الرسمي للجمعية وقد فتح الاختلاف في الرأي بين أعضاء الجمعية الباب لتوجيه الاتهامات إليها، بأنها كانت وراء الهجوم "الوهابي" على الحجاز.

وحيث حل موسم الحج لعام ١٩٢٥، جاءت الفرصة ليتنبه العالم الإسلامي للتطورات التي كانت تأخذ مجراها في الحجاز، فقد كان المسلمون الراغبون في زيارة الأماكن المقدسة قلقين على سلامتهم في التنقل بين الأماكن المقدسة لذلك أصدر السلطان عبد العزيز، في ٢٥ فبراير ١٩٢٥، إعلانا لجميع المسلمين

مرحب فيه بحجاج بيت الله، ويعلمهم بضمان سلامتهم وأمنهم^(٥٦). وبالرغم من هذا العرض السعودي، الذي يتحمل السلطان عبد العزيز فيه - لأول مرة - مسئولية الأمن في الأماكن المقدسة، فقد شعر بعض المسلمين بالقلق من خطورة الموقف، وامتنعوا عن السفر إلى الحجاز. ومن جهة أخرى، لم تشأ بعض الحكومات أن تسمح لرعاياها في هذه الظروف بالسفر للحج. إلا أن حكومة الهند البريطانية كانت من بين الحكومات التي أعلنت عن عدم تدخلها في شؤون رعاياها المسلمين، سواء بمنعهم من أداء فريضة الحج، أو ضمان سلامتهم في حال سفرهم، وأعلنت في مناسبتين (أبريل ومايو ١٩٢٥) أن على كل من يريد الذهاب إلى الحجاز أن يتحمل نتيجة مغامرته^(٥٧).

لقد حرصت حكومة الهند البريطانية، وهي حكومة غير إسلامية، أن تجنب أية مشاكل تنتج عن اعتقاد بعض المسلمين، أنها حالت دون سفرهم لتأدية الفريضة، وبالتالي يبدو كما لو كانت معارضة للسلطان عبد العزيز، الذي كان يعنيه أن يتم موسم الحج بشكل طبيعي. في أول مرة يعلن فيها تحمله لمتولية أمن الأماكن المقدسة. هكذا وجدت بين الذين امتنعوا عن السفر خشية الخطر، والذين منعوا من السفر، أعداد قليلة سافرت إلى الأماكن المقدسة في عام ١٩٢٥.

ولكن حين عاود المتحاربون في الحجاز نشاطهم من جديد بعد انتهاء موسم الحج، أدرك العالم الإسلامي أنه معنى إلى حد كبير بحاضر الأماكن المقدسة ومستقبلها، ففي ٢٠ أغسطس ١٩٢٥، أثناء هجوم الإخوان على المدينة، التي سلمت دون مقاومة، أعلنت حكومة الحجاز الهاشمية أن الروهابيين أصابوا مقبرة الرسول، ودمروا جميع مقامات وأضرحة أئمة المسلمين الأولين. وطبقا لما أورده تومبسي، فإن التقرير الذي بعث به الهاشميون عن الحادث، قد أثار حالة

من الغضب العنيف في العالم الإسلامي. (٥٨)

يقول الرحاني، وانتشرت الشائعات حول نشاط الإخوان في مكة، وخاصة عمليات هدم قبور الصحابة وآل البيت ، "فاجتمعنا في قنصلية هولندا ببعض الجاويين العائدين من مكة، وسألناهم أن يصدقوا الخبر، فقال أحدهم: أقمنا حفلة لتلو المولد النبوي... ونصنا قبة للاجتماع.. وجاء الإخوان فطردونا وهدموا القبة.. كانوا يشتموننا ويدعروننا مشركين... التخذين ممنوع في الأسواق.. لكن ما رأيهم بضربون أحدا يدخن، هم يشتمون من يدخن، ويدعرونه جزءا ربع مجيدى". (٥٩)

جاء أول رد فعل على أحداث الحجاز من مصر، فأبرق الملك فؤاد يستوضح الموقف، وأكد له السلطان عبد العزيز، في سبتمبر ١٩٢٥، سلامة المقصات من الأذى، وسمح للجنة إحيائها مصرية والأخرى قارسية بزيارة المناطق المعنية، والوقوف على سلامتها (٦٠). وفي مطلع العام التالي (١٩٢٦) وصل إلى الحجاز مندوبون غير رسميين، يمثلون جمعية الخلافة الهندية، برئاسة السيد سليمان النجدي، الذي أقاد تقريره عن مسألة هدم القبور "إن القباب والبيبان التي كانت علي القبور هُدمت وحُجرت ، ولكن القبور موجودة سالمة كما شاهدناها، والقبة التي كانت على قبر حمزة هُدمت، والمسجد سالم. أما مسجد أبي قبيس فقد هدم جزء منه، فأسف السلطان عبد العزيز لذلك ، وأمر بترميمه". (٦١)

رأى عبد العزيز أن الموقف قد تعقد، وأن صبره قد نفذ، ولم يسلم الملك علي، ولم يحسم العالم الإسلامي الموقف وأدرك أن بريطانيا، التي كانت تساند الأشراف، قد دخلت عنهم، ليس فقط بإعلان الحياد نحو حرب الحجاز، وإنما في

إرسال مندوب فوق العادة، في أكتوبر ١٩٢٥، هو سير جلبرت كلايتون، ليتفاوض معه حول حدود نجد الشمالية، في ظل التطورات الجديدة. وهي المفاوضات التي انتهت بعقد اتفاقيتي (بحره) في الأول من نوفمبر (رحلا) في الثاني منه (٦٢).

عندئذ، بعث عبد العزيز آل سعود إلي أهل جدة بهذه الرسالة:

"إن أغلب العالم الاسلامي قد أبدي عدم رضاه عن حكم الحجاز بواسطة الحسين وأولاده ، ونظرا لوجود الأمير علي بينكم وخروجه علي الرأي العام الاسلامي، فإننا نعرض عليكم الخروج من البلد والإقامة في مكان معين، أو القدوم إلي مكة، أو الضغط علي الشريف علي وإخراجه من بلادكم، فإن فعلتم غير ذلك بمساعدة المذكور، أو بولائه، فنحن معذورون أمام العالم الاسلامي، وبعده ما قد يقع من الحوادث تكون من السبب والسلام". (٦٣)

وقبل وصوله جدة، تلقى عبد العزيز رسالة من قناصل الدول الأوروبية ، تخبره بموقف دولهم الحيادي تجاه النزاع الدائر في الحجاز، فطلب إليهم أن يمتنعوا عن إقامة علاقاتهم، حتي لا تتعرض لهم قواته بسوء، أو أن يتركوا جدة إلي حيث شاؤوا. (٦٤)

هكذا كثف عبد العزيز حملاته ضد جدة، حتي أحكم الحصار عليها. عندئذ أعلن الوكيل والقنصل البريطاني (جوردن) انتهاء حياد بلاده الشريف، وذلك حين طلب إليه الملك علي، وهو تحت تأثير الحصار السعودي، أن يعطيه النصيب (٦٥). وبعد خمسة أيام، وفي ١٤ ديسمبر، عاد الملك علي وطلب إليه أن يتدخل رسميا لدى السلطان عبد العزيز. حين كتب إليه:

"لقد قررت أن أنسحب، وأن أترك البلاد... لأقيم في الأردن أو بغداد أو

فلسطين، وأفضل أن تتوسط الحكومة البريطانية في مائة تسليم البلاد بالطريقة السلمية الهادئة، لأن ذلك سوف يضمن الأمن والسلامة للجميع". (٦٦)

وبينما اعتزم الملك علي في اليوم التالي (١٥ ديسمبر) الإعلان عن قراره الأخير في مجلس بمقعد بجدة، وافقت لندن علي أن يلعب مندوبها هناك دور الوساطة. وعلي الفور بدأ جوردن نشاطه السياسي في الإتصال بالسلطان عبد العزيز في الرغامة (علي بعد ٨ أميال من جدة). وبعد مناقشات وافق السلطان عبد العزيز علي شروط الملك علي لتسليم جدة. (٦٧).

وأهم ما تضمنته تلك الشروط :

- ١ - يضمن السلطان عبد العزيز سلامة جميع الحجازيين ويمنحهم الأمان،
- ٢ - ويسمح لمن يرغب من الجنود والضباط بمغادرة الحجاز متى أرادوا ذلك،
- ٣ - ويوزع ثلاثة آلاف جنيه استرليني علي الجنود في جدة،
- ٤ - ويبقي علي الكفاءات الادارية في وظائفها،
- ٥ - ويسمح للملك علي وأسرته باصطحاب أمتعتهم الخاصة وكل ما يمكن حمله إلى خارج الحجاز.

وفي المقابل علي الملك علي أن يسلم ما لديه من أسرى، وأن يسلم جميع القوات الحجازية لسلطان نجد بأسلحتهم (٦٨) وطبقا لهذه الشروط، سلمت جدة في ٢١ ديسمبر ١٩٢٥، وفي اليوم التالي غادرها علي إلي منفاه الاختياري في العراق. (٦٩) وفي ٣١ ديسمبر ١٩٢٥ بعث السلطان عبد العزيز إلي

جميع الدبلوماسيين الأجانب في جدة بخيرهم بما تم التوصل إليه، وبنهاية عهد
الأشراف، وبداية عهد جديد.

وفي يوم الجمعة ٨ يناير ١٩٢٦ بوجع السلطان عبد العزيز بن عبد
الرحمن آل سعود ملكا علي الحجاز في المسجد الحرام ومنفذ صار عبد العزيز
ملكاً علي الحجاز وسلطاناً علي نجد. هذا ، وقد بقى كل إقليم منهما مستقل
عن الآخر ، وفي ١٣ يناير شكل حكومة خاصة بالحجاز، ووضع علي رأسها ابنه
الأمير فيصل بصفته نائباً للملك في الحجاز. (٧٠)

هذه الأوضاع السياسية الجديدة في الحجاز، خلقت -بالطبع- ردود فعل
جديدة من جانب مسلمي الهند، لقد كشف بعض مسلمي الهند عن أنهم لم
يكونوا فقط راغبين في أن ينتهي حكم الأشراف في الحجاز، بل أن يحكموا هم
ليه من خلال حكومة إسلامية عالمية، ولكن الملك عبد العزيز لم يمكنهم ،
ولامكن غيرهم من تحقيق هذه التطلعات

مصلحو الهند والحكم السعودي في الحجاز ١٩٢٦:

في مطلع عام ١٩٢٦، ومع بداية عهد الملك عبد العزيز بتحمل المسئولية
رسمياً في الحجاز، وصل إلي الأراضي المقدسة وفدان هنديان، للتحقيق في
أحداث تتعلق بنشاط الإخوان وتدميرهم للمقابر، الاطمئنان علي سلامة مقبرة
الرسول، صلى الله عليه وسلم ، ولا تغلو زيارة قذين الوطدين من دوافع
سياسية، إضافة إلي الدوافع الدينية

الوند الأول، وفد جمعية الخلافة الهندية ، التي كانت من أقوى العناصر
الإسلامية المؤيدة لعبد العزيز آل سعود ، ولكن موقفها اضطرب بعد حادث
المسلمين بمقابر الصحابة وأسرة الرسول. وازداد غضب أعضائها، بعدما علموا أن

عبد العزيز آل سعود نفسه قد صار ملكا علي الحجاز. فتحولوا من مساندته إلى إدانته، واقترحوا أن يُسند أمر إدارة الحجاز إلى هيئة ديمقراطية تمثل جميع المسلمين. (٧١)

الوفد الثاني، وقد جمعية خدام الحرمين، وهي جمعية أكثر تشددا في ميولها السياسية والدينية، وكان هذا الوفد من أقوى معارضي عبدالعزيز آل سعود في الهند، ورفض أعضاؤه مجرد الاستعداد للاعتراف به ملكا، واعتبروا وجوده في الأراضي المقدسة صدمة لكثير من المسلمين الهنود، الذين يعتبرون الأراضي المقدسة ملكا خاصا. وحين وصل أعضاؤه الحجاز، رفضوا حضور حفل الاستقبال الذي أعد له الملك عبد العزيز في جدة. وأثناء إقامتهم في مكة، لم يفرقوا فرصة لإعلان حملتهم ضده وهدد أتباعه من الإخوان الرهابيين، وفرق ذلك طالبيه بمغادرة أرض المسلمين. (٧٢) وحين فاض الكيل بالملك طردهم من الحجاز، ولكنهم وزعوا منشورات معادية له قبل مغادرتهم الأراضي المقدسة. (٧٣)

وفد عودة وقد جمعية خدام الحرمين إلى الهند، أفادت التقارير، في منتصف برنيه، أن الوفد دعا إلى مظاهرات عامة، للتعبير عن غضب المسلمين ضد الملك عبد العزيز والرهابيين المتزمتين. (٧٤) ودلية لتلك الدعوة خرج مهراجا محمد آباد وسط الجمع التي تدين الرهابيين، حيث عبر المتظاهرون عن اهتمامهم الشديد بما يجري في الحجاز. وقد تبلورت أفكارهم في عدد من القرارات، لعل أهمها، (٧٥)

١ - إن هذا الاجتماع الاسلامي الموسع، الذي يحضره مسلمون من مختلف المستويات والاتجاهات الفكرية، ليعبر عن استيائه العميق وغضبه...

وبدين بشقة كل من مست هذه مقدسات المسلمين بالتخريب، كما بدين أولئك الذين شجعوا أو حرصوا علي القيام بهذه الأعمال...".

٢ - "إن الحكومة البريطانية، التي هي القيم علي مصالح مائة مليون مسلم في الهند، دخلت في معاهدات مع ابن سعود (إشارة إلي اتفاقيتي بحره وحدا) ووضعت وأراضيه تحت السيطرة البريطانية.. وهذا الاجتماع الضخم للمسلمين في لوكنو يحذر الحكومة (البريطانية) من أن ما قام به سلطان نجد وأبائه... قد جرح مشاعر عامة المسلمين... وأن أعمال التخريب تمت بالاتفاق مع بريطانيا، وأدى هذا إلي اضطراب صورة الموقف في أذهان عامة المسلمين فيما يتعلق بموقف بريطانيا وسياستها في الحجاز... إن أي مسلم... لا يستطيع أن يراقب ما يجري في صمت... إن العالم الإسلامي يرفض تدخل غير المسلمين في شئون الحجاز...".

٣ - اقترح المجتمعون منع الحجاج من السفر إلي الحجاز حتي يعاد بناء المقابر (المهمة) بالوضع والصورة التي كانت عليها".

٤ - كما اقترح المجتمعون إرسال برقية إلي المؤتمر الإسلامي المتعقد في مكة ففيد: "إن المسلمين الهنود، لا يثقون تحت أي ظرف في ابن سعود ولا في باقي التجديين...". كما اقترحوا إرسال طلب إلي الحكومات الإسلامية كي تستخدم كل إمكانياتها لتحرير أرض الاسلام وتوجيه طلب إلي الحكومة البريطانية ألا تعترف تحت أي ظرف بابن سعود ملكا علي الحجاز، وألا تقدم له أي مساعدة... وألا تضع أية عوائق في سبيل طرد الوهابيين من الحجاز".

٥ - استحثت المجتمعون بريطانيا والعالم التحضر علي "قطع علاقاتهم السياسية بالحاكم المنول عن... التخريب (في مقدسات المسلمين) وسحب جميع قناصلهم لديه".

وفي راجبور عقد اجتماع محافل لاجتماع لوكنو السابق. حيث ناقش المسلمون مع نواب راجبور مسألة "التخريب التي جرت في الحجاز علي أيدي ابن سعود (الذي) جرح مشاعرهم بتدمير مقبرة أسرة الرسول". ومن جانبه، ونيابه عن مسلمي الهند أبرق نواب راجبور إلي نائب الملك Viceroy في ٢١ يونيو، يطلب اتخاذ موقف ضد الملك عبد العزيز، واعداء إياه "بتجميع الأموال لإعادة بناء المقبرة المدمرة". (٧٦)

وحرصا علي تهدئة الأوضاع الداخلية في الهند، أبرق نائب الملك- علي الفور- ممبرا عن تعاطفه مع العناصر الإسلامية، مشيرا إلي أن سياسة الحكومة البريطانية ثابتة تجاه عدم التدخل سياسيا في أمور دينية خالصة، ولكنه وعد بنقل وجهة نظر مسلمي الهند إلي لندن. (٧٧)

وبينما انتشرت الحملات المعادية للوهابيين في الهند، لم يسلم الملك عبد العزيز من إتهامات الحجاج الهنود أثناء وجودهم في الحجاز، وطبقا لما أورده الوكيل السياسي البريطاني في جدة، كان " كل الحجاج الهنود" ضد الملك عبد العزيز. (٧٨)

وفي مواجهة هذا الموقف المعادي من جانب مسلمي الهند، وإرضاء لمعتقديه في مناطق أخرى من العالم الإسلامي، كرر الملك عبد العزيز دعوته للعالم الإسلامي كي يبحث بمشورته لمناقشته في المسائل ذات الطبيعة الدينية، مؤكدا علي أن "الحجاز للحجاريين"، لأن الحجازيين وحدهم أصحاب الحق في اختيار من يحكمهم طبقا للشريعة الإسلامية. لقد كان هذا الموقف الجديد للملك عبد العزيز ردًا غير مباشر علي دعوة مسلمي الهند بأن "الحجاز لكل المسلمين" وأنهم مسئولون عن تقرير مصيره ومستقبله. وهكذا تعكس هذه العبارة جوهر الفكر

السياسي لمسلمي الهند

وكان الملك عبد العزيز قد بعث في أكتوبر ١٩٣٥، إلى جميع الحكومات والجمعيات الإسلامية، بقى رغبته في أن يكون "سيداً على الحجاز"، موضحاً أن الحجاز "أمانة" في يديه "حتى الوقت الذي يتمكن فيه الحجازيون من اختيار حاكمهم بأنفسهم". وما له دلالة في هذه الرسالة إلى الحكومات الإسلامية، ما ذكره الملك عبد العزيز من أن الحاكم المنتخب في الحجاز يجب أن "يحكم تحت إشراف المسلمين". (٧٩)

وحسب أبريل ١٩٢٦، لم يتلق الملك عبد العزيز من زعماء المسلمين غير "ردود مختلطة ليس لها معنى" (٨٠)، وما أن يربح ملكاً في مطلع العام حتى اعتزفت به أربع دول كبرى، وبدأ يكسب الشرعية بالتأييد الداخلي والخارجي معاً. عندئذ أدرك أن المسؤولية تحتم عليه عدم التباطؤ في النهوض بأمن الأماكن المقدسة، ولا يجب أن ينتظر حتى يحسم العالم الإسلامي أمره، خاصة وأن البيعة قد حرره من التزاماته السابقة التي قطعها على نفسه. ومع ذلك فلم يكن مركزه في الحجاز مؤكداً، فتأسس مجالس استشارية من الحجاز، لتكون عامل مصالحه لم تكن كافية لئلا كان عليه أن يقدم ما يقربه من العالم الإسلامي. وطبقاً لخطة الأولى، أيرق الملك عبد العزيز في ٢٨ أبريل ١٩٢٦، يدعو المسلمين من جديد إلى مؤتمر يعقد في مكة في أول يونيو في نفس العام، ولكنه طور الهدف من وراء هذا المؤتمر ليصبح خدمة الأماكن المقدسة، وتأمين مستقبلها، وتنمية وسائل الراحة والخدمة للحجاج. (٨١)

لقد حرص الملك عبد العزيز، بتكرار الدعوة إلى المؤتمر، على إمتصاص غضب العالم الإسلامي، وبالفعل بدأت بعض الوفود الإسلامية تصل إلى مكة، طلبية للدعوة. ولما كان الملك يحق على طبيعة توجهات كثير من العناصر

الإسلامية. فقد حرص علي الحيلولة دون مناقشة الوفود للقضايا السياسية، بل إنه حذر من التدخل في شئون الحجاز الداخلية^(٨٢) ويعني مجرد فرض هذه الشروط المقيّدة لنشاط الوفود أن الملك كان لا يزال قلقاً علي مركزه، ولكنه - مع ذلك - كان حريصاً علي الوفاء بالتزاماته تجاه الأماكن المقدسة، وتحقيق هذه الالتزامات يستوجب بعض المال، الذي لم يكن من اليسير تدبيره بعيداً عن مساعدة جموع المسلمين. ولعل هنا هو السبب الرئيسي وراء الدعوة إلي المؤتمر^(٨٣).

أما الوفود الإسلامية فقد كانت لها تطلعات أخرى، هي في معظمها تطلعات سياسية. كان التوجه العام الذي ترعته الوفود الهندية هو استغلال فرصة المؤتمر للتشديد بالاستعمار البريطاني، الذي يحتل بلادهم، والذي يحاول أن يتدخل في شئون مقدساتهم في الحجاز^(٨٤).

وفي نفس الوقت، كان لبعض الوفود تطلعات دينية وإلي جانب تطلعاتهم السياسية. فقد كان أعداء الوهابيين من مسلمي الهند حريصين علي إبراز سلبيات الوجود الوهابي في الحجاز، مذكّرين العالم الإسلامي بما جرى من تدمير لقاير الصحابة وآل البيت، وبالتالي التشكيك في ضمان سلامة هذه البلاد تحت حكم الملك عبد العزيز. وإدراكاً منه للمخاطر اناجحة عن ذلك التوجه بين الوفود، حرص الملك علي منع مناقشة القضايا ذات الطابع الديني. ولكن الملك لم ينج من النقد، طالما أنه كان من المستحيل منع المناقشات حول هذه الموضوعات تماماً بين التجمعات الكبيرة من الحجاج. فقد تجرأ أعضاء جمعية الخلافة الهندية، حين عبروا بوضوح وصراحة عن استحالة التعاون بين مسلمي الهند والوهابيين "طالما أنه لا يوجد هندي يقبل بانجهااتهم وما أسفر عنه

وكان الملك عبد العزيز قد بعث في أكتوبر ١٩٣٥، إلى جميع الحكومات والجمعيات الإسلامية، بنفي رغبته في أن يكون "سيداً على الحجاز"، موضحاً أن الحجاز "أمانة" في يده حتى الوقت الذي يتمكن فيه الحجازيون من اختيار حاكمهم بأنفسهم. ولما له دلالة في هذه الرسالة إلى الحكومات الإسلامية، مذكروا الملك عبد العزيز من أن الحاكم المنتخب في الحجاز يجب أن "يحكم تحت إشراف المسلمين". (٧٩)

وحتى أبريل ١٩٢٦، لم يتلق الملك عبد العزيز من زعماء المسلمين غير "ردود مختلطة ليس لها معنى" (٨٠)، وما أن يروج ملكاً في مطلع العام حتى أتمرت به أربع دول كبرى، وبدأ يكسب الترقية بالتأييد الداخلي والخارجي معاً. عندئذ أدرك أن المسؤولية تحتم عليه عدم التهاطل في النهوض بأمن الأماكن المقدسة، ولا يجب أن ينتظر حتى يحسم العالم الإسلامي أمره، خاصة وأن البيعة قد حرره من التزاماته السابقة التي قطعها على نفسه ومع ذلك فلم يكن مركزه في الحجاز مؤكلاً، لتأسيس مجالس استشارية في حجازيين لتكون عامل مصالحة لم تكن كافية، بيد كان عليه أن يحدد مسبقاً - من العالم الإسلامي - وطبقاً لخطة الأولى، أبريل ١٩٢٦، في ٢٨ أبريل ١٩٢٦ يدعو المسلمين من جديد إلى مؤتمر يعقد في مكة في أول يونيو في نفس العام، ولكنه طور الهدف من وراء هذا المؤتمر ليصبح خدمة الأماكن المقدسة، وتأمين مستقبلها، وتنمية وسائل الراحة والخدمة للحجاج. (٨١)

لقد حرص الملك عبد العزيز، بتكرار الدعوة إلى المؤتمر، على إمتصاص غضب العالم الإسلامي، وبالفعل بدأت بعض الوفود الإسلامية تصل إلى مكة، طلبية للدعوة. ولما كان الملك يقف على طبيعة توجهات كثير من العناصر

الإسلامية، فقد حرص علي الميلرلة دون مناقشة الوفود للقضايا السياسية، بل إنه حذر من التدخل في شئون الحجاز الداخلية^(٨٢) وبعتي مجرد فرض هذه الشروط المقيّدة لنشاط الوفود أن الملك كان لا يزال قلقا علي مركزه، ولكنه - مع ذلك - كان حريصا علي الوفاء بالتزاماته تجاه الأماكن المقدسة، وتحقيق هذه الإلتزامات يستوجب بعض المال، الذي لم يمكن من التيسير تديره بعيدا عن مساهمة جموع المسلمين ولعل هذا هو السبب الرئيسي وراء الدعوة إلي المؤتمر. (٨٣)

أما الوفود الإسلامية فقد كانت لها تطلعات أخرى، هي في معظمها تطلعات سياسية. كان التوجه العام الذي تزعمته الوفود الهندية هو استقلال فرصة المؤتمر للتشديد بالاستعمار البريطاني، الذي يحتل بلادهم، والذي يحاول أن يتدخل في شئون مقدساتهم في الحجاز. (٨٤)

وفي نفس الوقت، كان لبعض الوفود تطلعات دينية إلي جانب تطلعاتهم السياسية. فقد كان أعداء الوهابيين من مسلمي الهند حريصين علي إبراز لبيات الوجود الوهابي في الحجاز، مذكّرين العالم الإسلامي بما جرى من تدمير لقاير الصحابة وآل البيت، وبالتالي التشكيك في ضمان سلامة هذه البلاد تحت حكم الملك عبد العزيز. وإدراكا منه للمخاطر الناجمة عن ذلك التوجه بين الوفود، حرص الملك علي منع مناقشة القضايا ذات الطابع الديني. ولكن الملك لم ينج من النقد، طالما أنه كان من المستحيل منع المناقشات حول هذه الموضوعات تماما بين التجمعات الكبيرة من الحجاج. فقد تجرأ أعضاء جمعية الخلافة الهندية، حين عبّروا بوضوح وصراحة عن استحالة التعاون بين مسلمي الهند والوهابيين طالما أنه لا يرجد هندي بقل باتجاهاتهم وما أسفر عنه

أما عن الدافع وراء محاولة الملك عبد العزيز منع مناقشة شئون الحجاز الداخلية بين جموع المسلمين، فمردده إلى أن العالم الإسلامي بقي - حتى ذلك الوقت - رافضا الاعتراف بحكم الملك عبد العزيز للحجاز. لقد أدرك كثير من المسلمين، وخاصة الهنود، أن تصريحات الملك السابقة حول أن "الحجاز للعجائز" كانت خدعة وتحدى زعيما حركة الخلافة الهندية (محمد وشوكت علي) الملك عبد العزيز. وذكره بأن ما تحقق له في الحجاز من انتصارات ما كان ليتم لولا تأييد مسلمي الهند. وحين قال الملك عبد العزيز إنه "أخذ الحجاز بالسيف" أجابه محمد علي بطريقة درامية "نعم، ولكننا نستطيع أن نأخذه منك بالمال". ولكن محمد علي تراجع في تصريحاته، وحاول أن يبدو معتذرا حين قال في مناسبة أخرى، لو أن الوهابيين كانوا أقل تزمنا "لكان ابن سعود أنسب رجل في نظر مسلمي الهند، لأن لديه طموحات عظيمة". (٨٦)

وعلى العكس من جمعية الخلافة الهندية، وقفت جمعية المحدث الهندية مؤيدة ومساندة للملك عبد العزيز. ولم يكن هؤلاء وحدهم من بين المؤيدين، فقد ناصرهم عناصر من جاوة، ومن فلسطين ومن سوريا، فضلا عن جمعية الخلافة المصرية. (٨٧)

بلورت مشاعر المسلمين وميولهم قبيل انعقاد المؤتمر الإسلامي في مكة، خاصة وأن تأجيل عقد المؤتمر لبعض الوقت، أتاح الفرصة أمام الأعضاء لإجراء مزيد من التشاور، بطريقة غير رسمية، حول مختلف القضايا التي تهم المسلمين. لقد كان الجميع يفكر خارج القاعات بصوت عال، بعيدا عن أية ضغوط سياسية قد تفرضها طبيعة جدول أعمال المؤتمر. ويمكن القول باطمئنان شديد أن الوفود الإسلامية التقت بدون خلاف حول معارضة التفوذ البريطاني

في شبه الجزيرة العربية. واستثمرت العناصر الروسية هذا الجو المعادي لبريطانيا ورفعت شعار "وحدة الشرق"، وساندت الوفود الهندية هذا الشعار، الذي لم يعارضه الملك عبد العزيز، وإن كان قد تقي لو أن المسلمين لم يهاجموا بريطانيا في بلاده. (٨٨)

وكان شعار "وحدة الشرق" عاما مبهما، ولكن من المؤكد أنه كان موجها ضد بريطانيا، التي كان يعاني من سيطرتها -بمختلف أشكالها- ملايين كثيرة من المسلمين، ومن بينهم مائة مليون مسلم في الهند وحدها. ومع هذه المواقف المعادية، لم يأس الملك عبد العزيز من محاولة كسب تأييد جمعية الخلافة الهندية. فشكرا لوساطة جمعية الخلافة المصرية، التي بمرت اللقاءات بين الطرفين، وأعدت العلاقات إلى سابق عهدها. وشكرا لمقترحات الوفد الحجازي في هذا المجال، وهي المقترحات التي كانت تهدف إلى حماية وحدة الإسلام. (٨٩)

وبعد ضمان التأييد المناسب من الجانب الهندي افتتح الملك عبدالعزيز المؤتمر الاسلامي الأول بمكة في ٧ برنية ١٩٢٦. وفي خطاب الافتتاح، الذي قرأه الشيخ حافظ وهبه، حضر جمعية خدام الحرمين الهندية، ومستشار الملك عبدالعزيز، قال الملك:

"لقد منحنا الله النصر، وساعدنا علي تطهير هذه الأرض المقتسة... وسكننا من الوفاء بوعودنا تجاه المسلمين". (٩٠)

ومن اللافت للنظر أن مسلمي الهند وصلوا إلى مركز قيادي في تشكيل نظام المؤتمر، فقد اختير سليمان النلوي (هندي) نائبا للرئيس، بينما أسندت الرئاسة إلى شريف شرف عدنان (حجازي). وكان وصول عضو روسي إلى مركز

النائب الآخر للرئيس ، إنذارا حقيقيا بخطر محتل ضد بريطانيا ، التي كان الجميع متفق علي معاداتها وتهددها ، ولعل الملك عبد العزيز أراد بهذه الترتيبات - إن كان قد أرادها - أن يخاطب العالم الإسلامي ، الذي يتهمه بمصادقة بريطانيا ، وأن بين أنه لا ينور في فلكتها ، بدليل إجراء انتخابات حرة ، أوصلت اثنين من العناصر المناوئة لها إلي مراكز قيادية في المؤتمر ، أحدهما هندي والأخر روسي ، وأنه لو أراد لهذه القيادات أن تكون من بين العناصر الموالية لب بريطانيا لفعل . ولعل هذا الموقف من جانب الملك ، أكد علي حياده في التعامل مع بريطانيا ، وساعد علي تحول كثير من الوفود لمناصرة (٩١)

ولاشك في أن بريطانيا انزعجت كثيرا من ذلك التجمع الإسلامي الضخم ، الذي أعلن نفسه منظمة تدعي "مؤتمر العالم الإسلامي" ، فقد سئروا ليناقتش أحوال المسلمين وشئونهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية فضلا عن أمن الحجاز وسلامته (٩٢) وحرصا من جمعية الخلافة الهندية علي تحقيق تطلعات المسلمين من خلال "مؤتمر العالم الإسلامي" ، نفذ محمد علي أنظار المؤتمرين إلي احتمال فشل الأعضاء في الوصول إلي مكة ، بسبب معوقات قد تضعها بريطانيا في طريقهم . وكان محمد علي يعتقد ، منذ عام ١٩١٠ ، في أن بريطانيا هي العدو الأول للإسلام ، ويقول إنها هي التي "أذلت الهند ومصر وكثيرا من بلاد المسلمين" (٩٣)

وبناء علي توجهات محمد علي للمؤتمرين ، قرر المؤتمر عقد سبانه علي حاله للضرورة - في أي بلد إسلامي حر ، إذا لم يتمكن من عقده في الحجاز . ويبدو أن محمد علي لم يُمَوِّت فرصة واحدة للهجوم علي بريطانيا ، وبيان سبانهات تجاه المسلمين ، فاندفع متحفا للدعوة إلي فكرة تحرير شبه الجزيرة

العربية، التي تعني في نظره كل البلدان العربية الآسيوية من النفوذ الأجنبي، وأعلن عن استعدادة الشخصي لتحمل مسئولية تحرير عدن من النفوذ البريطاني (٩٤)

وبالرغم من فصاحة محمد علي -الذي كان له " قلب نابليون ولسان بيرك Burke وقلم ماكاولي McCaulay"، وهو خريج جامعتي عليكرة (البريطانية في الهند) واكسفورد، وهو الذي كان يعشق الحرية- فإنه لم يستطع أن يحرر بلاده أصلاً. فقد قال قبيل وفاته ببضعة أسابيع مرجحاً خطابه للانجليز "...إنني أريد أن أعود إلى بلدي ... وفي يدي جسم الحرية ومادتها، وألا نلن أعود إلى بلد مستعبد، إنني أفضل أن أعيش في بلد أجنبي، ما دام حراً، ولئن لم تعطونا الحرية في الهند، فإن عليكم أن تعطوني لبراً هنا". (٩٥) وحين مات محمد علي عن ٥٣ عاماً، لم يدفن في الهند المستعمرة البريطانية، ولا في بريطانيا الحرة، وإنما دفن بالمسجد الأقصى.

وحين ناقش مؤتمر مكة الإسلامي مسألة التمثيل الدبلوماسي الأجنبي في الحجاز، اقترح مسلمو الهند ضرورة أن يكون ممثلو الدول جميعاً من المسلمين، مؤكدين أن بريطانيا تستطيع أن تدبر ممثلاً دبلوماسياً مسلماً من بين المسلمين ذوي الكفاية. وعلق محمد علي على ذلك ساخراً "إن بريطانيا العظمى التي لهد مسلمين هنوداً حكاماً للأقاليم (في الهند) ورؤساء للاجتماعات، لا تجد ممثلاً مسلماً لها في الحجاز، وتلوث الأرض المقدسة بحضور غير المسلمين". (٩٦)

صحيح أن محمد علي لم يوفق إلى تحقيق أي من طموحاته، سواء فيما يتعلق بتحرير الهند، أو بتحرير شبه الجزيرة العربية، أو بفرض نص صريح يشترط ضرورة أن يكون ممثلو الدول الأجنبية في الحجاز من بين المسلمين. وكان غاضباً لرد الفعل الباهت والمواقف الضعيفة للوفود الإسلامية. وربما يرجع فشل محمد علي إلى أن الملك عبدالعزيز قد فرض قيوداً على الموضوعات ذات الطبيعة السياسية، وربما لأن تطلعاته كانت أكبر مما يحتمل التنفيذ في هذه

قال سردار إقبال علي شاه، الهندي الذي حضر المؤتمر بصفة شخصية، إن بعد نظر الملك عبدالعزيز، مكته من إدراك أهمية الدعوة إلي مثل هذا المؤتمر متبوءاً، وتمكن بذلك من توظيف هذا الجمع الإسلامي في التأثير علي أكثر من مائة مليون مسلم - يعيشون تحت العلم البريطاني في الهند وحدها - إضافة إلي ١٥٠ مليون مسلم في البلدان الأخرى^(٩٧) لقد أراد إقبال أن يقول إن مركز الملك عبدالعزيز قد ازداد قوة، وأن المؤتمر حقق له النتائج التي كان يسعى من أجلها لتثبيت وجوده في الحجاز، وأن مائتين وخمسين مليون مسلم، أصبحوا الآن من مؤيدي الوجود السعودي في الحجاز، ويمكن للملك عبدالعزيز أن يستخدمهم - لو أراد - في الضغط علي أوروبا.

وعلق محمد إقبال في كتابه "نشأة الملكة العربية السعودية" علي الانجازات التي تحققت للملك عبد العزيز نتيجة لعقد المؤتمر الإسلامي الأول في مكة، بقوله:

"لقد تركت الوفود الإسلامية الحجاز إلي الملك الجديد ليحكم فيه طبقاً للقرآن والسنة، وليقيم الحدود التي فرضها الله في كل مكان من بلاده الواسعة، حيث يحكم بالعدل في هدوء وسلام".^(٩٨)

لقد جمع الملك عبدالعزيز في أن يهزم التطبعات السياسية لمسلمي الهند، وأن يهيب الآمال التي غذاها وغناها أعضاء الوفود الهندية، من أجل استخدام المؤتمر لإقامة "الحجاز الإسلامي العالمي" International Islamic Hejaz أو علي الأقل إقامة الحجاز الديمقراطي Democratic Hejaz. وحين أدركت الوفود الإسلامية عدم قدرتها علي تحقيق أي من هذه الآمال، سلمت بالأمر

الواقع، واعترفت بعبدالعزیز آل سعود سکا علی الحجاز، بد إن بعض الوفود كانت تتأخيه ب'الملك' منذ البداية. ولعل محمد علي كان أول من نادى بهذا اللقب، وتسبب ذلك في حدوث حالة من الاضطراب بين أعضاء المؤتمر، لمتجاجا. ولكن مع نهاية المؤتمر لكتب عبدالعزیز آل سعود الشرعية الكاملة بتأييد غير مباشر من ممثلي العالم الاسلامي (٩٩)

يقول توينبي: 'لقد اثبت المؤتمر الاسلامي بمكة نجاحا علي عكس ما هو متوقع. ومع ذلك بقي الوجود الوهابي في الحجاز يقلق بعض المسلمين، ويعوق جهود أولئك الذين كانوا يعملون من أجل التضامن الإسلامي' (١٠٠) لقد كانت هذه الخلاصة لتوينبي صحيحة إلى حد كبير، فقد عادت الوفود الهندية إلى بلادها لتعبر عن غضبها، لأن عبدالعزیز آل سعود اكتسب شرعية كونه ملكا علي الحجاز، وإنما لأن جميع الوفود الإسلامية فشلت في العيولة دون ذلك

هكذا دار الفكر السياسي لمسلمي الهند حول قضية الهوية القومية، التي تعني بإبراز ملامح شخصيتهم السياسية ولطورتها علي أرض الهند، من خلال زاد سياسي يمكنهم الحصول عليه بالارتباط بالدائرة السياسية الأوسع، ممثلة في حركة الجامعة الإسلامية في مرحلة، وفي دولة الخلافة العثمانية في أخرى، وفي المشاركة في إقرار أوضاع الأراضي المقدسة في الحجاز في ثالث.

ولعل من أهم الأفكار السياسية التي صاغها مسلمو الهند، أو شاركوا في صياغتها، أو أيدوها، مايلي:

١ - المطالبة بتحرير شبه القارة الهندية،

٢ - العمل على إنشاء وطن قومي خاص بهم علي جزء من شبه القارة الهندية،

٣ - الارتباط بحركة الجامعة الإسلامية،

٤ - محاولة الارتباط بدولة الخلافة العثمانية،

٥ - ترديد شعار "وحدة الشرق"

٦ - السعي للحكم في الحجاز أو المشاركة في تقرير مصيره،

٧ - المطالبة بتحرير شبه الجزيرة العربية،

٨ - المناذاة بأسنة التمثيل الدبلوماسي الأجنبي في الحجاز،

لقد وظف مسلمو الهند هذه الأفكار لخدمة قضية موتهم القومية، فلم يوفقوا. ولعل تجربتهم تثبت تحقق التامل في مراحلها الثلاث، وخاصة مرحلة الحجاز لأنها مرحلة الوحيدة التي شاركت فيها عناصر إسلامية من مختلف المستويات الفكرية، والطبقات الاجتماعية، وكان لشحنها صدي عتيق، جعل مسلمي الهند يكشفون عن أنفسهم، ياذنن من جديد رحلة البحث عن هوية. ولم يكن قد بقي بينهم وبين تحقيق الهدف غير مسافة زمنية طولها عشرين عاما. ففي عام ١٩٤٧ استقلت الهند وأقيم عن بعض أجزائها كيان سياسي يشجع الطموحات القومية لمعظم المسلمين فيها.

الحواشي

- ١ - عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٦٤)، ص ١٢١، ١٢٢.
- ٢ - شريف الدين بيرزاده، نشأة باكستان، تعريب: عادل صلاحى (جدة: الدار السعودية للنشر، ١٩٦٩) ص ٦٤ - ٦٧؛ إحسن حقى، باكستان، ماضيها وحاضرها، (بيروت: دار النفائس، ١٩٧٣)، ص ١٧٧.
- ٣ - جمال محمود حجر، بريطانيا والنشاط السوفييتى في الحجاز، ١٩٢٤ - ١٩٣٨، (الدوحة: دار الثقافة، ١٩٨٨)، ص ٥٥ - ١١١.
- ٤ - المرجع السابق، ص ٦٧ وما بعدها.
- ٥ - حسن إبراهيم حسن، تقديم كتاب: محمد حسن الأعظمى، حقائق عن باكستان (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر د. ت)، ص ١٥ - ٢١.
- ٦ - المرجع السابق، نفس التقديم.
- ٧ - عبد المنعم النمر، مرجع سابق، ص ٥٢، ٥٣.
- ٨ - المرجع السابق، ص ٥٩، ٦٠.
- ٩ - شريف الدين بيرزاده، مرجع سابق، ص ٨٩.
- ١٠ - عبد المنعم النمر، مرجع سابق، ص ٦٠.
- ١١ - مقتبس في: المرجع السابق، ص ٥٥.
- ١٢ - مقتبس في: المرجع السابق، ص ٥٦.

١٣ - انظر: خليل عبد الحميد عبدالعال، جوانب من التراث الهندي الاسلامي الحديث، (الاسكندرية: مكتبة المعارف الحديثة، ١٩٧٩)، الفصل الرابع والخامس

١٤ - مقتبس في: شريف الدين بيرزاده، مرجع سابق، ص ٦٩، ٧٠.

١٥ - مقتبس في: المرجع السابق، ص ٧٧، ٧٨.

١٦ - مقتبس في: المرجع السابق، ص ٨٠.

١٧ - مقتبس في: عبد المنعم النمر، مرجع سابق، ص ٦٢.

18 - Hodgson, G.S., *The Gunpowder Empires and Modern Times*, (Chicago: The University of Chicago Press, 1974) p.332.

١٩ - مقتبس في: عبد المنعم النمر، مرجع سابق، ص ٧١.

٢٠ - انظر: شريف الدين بيرزاده، مرجع سابق، ص ٩٠ - ٩٥.

٢١ - مقتبس في: عبد المنعم النمر، مرجع سابق، ص ٧٣.

٢٢ - انظر: المرجع السابق، ص ٧٥ - ٧٧.

٢٣ - محمد حسن الأعظمي، *فتى الهند وقصة الباكستان*، (القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت.)، ص ٣١٨.

٢٤ - انظر: محمد حسن الأعظمي، *حقائق عن باكستان*، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، د. ت.)، ص ٧٩؛ إحسان حقي، *باكستان، ماضيها وحاضرها*، (بيروت: دار الفانوس، ١٩٧٣)، ص ١٧٩.

25 - Hodgson, *op.cit.*, p.342;

محمد حسن الأعظمي، حقائق عن باكستان، ص ٣٢، ٧٩، ٨٠.

٢٦ - مسعود الندوي، تاريخ الفترة الإسلامية في الهند (بيروت: دار العربية، د. ت.)، ص ٢٢٨.

27 - Hodgson, *op. cit.*, p. 341;

انظر أيضا: مرافعة مولانا محمد علي في محاكمة كراتشي سنة ١٩٣١، (بيروت: دار لبنان، ١٩٦٦)، ص ٢٧.

28 - Hodgson, *op. cit.*, p. 343;

29 - *Ibid.*, p. 339.

٣٠ - عبد المنعم النمر، مرجع سابق، ص ٩٣.

31 - Hodgson, *op. cit.*, p. 341.

32 - *Ibid.*, p. 342;

محمد حسن الأعظمي، حقائق عن باكستان، ص ٨٠.

33 - Hodgson, *op. cit.*, p. 342 - 345.

٣٤ - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومدير المصليكي، ط ٧، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧)، ص ٦٩٥.

٣٥ - مسعود الندوي، مرجع سابق، ص ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٤١.

٣٦ - كلمات مولانا أبي الكلام آزاد الذي سجلته الحكومة البريطانية في عام ١٩٢١، مقتبسة في: عبد المنعم النمر، مرجع سابق، ص ١٢٦.

١٣ - انظر: خليل عبدالحميد عبدالعال، جوانب من التراث الهندي الاسلامي
المعني، (الاسكندرية: مكتبة المعارف الحديثة، ١٩٧٩)، الفصلين الرابع
والخامس

١٤ - مقتبس في: شريف الدين بيرزاهه، مرجع سابق، ص ٦٩، ٧٠.

١٥ - مقتبس في: المرجع السابق، ص ٧٧، ٧٨.

١٦ - مقتبس في: المرجع السابق، ص ٨٠.

١٧ - مقتبس في: عبد النعم النمر، مرجع سابق، ص ٦٢.

18 - Hodgson, G.S., *The Gunpowder Empires and Modern Times*, (Chicago: The University of Chicago Press, 1974) p332.

١٩ - مقتبس في: عبد النعم النمر، مرجع سابق، ص ٧١.

٢٠ - انظر: شريف الدين بيرزاهه، مرجع سابق، ص ٩٠ - ٩٥.

٢١ - مقتبس في: عبد النعم النمر، مرجع سابق، ص ٧٣.

٢٢ - انظر: المرجع السابق، ص ٧٥ - ٧٧.

محمد حسن الأعظمي، حقائق عن باكستان، ص ٣٢، ٧٩، ٨٠.

٢٦ - محمود النشوي، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند أ بيروت: دار العربية، د. ت. د. ، ص ٢٢٨ .

27 - Hodgson, *op.cit.*, p. 341;

انظر أيضا: مرافعة مولانا محمد علي في محاكمة كراشي سنة ١٩٣١ .
(بيروت: دار لبنان، ١٩٦٦) ، ص ٢٧ .

28 - Hodgson, *op. cit.*, p. 343;

دار الفكر

الدار

جانب حق، باكستان،

ص ١٧٩ .

25 - Hodgson, *op.cit.*

- ٣٧ - شريف الدين بيرزاده، مرجع سابق، ص ١٣١ .
- ٣٨ - انظر جمال محمود حجر، "الملك والجزر في السياسة البريطانية تجاه شبه الجزيرة العربية: ٢ - بريطانيا بين عبد العزيز آل سعود والشريف حسين ١٩١٥ - ١٩٢٠"، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية، جامعة قطر، العدد الثاني (١٩٩٠) .
- ٣٩ - انظر : جمال محمود حجر ، "مشروع جبر لإعادة تنظيم الإدارة البريطانية في الشرق الأوسط عام ١٩٢٠" في كتاب المؤلف :
القرن الحادي والعشرون والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩)، ص ١٥٩ وما بعدها.
- ٤٠ - انظر جمال محمود حجر، بريطانيا والنشاط السوفيتي في الحجاز ١٩٢٤ - ١٩٣٨ ، ص ١٩ - ٣٨ .
- ٤١ - طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز ١٩١٦ - ١٩٢٥ ، دراسة في الأوضاع السياسية، (مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٣)، ص ٢٤٣ .
- ٤٢ - أمين الربحاني، تاريخ محمد المهدي وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود مالك الحجاز ومجد وملحقاتها، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠)، ص ٣٢٦ .
- ٤٣ - مقتبس في: المرجع السابق، ص ٣٢٦ .
- ٤٤ - المرجع السابق، ص ٣٢٧ .
- ٤٥ - انظر جمال محمود حجر، "نهاية الامتيازات الأجنبية في الحجاز ١٩٢٦

- ١٩٢٧ في كتاب المؤلف: القرى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين، الفصل السابع.

٤٦ - طالب محمد وهيم، مرجع سابق، ص ٣٤٥.

٤٧ - عبد الله فيلي، تاريخ نجد، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، تعريب: عمر الديراوي (بيروت: المكتبة الأهلية، د. ت.) ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

٤٨ - أمين الريحاني، مرجع سابق، ص ٣٣١ - ٣٣٥.

٤٩ - عبد الله فيلي، مرجع سابق، ص ٣٣٦؛ طالب محمد وهيم، مرجع سابق، ص ٣٤٨.

٥٠ - انظر: الريحاني، مرجع سابق، ص ٣٣٦، ٣٣٧؛ فيلي، مرجع سابق، ص ٣٣٦؛ طالب محمد وهيم، مرجع سابق، ص ٣٤٩.

51 - Toynbee, A. *Survey of International Affairs 1925*, (London, 1927) pp.81-90.

٥٢ - طالب محمد وهيم، مرجع سابق، ص ٣٥٩.

٥٣ - انظر: أم القرى، ٨، ٢٢ يناير ١٩٢٥، أحمد عبدالغفور عطار، صقر الجزيرة، (بيروت، مطبعة الحرية، ١٩٧٢)، ص ٨٩٦ - ٩٠٧.

٥٤ - الريحاني، مرجع سابق، ص ٣٥٤.

٥٥ - مقتبس في: طالب محمد وهيم، مرجع سابق، ص ٣٧٠.

٥٦ - أم القرى، ٢٧ فبراير ١٩٢٥.

57 - Toynbee, A, *Survey of International Affairs* 1925, pp.305,306.

58 - *Ibid*.pp. 306, 307.

٥٩ - الريحاني، مرجع سابق، ص ٢٦٩ .

60 - Jordan(Jeddah) to Chamberlain(London) 11 Aug. 1926, E 5064 / 20/ 91, F. O. 371/11433; Philby, J., *Saudi Arabia*(London: Ernest Benn 1955), p.300;

النار ، مجلد ٢٧ ، ص ١٥ .

٦١ - مقتبس في: الريحاني، مرجع سابق، ص ٢٧٠ .

62 - Jeddah Report , Dec 1925, F.O. 371/11442;

الريحاني، مرجع سابق، ٤٢٣ - ٤٢٦

٦٢ - مقتبس في : الريحاني، مرجع سابق، ص ٢٦٦ .

٦٤ - انظر: المرجع السابق، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

65 - Jordan to Chamberlain, 28 Dec. 1925, F.O. 371/11432

66 - King Ali to Jordan, 14 Dec. 1925, E 363/11/91, F.O. 371/11432.

67 - Toynbee, *op.cit.*, p. 309; Jordan to Ibn Saud, 6 Dec. 1925, E367/11/91, F.O. 371/11432,

أم القرني، ٢٧ ديسمبر ١٩٢٥، أحمد عبد الغفور عطار،

صقر الجزيرة، ص ٨٧٩، ٨٨٢ .

68 - Ibn Saud to Jordan, 17 Dec. 1925, E 363/11/91, F. O. 371/11432.

69 - Ibn Saud to Jordan, 18 Dec. 1925; King Ali to Jordan, 19 Dec. 1925, E 363/11/91, F. O. 371/11432.

٧ - أم القرى، ١٥ و ٢٢ يناير ١٩٢٦ .

71 - Jeddah Report, Jan. 1926, F. O. 371/11442.

72 - Jeddah Report, Feb. 1926, F. O. 371/11442.

73 - Jeddah Report, March 1926, F. O. 371/11442.

74 - *Indian Daily Telegraph*, 15 June 1926.

75 - *Ibid*.

76 - The Nawab of Rumpur to the Viceroy, 21 June 1926, No. P 2433, F.O. 371/11433.

77 - The Viceroy to the Nawab of Rumpur, 24 June 1926, No. 552, F. O. 371/11433.

78 - Jordan to F. O., 8 June 1926, E3556/20/91, F. O. 371/11433.

79 - Toynbee, *Survey of International Affairs 1925*, pp. 308, 309; Jeddah Report, April 1926 F.O. 371/11442.

٨ - أحمد عبد الغفور عطار ، مرجع سابق، ص ٨٩٦ - ٩٠٢ .

-81 - Jeddah Report, April 1926, F. O. 371/11442; *Revue du Monde Musulman*, Vol. 54 (1926) p. 12;

النار، مجلد ٢٦ (١٩٢٦)، ١٩٢٧ ص ١٩٤، ومجلد ٢٩ (١٩٢٨)،
١٩٢٩، ص ١٦٧ - ١٧٢ .

82 - Jordan to Chamberlain, 23 June 1926, E 4186/20/91, F. O. 371/11433;

أم القرى، ١٤، ٢١، ٢٨ مايو ١٩٢٦ .

83 - A Statement by Sir A. Chamberlain to the Imperial conference, 20 Oct. 1926, *Documents on British*

Foreign Policy 1919- 1939 (Series IA, II, 1968)pp.
919-958 .

84 - *The Times*, 21 July 1926.

85 - Jordan to Chamberlain, 23 June 1926, E 4186/ 20191,
F. O. 371/11433;

وحول مشاركة بعض المسلمين للهند في هذا الاتجاه انظر: أم القرى، ٣٠
أبريل، ٢٨ مايو ١٩٢٦ .

٨٦ - أم القرى، ٥ هـ ١٩٢٦، النار مجلد ٢٩ (١٩٢٨ - ١٩٢٩)، ص
١٦٣ .

87 - *The Times*, 21 July 1926 .

٨٨ - جمال محمود حجر، بريطانيا والنشاط السري في الحجاز ١٩٢٤ -
١٩٣٨، ص ٨٥ .

89 - Jordan to Chamberlain, 23 June 1926, *loc. cit.*

٩٠ - انظر نص الخطاب في: أم القرى ١١ هـ ١٩٢٦ .

٩١ - جمال محمود حجر، بريطانيا والنشاط السري في الحجاز ١٩٢٤ -
١٩٣٨، ص ٨٨ .

٩٢ - انظر المواد ١ ، ٢ ، ٣ عن طبيعة المؤتمر الاسلامي في :

Revue du Monde Musulman, Vol. 64 (1926) p. 213.

93 - Niemeijer, A . C., *The khilafat Movement in India 1919- 1924*(The Hague, 1972) p. 110.

94 - Jordan to Chamberlain, 28 July 1926, E 2921/20/91, F.O. 371/ 11433.

۹۵ - شرف الدین بیرزادہ، نشاۃ پاکستان، ص ۱۳۱ .

96 - Jordan to Chamberlain, 23 June 1926, *loc. cit.*

97 - *The Times*, 11 Aug. 1926.

98 - Iqbal, M., *Emergence of Saudi Arabia: A Political Study of King Abd Al - Aziz Ibn saud 1901 - 1953* (Sringar, 1977), p.204.

99 - Jordan's Report on the Conference, 23 June 1926, loc.cit.

100 - Toynbee, *Survey of International Affairem 1925*, p. 319 .

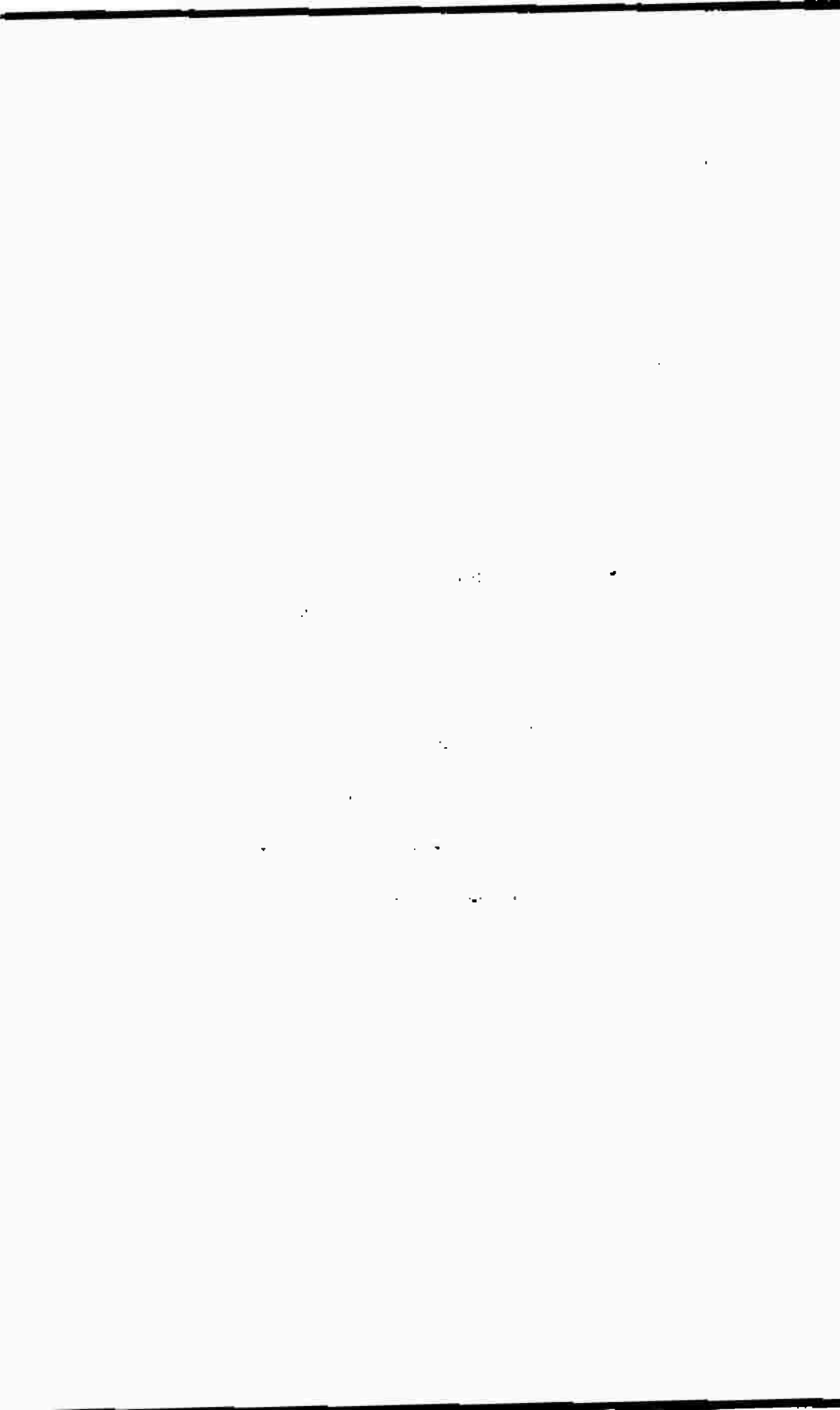
«السجون في مصر الفرعونية»

دكتور/ أحمد أمين سليم

أستاذ التاريخ القديم المساعد

قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

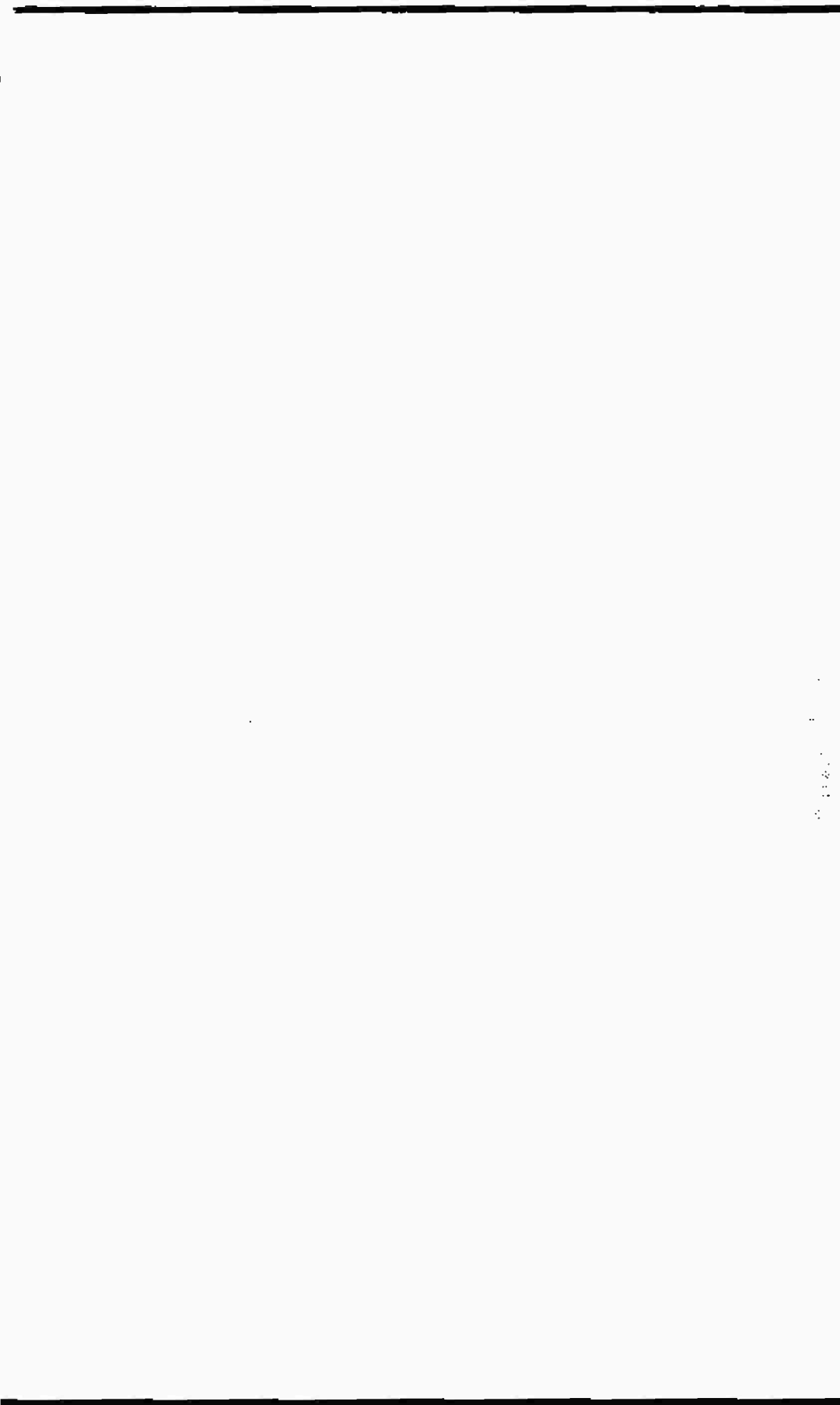


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لِيَعْلَمَنَّهُ حَتَّى حِينٍ»

صلى الله العظيم

(سورة يوسف الآية ٢٥)



يربط مفهوم الجريمة والعقاب والجزاء في أى مجتمع إنسانى بعدة عوامل تحدد طبيعة الجرم والعقاب المناسب له. ومن هذه العوامل، العادات والتقاليد والأخلاق والمعتقدات الدينية وكذلك اتجاه الحاكم وفلسفته فى إدارة وتنظيم الحكم.

وكان لعمق الشعور الدينى عند المصرى القديم أثره الكبير فى طبيعة العقوبات، فقد نظر المصريون إلى فكرة العقاب بنظر راق، فلم يوجد أثر للانتقام الشخصى فى عقوباتهم منذ أقدم العصور. وكان على المصرى أن يبتعد عن العقاب الشخصى وكذلك كان عليه أن يمنع غيره من الإقدام عليه. وما قد يشير إلى ذلك ما ذكره ديودور الصقلى ^(١) وجاء فيه، أن كهان منف قد أخبروه بأن الإلهة إيزيس وضعت لأجدادهم القوانين حتى يحل محل العدالة النظم من شخص لآخر، وتؤدى إلى الإحجام عن الأعمال غير القانونية والقوة الغشومة خشية العقاب.

وعرف المجتمع المصرى القديم صورا مختلفة للعقاب، فإلى جانب عقوبة الإعدام، كانت هناك العقوبات البدنية كالجلد وجذع الأنف وقطع الأذنين، والعقوبات المالية كالغرامة والمصادرة، وذلك فضلا عن العقوبات السالبة للحرية مثل النفى والسجن.

وسأتناول فى هذا البحث ما يتصل بالسجن فى مصر الفرعونية وذلك حسب الخطة الآتية:-

أولاً: الألفاظ الدالة على السجن.

ثانياً: الألفاظ الدالة على السجين أو المقيدة حريته.

ثالثاً: إدارة السجن.

رابعاً: طبيعة السجن وأنواعها.

Diodorus of Sicily . with an English translation by C.H. (١)
Oldfather, vol.1, London, 1960, no.14, p.49.

أولاً: الألفاظ الدالة على السجن

عبر المصري القديم عن السجن بعدة مفردات وظهر ذلك بشكل واضح منذ عصر الدولة الوسطى، حيث لم يكتف عن مفردات تشير إلى السجن في عصر الدولة القديمة، وظهرت إشارات قليلة في العصر المتوسط الأول، واستمر استخدام بعض هذه المفردات خلال عصر الدولة الحديثة بالإضافة إلى ظهور مفردات جديدة، وستناول هذه المفردات فيما يلي:

(١١)  var  -١
(١٢)  
ith

بدأ استخدامها منذ العصر المتوسط الأول، ويبدو أنها مشتقة من أصل

Wb., 1, 148., Gardiner, A.H., Egyptian Grammar, Oxford, 1982, (١١)
U31, p.519., p.556., Faulkner, R.O., Aconcise Dictionary of Middle
Egyptian, Oxford, 1976, p. 34., Meeks, D., Annee Lexicographique,
t., 1, Paris, 1980, p.51 (77.0517.).

Lesko, L.H., A Dictionary of Late-Egyptian, vol.1, U.S.A., (١٢)
1982, p.61., Pect, T.E., "The Great Tomb-robberies of the Twentieth
Egyptian Dynasty", in J.E.A., vol. 11(1925), pl.7, IV 5.

يلاحظ هنا أنه كثيراً ما استعمل المخصص  بالمتخصص  انظر:

Wb., 111, p. 295 . ويذكر جاردنر أنه من الأمثلة التي استعمل فيها المخصص  في
الخط الهيروغليفي بمخصص الألف  أو  الكلمة  التي تفيد معنى «نسخة» أو
«نفس». انظر: Gardiner, A.H., op.cit., U31, p.519.

ولجمل الإشارة إلى أن هذين المخصصين قد استخدما في معظم الاسماء التي تشير إلى السجن.
وفيما يتصل بالألف فقد استخدمت كمخصص كذلك في كلمة   التي تفيد معنى
استئشق. كما ورد في بعض النصوص ما يشير إلى أهمية التعبير عن الألف كوسيلة لإستمرار
حياة الإنسان عن طريق التخص، ومنها ما جاء في قصة سنوهم ويعطى الحياة أو يتنفس من
فتحة أنفه من الملك. انظر:

Lefebvre, G., Tableau des Parties du Corps Humain Mentionnees par
les Egyptiens, Supplement aux ASAE, Cahier no.17. le Caire, 1952,
p.19.

يتضمن تصور عن «الحجز» أو «التحفظ»^(١) وكانت تفيد في إشاراتها المبكرة معنى «حصن» أو «مكان محصن»^(٢) وترجع أولى الإشارات التي وردت فيها كلمة *itb* بمعنى «سجن» إلى العصر المتوسط الأول، ويظهر ذلك في لوحة موجودة في متحف بروكلين تحمل رقم 1.39 حيث سجل عليها القلب *imy-r itb*^(٣) الذي يفيد معنى «الشرف على السجن».

ولقد وردت هذه الكلمة في بردية Anastasi VI ، وفي محفوظه في

= ومنها كذلك ما سطر على جدران مقبرة الوزير رعى رع، وجاء فيها: «تسم الشمال العليل من أجل أنك، والهواء لفتحة أنك».

انظر: *vrk*, IV, 1166, 1. *mhyt nqnit (n) fng-k t3w n srt k*

وقد يستل من ذلك أن استخدام الألف كمخصص في الكلمة التي تشير إلى السجن إلى أهمية الألف في استمرار الحياة، ونظرا لطبيعة السجن القيدة لحياة الإنسان. فإن استخدام الألف فيها كمخصص يدل على حبس حياة الإنسان وتقييد حريته.

أما بالنسبة للعلامة *st* ، فقد تشكل جاردنر فيما تشير إليه، وإن رأى أنها أداة تستخدم في عملية صنع الخبز، ربما كان ذلك راجعا إلى أنها قد استخدمت كمخصص في كلمة *stbty* التي تفيد معنى «خيار». انظر:

Gardiner, A.H., op. cit., U.31, p. 519.

أما عن سبب استخدامها كبديل لمخصص الألف في المفردات التي تشير إلى السجن، فمن الصعوبة يمكن معرفة مدلولها، وإن كان يظن - اعتمادا على ما ذكره جاردنر أنها أداة تستخدم في عملية الخبز - أنها في هذه الحالة كانت تخص في النار، ومن ثم فقد تكون قد استخدمت كأداة في عقاب السجون. وإن كان ذلك لا يمنع من افتراض أنها قد استخدمت كأداة في تقييد حرية المساجين في السجن أو كبح جماحهم، وما قد يرجع الرأي الأخير أن علامة *st* قد جاءت في بعض الأفعال في اللغة المصرية مثل *stb* و *stbty* قد جاءت في بعض الأفعال وهي تفيد معنى يضبط أو يكبح، وقد يؤكد ذلك أن المخصصين المستخدمين في هاتين الكلمتين ربما *st* و *stb* من المخصصات التي تعبر عن القوة.

Wb., 1, 148, 12 ff. (١)

Wb., 1, 148, 25. (٢)

Hayes, W.C., A Papyrus of The Late Middle Kingdom in (٣)

the Brooklyn Museum [Papyrus Brooklyn 35.1-446] ,

Brooklyn, 1972, p.42

—, (1)

ولقد وضع في السجن في مدينة ديترويت (٢).

روی نفس الرأى كل من موتیه وکس، أنظر :

- ۲۲۶ -

رقم ٩٩٩٤ وهي ترجع إلى أواخر الأسرة العشرين، وقام بكتابتها الكاتب
 Wn - m - dl - Imm وذلك من أجل ميله «نب ما عت رع نخت» الذي
 كان يشغل وظيفة «المشرف على قطع آمون رع»، ويرجع من ذلك أن المكان
 الذي سجلت فيه هذه البردية كان طيبة.

وقد وردت كلمة *itj* في هذه البردية في الجملة الآتية^(١)،
itj nbt ddh(w) m itj
 والتي تعني «إن كل أهله محبوس في السجن»^(٢).

٢- ومن أكثر المفردات التي استخدمت لتشير إلى السجن كلمة *hnr.t*
 وقد كتبت في عصر الدولة الوسطى على النحو الآتي:

(٣) وكذلك (٤)

ومنذ عصر الأسرة الثامنة عشرة، كتبت بالأشكال الآتية^(٥)، وذلك
 بالإضافة إلى الأشكال السابقة:

(١) Gardiner, A.H., Late Egyptian Miscellanies, X, 10, 7, p. 109.

(٢) Blackman, A.M., and Peel, T.E., "Papyrus Lansing: A translation with notes", in J.E.A., vol. 11, (1925), p. 293.

(٣) Faulkner, R.O., op. cit., p. 193

(٤) Wb., III, 296

ويلاحظ أن جاردنر قد كتب دلالتها المصرية بـ *hnt* وراى أنها تعادل *hnrt*
 Gardiner, A.H., Egyptian Grammar, p. 146.

وكذلك فولكنر،
 Faulkner, R.O., "Notes on the Admonitions of An Egyptian Sage", in
 J.E.A., vol. 50 (1964), p. 30.

(٥) Wb., III, 296-297.

hnrj ثلاث مرات (١):



imy-r hnrj Wj-htp.

«الشرف على السجن أو خ حنب»

وفي عصر الدولة الحديثة ظهر الاسم hnrj بالشكل  وذلك في
نصوص تحوتس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ ق.م) الحربية الخاصة بحصارة
لمدينة مجلو والسجلة في الصرح السابع، بمعابد آمون رع في الكرنك، وذلك
على النحو الآتي (٢):



rdw m hnrk n kdt.sn

«(لقد) وضوا في سجن من بناتهم (بنوه)»

وورد نفس الشكل أيضا في نصوص تحوتس الثالث المسجلة على
الصرح السادس بمعابد آمون رع في الكرنك والخاصة بحصارة لمدينة مجلو،
حيث جاء في العبارة الآتية (٣):



sn niw m hnrj n kdt.sn

«(لقد) حوصروا ووضعوا في سجن من بناتهم (بنوه)»

(١) يوجد حاليا في المتحف المصري بالقاهرة، ويبلغ طوله ١٨٩سم، وارتفاعه ٤٧,٥سم،
وارتفاع النطاء ٧سم، ويحمل رقم ٢٨٠٤٠، انظر:

Lacau, P., Sarcophages, (C.G.C) vol. I, (28001-28096),
Le Caire, 1904, pp. 126, 129, 131.

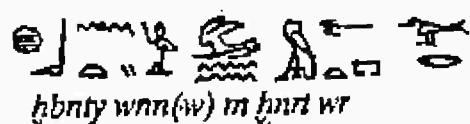
Urk., IV (Sethe, K., Urkunden Der 18. Dynestie,
Berlin, 1961), 184.

Ibid., 758, 16.

(٢)

(٣)

وورد الشكل ١٥ في النصوص التي ترجع إلى عهد تحوتس الثالث وذلك في المراسيم الموجهة إلى الوزراء لتحديد أعمالهم، فقد جاء فيما يتصل بالتعليقات القضائية ما يلي (١) -



hnty wnn(w) m hnt wr

«المنب الكائن في السجن الكبير»

وورد الشكل ١٦ في نصوص مقبرة الأمير امنمحات رقم ٨٢ (عهد



iv inly-n i st m hnt n kd-sn

ولقد حصرهم في السجن التي أقاموها».

٢- وكذلك *mn kb.*

ظهرت هذه الكلمة في نقوش تمثال مصروع من المرمر يرجع إلى عهد الملك اوسركون الثاني خاص ملوك الأسرة الثانية والعشرين، ويخص شخص يدعى نخت - ف - موت (٤)

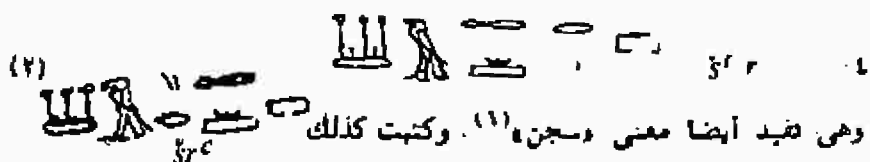
Ibid., 1109, 14. (١)

Davies, N.G., The Tomb of Amenemhet, London, 1915, p. 27 (٢)

Wb., II, 90, 21. (٣)

(٤) عثر على هذا التمثال في الكرنك ويبلغ ارتفاعه ٧٨ سم، ويوجد حاليا بالمتحف المصري بالقاهرة. انظر:-

Legrain, M., Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers, (C.G.C) nos (42192-42250), Le Caire, 1914, no. 42208, pp. 20-23.



وهي قيد أيضا معنى وسجن^(١)، وكنت كذلك^{١٢٤}
ولقد ظهرت في برزاة ليوبولد الثاني^(٢) التي ترجع إلى العام السادس عشر
من عهد رعميس التاسع (حوالي عام ١١٢٦ ق.م) وهي تبدأ بالتاريخ الذي
سجلت فيه على النحو الآتي :

والعام السادس عشر، الشهر الثالث، من فصل الفيضان، اليوم الثاني والعشرون من عهد جلالتة، ملك مصر العليا والسفلى، سيد الأرضين، نفر كارع ستين رع، ابن رع سيد التيجان مثل آمون، رع عيسى خع ام واس مري آمون، محسوب آمون رع، ملك الأكمة، رع حور آسى يعطى الحياة للأبد (٤).

ولقد وردت كلمة $\sqrt{s^c}$ متصلة بمعبود آمن رع وذلك على النحو الآتي (١٥):



دسجن معبد آمون رم.

Wb., IV, 421 (1)

Lesko, L.H., *A Dictionary of Late Egyptian*, vol.III, U.S.A., 1987, p. 163.

(٣) استكملت محتويات دار البردية في بردية Amherst التي كان قد كشف عنها في وقت سابق للكشف عن هذه البردية.

Capart, J., Gardiner, A.H., and Van de Walle, R., "New Light on the Ramesside Tomb Robberies", *J.E.A.*, vol. 22 (1936), p. 121.
Ibid., pl. XVI.

هـ -  (١) وكذلك  (٢)

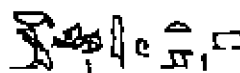
وهي تفيد معنى «السجن»، ولقد وردت في بردية ستراسبورج ١٢٢

الثانية في الشكل الآتي:  و ذلك في الجملة الآية (٣)،



^cr-iv m p3 ddh

"وصعدوا في السجن"

(٤) ومن المفردات التي تفيد معنى السجن كذلك  ^{kri}

وأبضا  (٥) rth

Wb., II, 635, 13.

(١)

Lesko, L.H., A Dictionary of Late Egyptian, vol. IV, U.S.A., 1989, p. 170.

(٢)

Spiegelberg, W., "Briefe der 21. Dynastie aus El-Hibe" in Z A S, 53(1917), p. 24.

(٣)

Wb., V, 135, 3.

(٤)

Meeks, D., op. cit., pp. 222-223.

(٥)

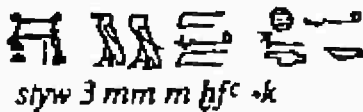
ثانيه الالفاظ الدالة على السجين أو المقيدة لحرية

عبر عن السجين أو المقيدة حرته في اللغة المصرية القديمة بالعديد من المفردات، التي تفيد معنى السجين أو المحبوس أو المقيدة حرته أو الممسوك أو المقبوض عليه وغيرها من المفردات التي تؤدي معنى الحبس أو تقييد الحرية، ومن هذه المفردات :



وهي تعيد معنى «قبض على» أو «امسك» أو «غل يده» وقد سجلت في عصر الأسرة الثامنة عشرة بالشكل  وكذلك  وبعد الأسرة الثامنة عشرة كانت تكتب كذلك بالشكل  (١) وكذلك  (٢).

ولقد وردت في هذا الشكل الأخير في نصوص رعحميس الثالث المسجلة على جدران معبد آمون رع في الكرنك وذلك في الجملة الآتية (٣) :



الاسميين مقبوض عليهم في قبضتك

Wb., I 10

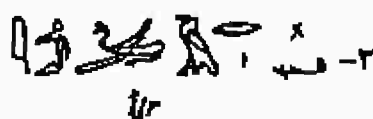
Lesko, L. H. vol. I, p. 7

Kitchen, K. A. Ramesside inscriptions. Historical and Bibliographical vol. V. Oxford, p. 18, 15

bik ntry pđ dnḥwy ḥḥwy ity(t) ph sw m km n 3t

والصقر المقدس الذى ينشر جناحيه ينقض نازلا ويقبض على مهاجمه

ونجزها بسرعة (فى اللحظة)».

٢- 

وهى تفيد معنى سجين أو أسير أو عبد^(١١)، ولقد وردت فى نصوص

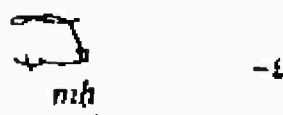
الفرعون رعمسيس الثالث الخاصة بالحرب اللبية الثانية والسجلة على

جدران معبد مدينة هابو، حيث جاء فيها^(١٢)،



in-tw-w m ijr m ḥ3k ḥmwt n p3 hh

«انقدا أحضروا مسجونين وأسرت نساؤهم فى الأنفاس الحارة»

٤- 

وهى تفيد معنى يقبض أو يمسك أو يحجز^(١٣)، وحينما يكون المقصود

بها القبض عليه أو المعبرس فإنه يضاف إليها حرف  ^(١٤)، ووردت

Wb., I, 151, S., Lesko, L. H. op. cit., I, p 62.

Kitchen, K.A., op. cit., 71.13

Wb II. 119.8.

(١١) أحمد بدوى وهو من كبار المعجم الصغير فى معجمات اللغة المصرية القديمة القاهرة.

١٩٥٤ ص ٢٠

كذلك في الشكل  ^(١) ولقد جاءت في بردة Abbot في الجملة الآية ^(٢):

















p3 mŋ i gmy im iw-tw mŋ im f

«الرجل الذي وجد هناك كان محبوساً فيه»

بوردت كذلك في الجملة الآية (٣) :


 in-f-hr m-h m-im-i

«ایہ محبوس ہے»


 x 9

وهي تفيد معنى «الجين»^(٤)، ولقد وردت في بردة تورين في الجملة الآية^(٥) :

iw-k dit t3w n p3 nty nti (m) hnt

وتعطي السمعة لذلك المحبوس في السجن،

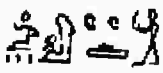
Lesko, L.H., *op. cit.*, vol. 1, p. 231.

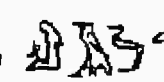
Wb., (Die Belegstellen), II, 1198. (2)

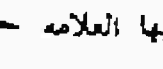
Inscriptions in the hieratic and demotic character from the collections of the British Museum, London, 1868, char. XVIII 5631.10. (7)

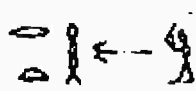
Wb. II 35] 6 (4)

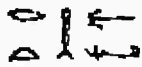
Rossi L. Pleyte, W. Papyrus de Tunn. Leiden. 1859. 26.2, 2. 163

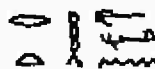
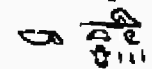
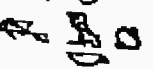
وهي تعيد معنى «السجين»^(١١) كما وردت كذلك في الشكل  كما كتبت أيضا وجاءت في هذا الشكل في بردية امهرست Amherst^(١٢). كما كتبت أيضا بالأشكال الآتية:

 وكذلك  

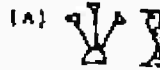
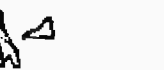
وعندما يضاف إليها العلامة  فإنها تعيد في هذه الحالة معنى «عيس» أو «سجن»^(١٤)


nh

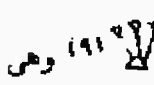
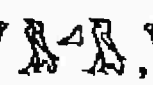
وهي تعيد معنى المقيدة حرته^(١٥)، وظهرت كذلك في الشكل  الذي يعيد معنى يكبح أو يقيد أو يضبط أو يحاصر^(١٦)، ولقد ظهرت في هذا الشكل الأخير في تصور الفرعون رمسيس الثالث المسجلة على جدران معبد مدينة هابو، وذلك في الجملة الآتية^(١٧):

  
nh-n-k h3rw h3i-k

حاصرت قلوب^(١٨) جثمانك

 
h3i

-٨-

ولقد وردت كذلك في الأشكال    وهي

Wb., II, 424, 8.

Wb., III, 417. Lesko, L.H., vol. III, p. 7

Poet, T.E., The Great Tomb robberies of the twelfth Egyptian Dynasty, Oxford, 1930, pl. 5,4,2

Wb., III, 418, 6.

Gardiner, A. H., Egyptian Grammar, I 31, p. 519

Lesko, L.H., vol. II, p. 73

Kitchen, K.A. op cit vol. V 93.3

Lesko, L.H. vol. II p. 97

Vb. III 32 14

(١١)

(١٢)

(١٣)

(١٤)

(١٥)

(١٦)

(١٧)

(١٨)

(١٩)

نفيد معنى المقبوض عليه أو المحاصر أو المسجون، وعندما يضاف إليها
الخصص ^{١١١} فإنها نفيد معنى «أسرى» (١).

وجاءت على لوحة الفرعون رمسيس الثانى مصنوعة من الجرانيت، لم
يتبق من نقشها سوى الجزء الأسفل فقط، ويتضح منها أنها تحصل بتسجيل
انتصارات الفرعون فى بعض حروبه التى قام بها، وهى تبدأ بحروبه فى
الجنوب، ثم تتحدث فى نهايتها عن حروبه فى الشمال الشرقى، وقد وردت
هذه الكلمة فى الجملة الآتية (٢)


ir hpyt 3t m t3 n 33sv h3k-f n3y sn tswt

«أوقع الكثير من القتلى فى أرض الشاسو، وقبض على جنود هذه المناطق»
ويذكر ناڤيل E. Naville (٣) أنه اعتمد فى هذه الترجمة على ما ورد
فى بردية انطامس وكتب فيها كلمة ^{١١١} على النحو الآتى: ^{١١١}
وهى نفيد معنى «قوات مجنده».

ويرى جاردنر (٤) أن ترجمة عبارة «قبض على جنود هذه المناطق» غير
دقيقة، وترجمها «قبض على نلالهم» أو «سيطر على نلالهم»

٩- 


(١) أحمد بدوى ومهر من كين: المعجم الصغير، ص ١٥٢

(٢) Naville, E., "The Geography of the Exodus" An J.E.A., vol. 10 (1924), p. 20

(٣) Ibid

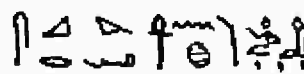
(٤) Gardiner, A.H., "The Geography of the Exodus: An Answer to Prof. Naville and others", in J.E.A., vol. 10 (1924), p. 89, no. 1

وهى تفيد معنى «يقبض» أو «يمسك» (١)، ولقد وردت فى بردية Lansing بمعنى «يقبض» أو «يسيطر» وذلك فى الجملة الآية (٢)

١١-  skr nh (١)

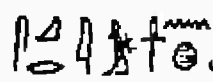
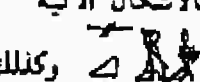
وكانت تكتب كذلك بالشكل  ، وهي تفيد معنى السجين المحي (٢)

أو الأسير أو الصريع المحي (٣) أو الأسير المحي (٤) وكذلك السجين (٥) ،

وكانت تجمع في الشكل  وكُتبت كذلك

skr - cnhiv

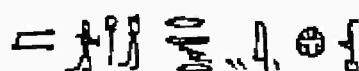
بالشكل الآتية (٦) :

 وكذلك  وكذلك  وكذلك 

وقد وردت في الشكل  في نصوص الفرعون سيتي الأول وذلك

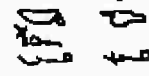
في مناظر حروبه المسجلة في الجانب الشرقى بالكرنك والتي ترجع إلى عام

حكمه الأول، فلقد جاء فيها (٧) :



m skr cnh in r 13 my.

«إحضر السجين المحي إلى مصر»

 kyc

١٢-

وهي تفيد معنى «يقبض» أو «يسجن» أو «ياسر» أو «ياخذ»

ويستخدم هذه الكلمة كفعل واسم (٨) وعلى ذلك فهي تعني أيضا المقبوض

عليه أو المأسور أو المسجون وقد وردت بالشكل السابق في عصر الدولة

الجديدة وبخاصة في الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين (٩) ، ولقد وردت في

Wb., IV, 307., Z A S, 50(1912), p. 81. (١)

Lesko, L.H., op. cit., vol. II, p. 104. (٢)

(٣) أحمد بدوي وهر من كيس : المرجع السابق، ص ٢٢٤

Gardiner, A.H., Egyptian Grammar, p. 592. (٤)

Moeks, D., op. cit., pp. 394-350. (٥)

Faulkner, R.O., op. cit., p. 250. (٦)

Kitchen, K. A., Ramesside Inscriptions, vol. 1,9,8. (٧)

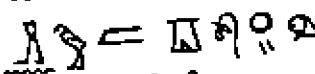
Gardner, A.H., of p. 597 (٨)

Wb V 121 10., Lesko, L.H., vol. IV (1989), p 39 (٩)

العديد من المصادر النصية الخاصة بحوليات الفرعون تحوتمس الثالث^(١)، وفي نصوص الفرعون رمسيس الثالث الخاصة بحروبه ضد أقوام البحر والمسجلة على جدران معبد مدينة هابو، ومن هذه النصوص التي وردت فيها، نصوص الحركة البحرية المسجلة على الجدار الشمالي للمعبد^(٢).

١٣-  gw3w3

وهي تفيد معنى الأسور^(٣) والمقبوض عليه أو المحاصر^(٤) أو المقيمة حربته^(٥)، وقد وردت في نصوص الاسرة الثامنة عشرة، وذلك في نصوص القائد أحسن بن أبانا الخاصة بحملة التربة التي تمت في عهد الفرعون امنحتب الأول (١٥٥٠-١٥٢٨ ق.م)، فقد جاء فيها^(٦):


iniw m gw3w3

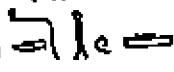
«أخذهم مقبوضا عليهم»


ddli

١٤-

وهي تفيد معنى «السجين»^(٧)، ولقد وردت في أشكال متعددة مثل^(٨):



وكذلك  وكذلك 

ومن النصوص التي وردت فيها هذه اللفظة بدرجة انطاسي الثالثة، حيث ورد فيها فيما يتصل بوصف الحالة السيئة للجنتى من أنه "يؤخذ من

Urk., IV, 698., 898,8.

Kitchen, K.A., Ramesside Inscriptions, vol. V, 32,11.

Wb., V, 160,8.

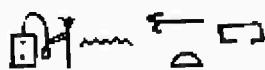
Meeks, D., op. cit., p. 403.

Fulkrner, R.O., op. cit., p. 288.

Urk., IV, 7,4.

Gardiner, A.H., op. cit., p. 604 Meeks, D. op. cit. p. 455.

Lesko L.H. op. cit. vol IV pp 169-170 Wb. V 635.6-12


 $\check{s} \check{s} n h n r t$

«كاتب السجن»

-١-

كان هذا اللقب من الألقاب الشائعة في عصر الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة، وتكرر ظهوره بعد ذلك بشكل غير منتظم^(١)، وظهر هذا اللقب أيضا في بعض النصوص السابقة للأسرة الثانية عشرة وذلك في الشكل  (٢)

ومن النصوص التي ورد بها لقب «كاتب السجن»، شاهد قبر يرجع إلى عصر الدولة الوسطى، وهو محفوظ في المتحف المصري بالقاهرة^(٣). ولقد عثر عليه في جبانة أيلوس، وهو مصنوع من الحجر الجيري، ويبلغ ارتفاعه ٥٢ سم، وعرضه ٢٣ سم، ولقد تكرر اللقب في الوجه الخلفي للوحة عدة مرات وذلك على النحو الآتي:


 $\check{s} \check{s} n h n r t i y$

«كاتب السجن إي»


 $\check{s} \check{s} n h n r t m s n b m 3^c - h r w$

«كاتب السجن المدعو سب المبرأ»


 $\check{s} \check{s} n h n r t i b m 3^c - h r w$

Hayes, W. C., op. cit., p.39.

(١)

Gardiner, A.H., The Admonitions of Egyptian Sage, Leipzig, 1909, p.47.

(٢)

Lange, H.O., Und Schäfer, H., Grab und Denksteine des Mittleren Reichs, t.1, Berlin, 1902 (C.G.C nos 20001-20780), no 20023, pp. 24-26

(٣)

Ibid., p. 25, L

(٤)

Ibid., p. 25, M

(٥)

Ibid., p. 25, N

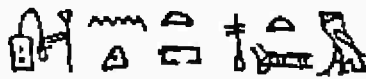
(٦)

كتاب السجن إب المبرأ

(١١) 

ss n hnt Tty m 3^c - hnw,

كتاب السجن تى المبرأ

(١٢) 

ss n hnt Nfr- im

كتاب السجن نفرت

وحمل هذا اللقب كذلك المدعى "سنى" وذلك على لوحة عشر عليها شمال
جبانة أيدوس، وتبلغ أبعادها ٥٦ × ٣٢ سم، وهي توجد حاليا فى المتحف
المصرى بالقاهرة تحت رقم ٢٣٦. ٢١ (٣).



-٢

ss wr n hnt

"الكاتب الكبير للسجن" (١٤).

ظهر هذا اللقب فى عصر الدولة الوسطى (١٥)، فلقد وجد على شاهد قبر
يرجع إلى عصر الدولة الوسطى، وهو يخص أحد الأشخاص ويدعى 
RS ويبلغ طول هذا الشاهد المصنوع من الحجر الجيري ٤٦ سم وعرضه
٢٩ سم، ولقد جاء فيه (١٦).

Ibid., O.

(١١)

Ibid., p.

(١٢)

Simpson, W.K., The Terrace of the Great God at Abydos:
The offering chapels of Dynasties 12 and 13, New Haven and
Philadelphia, 1974, p. 22, no. 75.

(١٣)

Ward, W.A., Index of Egyptian Administrative and Religious
titles of the Middle Kingdom, Beirut, 1982, p. 159 (no. 1372)

(١٤)

Posener, G., La Première Domination Perse en Egypte, Recueil
d'Inscriptions Hieroglyphiques, Le Caire, 1936, p.8.

(١٥)

Lange, H.O., und Schäfer, H., op. cit., (20322), pp. 334-335

(١٦)

SS not in hb 19 R



ورد في الكثير من النصوص التي ترجع إلى عصر الدولة الوسطى وحمله
العديد من الموظفين إنما يفيد معنى الكاتب الكبير للسجن وليس كاتب
السجن الكبير، وما قد يرجع هذا أن علامة  بوصف بها الإنسان وليس
البنى

ولقد ورد هذا التعبير في العديد من النصوص ومنها، جزء من مائدة
قرايين محفوظة في متحف مرسيلا، كان قد عثر عليها في أبيدوس، وهي
مصنوعة من الحجر الجيري، ويبلغ طولها ٤٢سم، وعرضها ٢٩سم، وقد ورد
اللقب على النحو الآتي (١٣).

ש"ס ה'תתק"ע

كما ظهر أيضا على شاهد قبر عثر عليه في أبيلوس، وهو مصنوع من الحجر الجيري ويبلغ ارتفاعه ٦٨سم وعرضه ٥٠سم، وهو محفوظ في المتحف

المصري بالقاهرة (٤) وورد اللقب على النحر الآتي (٥):

s3-f s3 n hnt wr Nfr- htp

"ابن الكاتب الكبير للشيخ نقر هتب"

ومن الأدلة التصدية التي ظهر عليها هذا اللقب أيضا، ما عرف باسم

(١) أحمد بطوي وهرمان كيس : المرجع السابق، ص ١١

Gardiner, A.H., *The Admonitions of Egyptian Sage*, p. 47., انظر (٢١)

Hayes, W.C., *op. cit.*, p. 39.,

Posener, G., op. cit., pp. 8-9

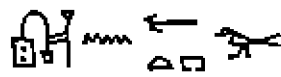
Maipero, G., "Monuments Egyptiens du Musee de Marseille", in (r) Recueil de Travaux Relatifs a la Philologie et a L'Archeologie Egyptiennes et Assyniennes, vol. 13, (1893), p.116.

H. O. Und Schaefer, H., Grab und Denksteine des Mittleren (1885).
Museum von Kassel, t. II, (C G C nos 2240-2678).

Berlin. 1908, no. 20427. pp 353-355

ibid. p. 155, d. 3

"الكاتب الكبير للسجن، عنخو، المبرأ"



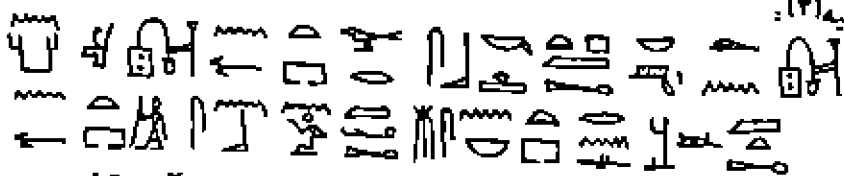
-٣-

ss n hnrt wr

يرى W.A. Ward أنها تفيد معنى "كاتب السجن الكبير" (١). ولقد

وردت بهذا الشكل في العديد من النصوص التي ترجع إلى عصر الدولة
الوسطى، ومنها شاهد قبر عثر عليه في أيديوس، ويوجد حالياً في متحف
مدينة شتوتجارت، ويبلغ طوله ٤٣سم. وعرضه ٢٩,٥سم (٢). وقد جاد

فيه (٣):



n k3 n ss n hnrt wr sbk-htp m3c -hrw nb-im3h ir(w)

n ss n hnrt wr Snb n.i m3c -hrw ms(w) n nbl pr

Rn-s m3c t-hrw.

"... إلى قرين كاتب السجن الكبير سو بك حنب المبرأ، الجليل، المولود

للكاتب الكبير للسجن سنس ني المبرأ، المولود من سيلة البيت رنسي المبرأة"

وبلاحظ في النص السابق أن الكاتب قد استخدم في كتابته لكلمة

" wr " كل من العلامتين  ،  ، وذلك مما قد يعنى أنه ربما قصد

في المرة الأولى أن يشير إلى السجن الكبير، وفي المرة الثانية إلى الكاتب

الكبير للسجن وهو ما يتفق مع سياق الجملة ، حيث كان يعمل الابن كاتباً

Ward, W. A., op. cit., p. 163, no. 1412.

Steindorff, G., "Ein Grabstein des Mittleren Reichs im Museum (١)

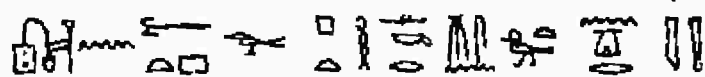
von stuttgart", in ZAS, vol. XXXIX(1901), pp. 117-119. (٢)

Ibid., Text, 4-5, p. 118. (٣)

والاب كتابا كبيرا.

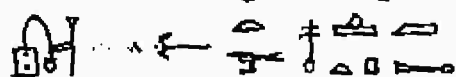
وربما يؤيد هذا الرأي كذلك ما ورد في الامثلة التي لدينا، وجاء فيها علامة  *wr* بعد كلمة *ss* مباشرة، كما جاءت أيضا بعد كلمة *hnrt* في باقي الامثلة، بينما لم ذات علامة *wr*  بعد كلمة *ss*، مما قد يشير إلى أن الأولى ترتبط بالكاتب والثانية بالسجن، ومما قد يرجع هذا الرأي أن علامة  يوصف بها الانسان وليس البني وذلك كما سبقت الاشارة

كما حمل الدعوى "بتاح سكر" لقب "كاتب السجن الكبير" وذلك على النحو الآتي (١):



ss n hnrt wr Pth-skr ms(w) n s3t-Ngr m3^c - hnv

كاتب السجن الكبير بتاح سكر المولود من سات نجر المبرأ^٢
وظهر هذا القب كذلك على لوحة ترجع إلى عصر الأسرة الثالثة عشرة،
فقد حمله الدعوى "نفر حتب"، وذلك على النحو الآتي (٢):



ss n hnrt wr Nfr-htp m3^c hnm

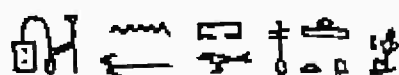
كاتب السجن الكبير نفر حتب المبرأ^٢

وورد هذا القب أيضا في بردية بولاق رقم ١٨ 18 Boulaq no. التي

(١) Bergmann, E.V., "Inscriptliche Denkmaler Die Sammlung Ägyptischer Alterthümer des österr. Kaiser-hauses", in (R.T) Recueil de travaux relatifs à la Philologie et à L'Archeologie Egyptiennes et Assyrienne, 7, (1887), p. 183.

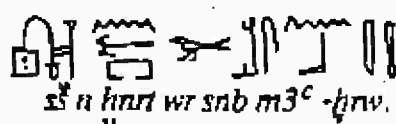
(٢) Bergmann, E.V., in R.T., vol. 9 (1889), p. 36,6.

نرجع إلى عصر الأسرة الثالثة عشرة، حيث جاء فيها: (١).



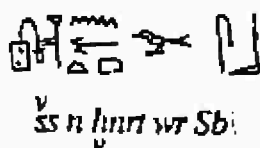
"كاتب السجن الكبير نفرحتب"

ومن الذين حملوا هذا اللقب أيضا في عصر الأسرة الثالثة عشرة المدعو "سب" ولقد اتخذ على لوحة مصنوعة من الحجر الجيري الأبيض عشر عليها في أبيدوس، ويوجد حاليا في متحف مرسيلا، وجاء فيها: (٢).

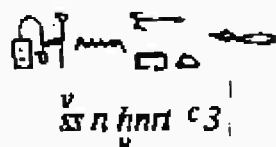


"كاتب السجن الكبير، سب، المراء"

ويوجد في متحف مرسيلا أيضا لوحة أخرى من الحجر الجيري كان قد عشر عليها كذلك في أبيدوس وهي تخص شخص يدعى "سب" من عصر الأسرة الثالثة عشرة وقد اتخذ لقب "كاتب السجن الكبير" وذلك على النحو الآتي: (٣).



ولقد ورد تعبير "كاتب السجن الكبير" في حالات نادرة في الشكل



الآتي: (٤).

Scharff, A., "Ein Rechnungsbuch des Königlichen Hofes aus der 13. Dynastie, (Papyrus Boulaq Nr. 18) in ZAS, 57 (1922), p. 51. (١)

Maspero, G., op. cit., p. 116. (٢)

Ibid., p. 117 (no. 28,4). (٣)

Ward, W.A., op. cit., p. 163 (no. 1411). (٤)

Hieroglyphic Texts from Egyptian Stelae ..., in the British Museum, vol. 11, 21.

وذلك باستخدام علامة — بدلا من علامة ١٧٢١

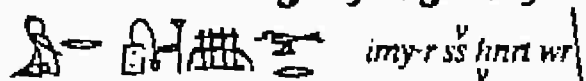


-٤

imy-r ss^v hnt wr.

"أسرف على كتبة السجن الكبير"

ظهر هذا اللقب على العديد من الآثار التي ترجع إلى العصر الأخير من تاريخ مصر الفرعونية، وبخاصة منذ عصر الأسرة السادسة والعشرين وما بعدها ولقد ظهر على لوحة في السيرايوم توجد حاليا في متحف اللوفر تحت رقم ٣٢٢ وذلك على النحر الأيمن:-

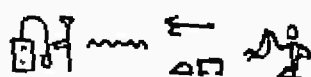


كما ظهر على جزء من تابوت محفوظ في متحف نابولي تحت رقم

١٠٧ وذلك في الشكل الأيمن:-



كما ظهر هذا اللقب أيضا في الأشكال الآتية :-



-٥

ss^v n hnt n sdm

"كاتب سجن التحقيقات"

الحق بالسجون قسم خاص بالمسجونين الذين يتم التحقيق معهم (١)، وأطلق على الكاتب الخاص به لقب "كاتب سجن التحقيقات"، وظهر هذا

Posener, G., op. cit., p. 8.

(١)

Hayes, W.C., op. cit., p. 38.

(٢)

اللقب في عصر الدولة الوسطى، وأثبتت الأدلة النصية وجوده على لوحتين على الأقل، توجد إحدهما في متحف اللوفر^(١) والأخرى في المتحف البريطاني^(٢).

ونجد الإشارة إلى أن صاحب اللوحة المحفوظة في المتحف البريطاني يذكر أنه كان في أول الأمر "كاتباً في سجن التحقيقات" ثم أصبح "كاتباً في السجن الكبير" ، ويستدل من ذلك أن سجن التحقيقات كان جزءاً من السجن الكبير ، أو أنه كان تابعاً له (٢).

وربط بهذا اللقب أيضا، لقب آخر هو
الذي يفيد معنى "كاتب محكمة السجن"^(٤)، وقد يشير ذلك إلى أنه الحققت
بالمحاكم سجرون.

ومما قد يشير الى الصلة الوثيقة بين المحكمة والجن أن أحد المارطفين قد اخذ اللقبن الآمين (٥)؛

11. 12. 13. 14. 15.

$$shd\ ss\ m\ d3d3t$$

وهي نفيد معنى "مفتش الكتب في الحكمة، والشرف على كتبه
السجن الكبير" (٦).

(١) يوجد له، متحف اللوفر تحت رقم C. 186.

(٧) توجد لدى الصحف البريطانية تحت رقم 82818.

Hayes, W.C., op. cit., p. 38.

Ibid., pp. 38-39.

Poçner, G., op. cit., p. 6

(٦) يرى G. Posener أن الجزء الأخير يترجم : «الشرف على كفة

الحسن الكبير: انظر: Ibid., p. 7.

بالمجاين، ولقد ظهر هذا اللقب في عصر الدولة الوسطى (١)

المشاريع من مخازن قمم الدولة (٢١).

الزراعية (٣) وكذلك الأملاك العامة (٤)، وحمل أيضا لقب كاتب حسابات

43

(4)

(5)

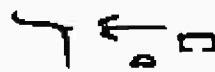
(41)

الأرض كلها (١).

ومما قد يشير إلى ذلك أيضا أنه قد ورد في نصوص مقبرة "تحت
حطب" حاكم الأشمونين (٢) مناظر تمثل مجموعة من الوظائف المتصلة ببعضها
وشاغليها، ولقد صوروا وهم وقوف وكل منهم وراء الآخر، فجاء المشرف على
الحقول، ثم المشرف على الخربة، فالمشرف على السجن، ثم المشرف على
القضاة، وقد بوضع ذلك الصلة الوثيقة ما بين إدارة السجون والإدارات
الأخرى في الدولة وبخاصة إدارة الحقول والإدارة القضائية وكذلك إدارة
المالية.

كما حمل المدعو "امحتب" في اللوحة القضائية التي عشر عليها في
الكرنك بالإضافة إلى وظيفته ككاتب للسجن، ووظيفة "كاتب تقارير الأرض
الشمالية" (٣).

وأوضحت الأدلة النصية المتفرقة التي أمكن الكشف عنها وجود جهاز
إداري خاص بالإشراف على السجن، فلقد حمل العديد من الأفراد القاب
توضح صلتهم بالإشراف على السجن والساجين، ومن هذه الألقاب التي
أمكن التوصل إليها

١- 
imy-r hnt

يفيد هذا اللقب معنى "مشرف السجن"، وقد تحمل هذا اللقب العديد من
الموظفين وبخاصة في عصر الدولة الوسطى، ومن أوائل الذين حملوا هذا

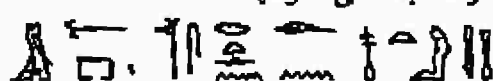
Hayes, W. C., op. cit., pp. 39-40. (١)

Newberry, P.E., El Bersheh, Part I, London, 1892, pl. XXVII, (٢)
bottom.

Lacau, P., op. cit., p. 22. (٣)

اللقب في عصر الأسرة الحادية عشرة، الموظف جار  وذلك في عهد الملك نب حبت رع متوحش، وتوجد مقبرة جار بجوار معبد متوحش الثاني وهي تحمل رقم ٣٦٦-١١.

ومن هؤلاء الذين حملوا هذا اللقب "نخت" الذي كان موظفا لدى محوت حتب حاكم الأشمونين (٢) و"أوخ حتب" (٣) في الاقليم الرابع عشر من أقاليم مصر العليا (أف بحث - القوصية)، كما ظهر أيضا على مائدة قرايين عشر عليها في أبيدوس وهي مصنوعة من الحجر الجيري، ويبلغ طولها ٦٣,٥ سم وعرضها ٤٩,٥ سم، ولقد جاء في نقوشها (٤):



imy-r hrwt wsr-t sn ir(w) n Nfrt m3^c t-hrw

"شرف السجن وسر المولود من نفرت المبرأة"

ومن الذين حملوا هذا اللقب كذلك اللعمر "سنب" وذلك على جزء من شاهد قبر، ولقد ورد اللقب على النحو الآتي (٥):



imy-r hrwt m-f Snb

Winlock, H.E., in BMMA, March, 1932, Sect. 11, pp. 32, 34 Figs. 25-31. (١)

Newberry, P.E., op. cit., Pl. XXVII, bottom (٢)

Lacau, P., Sarcophages, (C.G.C.), t.1, nos 28001-28086, Le Caire, 1904, no. 28040. (٣)

Kamal, A., Tables D'offrandes, (C.G.C.), t.1, nos 23001-2356), Le Caire, 1909, no. 23027, p. 23. (٤)

Lacau, H.O., Schafer, H., op. cit., no. 20487. (٥)

"الشرف على السجون اسمه سنو"

واتخذ كذلك المدعو "خنسو" لقب "الشرف على السجن" وظهر ذلك على

شاهد قبر عشر عليه في أبيدوس، وذلك على النحو الآتي (١):



imy-r hnt Hnsu

"الشرف على السجن خنسو"

كما ظهر هذا القب كذلك على لوحة جنزة ترجع إلى عصر الأسرة

الثالثة عشرة وجاء اللقب على النحو الآتي (٢):



imy-r hnt

"شرف السجن"



imy-r hnt n r-3 wr

"الشرف على سجن الحصن الكبير" (٣).

ورد هذا اللقب في عصر الأسرة الحادية عشرة وذلك في لوحة انتف Intf

ابن نفى *Intf* ، وقد عمل تحت حكم الملك متوحتب الثاني، وتوجد هذه

اللوحة في قسم الفن المصري بمتحف المتروبوليتان تحت رقم 57.95 وهي

مصنوعة من الحجر الجيري وبلغ أبعادها ٧٨ x ١٤٢ سم، وتتكون الجزء

الأكبر من النص من مجموعة من الألقاب الشائعة في لوحات المقابر التي

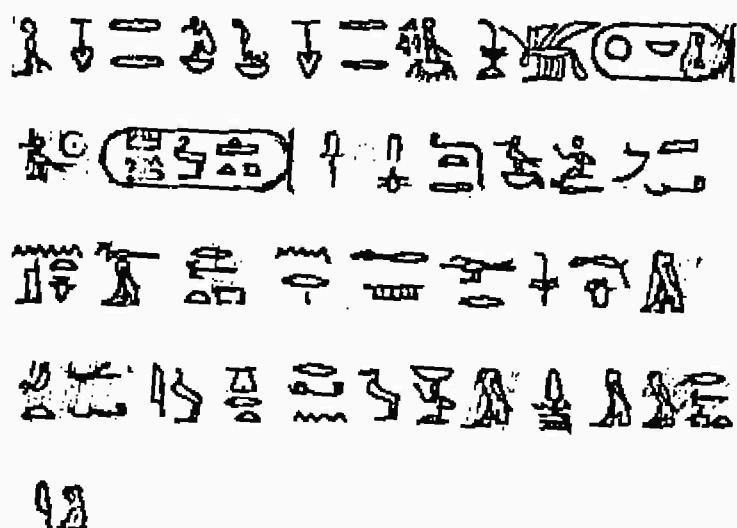
ترجع إلى بداية عصر الدولة الوسطى، ولقد ورد هذا اللقب في السطر الأول

Ibid., no. 20724, p. 355, (d. 7). (١)

Bergmann, E., op. cit., p. 36 (٢)

Ward, W.A., op. cit., p. 40(no. 403). (٣)

من اللوحة وبداية السطر الثاني، وذلك على النحو الآتي (١):

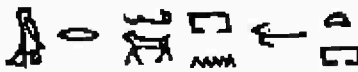


Hr sm3 t3wy nbty sm3 t3wy^v swty Hr nwb k3 nsw-bity
Nb-bhty-R^c s3 R^c Mntw-htp^v c nḥ mi R^c dt b3k-f m3^c n
st ib-f imy-r hnt n r-^c 3 wr mh ib nsw m (sdm1 w)
iw grt rdi n wi nb-i m n^c rt m imy-r hnt Im^v

*Fischer, H.G., "The Inscription of in - it. f, Born of I R^c" (١)
 in JNES., vol. 19(1960), pp. 258-268, pl. VII.

والتي تترجم:

"حرر، موحد الأرضين، المتحلى للسيدتين، موحد الأرضين، حرر الذهب،
عالي الرشتين، ملك مصر العليا والسفلى، نبه حيث رع بن الشمس
متوحيب، يعيش للأبد مثل رع، إن خادمه القملى المقرب من عطفة الشرف
على سجن الحصن الكبير^(١)، اللهم بثقة الملك فى {التحقيقات السرية} الآن
عيتنى سيدى فى إقليم نعت (هيراقيوبوليس / اهناسبا المدينة) مشرقاً على
السجن الموجود بها".



٣٠

imw-r c'hnwyt n hwt

١٠. يفيد هذا اللقب معنى "الشرف على حجرة مقابلات السجن"^(٢)، ولقد
ظهر هذا اللقب فى بردية عشر عليها فى القبرة رقم ٤٠٨ فى تجمع الدبر
(جنوب أحميم بـ ٤١ كم وشمال لجع حمادى بـ ٣٧ كم)، وهى توجد حالياً فى
متحف الفنون الجميلة فى بوسطن وتحمل رقم 38.2062 ويرجح أنها ترجع

(١) يفيد تعبير *c'hnwyt* أدبيا "الدخل" المزدى إلى البلاد (Faulkner, R.O., op.cit., p. 146) ويذ كرفشر H.G.Fischer أنها كانت تشير عادة فى الألقاب والصفات فى عصر
الدولة القديمة إلى المعرات الجبلية، وكان يطلق على هذه المعرات أصلاً كلمة "مداخل" وذلك لأنها
كانت قتل للمداخل المادية إلى وادى النيل، ويثل الباب حاجزاً، كما يثل مدخلا فى نفس الوقت،
وعندما يكون من الضرورى ولق للدخل الأجنبي، فإن هذه المداخل تصعب ذات أهمية استراتيجية،
كما تصعب أماكن محصنة حيث يمكن أغلالها بواسطة بعض الطرق، ويمن عصر الدولة الوسطى
أخذ تعبير *c'hnwyt* معنى محدد وهو "الحصن" ويشير إلى ذلك بعض نصوص الأسرة الثانية
عشرة حيث ادعى حاكم اليفنتين أنه "قائد حامية الحصن" *Phr'w c'hnwyt* فى الأرض الجبلية
الجنوبية، ومن قبله استخدم الملك واح عنخ انتف فى عصر الأسرة الحادية عشرة كلمة *c'hnwyt* "باب"
لفيد معنى "حاجز دفاعى". وفى حالتها هذه فإذا كان تعبير *c'hnwyt* بمعنى "الدخل الكبير" بمعنى
"الحصن الكبير"، فإن كلمة *hwt* "سجن" تصعب جزءاً مكملًا للحصن.

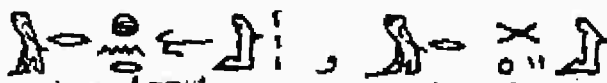
Fischer, H. G. op. cit., p. 262

انظر:

Ward, W. A., op. cit., p. 17(no. 90)

(٢)

إلى عهد سنوسرت الأول، وحمل هذا اللقب السيلة "سى ان حور" (١) ويشير هذا اللقب الاهتمام، وذلك حول علاقة المرأة بإدارة السجن، إذ يستدل منه على أن المرأة قد عملت فى إدارة السجون، ويرجع فى هذه الحالة أن تكون وظيفتها متصلة بالسجينات من "ساء".

٤-  و 
imy-r hnnw imy-r hnnw

وهى نفيد معنى "الشرف على المساجين" (٢)، ولقد ورد هذا اللقب فى مقبرة "تحوت نخت" بالبرشة (أبو قرقاص محافظة المنيا) وذلك على الجدار الشمالى الداخلى للحجرة الرئيسية فى المقبرة (٣).

٥- 
hnp k3t nt hnnw

وهى نفيد معنى "المستول عن أعمال السجن"، وهى من الوظائف التى اهتمت الأدلة الأثرية وجودها وتحصل بالجهاز الإدارى الخاص بالسجون. ويبدو أن طبيعة هذه الوظيفة تحصل بتنظيم العمل داخل السجن (٤).

ويعتبر الجهاز الأمنى من الأجهزة الهامة المتصلة بالسجون، ولقد أولى المصريون أهمية خاصة لنظام حراسة السجون، فلقد تعددت أنواع

(١) Simpson, W.K., The Records of a Building Project in the reign of ososiris I, Papyrus Reisner I, Transcription and commentary, Boston, 1963, pp. 1721, 46.

(٢) ward, W. A., op. cit., p. 40, (nos. 298-299)

(٣) Griffith, F.L., and Newberry, P.E., El Bersheh, part II, p. 23, pl. VII.

(٤) Ward, W.A., op. cit., p. 137 (no. 1180).

الحراسة حول السجن ودخلها، ويشير إلى ذلك الألقاب التي اتخذها حراس السجن، فلقد كان هناك حراس مهمتهم حراسة منافذ السجن، واتخذ هؤلاء اللقب:

𓆎𓆑𓆑𓆑𓆑

irꜥ3 hnrꜥ

ويقيد هذا اللقب معنى "بواب السجن" (١) أو "حارس بوابة السجن" وبالإضافة إلى هؤلاء الحراس، كان هناك حراس آخرون مهمتهم حراسة السجن نفسه، ويشير إلى ذلك الألقاب التي اتخذها العديد من الأفراد وكانت تفيد معنى "حارس السجن"، وظهر هذا اللقب على النحو الآتي (٢):

𓆎𓆑𓆑𓆑𓆑 s3w hnrꜥ

ولقد ظهر هذا اللقب على لوحة ترجع إلى عصر الأسرة الثانية عشرة، وتوجد حاليا في متحف اللوفر (٣)، كما ظهر على لوحة غير منشورة، ترجع إلى عصر الدولة الحديثة، وهي محفوظة حاليا في المتحف المصري بالقاهرة (٤).

(١) Ibid., p. 62(no. 504).

Lluddeckens, E., Ägyptische Handschriften, I, Wiesbaden, 1971, no. 406.

(٢) Ward, W.A., op. cit., p. 146(no. 1259).

(٣) Gayet, E., Musée du Louvre, steles de la XIIe Dynastie, Paris, 1886, pl. 10.

(٤) Hayes, W.C., op. cit., p. 39.

رابعاً: طبيعة السجون وأنواعها

يمكن القول بأن مباني السجون كانت شبيهة بالمصرن، فيوضع المذبذبون المحكوم عليهم بالسجن في حجرات ضيقة، أو في حجرات تحت سطح الأرض، وفي نفس الوقت فإنه يبدو أن السجون قد جهزت لتكون بمثابة معسكرات عمل، وعلى ذلك فقد تضمنت بين جنباتها ثكنات عسكرية ومركز إداري للإشراف على إيواء المساجين وتأديبهم وتعويدهم على النظام والطاعة، وتوجيه مجهودات المساجين المحكوم عليهم، سواء أولئك المحكوم عليهم لمدد محدده أو المحكوم عليهم بالسجن مدى الحياة مع قياسهم بالأشغال الشاقة لمصلحة الدولة، وأيضاً أولئك المحكوم عليهم بالإعدام وكانوا ينتظرون تنفيذ الحكم (١).

ومن الحالات التي كان يتم فيها الحبس الاحتياطي انتظار المقبوض عليهم حتى تنتهي إجراءات التحقيق معهم ومحاكمتهم، وكذلك كان من الحالات التي يتم فيها الحبس الاحتياطي، فرار العامل من خدمة الدولة، فكان يقبض على أفراد أسرته ويدعون السجن للتحقيق معهم، فإذا ما ثبتت براءتهم من اشتراكهم أو توأطهم في عملية الفرار، فإنه كان يخلى سبيلهم، وتثبت التهمة بالكامل على المذنب الهارب (٢).

وكان الفرار من خدمة الدولة من الأعمال التي تعرض صاحبها لعقوبة السجن، إذ يجب أن يقوم قد كفوا من قبل الحكومة في عصر الدولة الوسطى

Ibid., pp. 37,38

Wilson, J.A., "A Papyrus of the late Middle Kingdom in the Brooklyn Museum", in AJA, vol. 60(1956), p.68.

والتي تترجم: "لقد وصلت إلى الواحة الغريبة واستكشفت كل طرقاتها وقد أحضرت الهاريين الذين وجدتهم هناك، وكان الجيش مليحاً بدين خمارة مما أرسلته عباد في سلام، وجعلنى سيدى فى حمايتهم كمعاونته الموثوق به لأثنى قمت بالمهمة التى أوكلفها لى سيدى المدوح، الميجل، كاي، المبرأ" ولقد كان أكبر عقاب يتعرض له المذنب الهارب، الحكم عليه بعقوبة السجن مدى الحياة مع العمل فى مزارع الدولة (١).

ويوجد لدينا العديد من الأمثلة التى يستدل منها على طبيعة معاملة المساجين، والتي كان من أهم ما يميزها قيام المساجين بالعمل الإجبارى لصالح الدولة، وسأقتصر هنا على مثالين فقط، الأول منهما، كانت عقوبة السجن فيها قصيره ولدة ثلاثة وعشرين برهما فقط، أما الأخرى فقد حكم فيها بالسجن لمدة طويلة.

ولقد سجلت الحالة الأولى على البردية المعروفة باسم "بردية انسطاس السادسة" وهى محفوظة فى المتحف البريطانى تحت رقم ١٠٢٤٥، وهى نوزخ بعهد الفرعون سيسى الثانى، وقد جاء فيها أن أحد جنود الاسطول قد وضع فى سجن مدينة ثبنت، وأثناء قضائه لفترة العقوبة التى استمرت ثلاثة وعشرين يوماً قام بزراعة الأراضى من أجل كاتب الجيش *p3 imy-r* الذى يعيش فى مدينة ثبنت (٢).

أما الحالة الثانية، وهى التى حكم فيها بالسجن لمدة طويلة، وذلك لدى الحياه، فهى ترجع إلى عصر الدولة الوسطى، وترجع أهمية هذه الحالة، بالإضافة إلى أنه قد حكم فيها لمدة طويلة، إلى أن المحكوم عليها كانت

Wilson, J.A. op. cit., p. 69

(١١)

Gardiner A.H. Late Egyptian Miscellanyes, p. 73

(١٢)

Caminos R.A. op. cit. p. 280

امرأة، كما أنه قد طبقت فى حالتها بعض الإجراءات التى كانت تنخذ فى حالة الفرار من خدمة الدولة أو الأعمال التى يكلف بها المواطن.

ترجع هذه الحالة (١) إلى عهد الملك امنمحات الثالث، وتدعى صاحبها تنى ابنة سنحور، كانت تعمل بالزراعة فى مدينة طينة (ثنى)، وقد سجلت فى سجل العمل الخاص بإدارة الأراضى الزراعية الملحقه بمدينتها، وقد كلفته بالعمل تحت إشراف كاتب حقول طينة، ولما وجدت أن العمل المكلفه به شاق ولا يمكنها أن تتحملة قررت الهرب من المدينة.

وعندما تم اكتشاف أمر فرارها، قبض على أفراد أسرته كضمان لعودتها، وتم ايداعهم إما فى السجن المحلى أو فى السجن الكبير فى طيبة وذلك تحت إشراف رئيس محكمة الجنوب، وأرسل اسمها والمعلومات المتصلة بها إلى السجن الكبير فى طيبة، حيث تم تسجيله فى قائمة الهاربين المسجلين فى أرشيف السجن، وسجلت نفس المعلومات أيضا فى مكتب الوزير بالعاصمة ايثت تاوى وفى إدارة السجلات الخاصة برئيس الجنوب فى طيبة.

ولما ثبت لسلطات التحقيق عدم تورط أهلها فى جريمة هربها، تم تقييد التهمة بالكامل على الهاربة، وصدرت التعليمات إلى السجن بإطلاق سراح أسرته حسب الإجراءات القانونية، وأن تعاقب الهاربة طبقا لقانون العقوبات. ولقد سجل هذا الأمر بعد اسم "تنى" واسم عائلتها وذلك فى قائمة السجن الخاصة بالهاربين من الأعمال العامة.

Hayes, W.C., op. cit., pp. 64,65.

(١) انظر :

وبعد عدة سنوات أمكن القبض على السيدة "تنى" حيث تم إيداعها السجن الكبير لتلقى جزاء هروبها، وبعد أن تمت إجراءات محاكمتها، سجل أمام حالتها: "لقد تم استكمالها".

وبلاحظ أنه فى حالة ثبوت تورط أهل الهارب معه فى جريمة الهرب من خدمة الدولة، فلأن العقوبة فى هذه الحالة كانت تشمل أفراد أسرته المتورطين معه كذلك، دون أن يخفف ذلك من عقابه، ومن الأمثلة التى طبقت فيها هذه الحالة من العقوبات حالة المدعو "منترحتب" فى عصر الأسرة الثانية عشرة (١١).

وفيما يتصل بأنواع السجون، فلقد عرف المصريون أنواعا عديدة من السجون، فكان منها السجون المدنية وكذا السجون الدينية، وستناول هذين النوعين بشئ من التفصيل، ونبدأ بالسجون المدنية

١- السجون المدنية :

تعددت السجون المدنية فى مصر الفرعونية، وأوضحت الأدلة الأثرية النصبية وجود العديد منها، وكان من أهمها السجون الموجودة فى المدن الكبرى وعواصم الأقاليم، وبجانب هذه السجون، وجدت سجون مدنية أخرى ألحقت بالحصون أو المنافذ المؤدية إلى داخل البلاد، كما ألحقت ببعض الإدارات الهامة فى الدولة سجون.

ومن أهم السجون المدنية التى لدينا أدلة أثرية نصبة تشير إليها، السجن الكبير فى طيبة، والذى كان يشار إليه بالتعبير *hnt wr*، ويرجع اختبار سجن طيبة ليكون السجن الكبير، إلى طبيعة موقع طيبة

الجغرافى وكذلك الإدارى.

ومن أشهر البرديات التى تشير إلى سجن طيبة الكبير، بردية بروكلين رقم 35.1446 والتى قام بنشرها وليم هيز، ولقد أعيد استخدام البردية للكتابة عدة أجيال، وبدأت الكتابة عليها فى أواسط الأسرة الثانية عشرة. ويتكون النص الرئيسى الموجود فى وجه البردية من تسجيل يتصل بالسجن الكبير فى طيبة، وصلته بأولئك الذين هربوا من العمل، ويضم هذا النص قائمة بأسماء ستة وسبعين شخصا من المقيمين بمصر العليا، والذين يبدو أنهم فروا قبل أن يكملوا أو ليتجنبوا تنفيذ الأعمال المكلفين بها من الحكومة، ومجمل التعليمات الحكومية للسجن الكبير فى طيبة، وهى تعتبر قاعدة للتعامل مع أولئك الناس طبقا لقانون العقوبات، وملاحظات تسجيل تنفيذ هذه التعليمات، وملخص بالحالات المتورطين فيها (١)، وتعتبر هذه أقدم وثيقة بردية تتصل بموضوع السجون، وهى ترجع إلى حوالى عام ١٨٠٠ ق.م. (٢)

ومن النصوص التى أشارت إلى سجن طيبة الكبير كذلك فى عصر الأسرة الثالثة عشرة بردية بولاق رقم ١٨، حيث كان يعمل المدعو "نفرحتب" كاتباً لسجن طيبة الكبير وذلك فى مكتب الوزير عنخو (٣). كما أشير إليه أيضا فى عصر الأسرة الثامنة عشرة وذلك فى التعليمات الموجهة إلى الوزير

(١) Hayes, W.C., A Papyrus of the late Middle Kingdom in the Brooklyn Museum, {Papyrus Brooklyn 35.1446}, 1972.

(٢) Wilson, J.A., in A.J.A., 60(1956), p. 68.

(٣) Scharff, A., "Ein Rechnungsbuch des Königlichen Hofes aus der 13 Dynastie (Papyrus Boulaq Nr. 18), in ZAS, 57(1922), p. 51.

رغمى رع فيما يتصل بتعامله مع المجرمين (١).

ولقد أشار أوسركون الثانى (٨٧٤ - ٨٥٠ ق.م) فى نقوش صالة احتفالاته فى تل بسطه إلى "السجن الكبير" حيث صور صف من الموظفين، أشير إليهم بأنهم "مجلس السجن الكبير" *d3d3t nt lmr wr* (٢) وبجانب السجن الكبير، وجدت سجون أخرى محلية، وذلك فى المدن الكبرى، ولقد أمكن معرفة بعض هذه السجون من النصوص المتفرقة التى أشارت إليها بشكل مباشر أو غير مباشر، ويستدل من الأدلة الأثرية النصية وجود سجن فى الإقليم الثامن فى مصر العليا والذي كان يسمى "تا - ور" وكانت عاصمته طينه (ثنى) فلقد اتخذ العديد من الموظفين الألقاب التى تصلهم بالسجن وذلك فى لوحاتهم الجنائزية التى عثر عليها فى حيانة أبيدوس، مما يشير إلى أنهم كانوا يعملون فى السجن المحلى الموجود فى هذه المنطقة، ومن هؤلاء الأفراد من كان يشغل وظيفة "كاتب السجن"، ومنهم تذكركلا من : إى وسنب وإيب وتتى ونفرتم (٣) وسنبى (٤). ومن هؤلاء الأفراد كذلك من شغل وظيفة "الكاتب الكبير للسجن"، ومن هؤلاء "نفر حتب" (٥)، كما شغل بعضهم أيضا وظيفة "المشرف على السجن"، ومن هؤلاء الذين اتخذوا هذا اللقب "خنسو" وذلك على شاهد قبر فى أبيدوس (٦).

ويؤيد وجود سجن فى مدينة طينه (ثنى) ما أشار إليه وليم هيز عند

David, O., The Tomb of Rekh-mi-Rac, N.Y., 1943, 19, pl. XXVII (١)

Hayes, W. C., op. cit., p. 46 (٢)

Lange, H. O., und Schäfer, H., op. cit., t. I, pp. 24-26. (٣)

Simpson, W. K., The Terrace of the Great God at Abydos, p. 22, (٤)
no. 75.

Lange, H. O., Und, Schäfer, H., op. cit., t. II, no. 20427, p. 355, d. (٥)
3.

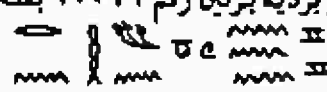
Ibid., no. 20724, p. 355, d. 7. (٦)

عرضه لحالة المتهمه "تتى"، من أنه تم القبض على أفراد أسرته، حيث تم إيداعهم إما فى السجن المحلى تحت إشراف المجلس الإدارى، أو فى السجن الكبير فى طيبة (١).

وتوضح الأدلة الأثرية النصية كذلك وجود سجن فى آتف بحت (الأقليم الرابع عشر فى مصر العليا) "القوصية"، فلقد عثر فى جبانته مير إلى ما يشير إلى وجود سجن فى هذا الإقليم، فلقد اتخذ المدعو "أوخ حتب" لقب "المشرف على السجن" وذلك فى نقوش تابرنه (٢).

كما وجد سجن كذلك فى الأقليم الخامس عشر من أقاليم مصر العليا، وهو إقليم "خمرون" (الأرنب)، حيث أوضحت نقوش المقبرة رقم (٣) التى عثر عليها فى جبانته البرشا أن المدعو "نخت" قد اتخذ لقب "المشرف على السجن" (٣)، وكان نخت هذا يعمل موظفا لدى "نحوت حتب" حاكم الأشمونين.

وما يؤيد أيضا وجود سجن فى الأقليم الخامس عشر اتخاذ "نحوت نخت الأول" حاكم الأشمونين لقب  وهو يفيد معنى "المشرف على المساجين" (٤). ويفيد ذلك وجود سجن فى الأشمونين، كان له جهازه الإشرافى، حيث يتبع الإشراف على المساجين حاكم الإقليم مباشرة، بينما كان يشرف على شئون السجن أحد موظفيه.

وتشير بردية برلين رقم ١٠٠٢١ بشكل خاص إلى السجن الموجود فى اللاهون (٥)  $r-n-hn(r)$ والتى يفيد اسمها معنى "مدخل البحيرة" (٦) وهى تقع شمال الفيوم بحوالى ٢٥ كيلومترا.

Hayes, W. C., op. cit., p. 64. (١)

Lurati, p. Sarcophages, (C.G.C), I, no. 28040. (٢)

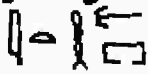
Newberry, P. E., op. cit., pl. 27, bottom. (٣)

Gifford, L., Newberry, P. E., Et Bershen, Part II, p. 23, pl. VII. (٤)

Hayes, W. C., op. cit., p. 41. (٥)

Gardiner, A. H., Ancient Egyptian Onomastica, vol II, no. 392A, p. 116. (٦)

ومن ناحية أخرى فإنه يستدل من بعض الأدلة الأثرية النصية إلى وجود سجون في الدلتا، فقد عثر على تمثال مصنوع من الجرانيت في منف وهو يخص شخص يدعى "عنخو"، فقد حمل لقب "الكاتب الكبير للسجن" (١١) مما قد يشير إلى وجود سجن في منف.

وبالإضافة إلى هذه السجون، فلقد أقام المصريون السجون عند المنافذ المؤدية إلى البلاد وفي المناطق التي تتميز بأهمية موقعها الجغرافي أو ذات الأهمية الاقتصادية، وكانت هذه السجون أشبه بالحصون منها بالسجون، ويبدو محتملاً أن السجون المصرية المبكرة كانت سجون مظلمة ملحقة بالحصون، وكانت السجون على مر العصور تكون جزءاً مهماً من الحصون أو أنها كانت تلحق بها (١٢)، وما يؤكد ذلك أن الكلمة المصرية  تعني "السجن" وكذلك أيضاً "الحصن" (١٣). وكان الفرض

من هذه السجون هو فرض هيبة الدولة وقوتها على ردع القاطنين خارجها أكثر من مواطنيها.

ومن السجون المعبرة عن هذا النوع، ووصلتنا نصوص تشير إليها، سجن إلبم نعرث (هيراكليوبوليس ماجنا / اهناسيا الحديثة) وبسبب هذا الإقليم بموقعه المتوسط بين الشمال والجنوب وسهولة اتصاله بآسيا وحوض البحر المتوسط.

ويتضح لنا من ملاحظة طرق القوافل الرئيسية في الصحراء الغربية، أن رحلة القوافل من واحة سيوه إلى وادي النيل كانت تتجه إلى الفيوم

Borchardt, L., Statuen und statuette von königen und Privatleuten, (١١)
t. 2 (C.G.C), no. 410.

Hayes, W.C., op. cit., p. 41, no. 149.

Wb., 1, 148.

(٢)

(٣)

واهناسيا، كما أن الطريق من واحة الفراقة والبحرية كان يتجة ناحية الشمال الشرقي إلى البهنسا واهناسيا والفيوم، وانعكس ذلك فى ظهور المعبرود "حرفش" على العديد من الآثار فى واحات مصر الغربية^(١).

وأدى موقع أهناسيا بالقرب من مدخل الفيوم وتحكمها فى طرق الواحات إلى أنها أصبحت البرابة المواجهة للبيبين الذين يحاولون الاتجاه الى وادى النيل من الصحراء الغربية طوال تاريخ مصر الفرعونية، وعلى ذلك فلقد كانت أهناسيا هى المدخل الطبيعى إلى وادى النيل الذى اتجهت إليه الموجات الليبية المتلاحقة بهذا الوصول إلى وادى النيل^(٢).

ويتضح أهمية الموقع الجغرافى لأهناسيا كبرابة أمام الليبين، فى ضرورة تحصين منافذها وإقامة الحصون عليها، وتوضح الأدلة الأثرية النصية وجود هذه الحصون منذ عصر الدولة الوسطى على الأقل، فلقد حمل المدعو "انتف بن ثنى" الذى كان يعمل فى عهد الملك "تب حيت رع متوحطب الأول" لقب "المشرف على سجن الحصن الكبير"^(٣)، وذلك كما سبقت الإشارة. وقد يشير ذلك إلى وجود أكثر من حصن فى منطقة أهناسيا، وذلك على أساس تمييز أحدها بتعبير "الحصن الكبير".

وازداد الاهتمام بتهصين أهناسيا منذ عصر الأسرة التاسعة عشرة، حيث أقامت فرقة من جنود الشردان فى حصن أهناسيا الكبير^(٤). وكشف

Gamal El-Din Mokhtar, M., Ihnasya El-Medina (Herakleopolis Magna), Its Important and Its Role in Pharaonic History, (Publications de L'Institut Francais D'Archeologie Orientale du Caire), Le Caire, 1983, pp. 18-22.

Ibid., pp. 22-24.

Fischer, H. G., op. cit., p. 260.

Gamal El-Din Mokhtar, M., op. cit., p. 24.

(٢)

(٣)

(٤)

وقد ألحقت سجون صغيرة أو ما يمكن تسميته حالياً بـ "الحجز" ببعض الإدارات الهامة بالدولة التي كان يتطلب طبيعة عملها حجز المتهمين حتى يتم التصرف فيهم، ومن هذه الإدارات، إدارة التحقيقات، ولقد أطلق على السجن الملحق بها  *hnr n-sdm* سجن التحقيقات (١)، وكان يودع فيه المتهمون عند القبض عليهم للتحقيق معهم، وتشير الأدلة الأثرية النصية إلى العديد من الحالات التي كان يحال فيها المتهمون عند القبض عليهم إلى سجن التحقيقات (٢).

ومن الإدارات التي الحق بها سجون كذلك ، إدارة المالية، وربما كان ذلك راجعاً إلى طبيعتها الخاصة، ومن الأمثلة التي تشير إلى وجود سجن بها ماورد في بردية لين الأول رقم ٣٦٨ ، وجاء فيها أن سته عبيد قد هربوا، وعند إلقاء القبض عليهم أودعوا في "السجن الصغير للمشرف على الخزنة" (٣).

كما يستدل كذلك بما ورد في تحقيقات سرقات المقابر التي تمت في عهد الفرعون رمسيس التاسع، وجود سجن ملحق بإدارة عمدة غربي طيبة، فقد ذكر أحد اللصوص الذين كان يحقق معهم أنه عندما "... سمع مشرفو أحياء طيبة أننا كنا نسرقة في الغرب، قبضوا علىّ وسجنوني في إدارة عمدة طيبة" (٤).

٢- سجون المعابد :

توجد بعض الإشارات التي يمكن إن يستدل منها على وجود سجون

W.b., IV, 387. (١)

Hayes, W. C., op. cit., pp. 38, 49, 91. (٢) أنظر:

Ibid., p. 42. (٣)

Capart, J., Gardiner, A. H., and Walle, B., "New light on the Ramesside Tomb-Robberies", in J.E.A., 22 (1936), p. 171, 3, 1. (٤)

فى مصر الفرعونية، فهناك كذلك العديد من النصوص التى أشارت إلى السجن بشكل عام دون تحديد لنوعه أو مكانه، ومنها ما ورد فى بردية وستكار التى تعرف باسم "قصة خوفو والسحرة"، فى ثنايا القصة أخبر الأمير حرددف والده الملك خوفو بأنه يوجد رجل يدعى "ددى" له فى السحر باع طويل وحيل كثيرة، ومنها أنه يستطيع أن يعيد الرأس المقطوعه إلى مكانها مرة ثانية، وعندما حضر "ددى" إلى القصر الملكى، قال له الملك: "أحق ما يقال من أنك يمكنك أن تتركب ثانية رأساً قد قطع؟" فرد عليه درى قائلاً: "نعم أعرف ذلك يا أيها الملك، يا مولاى"، فقال جلالته: "احضروا لى سجيناً من السجن حتى يوقع عليه عقابه" (١)

وفى العصر المتوسط الأول جاء فى النصائح الموجهة إلى الملك مرى كما رى ما يلى: "لا تقتل، فإن ذلك لا يعود عليك بالفائدة، بل عاقب بالضرب والحبس" (٢)

وفى عصر الدولة الحديثه، يرجع إلى عهد الفرعون مرنبتاح (١٢٢٤-١٢١٤ ق.م) لوح محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة يحمل رقم ٢٥-٢٤ يعرف باسم "لوح اسرائيل" ولقد ورد فى السطر السادس عشر من هذا اللوح على لسان الفرعون: "لقد أطلقت سراح الكثير من المساجين فى كل منطقة" (٣).

Lichtheim, M., Ancient Egyptian Literature, A Book of Reading, (١) vol. I, The Old and Middle Kingdom, London, 1975, pp. 217-219.

Ibid., p. 100., Wilson, J. A., "Egyptian Instructions", in ANET, (٢) Princeton, 1969, p. 415.

Petrie, W.M.F., Six Temples at Thebes, London, 1897, pls. XIII. (٣) XIV, p. 27., Wilson, J. A., "Egyptian Hymns and Prayers", in ANET, p. 377.

وجاء في بردية Abbotti المحفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم ١٠٢٢١، وترجع إلى عهد الفرعون رمسيس التاسع وتتصل بسرقات المقابر أنه في العام السادس عشر، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم التاسع عشر "سبق إلى المقابر معسوب العينين برصفه سجيناً مقبوضاً عليه" (١).
 وفيهم مما ورد في مقدمته تعاليم عنخ شاشنفي أنه قد كتبها وهو في السجن، حيث طلب من سجانه حين أحس بدنو أجله أن يحضر له لوحة كتابية وبردية، حيث أن له ولدا لم يستطع أن يتقفه، وفي ذلك يقول: "عسى أن أكتب (كتاب) تهذيب له، وعساه أن يؤخذ إلى أؤنو فيتثقف به (فيها) فلما صعب عليه الحصول على البردية وتيقن أنه سيظل في السجن ... كتب على اللخاف الأمور التي ود أن يؤدب ولده بها" (٢).

وخير ما أختتم به هذا البحث عن السجون في مصر الفرعونية، الإشارة إلى ما ورد عنها في القرآن الكريم ويتصل بقصة يوسف عليه السلام (٣)، وذلك في سورة يوسف، وتبلغ الآيات الكرمة التي تتصل بالسجن وعقوبته سبع آيات، وفي ذلك يقول جل من علا: "واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم" (آية ٢٥).

وفي هذه الآية الكرمة نجد امرأة العزيز حينما فوجئت بزوجه عند الباب عندما كانت تتبع يوسف عليه السلام بعد أن قدت قميصه، تقول لزوجهما

(١) Peel, T. E., op. cit., p. 40(5,1)

(٢) عبد العزيز صالح : التربية والتعليم في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٧٩-٨٠.

(٣) يرى العديد من الباحثين أن فترة وجود يوسف عليه السلام في مصر كانت في عصر الهكسوس وبخاصة الأسرة الخامسة عشرة، أنظر:

محمد بيرمي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ج ٢، في مصر، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٩٩-١٠٥.

متنصله من جرمها وراميه به يوسف عليه السلام، ما جزاء من أراد الفاحشة بأهلك إلا أن يسجن أو يعذب عذاباً شديداً، وفي ذلك دليل على وجود عقوبة السجن، وأنها يمكن أن تستبدل بالعقاب البدني.

وجاء في الآيتين الكرئيتين الثانية والثلاثين والثالث والثلاثين قوله تعالى: "قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين، قال رب السجن أحب إليّ مما بدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين". وتشير الآية الكرئمة الخامسة والثلاثون إلى عقوبة السجن المؤقتة، وفي ذلك يقول سبحانه: "ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين".

وتشير الآية الكرئمة السادسة والثلاثون إلى بعض الجرائم التي كان يعاقب مرتكبوها بعقوبة السجن، وجاء فيها قوله تعالى: "ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا، وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبأنا بتأويله، إنا نراك من المحسنين".

ويرى بعض المفسرين أن هذين الفتيان كان أحدهما ساقى الملك والآخر خبازه، وأن الملك قد توهم بأنهما تمسلا على قتله بوضع السم له في طعامه وشرابه (١).

وفي الآيتين الكرئيتين التاسعة والثلاثين والحادية والأربعين يخاطب فيها يوسف عليه السلام الفتيان اللذين دخلا معه السجن ويدأهما بعبارات:

(١) مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٤٩.

"باصحابى السجن".

أما الآية الكريمة الثانية والأربعون فتشير إلى بقاء يوسف عليه السلام فى السجن بضع سنين والبضع ما بين الثلاث إلى التسع ، وإن رأى بعض المفسرين أنها سبع سنوات (١١)، وفى ذلك يقول سبحانه: "وقال للذى ظن أنه ناج منهما إذكرنى عند ربك ، فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين".

وفى الآية المائة يخاطب يوسف عليه السلام والده ذاكراً فضل ربه عليه إذ أخرجه من السجن وجاء بأهله من الهادة، وفى ذلك يقول الله تعالى : "وقال يا أبت هذا زهير^{تأويل} من قبل قد جعلها ربي حقاً، وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين الحقنى إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم" صدق الله العظيم.

ويشير القرآن الكريم أيضاً إلى وجود السجون على أيام موسى عليه السلام، إذ قال الله تعالى على لسان فرعون ، وهو يهدد النبى الكريم "لئن ادخلت إليها غيرى لأجعلنك من المجونين" (١٢)، ورغم اختلاف المؤرخين فى عصر موسى عليه السلام، وطروج بنى اسرائيل من مصر، فإنهم يجمعون على أن ذلك إنما كان فى عصر الدولة الحديثة (١٥٧٥-١٠٨٧ ق.م) وأن دارت معظم آرائهم بين محتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ ق.م)، أو ولده أمن حشب الثاني (١٤٣٦-١٤٠٥ ق.م) وبين رعمسيس الثانى (١٢٩٠-١٢٢٤ ق.م) أو ولده "مرنبتاح" (١٢٢٤-١٢١٤ ق.م) (١٣).

(١) نفس المرجع السابق، ص ٢٥١، وانظر تفسير الطبرى ١١٦/١٦-١١٥ (أدراك المعارف ١٩٦٩).

(٢) سورة الشعراء، آية ٢٩.

(٣) محمد بيرمى مهران ، اسرائيل، الجزء الأول، الاسكندرية ١٩٧٨، ص ٢٥٧-٢٣٩.

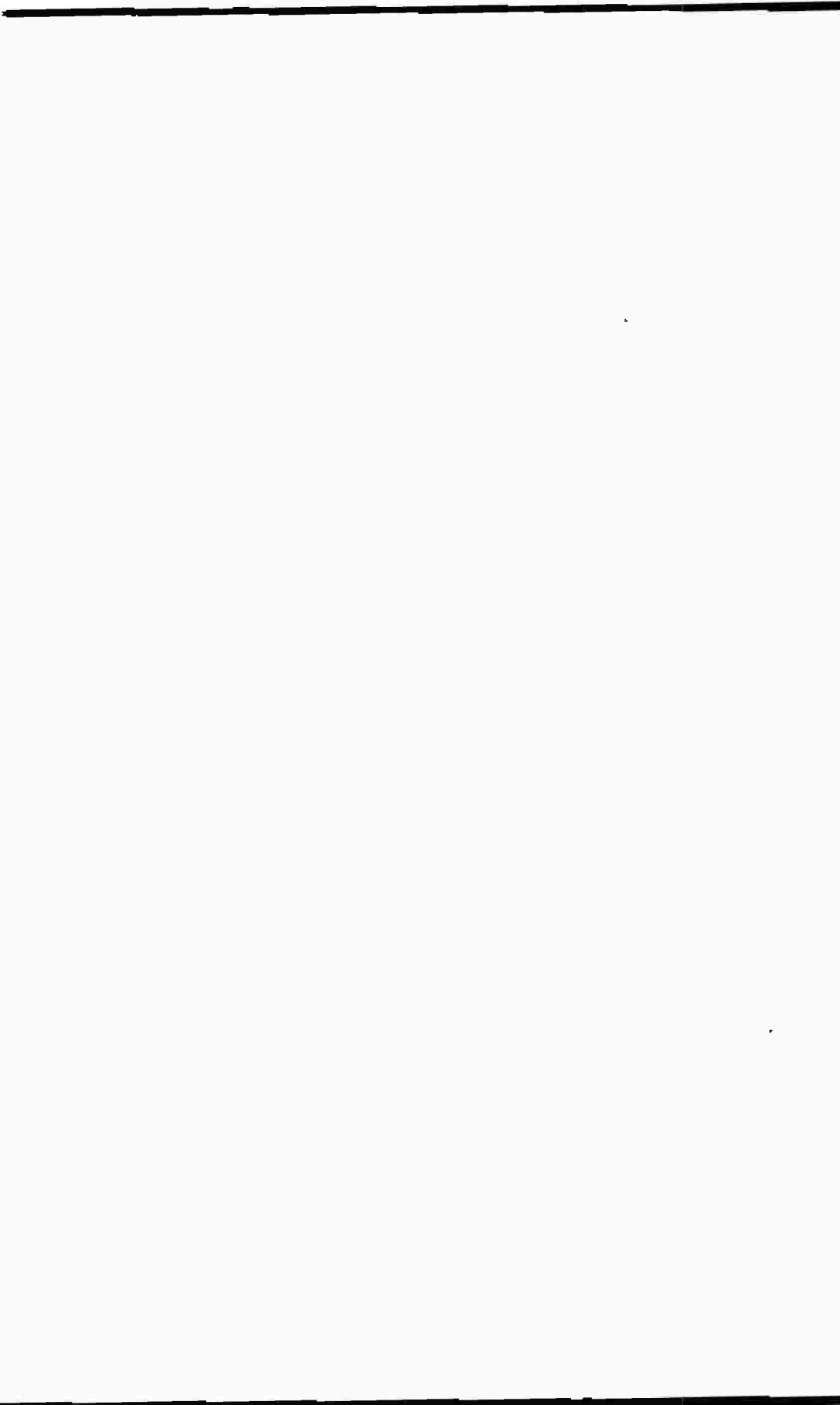
أنماط العمران في شرق الاسكندرية
مع التطبيق على قرية أبيس الثانية

دكتور

محمد فريد أحمد فتحى

مدرس بقسم الجغرافيا - كلية الآداب

جامعة الاسكندرية



تركز اهتمام الباحثين في جغرافية العمران - على تحديد فواصل شبه صارمه بين غطى العمران الرئيسيين ، الريفي والحضري ، باعتبارهما المظهران السائدان للعمران البشري . وظهرت الكثير من الكتابات تتناول مفهوم الحضر وتعريفه وتحديد مواصفاته وخصائصه ، حتى يمكن تمييزه عن الريف الذي يبدو أكثر وضوحا في تعريفه وتحديد به حكم وظيفة الأرض وشكل المحلة العمرانية وخصائصها السكانية .

بيد أن الملاحظ في دراسة نمو المدن وامتدادها ، ظهور غط انتقالي على أطرافها ، يحمل في طياته صفات الريف والحضر في آن واحد . وتباين سمات أيهما وفق عوامل متباينة ترتبط بمدى التأثير المتبادل بين القرية والمدينة من ناحية ، وعامل الموقع (المسافة) والجوار من ناحية أخرى ، مما أدى الى صعوبة حد فاصل بين ماهو ريفي وما هو حضري . حتى أن هذه المنطقة الانتقالية يمكن أن تكون النمط الثالث للعمران البشري (١) . فهذه المنطقة ذات خصائص مميزة ليست بالحضر ولا بالريف ، ولكنها تجمع بعضا من خصائص كل منهما وسماته.

وفي ضوء ذلك فإن هناك سمتان متميزتان في هذا النطاق الانتقالي الريفي الحضري - الأولى السمات الطبيعية للبيئة والثاني الخصائص الاجتماعية للسكان . ومن هنا تغطي هاتان النقطتان بالأهمية الكبرى في دراسة هذا النطاق الذي يتميز بصفات خاصة في إستغلال الأرض من ناحية ، وبأنه يمثل منطقة انتقالية في عملية التحضر من ناحية أخرى .

ففي مجال استغلال الأرض يكون هذا الاستغلال موجهها نحو المدينة . فالأرض الزراعية يخصص معظمها لتأمين المدينة من الحضر والفاكهة ومنتجات الألبان ، فضلا عن الطغيان المستمر للمنشآت التي تحتاجها المدينة مثل محطات الكهرباء ، والمياه والصرف الصحي ومستودعات البترول والمخازن

الضخمة ، بالإضافة الى المنشآت الصناعية التي قد تظهر لتلبية احتياجات المدينة أو كمنشآت اقتصادية لها . وغالبا ماتكون هذه الاستخدامات دون خطة موضوعة سلفا ، لذا يبدو في مظهره النهائي خليطا من الوظائف المتباينة في أطراف المدينة ، ومايلبث النمو الحضري أن يحيط بها وتصبح داخل الأحياء السكنية مع مايجلبه من مظاهر سيئة لهذه الأحياء .

وقد حدد GOLLEDEGE دراسة عن مدينة سيدنى سبعة قروض عن الحافة الحضرية (٢) يمكن تلخيصها في أن غط استخدام الأرض دائم التغير - صفر حجم المزارع - الانتاج الكثيف للمحاصيل - أن السكان ليسوا ثابتين بل متحركين - اتوسع السكنى السريع - النقص في الخدمات والمرافق - انتشار المضاربة في المباني .

ويجذب النطاق الحضري الرفي في أطراف المدن سكانا متحركين من الطبقة الوسطى غالبا مايعيشون ويعملون منفصلين اجتماعيا وسكانيا عن السكان الأصليين ، حيث يمثلون قطاعا من المجتمع يقل في حجمه بالبعد عن المدينة ، فتوجههم دائما ما يكون الى المدينة ويظهر ذلك في رحله العمل اليومية التي تبلغ ذروتها في الصباح الباكر نحو المدينة وبعد الظهر نحو الأطراف .

والنطاق الشرقي من مدينة الاسكندرية - المعروف الآن بضاحيتي الرمل والمنتزة والذي كان حتى أوائل هذا القرن ، عبارة عن مجموعة من القري والعزب المتناثرة ، لم يكن العمران الحضري لمدينة الاسكندرية قد امتد اليها ، لذلك فقد انقى قسم الرمل (والذي كان يشغل المنطقة فيما بين بولكى غربا وقصر المنتزة شرقا) وأصبح مركزا اداريا يتبع " مديرية " البحيرة في تعداد ١٩١٢ وسمي " بمركز الرمل " (٣) . وفي هذا دليل على أنه حتى ذلك التاريخ كان النطاق الشرقي لمحافظة الاسكندرية مجرد مجموعة من القري القريبة من الاسكندرية مثل حجر التواتية ، فلمنج ، الظاهرية ، القصعى ، باكوس ، شوتس ، السبوف

(بحري) ، سيدي بشر (بحري) ، ذات مظهر ريفي بحت وذات تجمعات مكانية صغيرة ، يعمل سكانها بالزراعة أساسا .

ومع الزحف العمرانى لمدينة الاسكندرية والذي كان يتجه نحو الشرق باطراد سريع ، حتى التهمت المدينة الكبرى بهذه القرى الصغيرة . ومعنى ذلك أن الالتحام العمرانى قد حدث بين أكثر من نواه ، فهو من نوع الالتحام عديد النوى (٤) . وما لبثت هذه القرى أن اختفت وأصبحت مجرد أحياء وشياخات بنفس أسمائها ، داخل ضاحية الرمل وبالتالي داخل حدود محافظة الاسكندرية ، حيث فصل " مركز الرمل " من مديرية البحيرة عام ١٩٢٧ وأصبح تابعا لمحافظة الاسكندرية منذ ذلك التاريخ .

وفى عام ١٩٥٥ أنشئ " قسم النزة " تابعا لمحافظة الاسكندرية عن طريق فصل بعض النواحي " القرى " من مركز كفر الدوار وهى : السيوف " قبلى " - سيد بشر " قبلى " - المنذرة - المعمورة ، أبوقير ، القومانية الانجليزية (الطرح) - المنشية البحرية - التوفيقية - المحروسة - الصبحية (٥) . وقد ترتب على ذلك اتساع محافظة الاسكندرية من ناحية الشرق وتراجعت حدودها شرقا وجنوبا واستقرت على هذا الوضع حتى الوقت الحاضر .

وهناك عوامل عديدة أدت الى نمو مدينة الاسكندرية واتساع عمرانها نحو الشرق بصورة سريعة منذ بداية القرن الحالى ، بشكل واضح ومستمر على طول ساحل البحر المتوسط حتى اتصل حاليا بأبى قير فى أقصى الشرق ، ملتئمتا تلك القرى والعزب التى تقع فى طريقه والتى مازالت آثارها شاهدا على وجودها بظهورها الريفى حتى الأمس القريب . ومن هذه العوامل نذكر مايلى :-

١ - كان نمو المدينة واتساع رقعتها فى اتجاه الغرب محدودا وبطيئا ، بسبب وجود الميناء وتركز المنشآت الصناعية جنوبه وانتشار الأحياء العالية

العشوائية ، مما جعل اختراق هذه المنطقة نحو الغرب يمثل مشكلة أمام الرحلة اليومية بين وسط المدينة وغربها .

٢ - إنشاء خط سكة حديد الرمل (ترام الرمل) والذي بدأ عام ١٨٦٣ من محطة الرمل وحتى بولكلى وتم كهرته ومده حتى المرامي (السيوف بحري) فى عام ١٩٠٤ (٦) . وفى عام ١٩٣٧ بدأ تشغيل خطوط منتظمة للحافلات العامة (الأتوبيس) من ميدان النشبة الى ضواحي الرمل (٧) لمواجهة ضغط الركاب المتزايد على ترام الرمل .

٣ - يعد إنشاء طريق الكورنيش على ساحل البحر فى الاسكندرية عام ١٩٣٤ ، من أهم العوامل التى ساعدت على سرعة الزحف العمرانى فى الاتجاه الشرقى . فقد أدى انشاؤه الى زيادة العمران بمنطقة الرمل بدرجة كبيرة . وبما ساعد على ذلك ، ظهور بدعة بين المومنين والأغنياء - الذين كانوا يسكنون على ضفاف ترعة الحمودية ومنطقة وسط المدينة (فيما بين النشبة ومحطة الرمل) ، وهى بناء فيلات وشاليهات ومنازل يقيمون فيها فى فصل الصيف ، أو للإقامة الكاملة خاصة وبعد أن تعرضت منطقة محرم بك الى نزوح الكثير من العمال والمهاجرين الى المدينة والإقامة فيها قريبا من المصانع التى بدأ عددها يتكاثر حول ترعة الحمودية ، مما أدى الى هجرة أفراد الطبقات العليا والمتوسطة من محرم بك الى منطقة الرمل ، وما صاحب هذه الهجرة من إنشاء العمارات السكنية التى تطل على البحر مباشرة (٨) .

٤ - إنشاء خط سكة حديد أبوقير - عام ١٨٧٥ - فيما بين محطة الاسكندرية وأبوقير وامتداده الى رشيد وقد تم ازدواج هذا الخط - عام ١٩٦٤ - حتى أبوقير ليستوعب أعدادا أكثر من القطارات ولتقليل زمن الرحلة بسبب الضغط المتزايد للركاب .

٥ - التنمية الصناعية التي حدثت في مدينة الاسكندرية في السنوات القلائل قبيل الحرب العالمية الثانية والتي مازالت مستمرة حتى الوقت الحاضر ، اذ أنشئت العديد من المصانع في أطراف المدينة خصوصا الشرقية منها ، في منطقة السيوف قريبا من ترعة المحمودية ، وفي منطقة الرأس السوداء (جنوب سيد بشر قبلى) وإلى الجنوب من أبى قير على ساحل خليج أبى قير .. وقد أدى ذلك الى أن أصبحت هذه المناطق مراكز جذب قوية للعديد من المهاجرين من وسط الاسكندرية التي ضاقت بسكانها أو الوافدين الى الاسكندرية من القرى المجاورة وياقى جهات مصر .

٦ - الساحل الشرقى للاسكندرية ، يعتبر من أجمل شواطئها وله شهرته الخاصة في مصر ، مثل شواطئ ستانلى - جليم - مان استقانو - ميللي بشر - العسافرة - المنتزة - المعمورة - أبو قير . ولهذا العامل أثره في ازدياد النشاط العمرانى في هذه الجهات وجذبه للسكان من مدينة الاسكندرية .

٧ - تجفيف البحيرات الواقعة في شرق الاسكندرية ، مثل بحيرة أبو قير ، التي تم تجفيفها عام ١٨٩١ والتي تعرف أراضيها باسم القومانية الانجليزية وأصبحت من أخصب الأراضي في هذا النطاق ، حيث خلقت مجمعة من القرى والعزب وكونت ظهيرا زراعيا هاما لمدينة الاسكندرية . وبحيرة الحضرة التي كانت ملكا ليرسوف سموحة وقام بتجفيفها عام ١٩٢٤ (٩) والتي أفادت كثيرا في توسيع رقعة العمران في منطقة سموحة . كما قامت مصلحة الأملاك الأميرية بتجفيف الأجزاء الشرقية من بحيرة مريوط عام ١٩٤٨ - التي كانت تمتد على شكل ملاحات وبرك وظهرت مكانها منطقة أبيض بصورتها الحالية لتضيف رصيда جديدا من الأراضى الزراعية للنطاق المحيط بالاسكندرية . (١٠)

٨ - ورغم تجفيف البحيرات لتحل محلها الأراضى الزراعية - تم سلم هذه

الأراضى الزراعية فى هذا النطاق من الزحف العمرانى ، رغم صدور القوانين التى تمنع البناء عليها . وذلك بسبب رخصتها فى أول الأمر ، ومع زحف العمران إليها تزايدت أسعارها (وصل ثمن الفدان فى قرية أبيس الثانية الى خمسين ألف جنيه) مما أصبح يمثل إغراءً لكثير من المزارعين على بيع أراضيهم لاستثمارها فى البناء ومساعد على ذلك النمو المطرد للسكان .

٩ - انشاء ضاحية المعمورة عام ١٩٦٠ لتكون مصيفا متميزا بالاسكندرية وما تبعه من اعتداء على الأراضى الزراعية المجاورة لها شرقا ، مع اقبال المستثمرين على شراء الأراضى فى هذه المنطقة ، حتى أن شركة المعمورة للاسكان والتعمير تصدر قرارات نزع حيازة بعض المزارعين لاستغلال الأراضى فى البناء (١١) . مما أدى الى امتداد ضاحية المعمورة شرقا حتى أحاطت بقرية المعمورة التى مازال مظهرها الريفى واضحا فى قلب نطاق من العماثر الحديثة ذات المرافقات المعمارية الخاصة بهذه الضاحية .

١٠ - قيام هيئة الأوقاف المصرية باستغلال الأراضى التى تملكها بالناصرية (الى الجنوب من قصر المنتزة) ، فى انشاء العديد من العمارات السكنية . وقد شجع ذلك شركات الاسكان والتى قام عديد منها باقامة أحياء سكنية كاملة على هذه الاراضى الزراعية ، وعلى سبيل المثال فالشركة المتحدة للاسكان والتعمير ، تعتمد كل عدة سنوات الي إغراء بعض المزارعين فى منطقة السيوف بهبات مالية كبيرة للتنازل عن حيازاتهم لاستغلال الأراض فى إقامة مجمعات سكنية ضخمة .

١١ - انخفاض القدرة الانتاجية للاراضى الزراعية المتاخمة للعمران وعدم وجود شبكة للصرف الصحى ، مما أدى الى ارتفاع منسوب الماء الارضى وكذلك صرف مخلفات الصانع الموجودة فى المنطقة فى المصارف العامة ، الأمر الذى تدهورت معه انتاجية هذه الأراضى الزراعية فى الوقت الذى ترتفع فيه

- ٢٦٦ -

أشائها كأراضٍ للبناء .

ونتيجة لهذه العوامل امتد العمران فى شرق الاسكندرية حتى وصل الى أبى قير وامتد الى الجنوب منها على ساحل خليج أبى قير حيث توجد العديد من المنشآت الصناعية . كما بدأ العمران يتجه نحو الداخل ، خصوصا فى المنطقة الوسطى من هذا النطاق، ممتدا على محاور الطرق التى تتجه جنوبا وعلى ترعة المحمودية حتى وصل الى غرب نويار وعزبة خورشيد . والخريطتان رقمى (٢.١) تبين تطور العمران فى شرق الاسكندرية فيما بين عام ١٩٤٨ ، ١٩٨٨ .

نمو السكان .

يبين الملحق رقم (١) تطور الزيادة السكانية فى شرق الاسكندرية فيما بين تعدادي عامى ١٩٣٧ ، ١٩٧٦ - أي نحو أربعين عاما ، ومنه يتضح أن السكان قد تضاعفوا حوالى ٧.٥ ضعف ماكانوا عليه . فقد ارتفع عدد السكان من نحو مائة ألف نسمة الى نحو ثلاثة أرباع مليون نسمة خلال أربعين عاما بمتوسط زيادة سنوية يبلغ ١.٦٢ ٪ سنويا . فى حين تضاعف جملة سكان محافظة الاسكندرية من ٧١٧٣٦٩ نسمة عام ١٩٣٧ الى ٢٣١٧٧.٥ ر ٢٣١٧٧.٥ نسمة عام ١٩٧٦ . (١٢) . أي ٣ر٢٥ ضعفا فقط بمعدل زيادة سنوية للسكان قدره ٥ر٧ ٪ سنويا ، وبينما كان سكان المناطق الشرقية يمثلون ١٤ر٤ ٪ من جملة سكان الاسكندرية عام ١٩٣٧ ، أصبحوا يمثلون ٣٦ر٧ ٪ من جملة السكان عام ١٩٧٦ ، وفى عام ١٩٨٦ - ارتفع عدد السكان الى ١٥٥ر٢١٥ ر ١٥٥ر٢١٥ نسمة مجموع سكان محافظة الاسكندرية ٤٥٩ر٨٩٦ ر ٢٨٩٦ (١٣) بنسبة ٤٢ ٪ . ومعنى ذلك أن مركز الثقل السكانى لمدينة الاسكندرية يتجه شرقا نحو هذا النطاق الذى يمثل منطقة الجذب السكانى الرئيسية فى الاسكندرية .

ومن الملحق رقم (١) والخريطة رقم (٣) يمكن تقسيم النطاق الشرقى للاسكندرية تبعاً لمعدلات الزيادة السنوية للسكان الى :

١ - مناطق منخفضة في نموها السكاني .

حيث يبلغ معدل الزيادة السنوية للسكان فيها أقل من ١٠ ٪ سنوياً وتتمثل في ثلاث مناطق هي :

أ - المنطقة الغربية المندمجة في مدينة الاسكندرية : فلنج - زعربانه والحمام - العاقصة وياكوس . وهه الشياخات من التويات القديمة العمران والتي بدأ التركيز السكاني فيها مبكراً ولم تعد قادرة على استيعاب وافدين جدد الا بقلر محدود .

ب - المنطقة الشرقية (باستثناء ضاحية أبى قير) وتشمل : المعمورة - ظلمات الطابية - الناصرية المنيرة بحري . ومعظم الأراضى الزراعية في هذه المنطقة كانت ملكاً " للخاصة الملكية " أو ملكيات فردية كبيرة المساحة ، ثم آلت ملكيتها الى الدولة بعد ثورة ١٩٥٢ وصدور قوانين الإصلاح الزراعى لتحديد الملكية . مثل أوقاف التنزة وفتحيش الإصلاح الزراعى بالمعمورة (١٤) . فالمزارعين هنا (مستأجرو الارض الزراعية) لا يملكون التصرف فيها بالبناء أو البيع ، وهذا ما عرقل موجة الزحف العمرانى في هذا الاتجاه ومن ثم كانت الزيادة السكانية فيها تنسم بالبطء والانخفاض .

ج - الأطراف الجنوبية وتشمل التوفيقية - خورشيد البحرية والقلبية - أبيس . وهى أكثر المناطق تطرفاً نحو الجنوب والجنوب الغربى والبعيدة عن الزحف العمرانى للاسكندرية وما زالت معظم أراضى هذه القرى زراعية . كما أن أبيس ذات وضع خاص ، نهى منطقة مستجدة بعد تجفيف الأجزاء الشرقية من بحيرة مريوط واستصلاحها زراعياً ، ولم يبدأ تعميرها بالسكان الا بعد

عام ١٩٥٦ .

٢ - مناطق متوسطة في نموها السكاني .

وفيها يبلغ متوسط الزيادة السكانية ما بين ١٪ . ٢٪ سنويا . وتشمل الهوامش الغربية والجنوبية المحيطة بمنطقة التركيز السكاني الرئيسية . ، فإلى الغرب : سان أمثانو - القصوى (قبلى وبحري) - الظاهرية وعزبة الصفيح - حجر النواتية . وهى منطقة بلغها الزحف العمرانى فى فترة لاحقة وبدأت مرجته فى الانحسار عنها وبالتالى ازدحمت سكانيا وبدأت معدلات الزيادة السكانية فى الانخفاض فيها . وإلى الجنوب : المنشية البحرية - العمراوي - القرداحى . حيث تمثل هذه الشياخات - مقدمات لموجة الزحف العمرانى الحديث ومناطق التوسع العمرانى المستقبلية وبالتالى بدأت معدلات الزيادة السكانية فيها فى الارتفاع .

٣ - مناطق مرتفعة في نموها السكاني .

حيث يزيد متوسط الزيادة السكانية عن ٢٪ سنويا . وتشمل وسط نطاق شرق الاسكندرية (المحروسة - دنا الجديدة - السيوف (بحري وقبلى) - سيدي بشر (بحري وقبلى - المنيرة قبلى) بالإضافة الى ضاحية أبى قير . وفى هذه المنطقة تبلغ موجة الزحف العمرانى والسكاني أوج قمتها ، حتى أن متوسط الزيادة السنوية للسكان يصل فى سيدي بشر (بحري وقبلى) ١٥٪ سنويا وفى دنا الجديدة ١٨٩٪ وفى أبى قير ٤١٪ . وقد ساعد على تركيز السكان وزيادتهم بهذه الصورة المفاجئة عدة عوامل يعتبر أهمها مايلى :

أ - انتشار الصناعة ، حيث يمكن تمييز ثلاث مناطق تتركز فيها الصناعة وفى منطقة حجر النواتية على ضفاف ترعة المحمودية (مصانع النحاس - النسيج - صناعات هندسية وكيميائية) ومنطقة الرأس السوداء جنوب سيدي بشر

القبلية (صناعات نسيج وأغذية) وعلى خليج أبي قبر (مصانع الورق - الأسمدة - البتروكيماويات) . بالإضافة إل المصانع الصغيرة والورش التي تنتشر فى هذه المنطقة ، مما كان له أثره الواضح فى جذب السكان وتزايد أعدادهم للإقامة بالقرب منها .

ب - تيسر طرق التنقل والمواصلات التى تمتد فى هذه المنطقة ومن أهمها خط سكة حديد أبي قبر وأهم محطاته الظاهرية ، فيكتوريا ، سيدي بشر ، المنيرة . وترام الرمل الذى ينتهى عند فيكتوريا (السيوف بحري) ، بالإضافة الى خطوط النقل العام (الحافلات) والتي تبدأ من محطة مصر أو ميدان النشبة بوسط المدينة متجهة نحو الأطراف الشرقية والجنوبية الشرقية مروراً بهذه المنطقة وكذلك النقل الخاص (المشروع) والذي أخذت أهميته تتزايد فى الفترة الأخيرة لما يوفره من راحة للركاب وتقارب سعر النقل للركاب بينه وبين الحافلات العامة .

أنماط العمران ،

يتميز النطاق الشرقى لمدينة الاسكندرية بتعدد أنماط العمران التى تظهر فيه ، تبعاً لدرجتى التحضر والحضرية . وتقاس درجة التحضر بعوامل مكانية - اجتماعية ، مثل كثافة السكان ، الزيادة الطبيعية ، النشاط الاقتصادي ، الحالة التعليمية وغيرها من العوامل الاجتماعية والسلوكية للسكان . أما درجة الحضرية فتقاس بعوامل أخرى مثل تخطيط الطرق والشوارع وارتفاعات المباني وطرازها المعمارية وتوفر المرافق والخدمات ومدى كفاءتها وغيرها من العوامل المرتبطة بشكل العمران . وينبغى أن نذكر فى هذا الصدد أن التطور السريع والتغيرات المستمرة التى تشهدها المجتمعات الحضرية والريفية - على السواء - تجعل عملية التصنيف غاية فى التعقيد بحيث يصعب أحياناً وضع الحدود الفاصلة بين خصائص الحياة الحضرية وخصائص الحياة الريفية ، كما أنه

من الصعب وضع حدود لتمييز خصائص الحياة الحضرية بدرجةاتها المختلفة .

وفى سبيل تمييز هذه الأنماط العمرانية الحضرية فى نطاق شرق الاسكندرية ، فقد تم الاعتماد على ثلاثة أسس . تتمثل فى النشاط الاقتصادي للسكان والحالة التعليمية للسكان لما لهما من ارتباط بدرجة التحضر . بالإضافة الى الدراسة الميدانية المحلية مع التركيز على دراسة شبكات الطرق وتخطيطها وارتفاعات المباني وطرزها المعمارية ومدى وجود المرافق والخدمات ودرجة كفاءتها . وبناء على هذه الأسس الثلاثة تم انشاء الخريطة رقم (٤) والتي تميز ثلاثة أقطاب من العمران هي :-

١ - العمران الحضري الخطط (الراقى) ،

وتظهر فى الأحياء التى تنتشر فيها المباني ذات الفن المعماري المتناسق ، وتطل على شوارع متسعة تتميز بتخطيطها وتخدمها شبكات المرافق المختلفة بكفاءة عالية ، وتنتشر خلالها منشآت الخدمات الادارية والتعليمية والصحية وغيرها من الخدمات التى يحتاجها السكان . كما تتميز معظم المباني بمساحاتها الكبيرة نسبيا ، لمحيط ببعضها المداخل الخاصة وقد يوجد بأسفل بعضها " الجراجات " .

ويتمثل هذا العمران " الراقى " فى الجزء الشمالى الغربى لمنطقة الدراسة ، محصورا بين ساحل البحر المتوسط شمالا ومكة حديد أبى قير جنوبا وينتهى فى الشمال الشرقى عند ضاحية العمورة ويشمل شياخات فلمنج (أحياء بولكلى - جليم - فلمنج) وسان استفانو (أحياء زيتيتيا - سان استفانو - ثروت - لوران - السراي) وسيدى بشر بحري والمنطرة بحري (أحياء ميامى - العصفارة - المنطرة) بالإضافة الى الجزء الشمالى الغربى من شياخة العمورة . فهذه المنطقة ذات موقع ممتاز . حيث توجد شواطئ الاستحمام (البلاجات)

وكانت معظم مبانيها فى الماضى عبارة عن " فيلات " ذات حدائق خاصة لأغنياء الاسكندرية الذين هجروا وسط المدينة واتجهوا نحو الشرق طلبا للهذوء والراحة والنظر الجميل - - وقد أعطتها بلدية الاسكندرية أهمية خاصة فقامت بتخطيط شوارعها وعززتها بالمرافق المختلفة . ومع أزمة الاسكان التى تعانيها مدينة الاسكندرية بصورة عامة ، بدأ معظم أصحاب هذه " الفيلات " فى هدمها وبناء " عمارات " ذات ارتفاعات شاهقة (أبراج) خصوصا على طريق الكورنيش . ولذلك أصبح استخدام الأرض ذات قيمة اقتصادية مرتفعة ، وانعكس ذلك على نوعية السكان ودرجة تحضرهم . فمعظم السكان من أصحاب المهن الفنية والعلمية والمديرين ورجال الأعمال والعاملين بالأعمال الكتابية والخدمات ، كما ترتفع بينهم نسبة المتعلمين وأصحاب المؤهلات العليا . ويمثل سكان هذا النطاق ٣٤.٧٪ من جملة سكان شرق الاسكندرية . ومن الملحقين رقمى (٣.٢) يمكن أن نتبين مايلى :-

* يتركز فى هذه المنطقة ٧٢.٦٪ من مجموع العاملين بالمهن الفنية والعلمية بنطاق شرق الاسكندرية . كما يسكنها ٤٢.٣٪ من مجموع العاملين بالأعمال الكتابية والخدمات ، فى حين تبلغ نسبة العاملين بالانتاج الصناعى والتجارة والنقل ٣١.٢٪ والعاملين بالزراعة والصيد ٦.٣٪ فقط

* تبلغ نسبة ذوى المؤهلات العليا (الجامعية وفوق الجامعية) ٨.٥٪ عن مجموع ذوى المؤهلات العليا بنطاق شرق الاسكندرية (١٥) ، كما تبلغ نسبة الأمية نحو ٢٤.٢٪ من مجموعهم الكلى .

ومامن شك أن أصحاب هذه المهن ومعظمهم من ذوى المؤهلات العليا ، من ذوى النشاط الاقتصادى المرتفع الدخل .

* يلاحظ أن نسب العاملين بالمهن الفنية والعلمية ونسب الحاصلين على المؤهلات العليا تبلغ أقصاها فى شياخى فلمنج (٤٤ر٦٪ ، ٢١ر٨٪ على الترتيب) وسان استقانو (٤٥ر٩٪ ، ٢٤ر١٪ على الترتيب) ، ثم تقل هذه النسب تدريجيا بالاتجاه شرقا ، حيث يليهما فى الترتيب سيدي بشر بحري ثم السيوف بحري ثم المنذرة بحري ، حيث تتراوح بين ٢٨ر٩٪ ، ٢٤ر٦٪ للعاملين بالمهن الفنية والعلمية و ١١ر٩٪ ، ٩ر٣٪ للنوي المؤهلات العليا .

* وتقل هذه النسب بصورة فجائية فى الشياخات الجنوبية (زغريانه والحمام (جنوب فلمنج) والقصى بحري (جنوب سان استقانو) وسيدي بشر قبلى ، حيث تتراوح نسب العاملين بالمهن الفنية والعلمية بين ١٥ر٤٪ ، ١٢ر٠٪ ودوي المؤهلات العليا بين ٤ر٩٪ ، ٤ر٢٪ . وهذه الشياخات الجنوبية تعتبر مرحلة انتقالية بين هذه النمط العمراني المرتفع فى درجة التحضر والحضرية والنمط العمراني العشوائى شبه المخطط الذي يليه جنوبا . ففى هذه الشياخات ترتفع نسبة العاملين بالانتاج الصناعي والنقل والتجارة (تتراوح بين ٥٨ر٤٪ ، ٥٩ر٣٪) كما ترتفع نسبة الأمية بين سكان هذه الشياخات اذ تتراوح بين ٢٧ر٩٪ ، ٣٣٪ .

٢ - النطاق العشوائى وشبه المخطط .

وتنتشر الى الجنوب من خط سكة حديد أبى قير ، ويحده غربا خط سكة حديد الاسكندرية / القاهرة ، ويمتد نحو الشمال الشرقى حتى يتصل بضاحية أبى قير ، أما حدوده الجنوبية فمتداخلة مع نطاق العمران الانتقالي الحضري / الريفى .

وشمل هذا النطاق شياخات القصى قبلى - دنا الجديدة - المحروسة

الظاهرية وعزبة الصفيح - العاقصة وباكوس (من قسم الرمل) وشباخت
السيوف قبلى - المندرة قبلى - العمراوي - أبو قير الغربية - أبو قير الشرقية
(من قسم النتره) .

وهذا النطاق قد امتد اليه العمران دون ما تخطيط أو نظام فى معظم
أجزائه . ويتميز بشوارعه الضيقة والمتعرجة وأزقته غير المرصفة والمسدودة فى
غالب الأحيان . وتنتشر فيه المصانع والورش . كما فى مناطق الظاهرية
وباكوس وحجر النواتية والسيوف قبلى وسيدى بشو قبلى (الرأس السرداء) .
ومعظم البناءات السكنية على مساحات صغيرة من الأرض بعضها مرخص
وبعضها الآخر غير مرخص ومعظمها مخالفة لقوانين النظم . لذلك فهى تفتقر
الى الجوانب الصحية ، فالتهوية سيئة والفوف ضيقة ومظلمة ويخلو بعضها من
المرافق الأساسية من مياه وكهرباء . وصرف صحى . كما أنها تتباين من حيث
الارتفاعات ، وإن كان معظمها لا يتعدى الطوابق الأربعة . وبسبب الضغط
السكانى فى هذه المناطق ، يلجأ العديد من السكان الى تحويل الشرفات - رغم
ضيقها - الى غرف أو (عشش) لتربية الدواجن . وإلى جانب هذا النمط من
المباني السيئة توجد المباني و (الأبراج) التى ترتفع الى أكثر من عشر طوابق .
فالسكن هنا يناسب جميع مستويات الدخل ، اذ يبدأ بالقرقة الواحنة والسكن
المتواضع الى الاسكان الفاخر .

وفى بعض أجزاء هذا النطاق العشوانى السرطانى ، توجد مناطق ذات
تخطيط جيد للشوارع ، وتمثل بصورة أساسية فى الاسكان الحكومى أو
الشركات العاملة بهذا النشاط ، والذي تشيد وحداته وفق تخطيط جيد وبناءات
ذات نماذج محددة هندسيا ، وتتعدد أنماطها من اسكان فاخر (عمارات المنتزه)
واسكان متوسط (المندرة قبلى وفيكتوريا) واسكان شعبي (غبريال - الظاهرية -
شوتس - أبوقير) . وفى مناطق الاسكان الشعبى لم تعلم المساكن من تحول

معظم شرفتها الى غرف أو " عشش " كما أن بعض السكان يستقنون عن المطبخ ويستبدلونه بحجرة للنوم سعياً وراء مزيد من المساحات لمواجهة الكثافة السكانية الشديدة . وتحولت المساحات التي تفصل بين " البلوكات " السكنية والمخصصة كمساحات خضراء حسب التصميم المبدئي - الى أماكن لتجمع القمامة الملقاة من المساكن المحيطة بها ولياء الصرف التمرية من الأنبية ويغلب عليها طابع الاهمال والقذارة .

وحدير بالذكر أن الخدمات والمرافق التي تزود بها هذه التناقطات العشوائية ، تعجز أمام ظاهرة الضغط السكاني والاسكاني المستمرين ، عن العمل بكفاءة مرضية ، فالفصول بالمدارس ذات كثافة عالية وكلها تعمل فترتين أو ثلاث يومياً وتكثر ظاهرة انقطاع التيار الكهربى وعدم كفاية المياه التقنية وطفح المجارى .

ومامن شك أن سكان هذا النطاق أقل فى محضرهم من سكان النطاق السابق ، فمعظمهم من الوافدين الى مدينة الاسكندرية من المناطق الريفية . وتعكس دراسة السكان فى هذا النطاق الكثير عن المستوى الاقتصادى والاجتماعى والثقافى للسكان . كما تعد انماط السكن وصفاتها انعكاساً لظروف المنطقة واستخدام الأرض . فمعظم السكان من العاملين بالانتاج الصناعى والأعمال الكتابية والخدمات ، كما ترتفع فى بعض المناطق نسبة العاملين بالزراعة . أما من الناحية التعليمية ، فتقل نسبة الحاصلين على الشهادات الجامعية وترتفع نسبى الحاصلين على شهادات متوسطة أو أقل من المتوسطة . ويبلغ سكان هذا النطاق ٥٦٪ من جملة سكان شرق الاسكندرية.

ومن الملحقين رقمى (٣.٢) يتضح مايلى :-

* ترتفع نسبة العاملين بالانتاج الصناعى والنفل والتجارة حيث تتراوح بين

٤٣,٥٪ (أبوقير الشرقية) و ٧٣٪ (عزبة المحروسة) . وتعتبر عزبة دنا الجديدة أكبر تجمع للعاملين بهذه الحرف حيث تبلغ نحو ثلاثين ألف نسمة يشكلون نحو ثلاثة أرباع ذوي النشاط الاقتصادي بها ، أو ٣٨٪ من جملة العاملين بهذه الحرف في هذا النطاق (كما يمثلون ٢٤,٥٪ من جملة العاملين بهذه الحرف في شرق الاسكندرية) . ويرجع ذلك الى قربها من العديد من المصانع الضخمة والتي من أهمها مصانع التحاس والعديد من المنشآت الصناعية والورش والتي تقع على ضفاف ترعة المحمودية بمنطقة حجر النواتية .

* تتباين نسبة العاملين بالانتاج الزراعي والصيد في هذا النطاق، اذ تبلغ أداها حيث تتراوح بين ٦٪ ، ٤٢٪ في الأجزاء الشمالية ، وترتفع الى ما بين ١٩,٧٪ ، ٢٤,٣٪ في الأجزاء الهامشية الجنوبية (حجر النواتية - العمراوي) والشمالية الشرقية (أبوقير الشرقية) .

* تنخفض نسب العاملين بالمهن الفنية والعملية والمديرين اذ يبلغ متوسطها في هذا النطاق ٥,٩٪ من جملة ذوي النشاط الاقتصادي . وتتراوح نسبتهم بالنسبة لسياحات هذا النطاق بين ٢,٦٪ (حجر النواتية) و ٨,٦٪ (القصى قبلى) باستثناء شياخة أبو قير الغربية حيث ترتفع هذه النسبة الى ١٢,٦٪ من جملة ذوي النشاط بها .

* يمثل أصحاب المؤهلات المتوسطة ودون المتوسطة نحو ٥,٥٪ من جملة الأفراد (أكثر من ١٠ سنوات) في هذا النطاق ، كما يمثل الأميون ٤٣,٥٪ ، أما الحاصلون على مؤهلات عليا فلا تزيد نسبتهم عن ١,٥٪ فقط . ويلاحظ أن نسبة الامية ترتفع في بعض الشياحات فتصل الى ٥٩,٧٪ (حجر النواتية) وتبلغ أداها في العاقصة وياكوس وأبوقير الغربية حيث تبلغ ٣٤,٤٪ ، ٣٤,٧٪ في كل منهما على الترتيب .

٢ - النطاق الانتقالي الحضري / الريفي .

ويظهر في الأطراف الجنوبية حيث امتد العمران العشوائي الى أراضى كانت زراعية لم يتم اعتماد تقسيمها كأراضى للمباني ، والتحمت به القرى الريفية التى وقعت فى اتجاه الزحف العمرانى ، ويبدو هذا النمط العمرانى على شكل " حزام " يحيط بالعمران فى شرق الاسكندرية ، كما يظهر أيضا فى القرى المتناثرة التى تتناثر فى الأراضى الزراعية . وفى هذه القرى - التى يمارس سكانها حرفة الزراعة - أصبح يشارك سكانها وافدون جدد ، قادمون من المناطق الريفية المجاورة ، أو من ذوي المستوى الاقتصادي والاجتماعى المنخفض والذي تعجز مواردهم عن توفير السكن فى النطاق الحضري العشوائي قادمون من مدينة الاسكندرية . وهؤلاء الوافدون يعملون فى حرف أغلبها هامشية وظيفية بسبب مستواهم الاجتماعى والتعليمى المنخفض وكذلك حرف الصناعة والنقل والتجارة .

ويتشمل النطاق المتصل من العمران الانتقالي الحضري / الريفي ، فى شياخات : المنشية البحرية (عزب المنشية - خطاب - ممتاز) ، عزبة المهاجرين ، عزبة خورشيد البحرية (والعزب التابعة لها والمعروفة بعزب نوبار) ، عزبة خورشيد القبيلة ^(١٦) ، بالإضافة الى شياخة المعصرة (عزبة المعصرة). أما القرى التى تبعد عن هذا النطاق وتظهر منفصلة عنه فتوجد فى شياخات طلبات الطابية (عزب هريدي - نشأت - الهلالية) ، الناصرية (عزب أبو سلطان - فرعون) ، قرية أبيس الثانية .

وفى هذا النطاق من العمران الانتقالي يمكن تمييز فئتين من السكن : الأول ريفى بحث وان تغيرت مادة بناء معظم هذه المساكن من الطوب اللبن الى الطوب الأحمر والاسمنت المسلح ، ورغم هذا التطور الحضارى فمازال القش والحطب تملأ أسقف المساكن ومازالت الحظيرة جزء من المسكن ، وأغلب

المساكن من طابق واحد أو طابقين ، تسكنه عائلة واحدة غالبا ما تكون مالكة للمسكن . ومعظم هذه العائلات من أجيال متعاقبة تشمل الأب صاحب المسكن وأول من أقام به (أو ورثه عن أجداده) ثم جيل أبنائه ثم جيل أحفاده فى بعض الأحيان ولا يفرق هذا الرضع بين الذكور والإناث والنمط الثانى عبارة عن مباني ذات مظهر معماري بنائى ذو لمسات ريفية المظهر ، ترتفع طابقين أو ثلاثة وفى كل طابق شقتان فى الغالب أو ثلاثة تبعا لمساحته ، وتمتد الباني متجاورة بصورة عشرانية دون أي تخطيط ولا تتوافر الشروط الصحية والهندسية فى معظمها لبناتها بدن ترخيص ، ولا تمتد إليها المياه النقية ، وذات صرف صحى خاص (بيارات) وإن كانت معظم المساكن متصلة بشبكات الكهرباء . وتعانى هذه المناطق من طفق المجاري وخصوصا فى فصل الشتاء . ومكان هذه المباني من العمالة الوافدة وأسره ، وقد يشترك فى المسكن الواحد أكثر من أسرة ، وغالب هذه المساكن بالايجار .

ويبلغ سكان هذا النطاق العمرانى الانتقالى نحو ٩٪ من جملة سكان شرق الاسكندرية ومراجعة الملحقين رقمى (٣.٢) يتبين مايلى :-

* تبلغ نسبة العاملين بالزراعة فى هذه المناطق ٢.٦٪ من جملة العاملين بالنشاط الزراعى والصيد فى نطاق شرق الاسكندرية . وترتفع نسبة العاملين بهذا النشاط فى القرى البعيدة عن العمران المتصل (الناصرية - التوفيقية - القرداحى) اذ تتراوح بين ٧.٢٨٪ ، ٧.٢٦٪ من جملة ذوى النشاط الاقتصادى فى هذه القرى ، بينما تقل نسبتهم فى المناطق القريبة من العمران المتصل ، المتداخلة فيه كما فى قريتى المهاجرين (٢١.٤٪) والمعصرة (٣.٣٪) .

* وعلى العكس من ذلك تزداد نسب العاملين بالانتاج الصناعى والنقل والتجارة فى المناطق المتداخلة مع هذا النمط من العمران (تبلغ نسبتهم فى

قرية المهاجرين ٦٣١٪ من جملة ذوي النشاط الاقتصادي بها) ، بينما تقل هذه النسبة في القرى البعيدة عن العمران (في قرى الناصرة والتوفيقية ١٤٪ ، ٨٨٪ في كل منهما على الترتيب) .

* ترتفع نسبة الأمية في هذا النمط من العمران بصورة واضحة فهي تتراوح بين ٤٨٨٪ (المعمورة) و ٩٥٢٪ (القرداحي) بمتوسط قدره ٦٧١٪ من جملة الأفراد أكثر من ١٠ سنوات ، أما ذوي المزهلات المتوسطة أو فوق المتوسطة والعليا فتبلغ متوسط نسبتهم ٩٩٪ فقط وهذه النسبة تقل أدنى مستوي لها بالمقارنة مع النمطين السابقين . وتتراوح هذه النسبة في قرى هذا النطاق بين ١٪ (في القرداحي) و ١١١٪ (في المعمورة).

قرية أبيس الثانية - نموذج للحافة الريفية الحضرية

تم اختبار القرية الثانية بأبيس للدراسة الميدانية ، كنموذج للعمارة الريفية المخطط أصلا ، وماأدى إليه الزحف العمرانى الحضرى - بسبب قربها من مدينة الاسكندرية - من تغير عمرانى وسكانى لهذه القرية . فقد أدى قرب هذه القرية - حوالى خمسة كيلومترات فقط - من الاسكندرية ، الى أن تكون هدفا للباحثين عن السكن المناسب لدخولهم ، فالتجهر إليها أملا فى الاستقرار ، مما أدى الى تضخم هذه القرية سكنا وسكانا بصورة سريعة ، وقد انعكس ذلك على شكلها الأصلى ومورفولوجيتها من حيث الامتداد وارتفاعات المباني وخطة الشوارع ، كما أثر على تركيبها السكانى ديموجرافيا واقتصاديا .

ولاجراء الدراسة الميدانية ، تم تصميم صحيفتى استبيان خاصة بالسكن وسكانه (ملحق رقم ٤) . والهدف منها ابراز خصائص السكان الديموجرافية ومدي التغير فى التركيب الديموجرافى والنشاط الاقتصادى ومدي ارتباط ذلك بالمظهر العمرانى للقرية . وقد بلغ عدد أفراد العينة ٢٠٤ فردا تمثل ٢٢٦٪ من سكان القرية .

وتعتبر منطقة أبيس من أقدم مناطق الاستصلاح الزراعى فى مصر . فقد بدأت عمليات الاستصلاح بها عام ١٩٤٨ بمعرفة مصلحة الأملاك الأميرية ، عن طريق تجفيف الأجزاء الجنوبية الشرقية من بحيرة مريوط ، وشق المصارف اللازمة لتحسين خواص التربة ، بهدف استصلاح واستزراع ٥٣٣١ فداناً . وفى عام ١٩٥٤ تسلمتها الهيئة المصرية الأمريكية لاصلاح الريف ، حيث تولت عمليات الاستصلاح والاستزراع وزادت المساحة الى ٢٢٠٠٠ فدان بالإضافة الى بناء ست قري نموذجية . وفى عام ١٩٦٠ تم اضافة ٨٠٠٠ فدان (سميت بمنطقة الامتداد) فأصبحت المساحة الكلية لمنطقة أبيس ٣٠٠٠٠ فدان ، فضلا عن انشاء أربع قري جديدة ليصبح مجموع قراها عشرة . وفى نهاية عام ١٩٦٢

يظهر من الجدول أن ٦١٦٪ من جملة المنتفعين ، ينتمون أصلا الى محافظات البحيرة (وعلى وجه الخصوص مركز كفر الدوار) والاسكندرية، في حين يمثل المنتفعون القادمون من المناطق البعيدة (محافظتى المنوفية والدقهلية) ٣٧٤٪ من جملة المنتفعين . وكان نصيب قرية أبيس الثانية ٥٧٤ منتفعا بنسبة ١١٦٪ من جملتهم . ومن أسف فان البيانات المتاحة لم تحدد المناطق التى وفدوا منها .

الاستغلال الزراعى -

تنقسم منطقة أبيس الى أربعة مناطق هى القلعة ، البيضاء ، الدشردى ، الامتداد . ويشارك سكان القريتين الأولى والثانية فى زمام زراعة القلعة ^(١٩١) التى تبلغ مساحتها ٥٤٤٥ فداناً ، منها ٤٥٨٥ فداناً أراضى زراعية بنسبة ٨٤٢٪ و ٨٦ فداناً مخصصة للمنافع العامة بنسبة ١٥٨٪ .

ويسود نظام حيازات الملك ، حيث لايجز القانون تأجير الأراضى الملكية للغير . ورغم ذلك فقد لوحظ أثناء النراسة الميدانية ، حالات مستترة ، حيث قام بعض المنتفعين بتأجير حيازته بالكامل أو جزء منها للغير " من الباطن " خصصا للأقارب الوافدين من القرى الأصلية لهؤلاء المنتفعين . كما أنه فى حالات أخرى تصرف بعض المنتفعين فى حيازته التى تملكها - أو جزء منها - ببيعها للغير بعقد بيع غير مسجل لتعارض ذلك مع القانون ، وقد شجع على ذلك ارتفاع أسعار الأرض حيث يتراوح سعر الفدان - كما سبقت الإشارة - بين ٢٥ ، ٥ ألف جنيه (عام ١٩٨٨) .

وقد انعكس هيكمل الحيازة الزراعية ونظمها على أنماط استغلال الأرض .

فقد أدت قزمية الحيازات - حيث تتراوح المساحة المملوكة بين ٣ ، ٥ و ٤ فدان ، وعدم زراعة القطن لعدم ملائمة التربة ، أدى ذلك الى عدم وجود دورة زراعية محددة الأبعاد . لذلك تمحّدت أنماط الاستغلال الزراعى وفق رغبات المتفعين التى يحددها بصورة مباشرة العائد المالى للمحاصيل المزروعة ، مما أدى الى انتشار زراعة الخضروات التى تمثل أفضل استغلال لهذه المساحات القزمية . فقد بلغت مساحة الخضروات نحو نصف المساحة المحصولية ويتضح ذلك من الجدول رقم (٢).

جدول رقم (٢) المحاصيل الزراعية بزراعة القلعة موسم ١٩٨٧/٨٦ *

ننان	المسح الشورى	ننان	المسح الصفى	ننان	أراضى الحدائق
٥٠	برسيم	٢٠٧١	أرز	١٣٠٠	كمثرى
٤٠	شعير	٤٥٤	ذرة سكرية	٥٠٠	جوافة
	خضر شتوية	١٨٧٧	خضر صيفية	٢٣٤٢	
			بطاطس	١٥٠	
٩٠	المجموع	٤٤٠٢	المجموع	٤٢٩٢	المجموع

* المصدر : سجلات مراقبة الانتاج الزراعى - منطقة أيس (أرقام غير منشورة)

يوضح الجدول أن زراعة الخضر أهم أنماط الاستغلال الزراعى فى منطقة الدراسة ، فهى الأكثر ربحا نتيجة لعامل القرب الشديد من الأسواق الاستهلاكية الكبيرة بمدينة الاسكندرية وسهولة نقل الانتاج اليها وانخفاض تكلفته . كما أن الخضر تمكث فى الأرض مدة قصيرة ، تتراوح بين شهرين وأربعة أشهر ، وعلى ذلك فرأس المالى يدور فى زراعتها مرات أكثر من زراعة المحاصيل التقليدية ، وينتج ربحا أوفر . فضلا عن أن زراعة الخضر تساهم الى

أصبحت منطقة أبيس تابعة للمؤسسة المصرية العامة لاستغلال وتنمية الأراضي المستصلحة . وتعتمد الأراضي الزراعية بمنطقة أبيس فى ربحها على ترعة العمودية حيث تخرج منها ٧ ترع تتراوح أطوالها بين ١ ، ١٦ كيلومترا ويتراوح زمام كل منها بين ١٠٠٠ ، ٨٠٠٠ فدان . كما تعتمد فى صرف المياه الزائدة على ١١ مصرفا يتراوح طول كل منها بين ٢ ، ١٠ كيلومترات . ويتراوح زمام كل مصرف ما بين ٢٥٠ ، ٨٠٠ فدان تصرف كلها الى مصرف العموم الرئيسى. (١٧)

وتتألف منطقة أبيس من ١٠ قري تتخذ أرقاما من رقم واحد الى رقم عشرة . وتتبع القرية الثانية قسم الرمل حاليا بعد أن كانت تابعة لقسم المنتزة حتى عام ١٩٦٦ . والقريتان السابعة والعاشر تابعتان لقسم محرم بك . أما باقى القري فهى تابعة لمركز كفر الدوار - محافظة البحيرة . والخريطة رقم (٥) تبين توزيع هذه القري وتوابعها .

وقد روعى فى تخطيط قري أبيس غطين . النمط الأول ، وهو النمط المركزى (القريتان الأولى والثانية) حيث أنشئت كل مساكن المتفعين متجاورة بتوسطها باقى المنشآت الخدمية كالمدرسة والمستشفى والجمعية التعاونية والمسجد ومساكن الموظفين . والغرض من ذلك أن يشعر السكان بالأمن والطمانينة . كما كانوا فى قراهم الأصلية التى تتميز بالاندماج ، فضلا عن سهولة تأدية الخدمات بأقل التكاليف . وفى القرية الأولى أنشئ ٣٩٤ مسكنا عام ١٩٥٤ وفى القرية الثانية أنشئ ٥٧٢ مسكنا عام ١٩٥٦ ، وهاتان القريتان أقدم المراكز السكنية فى منطقة أبيس . أما النمط الثانى ، فهو القري ذات التوابع ، والقري من الثالثة وحتى العاشرة من هذا النوع وفيها تتركز المنشآت الخدمية والمرافق وسكنى الموظفين والعمال فى مكان ويتأثر حوله توابع يسكنها المزارعون . ويبلغ مجسوع التوابع لهذه القري ٥٩ وحدة . ويتراوح عدد التوابع للقرية الواحدة ما بين ٤ الى ١٥ وحدة تبعا لمساحة زمام كل قرية . كما يتراوح عدد المساكن

فى الوحدة الواحدة ما بين ٤ الى ٩ مسكنا . وتتمتع هذه القرى العشرة بشبكة للبياه النقية وأخري للكهرباء . أما الصرف الصحى فهو محلى (نظام البيارات) .

وقد تم توزيع ١٩٤٢٩ فداناً من أراضى أبيس المستصلحة على المتفعين ، تمثل ٦٤.٨٪ من جملة الأراضى المستصلحة فى أبيس (١٨) . وتم توزيع الأراضى بمساحات تتراوح بين ٢ ، ٤٥ فدان للمتفع الواحد . وتم تسليم الارض والمسكن على ست دفعات فى الفترة ما بين عامى ١٩٥٥ ، ١٩٦٦ . وقد روعى فى اختيار هؤلاء المتفعين أن يكونوا من المعدمين العاملين بالزراعة ، ويتراوح سنهم ما بين ٢٤ ، ٣٥ سنة ومن القرى ذات الكثافات السكانية المرتفعة والى لا يوجد بها أراضى تابعة للإصلاح الزراعى ، وبعد اختبارهم طبيًا للتأكد من خلوصهم من الأمراض الخطيرة واختبارهم نفسياً لمعرفة مدى تقبلهم للتأقلم فى هذا المجتمع الجديد . باستثناء طائفة الصيادين الذين كانوا يرتزقون من حرفة الصيد فى بحيرة مريوط . وقد بلغ جملة المتفعين ٤٩٥٨ متفعاً . والجدول رقم (١) يوضح الناطق التى وقد منها هؤلاء المتفعون .

جدول رقم (١) تصنيف المتفعون تبعاً للمناطق الوافدين منها .*

جهة الوفد	عدد المتفعين	٪
الناطق المجاورة بمحافظة البحيرة	١٤٨٣	٢٩.٩
العسال الذين قاموا بعمليات الاستصلاح من محافنقى البحيرة والاسكندرية	١٢٤٩	٢٥.٢
محافنقة الدقهلية	٩٣٧	١٨.٩
محافنقة المنوفية	٩١٦	١٨.٥
الصيادون (من سكان المنطقة)	٣٢٥	٦.٥
المحاربون القدماء	٤٨	١.
المجموع	٤٩٥٨	١٠٠.

* المصدر : محمد خميس الزوكة - مناطق الاستصلاح الزراعى فى غرب دلتا النيل

الاسكندرية ١٩٧٩ ، ص ٣١ .

عمل كثير وخدمة مستمرة وعلى ذلك فهي تتفق مع الكثافة السكانية المرتفعة حيث تقدم العمل المناسب لكل فرد من أفراد الأسرة . لذلك بلغت مساحة الارض المزروعة بالخضر بموسميها الشتوي والصيفي ٤٣٦٩ فداناً بنسبة ٥٪ من جملة المساحة المحصولية خلال الموسم الزراعي ١٩٨٢/٨٦ . وهي نسبة تبرز أهمية هذا النوع من الاستغلال الزراعي . وجدير بالذكر أن محافظة الاسكندرية أصدرت قراراً في فبراير ١٩٩٠ ، بنقل سوق الخضر الرئيسى من الحضرة (على ترعة المحنودية) الى قرية أبيس الثانية .

ويأتى فى المقام الثانى محاصيل العلف (البرسيم والذرة السكرية) والتي تمثل جملة مساحتهما ٢٥٧٨ فداناً بنسبة ٢٩.٦٪ من جملة المساحة المحصولية. وتمثل زراعة البرسيم ٤٧٪ من مساحة الموسم الشتوي . وتعود زراعة البرسيم الى دورة فى تقليل درجة تماسك التربة الطينية متعامكة البناء المنتشرة فى منطقة الدراسة . كما لمجود زراعة الذرة السكرية فى أبيس والتي تستخدم علفاً أخضر للماشية بدلاً عن البرسيم فى فصل الصيف . وكلا المحصولين من الزراعات التى تحقق عائداً مالياً كبيراً . لشدة الحاجة اليهما فى تموين حظائر تربية الماشية والتي تقوم أسواق مدينة الاسكندرية بمنتجات الألبان أو اللحوم . فضلاً عن انخفاض تكلفة الانتاج لكل منهما وكذلك فى العمليات الزراعية .

ويأتى الأرز فى الترتيب الثالث من حيث مساحته التى بلغت ١٣٠٠ فداناً بنسبة ١٥٪ من جملة المساحة المحصولية و ٣.٣٪ من مساحة الموسم الصيفى . والأرز هو المحصول الوحيد الذي يفرض على المزارعين زراعته فى مساحات تمحدها وزارة الزراعة كل عام . وإن كان بعض المزارعين يتهربون من زراعته لتخصيص أكبر مساحة ممكنة من الارض الزراعية لزراعة الخضر الأكثر ربحاً.

ولا تشمل حدائق الفاكهة أهمية تذكر فى منطقة الدراسة ، حيث لا تزيد مساحتها عن ٩ فداناً فقط بنسبة ٢٪ من مساحة الارض الزراعية ، رغم أن الفاكهة تعتبر من الزراعات الحضرية ، وتنتشر حدائقها على الأطراف الشرقية لمدينة الاسكندرية (فى المعمورة - المنشية البحرية - الناصرية - خورشيد) . ويرجع ذلك الى ارتفاع مستوى الماء الارضى ونوعية التربة فى أبيس ، الأمر الذى يؤدي الى ضعف انتاجية الأشجار من ثمار الفاكهة . بالإضافة الى أن حدائق الفاكهة من سمات الحيازات الكبيرة نسبياً وليست من سمات الحيازات القزمية ، حيث أنها تحتاج الى امكانيات مادية ودون انتظار لعائد تقدي خاصة فى السنوات الأولى من زراعة الحديقة ، وذلك أمر يصعب تحقيقه عند مالكي المساحات القزمية ، فضلاً عن عدم توفر الخبرة الكافية فى زراعة الفاكهة لذي مثل هؤلاء الزراع .

ولا يوجد فى منطقة أبيس (زراعة القلعة) سوى زراعة الكمثري والجوافة. ومرد ذلك أنهما من الأصناف التى يمكن زراعتها فى التربة الحديثة الاستصلاح والتى عادة ماتتميز بارتفاع نسبة الأملاح فى تربتها وقرب مستوى الماء الأرضى ، بالإضافة الى قلة حاجتهما لعمليات الخدمة الزراعية ، خاصة لذي المزارعين غير المتفرغين تماماً للعمل الزراعى . وتظهر حدائق الجوافة والكمثري على شكل مساحات صغيرة - تتراوح بين ربع فدان وفدان ونصف - متناثرة بين الأراضى المخصصة لزراعة الحضر . وقد أدى ذلك الى انخفاض مستوى الخدمة الزراعية لهذه الحدائق وضعف فعاليتها ، الى جانب انتشار الزراعة التجميع ، حيث تسود زراعة الحضر أو البرسيم تحت أشجار الفاكهة وخاصة التى لم تثمر بعد .

خصائص السكان .

ارتفع عدد سكان قرية أبيس الثانية من ٣٤٤٤ نسمة عام ١٩٦٦ الى ٥٢٣٦ نسمة طبقا لتعداد السكان عام ١٩٧٦ ، بمعدل نمو سنوي قدره ٣.٨٪ . وباستخدام المعادلة الأسية - ونفرض ثبات معدل النمو السنوي - لتقدير عدد سكان القرية عام ١٩٨٨ (وقت اجراء الدراسة الميدانية) ، فان عدد السكان بقدر نحو ٩.٢٤ نسمة (١٠) . أى أن السكان قد تضاعف عددهم أكثر من مرتين ونصف (٢٦٢٪) فى خلال ٢٢ سنة . ومازالت الهجرة الوافدة الى القرية لثانية مستمرة . فقد أظهرت الدراسة الميدانية لعينة من أسر القرية - بلغت ٢٩٢ أسرة - أن عدد الأسر التى وفدت الى القرية قبل عام ١٩٦٦ - ٩ أسرة بنسبة ٦٥٪ ، والأسر الوافدة فيما بين ١٩٦٦ ، ١٩٧٥ - ٤٦ أسرة بنسبة ١٥.٨٪ ، والأسر الوافدة فيما بين ١٩٧٦ ، ١٩٨٨ - ٥٦ أسرة بنسبة ١٩.٢٪ . ومعنى ذلك أن نحو ٣٥٪ من أسر العينة من المهاجرين الجدد ، مما يدل على أن قرية أبيس الثانية مازالت مركزا لجذب السكان الجدد .

كما توضح الدراسة الميدانية أن أصول سكان القرية قد تغيرت بعد مرور نحو عشرين عاما وهذا ما يوضحه الجدول رقم (٣) .

جدول رقم (٣) تصنيف سكان قرية أبيس الثانية تبعا لمحل الميلاد - بالعينة *

ملاحظات	٪	العدد	محل الميلاد
من مواليد شياخة أبيس	٦.٨	١٢٤١	قرية أبيس الثانية
من باقى محافظة الاسكندرية ومحافظة البحيرة	١٨.٥	٣٧٦	محاقتنى الاسكندرية والبحيرة
من محافظات المنوفية / الدقهلية كفرالشيخ / مطروح	٢.٧	٤٢٣	المحافظات الأخرى
	١٠٠	٢.٤	المجموع

* المصدر : الدراسة الميدانية فبراير - مارس ١٩٨٨

يتبين من الجدول ارتفاع نسبة الذين ولدوا فى قرية أبيس الثانية ، اذ تصل نسبتهم الى ٦٠.٨٪ من جملة أفراد العينة . وما من شك أنهم يمثلون الأجيال الجديدة بعد الاستيطان فى هذه القرية منذ عام ١٩٥٥ وحتى عام ١٩٨٨ . وبالتالي تراجعت نسب الوافدين الى القرية ، فمواليد محافظات الاسكندرية بلغت نسبتهم ١٨.٥٪ (بعد أن كانت ٦١.٦٪ عند بدء تعمير القرية) ، بينما تبلغ نسبة مواليد المحافظات الأخرى ٢.٧٪ (بعد أن كانت ٣٧.٣٪) . ويرجع تزايد نسب الوافدين من المحافظات الأخرى ، الى انه عندما استقر المتفعمون الجدد فى منطقة أبيس ، جلب معظمهم أقاربهم وذويهم للإقامة معهم ، بالإضافة الى وفود عدد من المهاجرين الجدد من الريف للمعاونة فى الأعمال الزراعية .

أما عن متوسط عدد أفراد الأسرة ، فيغلب عليها الطابع الكبير العدد ، اذ يبلغ متوسط عدد أفراد الأسرة ٧ أفراد . فقد أظهرت الدراسة الميدانية على عينة الأسر ، أن :-

عدد أفراد الأسرة أقل من ٥ أفراد ٨٥ أسرة بنسبة ٢٩.١٪ .

وعدد أفراد الأسرة يتراوح بين ٦ - ١٠ أفراد ١٦٦ أسرة بنسبة ٥٦.٨٪ .

وعدد أفراد الأسرة من ١١ فرد فأكثر ٤١ أسرة ١٤.١٪ .

يتضح من ذلك أن أكثر من نصف أسر العينة (٥٦,٨٪) يتراوح عددها ما بين ٦-١٠ أفراد . ويرجع ذلك الى الجذور الريفية التى ينتمى إليها معظم الأسر من ناحية ، بالإضافة الى أن النشاط الزراعى ، هو النشاط الاقتصادى الغالب بين السكان وما يتطلبه من أيدي عاملة رخيصة ، اذ تنتشر زراعة المحضر التى تحتاج الى أعداد كبيرة من الأيدي العاملة ، مما أدى الى زيادة النسل لاستخدام الأطفال فى الأعمال الزراعية للاستغناء عن الامتعانة بالعمال الأجراء . فضلا عن ارتفاع نسبة الأمية بين سكان القرية (٥٤٪ من جملة سكان القرية - تعداد عام ١٩٧٦) ، وماله من أثر كبير فى عدم ضبط النسل، شأنهم فى ذلك شأن كل سكان الريف المصرى .

وتبين دراسة التركيب العمرى لسكان القرية - من واقع العينة المختارة - أن :

عدد صغار السن أقل من ١٥ سنة ١.٨٣ فردا بنسبة ٥٣,١٪
 وعدد متوسطى السن من ١٦ سنة الى ٦٠ سنة ٩.٢ أفراد بنسبة ٤٤,٣٪
 وعدد كبار السن من ٦١ سنة فأكثر ٥٤ فردا بنسبة ٢٦,٦٪

وتظهر هذه الأرقام ارتفاع نسبة فئة صغار السن (٥٣,١٪) وأن الهرم السكانى لهذه القرية يتركز على قاعدة عريضة وذو قمة مدببة . وذلك صفة من صفات المجتمعات السكانية الفتية ، كما أن ذلك من خصائص المجتمعات الريفية أيضا ، اذ ينظر الى الأطفال على أنهم قوة اقتصادية تزيد من دخل الأسرة . وجدير بالذكر أن ارتفاع نسبة صغار السن يؤدي الى ارتفاع نسبة الخصوبة الطبيعية للسكان ، كما تؤدي الى ارتفاع نسبة الاعالة حيث تبلغ ٢,٦ لكل شخص يعمل^(٢١) ، مما يترتب على ذلك انخفاض مستوى المعيشة للأسرة.

ومن الأهمية بمكان دراسة النشاط الاقتصادي للسكان ، لما فى ذلك من بيان لمدي ارتباط قرية أبيس الثانية بمدينة الاسكندرية وهذا ما يوضحه الجدول رقم (٤) .

جدول رقم (٤) النشاط الاقتصادي لسكان قرية أبيس الثانية - بالعينة - ١٩٨٨ *

نوع المهنة والنشاط		عام ١٩٧٦ (أ)		عام ١٩٨٨ (ب)	
		العدد	%	العدد	%
المهن الفنية والعلمية والكتابية والخدمات الانتاج الصناعى والبناء التجارة والنقل الزراعة والصيد		٣٣١	٢٧,٣	١٨٣	٣٢,٣
		٢٣٦	١٨,٢	١١٤	٢٠,١
		٤١	١,٩	١٥	٢,٦
		٦٠٤	٤٩,٨	٢٥٥	٤٥,٠
المجموع		١٢١٢	١٠٠,٠	٥٦٧	١٠٠,٠

* المصدر :

أ - الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، التعداد العام للسكان والاسكان ١٩٧٦ - تعداد السكان - النتائج التفصيلية - محافظة الاسكندرية - ص. ١٧.

ب - الدراسة الميدانية - فبراير ، مارس ١٩٨٨ .

ج - الأفراد ١٥ سنة فأكثر .

يظهر من الجدول أن العاملين بالزراعة يحتلون المركز الأول بين الأنشطة الاقتصادية المختلفة ، اذ يمثلون ٤٥٪ من جملة العينة عام ١٩٨٨ - بعد أن

كانوا يمثلون ٤٩,٨٪ عام ١٩٧٦. يليهم في الترتيب العاملون بالمهن الفنية والعلمية والأعمال الكتابية والخدمات (٣٢,٣٪) ثم العاملون بالانتاج الصناعي والبناء والتشييد (٢٠,١٪). أي أن ٥٥٪ من أفراد العينة يمتنعون حرفا غير حرفة الزراعة، وأن نسب العاملين بالزراعة تتناقص لصالح المهن الأخرى غير الزراعية. فقد ارتفع مجموع نسب العاملين بالمهن غير الزراعية نحو ٥٪ فيما بين عامي ١٩٧٦، ١٩٨٨. مما يدل على أن هناك تحولا بين سكان قرية أبيس الثانية من حرفة الزراعة إلى الأنشطة الاقتصادية الأخرى غير الزراعية. ويرجع ذلك إلى ثبات مساحة الأرض المزروعة، الأمر الذي لا يمكن معه أن تستوعب أية عمالة جديدة إلا في أضيف الحدود. وتحول العمال إلى احترام المهن الأخرى غير الزراعية وقد ساعد على ذلك القرب من مدينة الاسكندرية وتوفر فرص العمل بها.

وحيث أن الأجهزة الإدارية والخدمات والمنشآت الاقتصادية في القرية محدودة، فإن جزءا من هذه العمال يعمل خارج نطاق القرية. وعند تصنيف العاملين بالأنشطة المختلفة - بالعينة - تبعا لمكان العمل الوارد باستمارات الاستبيان أمكن تكوين الجدول رقم (٥)

جدول رقم (٥) تصنيف العاملين بالأنشطة الاقتصادية بقرية أبيس الثانية تبعاً لمقر العمل - بالعينة - عام ١٩٨٨ . *

مقر العمل	العند	%	ملاحظات
قرية أبيس الثانية	٣٢٣	٥٧,٠	منهم ٢٣٤ يعملون بالزراعة.
شرق الاسكندرية	٨٤	١٤,٨	قسمى الرمل والمنزلة .
وسط الاسكندرية	٦٧	١١,٨	أقسام سيدي جابر/باب شرقي/العطارين/محرم بك.
غرب الاسكندرية	٢٢	٣,٩	باقي أقسام المدينة .
مدينة كفر الدوار	١٤	٢,٥	
مدينة دمنهور	٨	١,٤	
محافظات أخرى	٤٩	٨,٦	محافظات القاهرة/ مطروح/ الغربية/ المنوفية/ كفر الشيخ.
	٥٦٧	١٠٠	

* المصدر : الدراسة الميدانية فبراير ، مارس ١٩٨٨ .

يبين الجدول أن ٤٣٪ من جملة أفراد العينة يعملون خارج قرية أبيس الثانية ومعظمهم من ذوي المهن غير الزراعية . وتعتبر مدينة الاسكندرية هي الوجهة الأولى لهؤلاء العاملين (٥,٣٪) بينما كان نصيب محافظة البحيرة ٣,٩٪ فقط . ويظهر الجدول أيضاً ارتباط رحلة العمل اليومية بالمسافة وسهولة المواصلات ، حيث تقل نسبة العاملين كلما بعد مقر العمل من القرية ، كما قلت سبل المواصلات المباشرة .

وقد تبين من الدراسة الميدانية أن وسائل النقل بأنواعها المختلفة - العامة والخاصة - المتجهة الى شرق الاسكندرية أكثر في عددها وفي فترات تقاطرها عن تلك المتجهة الى وسط المدينة فهناك ثلاث خطوط للحافلات التابعة للهيئة العامة لنقل الركاب بمحافظة الاسكندرية ، تعمل فيما بين القرية وشرق المدينة ، خطان منهما ينتهيان عند محطة سيدي جابر وخط ينتهي عند ميدان الساعة بفيكتوريا ، وبلغ متوسط عدد الدورات في اليوم الواحد لكل خط ٢٧ دورة بفترة تقاطر كل نصف ساعة ومتوسط عدد ركاب الدورة الواحدة ٨١ راكبا . بينما يتجه الى وسط المدينة محطة مصر - خطان فقط ، متوسط عدد الدورات اليومية لكل خط ١٥ دورة وتبلغ فترة التقاطر نحو الساعة ومتوسط ركاب الدورة الواحدة ٦٩ راكبا ^(٢٢) . هذا بالإضافة الى سيارات " المشروع " وهي تابعة للقطاع الخاص وتشرف عليها جمعية تنمية المجتمع المحلي بمحافظة الاسكندرية ، والتي تعمل فيما بين قرية أبيس الثانية وكل من ميدان الساعة بفيكتوريا (١٢ سيارة) ، محطة سيدي جابر (٩ سيارات) ميدان عرابي (المنشية) (٧ سيارات) . أما الانتقال فيما بين القرية الثانية ومدينتي كفر الدوار ودمنهور فتخدمه سيارات الأجرة فقط وهي أكثر تكلفة سيارات المشروع بسبب قلة الضغط عليها .

ولا يقتصر نقل الركاب فيما بين قرية أبيس الثانية ومدينة الاسكندرية على العاملين فقط ، بل هناك أسباب أخرى أمكن تصنيفها من واقع الدراسة الميدانية من عتبة بلغت ١٣.٢ أفراد وتم انشاء الجدول رقم (٦) .

جدول رقم (٦) الرحلات اليومية والمتقطعة من قرية أبيس الثانية الى
الاسكندرية ١٩٨٨ . *

نوع الرحلة	السبب	العدد	%
رحلة يومية	العسل	١٧٤	٤٧,٢
	النراسة	١٠٢	٢٧,٦
	تأدية مصالح	٢٢	٦,٠
	الحصول على سلع أو لوازم	٣٥	٩,٥
	أسباب أخرى	٣٦	٩,٧
	مجموع الرحلات اليومية	٣٦٩	٣٨,٢
	رحلة واحدة اسبوعيا	٢٤٦	٢٥,٥
	رحلة أو رحلتان فقط فى الشهر	١٥٧	١٦,٢
	التردد فى المواسم والأعياد والأجازات	١٩٤	٢٠,١
	المجموع الكلى	٩٦٦	١٠٠,٠

* المصدر : النراسة الميدانية فبراير - مارس ١٩٨٨

يبدو من الجدول أن الرحلة اليومية الى الاسكندرية هى الظاهرة الغالبة (٣٨,٢٪) يليها التردد الأسبوعى (٢٥,٥٪) ثم التردد فى المواسم والأعياد والأجازات (٢٠,١٪) ثم التردد مرة أو مرتان فى الشهر. أما الرحلة اليومية ، فيلاحظ أن السبب الرئيسى لهذه الرحلة هو العمل (٤٧,٢٪ من جملة الرحلات اليومية) يليه النراسة ٢٧,٦٪ . وتكاد تتفق أسباب التردد المتقطع على مدينة الاسكندرية مثل : زيارة الأهل - قضاء واجب عائلى - العلاج - تأدية مصالح - الحصول على سلع غير موجودة بالقرية - التنزه - الترفيه بالاضافة الى أسباب أخرى أقل أهمية .

نخلص من ذلك أن قرية أبيس الثانية تمثل أحد المراكز الهامشية لمدينة الاسكندرية تعمل على جذب السكان إليها. وقد اتضح ذلك من الدراسة الديموجرافية لسكانها (بالعينة) إذ غم أن المجتمع السكاني فيها يمثل مجتمعا شبه ريفي ، تظهر فيه بعض خصائص سكان الريف مثل ارتفاع متوسط عدد أفراد الأسرة ، ارتفاع نسبة فئة صفر السن ، ارتفاع نسبة الأمية ، ارتفاع نسبة العاملين بالزراعة . الا أن هناك ظواهر أخرى تعتبر امتدادا للتأثير الحضري لمدينة الاسكندرية وربما كان أهم هذه الظواهر هو تزايد نسبة العاملين بالأنشطة الاقتصادية غير الزراعية وأن نحو ٤٠٪ من السكان العاملين بالقرية يعملون خارجها وعلى الأخص في مدينة الاسكندرية ، وأن ثلاثة أرباع سكانها يترددون على الاسكندرية في رحلات يومية أو متقطعة .

خصائص العموان .

أنشئت قرية أبيس الثانية عام ١٩٥٦ بشكل مخطط ، توضحه الخريطة رقم (٦) على مساحة مائة فدان . وكانت تتألف من ٥٧٢ منزلا منها ٥٥٢ منزلا للمستفيدين موزعة على ٦٤ "بلوكا" ، يشمل البلوك الواحد ٨ أو ١٢ منزلا من دور واحد في صفيحتين متلاصقتين بالإضافة الى ٥ "بلوكات" كل واحدة به ٤ مساكن للموظفين العاملين بمراقبة أبيس الزراعية وكل مسكن من دورين وأمامه حديقة صغيرة .

وقد زودت القرية بالخدمات والمرافق اللازمة والمناسبة لحجمها ، فقد تم انشاء المستشفى والمدرسة الابتدائية والمسجد ومركز الاتصالات (بريد - برق - هاتف) ونقطة الشرطة ونقطة المطافئ بالإضافة الى مبنى الادارة وجمعية تعاونية للسلع الغذائية والمتزلية وجمعية زراعية ومركز للشباب وتقع كل هذه المباني - باستثناء المستشفى - في وسط القرية وقرب مدخلها .

وتفصل بين المباني شوارع عرضها يتراوح بين ٦ أمتار ، . ١٠ أمتار وكلها مرصوفة وذات أرصفة عريضة . ودروعى أن تكون هناك أراضى قضاء (أجران) بين " البلوكات" السكنية ، لكى يستخدمها المتفعون فى تخزين الحطب والقش ومعاناتهم الزراعية.

وقد زودت القرية بالكهرباء والمياه النقية ، أما الصرف الصحى فقد كان - فى أول الأمر - محليا عن طريق البيارات أسفل الحوض السماوي الموجود فى المنازل .

وتم استخدام الطوب الأحمر كمادة للبناء لسهولة الحصول عليه من مصانع الطوب المنتشرة على طول الترع الرئيسية فى غرب الدلتا ، والأسقف من الخرسانة المسلحة المائلة قليلا لتتحد على مياه الأمطار ، ودروعى فى تصميمها الا تكون مسورة وأن تكون بارزة عن حوائط المنازل ، حتى لاتعطى الفرصة لاستخدامها . والمظهر الخارجى لمنازل المتفعين متشابهة ، فالجدران مغطاة بالمونة والجير بما أعطاها لونا أبيضاً موحداً .

ويتكون منزل المتفع من حجرتين وصالة وحوش سماوي به فرن ، بالإضافة الى المرحاض وبه نوافذ كثيرة لتجديد الهواء من الخشب فقط دون الزجاج . أما أرضيات الغرف فهى عبارة عن طبقة رقيقة من الأسمنت المخلوط بالرمل . والتصميم الداخلى لكل المنازل فى القرية واحد وغير متعدد . وكان الهدف أن يكون المنزل مريحا ونظيفا وصحيا الى أقصى الحدود ، حتى يشعر المتفع بالفارق الكبير بين هذا السكن ومسكنه القديم (١٢٣) .

ورغم الجهود الكبيرة التى بذلت فى بناء هذه القرية النموذجية والتى أخذت فى الاعتبار عند تصميمها وتخطيطها تنادى الأخطاء والعيوب فى القرى المصرية . فمن أسف أن معظم المتفعين لم يحافظوا على نظافة هذه المنازل

التي قلكوها ، اذ سرعان ما غطيت معظم جدران المنازل باللون الأسود الناتج عن احراق الخطب والقش المستخدم فى الأفران . كما أساء البعض استخدام حجرات المنزل ، واستخدموها فى مبيت ماشيتهم ، رغم انشاء حظائر للماشية فى "بلوكات" مستقلة حول النطاق السكنى للقرية . ولكن عارض المتفعون هذا النظام وصمموا على مبيت الماشية داخل منازلهم حتى تكون تحت ملاحظتهم المستمرة . كما أنه سرعان ما أصبحت أسطح المنازل مكانا لتخزين القش والخطب ، كما هى العادة فى معظم القرى المصرية ، وغطيت الطرق المرصوفة بالآثربة والقمامة ومخلفات الماشية .

وقد تقرير شكل قرية أبيس الثانية - بعد اثنين وثلاثين عاما من انشاها وتعميرها بالمتفعين وأسوهم - فقد أضاف السكان معظم الرصيف الى مساكنهم بغرض توسيعها ، فضاقت الشوارع ، وارتفعت المباني الى أعلى وازدحم الميدان الرئيسى بالمحلات التجارية وكذلك على طول الطريق المؤدى الى القرية . واحتلت المباني الجديدة تلك الساحات والأجزاء التي كانت مرصوفة بين المساكن وغت القرية وزادت رقعتها نحو الأطراف بمبان سكنية لم يراعى فيها التخطيط وبصورة عشوائية ، فظهرت الحارات الضيقة والملتوية والمصدرة فى بعض الأحيان . وتبين الخريطة رقم (٧) شكل القرية أثناء الدراسة الميدانية عام ١٩٨٨ . وفيما يلى نتائج هذه الدراسة .

١- ملكية المباني -

وزعت الدولة المنازل والأرض الزراعية على المتفعين بغرض قلكهما ، عى أن يقوم المتفع بدفع ثمنهما على أقساط سنوية فى مدى أربعين عاما بفائدة بسيطة قدرها ١٪ تبدأ من عام ١٩٦٠ وتنتهى عام ٢٠٠٠ . ومع اتساع رقعة القرية وبناء المساكن الجديدة التى اقامتها الأهالى ، بدأ نظام الملكية يتغير . فبعد أن كانت نسبة التمليك الحكومى ١٠٠٪ ، اتضع من

المسح الشامل أثناء الدراسة الميدانية ، أن نسبة التملك الحكومي تراجعت الى ٦٢٤٪ ونسبة الملكية الخاصة ٣٧٦٪ (يبلغ عدد المباني السكنية فى القرية ١٦٦٢ مبنى) . كما بدأ يظهر فى القرية نظام المساكن المؤجرة للغير ، حيث تبلغ نسبتها ٢٨٣٪ من جملة المباني (الحكومية والخاصة) . ومعظم هذه المساكن المؤجرة تسكنها أسر وافدة من الاسكندرية حيث يعمل أربابها ، بسبب رخصها وعدم استطاعة هذه الأسر - محدودة الدخل - من دفع مقدمات باهظة لتلك "شقة" بالاسكندرية أو دفع مقدم كبير للحصول على "شقة" بالايجار . ووجود مساكن للايجار فى قرية أبيس الثانية ، يعتبر من غير شك مظهرا حضريا .

٢ - مادة البناء -

مع زيادة حجم الأسر وتزايد عمر أفرادها ، وزواج بعضهم وتكوين أسر جديدة تشارك باقى الأسرة فى المسكن (غرفتان وصالة) ، بدأت الحاجة الملحة الى توسيع المسكن وذلك باقامة أعمدة خرسانية خارج المسكن (على الأرصفة) وتقوية السقف لانشاء دور ثان وثالث .. ومع تناقص الطوب الأحمر ، ومنع تصنيعه ، بدأت الاستعانة بالطوب الجيري (الأبيض) ، وساعد عل ذلك قرب القرية من محاجر العامية التى تقع الى الغرب منها ، وكذلك الاستعانة بالطوب الأسمنى . ومع ذلك لم يخلوا الأمر من بناء مساكن بالطوب اللبن وقد أوضح المسح الشامل للمباني تزايد نسبة المباني المنشأة بالخرسانة المسلحة مع استخدام الطوب الأحمر أو الجيري أو الأسمنى حيث بلغت نسبتها ٦٨٥٪ بينما بلغت نسبة المباني المنشأة بالطوب الأحمر فقط ٢٣٧٪ يليها المباني التى استخدم الطوب الجيري فى انشائها ٧٦٪ ، أما المساكن المبنية من الطوب اللبن فلا تتعدى نسبتها ٢٪ فقط .

٢ - ارتفاعات المباني -

أصبحت الظاهرة الغالبة في مباني القرية ، المساكن ذات الطابقين حيث تبلغ نسبتها ٦٤ر٥٪ ، وذات الطابق الثلاثة ٢٢ر١٪ . أما المباني ذات أربعة طوابق فأكثر فلا تتعدى نسبتها ٢ر٤٪ . ومن الطريف أن هناك ستة منازل فقط من منازل المتفعين مازالت بصورتها الأصلية دون أية إضافة أو توسع . والخريطة رقم (٨) تبين ارتفاعات المباني بقرية أبيس الثانية .

٤ - السكن من الداخل -

مع هذا التطور الذي شهدته قرية أبيس الثانية ، تغير شكل المسكن من الداخل . فاختفت الحظيرة من معظم المساكن وساعد على ذلك استخدام الآلات الميكانيكية في العمليات الزراعية . فقد أصبح الجرار الزراعى الآلة الرئيسية فى الاستخدام سواء فى الحرث أو التقصيب أو فى نقل الأسمدة أو المحاصيل . وحلت ماكينة المياه محل الساقية وأظهرت الدراسة الميدانية أن ٢٤ر٦٪ من جملة مباني القرية مازالت بها حظيرة للمواشى . كما أختفى الفرن من معظم المساكن أيضا ، وفى أحيان قليلة يوجد الفرن خارج المسكن (فى اسريق III) وحلت محله المواقد الحديثة التى تعمل بالغاز .

أما عن عدد غرف المسكن فيوضح الجدول رقم (٧) توزيعها فى عينة من المساكن بلغت ٢٧ مسكنا بنسبة ١٦ر٢٪ من جملة مساكن القرية ، وهى التى أمكن زيارتها من الداخل .

جدول رقم (٧) عدد الغرف فى المساكن بقرية أبيس الثانية - بالعينة - ١٩٨٨

عدد الغرف	٢+صاله	٣-٤+صاله	٥-٦+صاله	٧ فأكثر + صاله	المجموع
عدد الوحدات السكنية	٤٨	١١٧	٥٨	٤٧	٢٧٠
%	١٧,٨	٤٣,٣	٢١,٤	١٧,٤	١٠٠

* المصدر : الدراسة الميدانية فبراير ، مارس ١٩٨٨ .

يبدو من الجدول أن هناك نسبة لا بأس بها من مساكن العينة - تتميز بكثرة عدد الغرف فيها ، إذ تبلغ نسبة المساكن التى تشمل ٥ غرف فأكثر - بالإضافة الى الصاله - ٣٨,٩% يليها المساكن ذات الغرف الثلاث أو الأربع (٤٣,٣%) وتأتى فى النهاية المساكن ذات الغرفتين وصاله (١٧,٨%) .

وتظهر الدراسة أن معظم المساكن التى يزيد فيها عدد الغرف عن ٥ حجرات من المساكن الأصلية فى القرية ، وفى الغالب تسكنها أسرتان أو ثلاث بينها علاقة قرابة خصوصا الآباء والأبناء وهذه الأسر من مكان القرية أصلا أو أقاربهم الذين وفدوا وأقاموا معهم . أما المساكن التى تشمل حجرتين أو ثلاث فقط ، فتنشر فى المباني الجديدة التى ظهرت على أطراف القرية . فالبنى مكون من دورين فى الغالب وفى كل دور " شقتان " يقطنها الأسر الوافدة من الاسكندرية .

ومع التوسع فى المسكن وزيادة عدد الغرف به ، ومع زيادة التعضر الناتج من الاحتكاك مع الوافدين من الاسكندرية ، بدأت تظهر أغطا جديدة فى استخدام الغرف. فأصبح المطبخ مستقلا فى معظم مساكن القرية . وجدير بالذكر أن المصبخ لم يكن مخصصا له مكان فى المنزل أصلا . وخصصت حجرة لاستقبال الزوار "صالون" ، واستبدلت أرضية المسكن بالبلاط بدلا من الأسمنت . ومن مظاهر الحضرة أيضا التى لوحظت ، وجود الأثاث والأجهزة الكهربائية مثل الثلاجة وغسالة الملابس والتليفزيون .

٥ - الخدمات والمرافق -

تعاني قرية أبيس الثانية من نقص حاد في الخدمات والمرافق ، بسبب التزايد المستمر السكاني والسكاني . ففي المدرسة الابتدائية ، أضيفت إليها دور ثان به ١٢ فصلا للمرحلة الاعدادية . والمدرستان تعملان فترتان يوميا (أي أربع مدارس في مبنى واحد) . ورغم ذلك فكثافة التلاميذ في الفصل مرتفعة إذ تبلغ ٦٥ تلميذا في الفصل في المرحلة الابتدائية و٤٦ تلميذا في الفصل في المرحلة الاعدادية . كذلك المستشفى ، انشئ بجوارها وحدة صحية لاستقبال الحالات الخارجية بالإضافة الى عيادات خاصة للأطباء بلغ عددها سبعة وثلاثه مستوصفات خاصة يعمل فيها نفس الأطباء جزءا من الوقت .

أما الكهرباء والمياه والصرف الصحي فيبين الجدول رقم (٨) توزيع هذه المرافق على مباني القرية .

جدول رقم (٨) توزيع مباني قرية أبيس الثانية تبعا للمرافق ١٩٨٨

المرافق	الكهرباء	المياه	الصرف الصحي	جملته
عدد المباني	مزودة بالكهرباء - بدون	مزودة بالمياه - بدون	على الشبكة العامة - بيارات	
١٦٦٥	٤٧	١٤٦٤	٩٤٥	٧١٧
%	٢٨	٥٨١	٥٦٩	٤٣١

* المصدر : الدراسة الميدانية فبراير ، مارس ١٩٨٨ .

يظهر الجدول أن السواد الأعظم من مباني القرية متصل بشبكة الكهرباء (٩٧٢٪) وذلك لتسهيل توصيلها الى المساكن . أما المياه فهناك نحو ١٥٪ من مباني القرية غير مزودة بالمياه النقية ، خصوصا في الامتدادات الحديثة للقرية وذلك لصعوبة مد شبكات المياه إليها . ومع ذلك فهناك مشكلة انخفاض التيار الكهربائي وانقطاعه المستمر لكثرة التحميل عليه . وكذلك مشكلة

ضعف تصرف المياه فى المساكن لصغر قطر أنابيب شبكة المياه الرئيسية.

وتظهر المشكلة بصورة أكبر وأخطر فى الصرف الصحى . فعلى الرغم من انشاء شبكة عامة للصرف الصحى فى القرية عام ١٩٧٤^(٢٥) ، الا أن هذه الشبكة لم تمتد لكل مباني القرية وأقتصرت على المساكن الأصلية بالإضافة الى بعض المباني التى أنشئت فى الساحات والأجران فقط ، فضلا عن صغر قطر المواسير مما يقلل من كفاءتها . وتمثل المباني التى تتصل بالشبكة العامة للصرف الصحى ٥٩ر٩٪ بينما تبلغ نسبة المباني التى تعتمد على البيارات ٤٣ر١٪ . ومع تزايد سكان القرية وزيادة استخدام المياه ، بدأ يظهر طفق المجاري نتيجة لعجز شبكة الصرف الصحى وكذلك نشع البيارات وتزيد هذه الظاهرة سوءا فى فصل الشتاء . فأصبحت معظم الشوارع مليئة بطفح المجاري ، مما حدا ببعض السكان الى حفر مجاري مكشوفة فى وسط الشوارع .

أما الشوارع ، فقد اختفت الطبقة الأسفلتية فى معظمها ، بسبب الحفر المستمر فيها ذون إعادة الرصف . وضائق الشوارع نتيجة للاعتداء على الأرصفة وضمها للمنازل - كما سبق الذكر . بل أن البعض قد اعتدى على نهر الطريق نفسه بالبناء عليه عند توسعة منزله . وفى الامتدادات الحديثة للقرية ، وكلها عشوائية ، تظهر الأزقة المتعرجة الضيقة التى لايزيد عرضها عن ثلاثة أمتار والمسدودة فى بعض الأحيان .

٦ - النشآت الاقتصادية -

يبلغ عدد النشآت الاقتصادية بقرية أبيس الثانية ٧٦ منشأة . معظمها عبارة عن محلات تجارية ، موزعة على النحر الذى يبينه الجدول رقم (٩) .

جدول رقم (٩) أنواع المنشآت الاقتصادية بقرية أبيس الثانية - ١٩٨٨

نوع المنشأة	العدد	٢	ملاسلات
محلات غذائية	٢٩	٨٢	بقالة - خضر وفاكهة - مطعم - جزارة .
محلات غير غذائية	٢١	٢٧	ملابس - أحذية - خردوات - أدوات منزلية أحضان - صيدلية .
خدمات شخصية	١٦	٢١	لحار - تزيي - كهربائي - تصوير - حلاق - سباك .
ورش	٧	٩	ميكانيكي - سكره - حلاوة - كهرباء - تصنيع أبواب وشبابيك - بلاط
معامل صغيرة	٣	٣	البان ومنتجاتها .
المجموع	٧٦	١٠٠	

* المصدر : الدراسة الميدانية فبراير ، مارس ١٩٨٨ .

ومعظم هذه المنشآت الاقتصادية حديثة النشأة . فقد كان عدد هذه المنشآت قبل عام ١٩٦٠ - خمسة فقط ، ارتفع عددها الى ١٢ منشأة فيما بين ١٩٦٠ - ١٩٧٠ ، وحتى عام ١٩٨٠ زادت الى ٢٥ منشأة وبلغت عدد منشآت التي بدأت نشاطها في السنوات الثماني الأخيرة ٥١ منشأة بنسبة ٦٧.١٪ من جملة المنشآت الاقتصادية .

وعن مصادر امداد هذه المنشآت بالسلع والبضائع ومستلزماتها ، تبين من الدراسة الميدانية ان المصدر الأول هو مدينة الاسكندرية حيث تستمد ٦٠.٥٪ من جملة هذه المنشآت احتياجاتها من الاسكندرية خصوصا معظم متاجر البقالة والملابس والأحذية والأدوات المنزلية والأخشاب وبعض الورش . ويأتي في الترتيب الثاني منطقة أبيس (١٩.٧٪) وعلى الأخص محلات الخضر والجزارة وبعض محلات الخدمات الشخصية ، ثم تأتي محافظة البحيرة

فى الترتيب الثالث ١١٩٪ ، بسبب ارتباط بعض أصحاب هذه المنشآت بأقارب لهم يمارسون نفس نشاطهم .

أما عن الجهات التى وفد منها أصحاب هذه المنشآت الاقتصادية . فقد أوضحت الدراسة الميدانية أن معظمهم من سكان قرية أبيس الثانية . ٥٣٩٪) وجدير بالذكر أن نصفهم من الترفية أصلا وكانا يحترفون الزراعة ، ومع كبر سنهم تركوا مهنة الزراعة لأولادهم واتجهوا الى التجارة ولبيلهم الوافدون من الاسكندرية (٢٩٩٪) ثم الوادون من محافظة البحيرة (١٢٣٪) ،

وتركز هذه المحلات والورش فى منطقتين . الأولى فى وسط القرية . حيث تنتشر المحلات الغذائية (وأهمها الجمعية التعاونية الاستهلاكية) ومحلات الخدمات الشخصية وبعض المحلات غير الغذائية . أما المنطقة الثانية فتقع على جانب الطريق المؤدى الى مدخل القرية حيث تتركز متاجر الأقمشة والأحذية والأدوات المنزلية والورش .

خلاصة القول ، يتضح من هذه الدراسة لقرية أبيس الثانية ، مدى تماثله هذه القرية كنمط من أقطاب العمران الانتقالى بين الحضر والريف . فالقرية بها من سمات الريف وخصائصه السكانية والاجتماعية والعمرانية ، وبها أيضا بعضا من سمات الحضر . قالبيت " الملك " والسكن الأسري ووجود الخطيرة والفرن داخل المنزل وضيق الحارات والأزقة من سمات الريف المصري بصفة عامة . بينما ارتفاعات المباني والمساكن المزججه للغير والأجهزة المنزلية الحديثوالطرق الأسفلتية وشكبات الصرف الصحى والورش ، كلها من سمات الحضر ، وكلاهما يظهر فى القرية . بل ان هناك تحولا وتغيرا مستمرا من السمات الريفية الى السمات الحضرية واختلاط الخصائص الريفية مع الخصائص الحضرية فى هذه القرية يجعلها نموذجا للحاقيات الحضرية الريفية للمدن حتى أنه يمكن أن نطلق عليها " قرية متمدنة " .

صورة رقم (١) منزل متنفذ لم تطرأ عليه أي توسعات في حين توسعت المنازل المجاورة له وبرزت امر الشارع كما ارتفعت الى أعلا .

(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨) .

صورة رقم (٢) بناء دور ثان فوق المنزل الأصلي - لاحظ ميل سقف المنزل الأصلي .

(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨)

صورة رقم (٣) أحد البلوكات السكنية وقد تم توسيع منازلها على حساب الرصيف واستغل أحد السكان ذلك التوسع في اضافة " محل " الى منزله .

(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨)

صورة رقم (٤) أحد الشوارع الضيقة والملتوية في منطقة الامتداد الحديث للقرية.

(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨) .

صورة رقم (٥) الممر - أصبح مكانه خارج المنزل

(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨)

صورة رقم (٦) سؤ حالة الصرف الصحى بأحد شوارع قرية أبيس

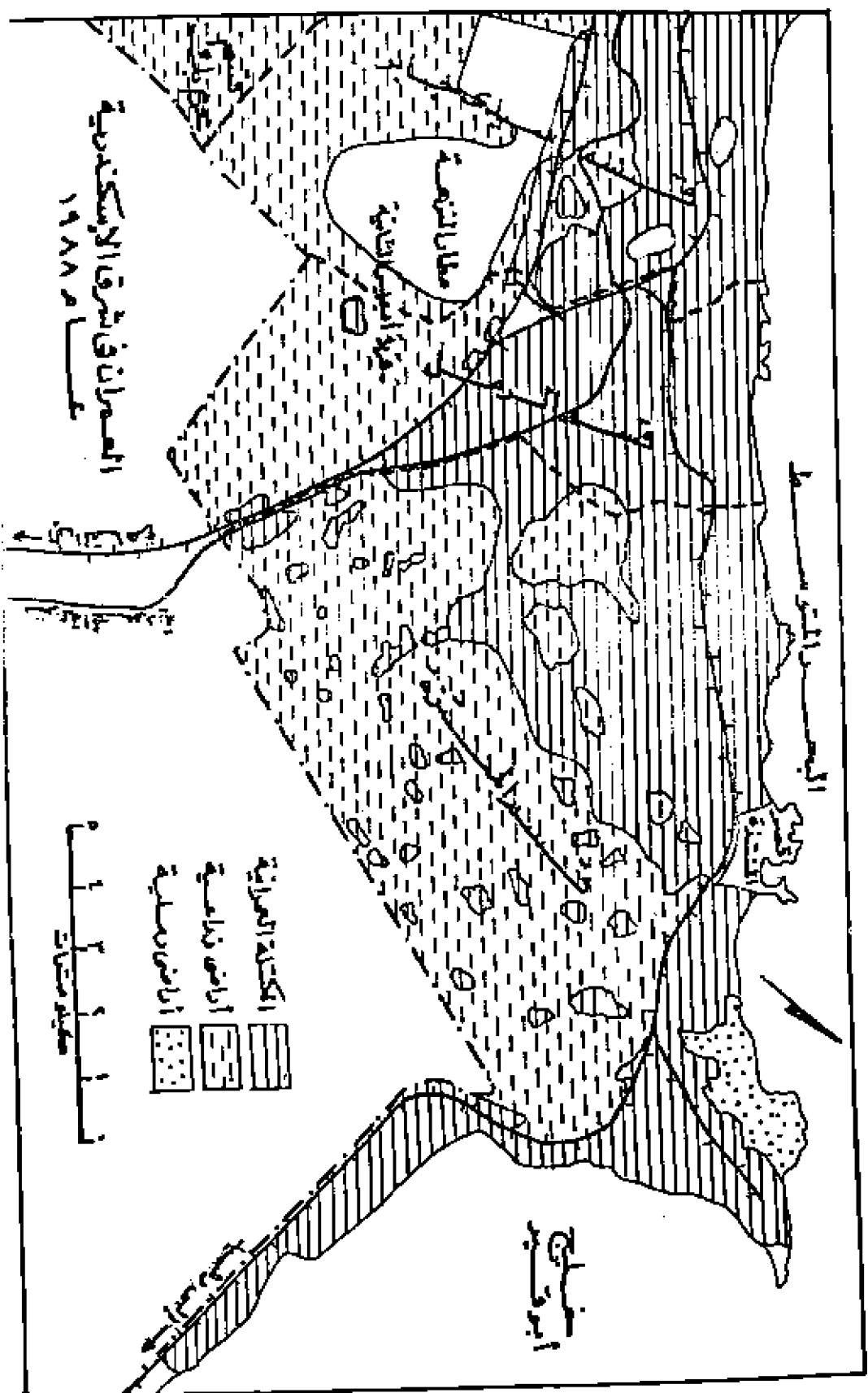
(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨)

صورة رقم (٧) واحد من الأزقة الضيقة المسلوذة بالقرية فى منطقة الامتداد الحديث .

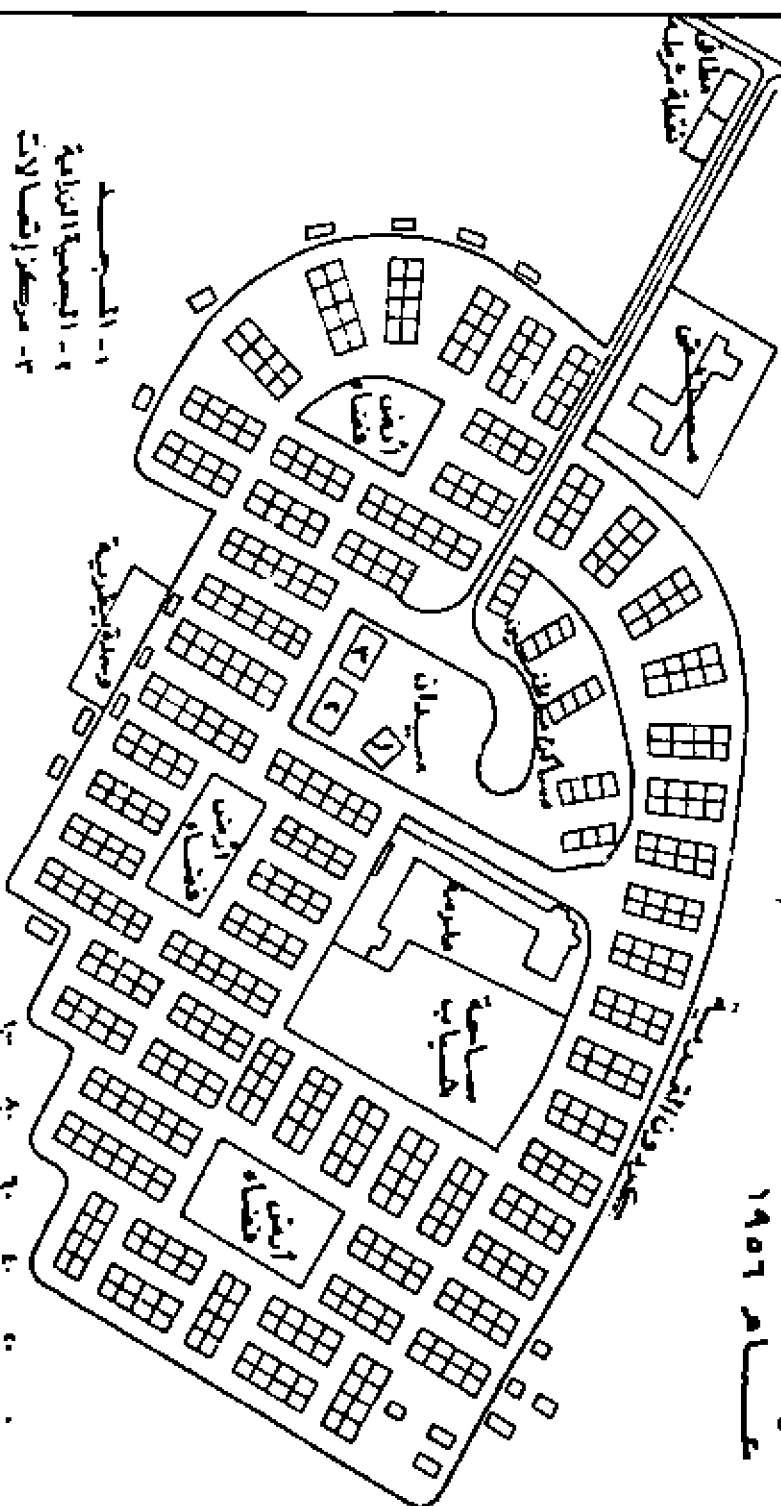
(قرية أبيس الثانية ، مارس ١٩٨٨)

صورة رقم (٨) "البلوكات" الخاصة بالموظفين ، وقد توسع أحدهم فى منزله أفقيا
فى الخلف مكان الحديقة" ورأسيا

(قرية أبيس الثانية مارس ١٩٨٨)



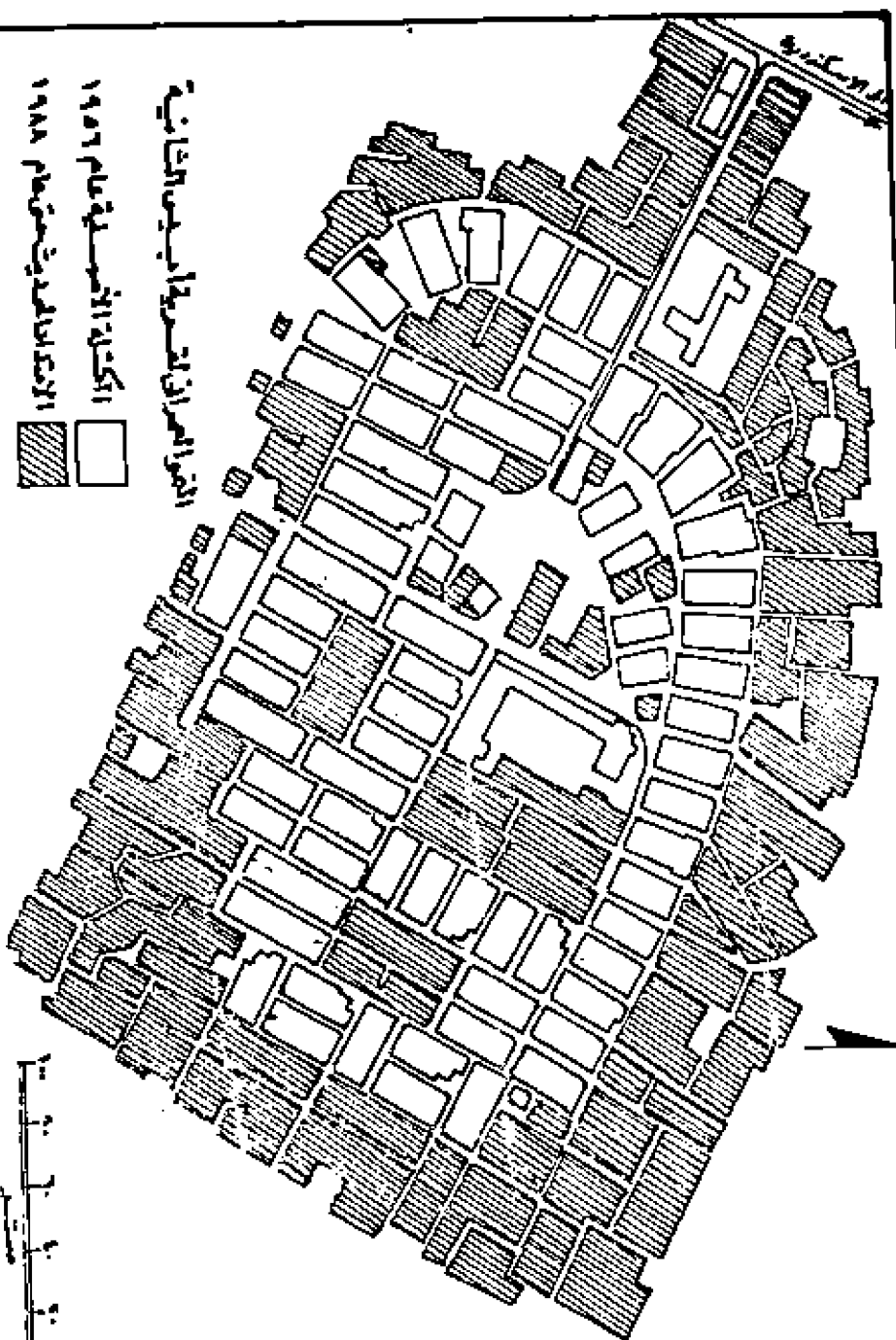
قرية أبيس الثانية عام ١٩٥٦

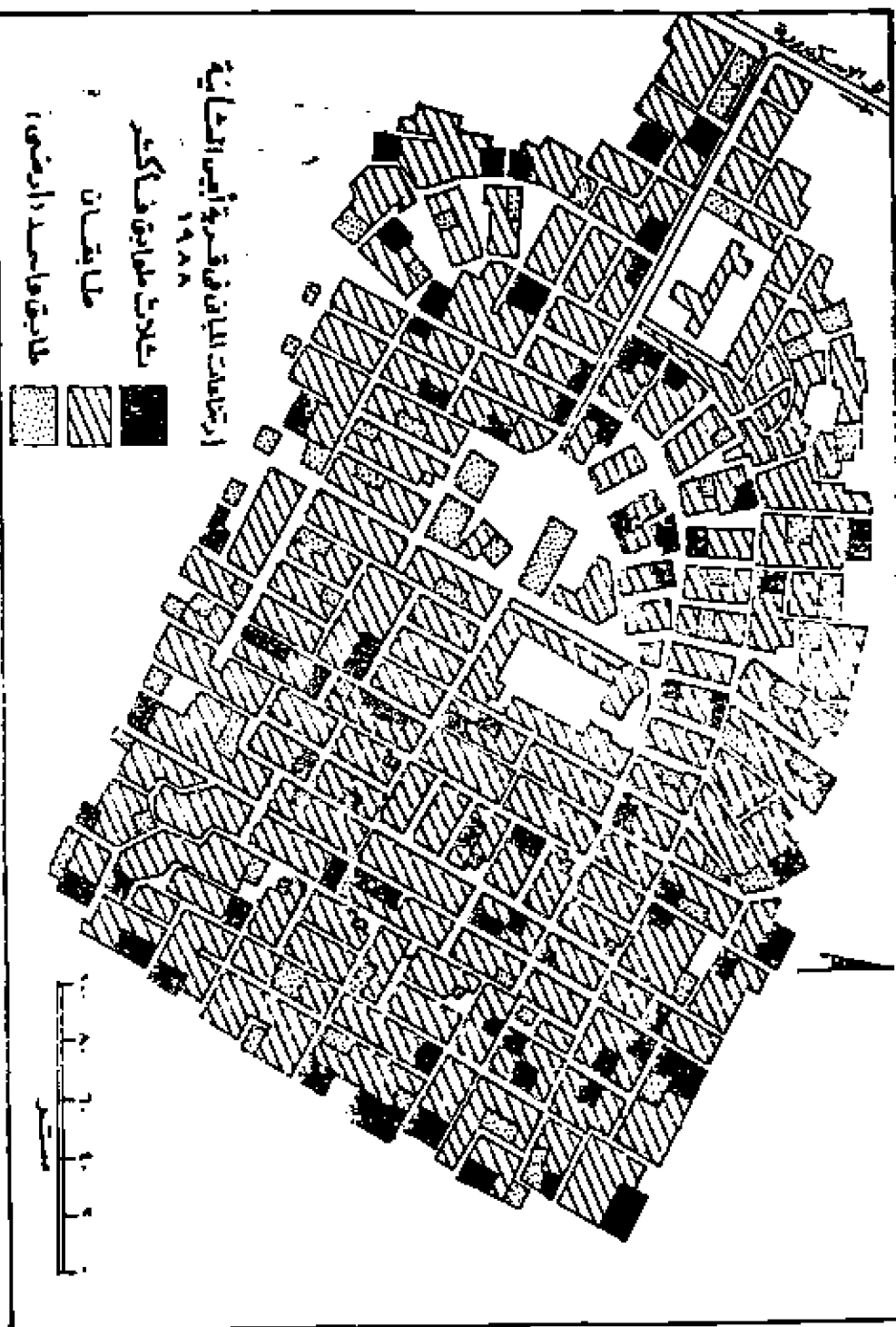


- ١- المسجد
- ٢- المدرسة
- ٣- مركز القرية

من: الخزانة المركزية بأبيس







ارزش‌های مالیاتی در قمریه آیین‌نامه

۱۹۸۸

مناطق باغچه‌ها و پارک‌ها

مناطق مسکونی

مناطق باغچه‌ها و پارک‌ها

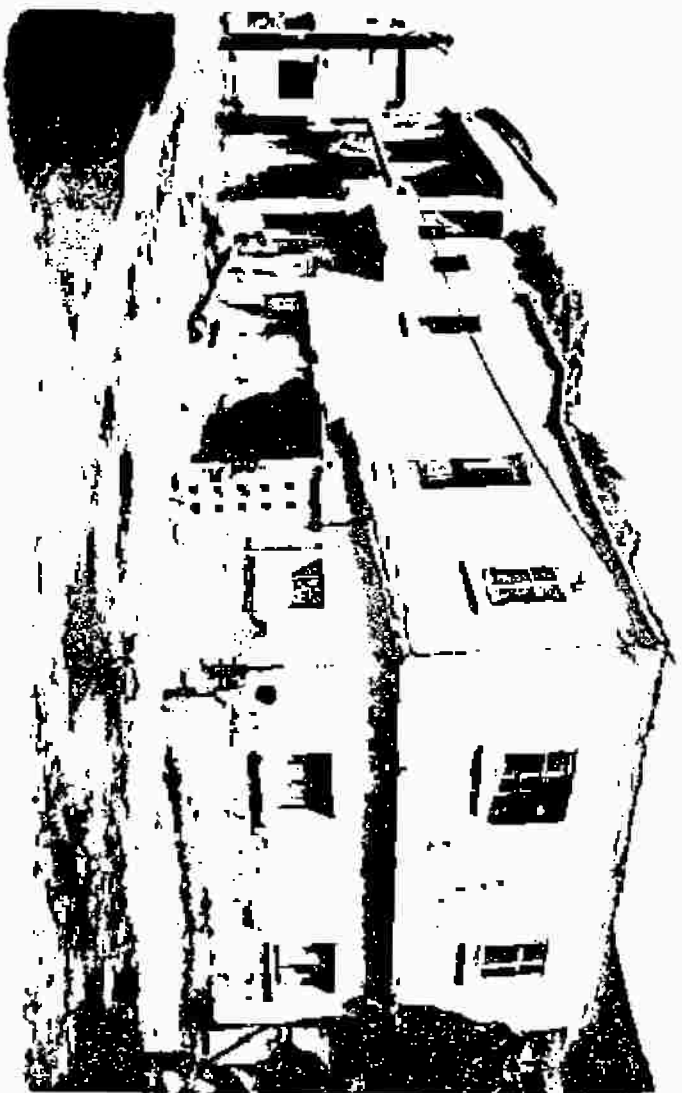
مناطق باغچه‌ها و پارک‌ها



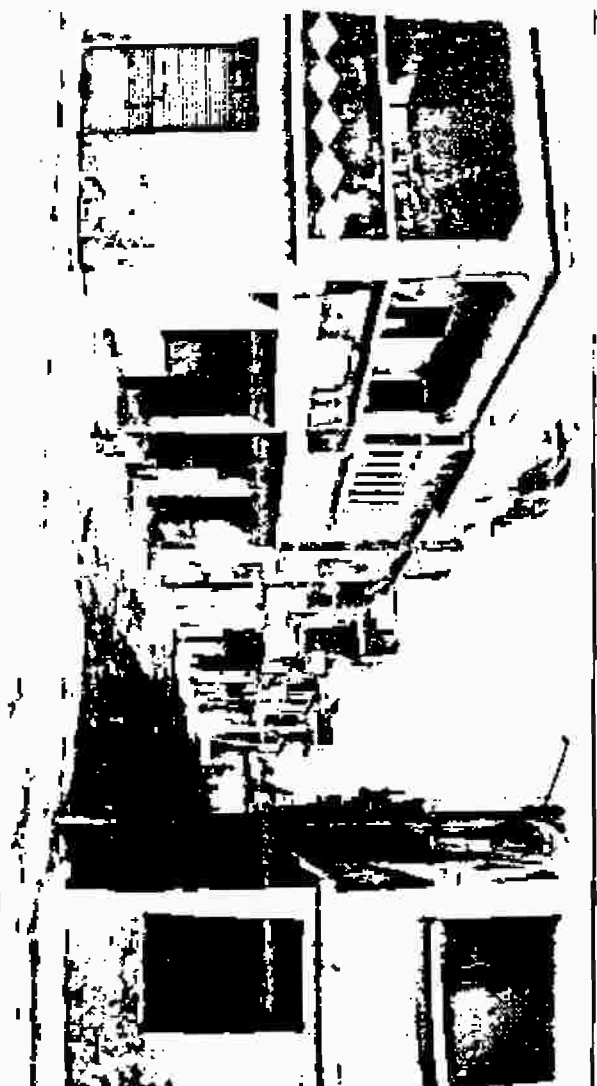
صورة رقم (١) منزل متسع لم تبدأ فيه أي توسعات في حين توسعت

الشارع المجاورة له وبرزت إلى الشارع كما ارتفعت إلى

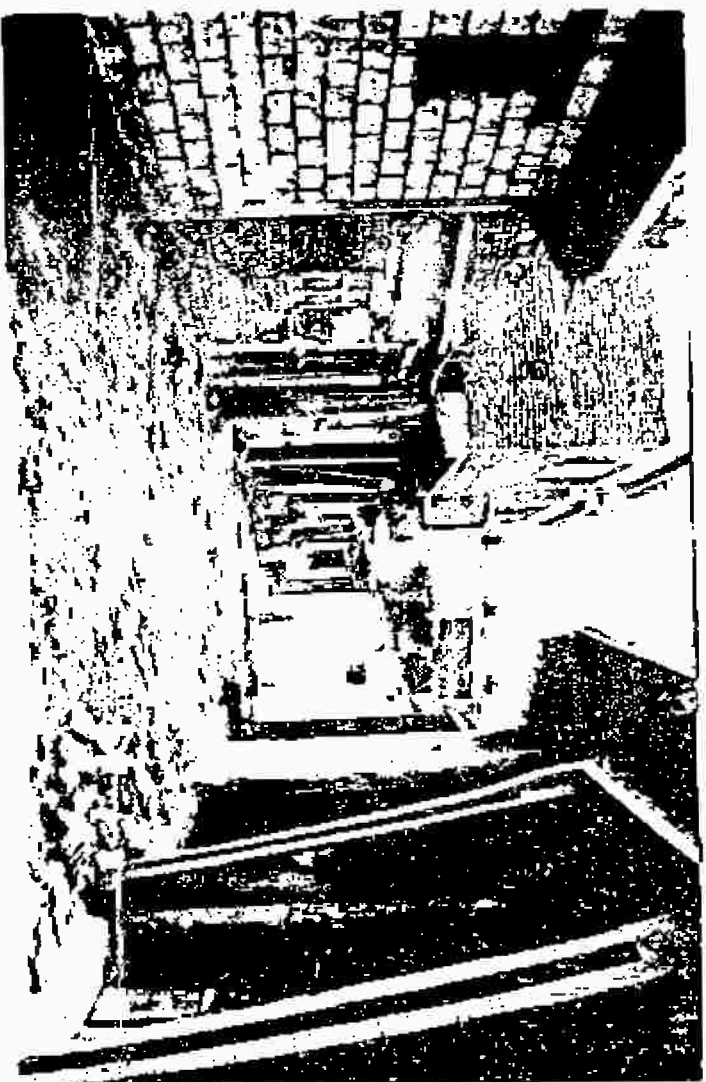
أعلى • (زينة أيسر الثانية مارس ١٩٨٨) •



صوره رقم (٢) بناء دور طان مرق المنزل الأصلي — لاحظ ميل سقف
المنزل الأصلي • (قرية أبيس الثانية عام ١٩٨٨)



صورة رقم (٢) أحد المراكز السكنية وقد تم توسيع منازلها على حساب
الرصيف واستبدل أحد السكان ذلك التوسيع في إضافة
"محل" إلى منزله • (قوية أبيضاً المائية وما رسم ١٩٨٨)

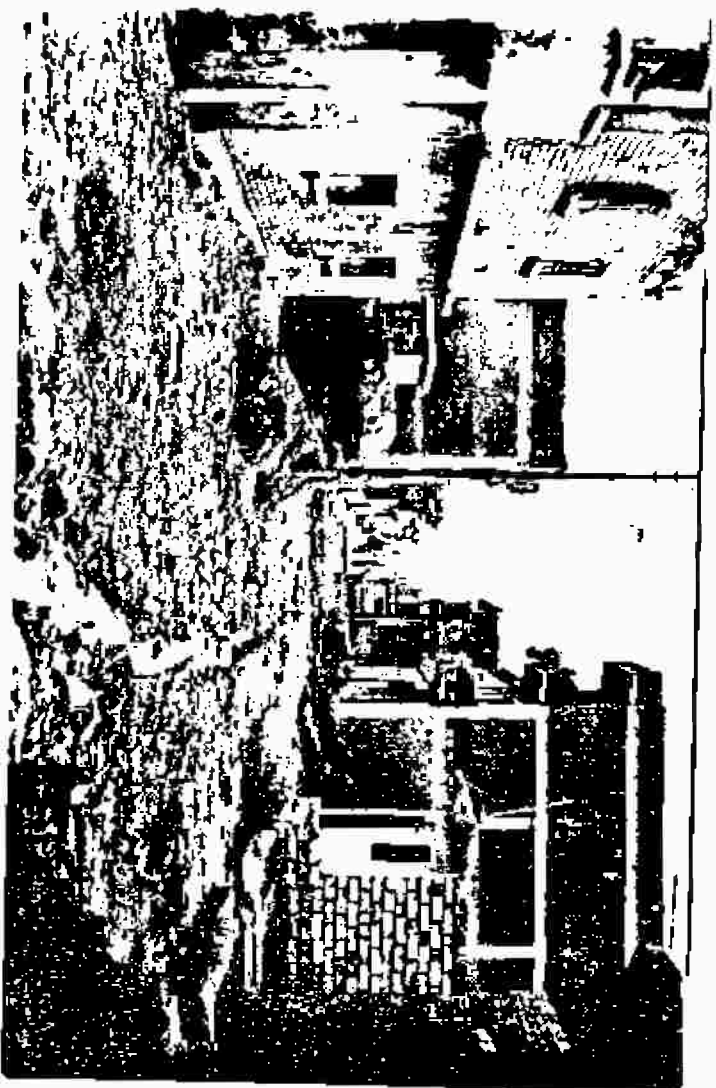


صورة رقم (٤) أحد الشوارع الضيقة والمتربة في منطقة الانتداب الحديث
 للقرية • (قرية أبيس الثانية عام ١٩٨٨) •



صورة رقم (٥) القصر - أصبح مكان المبيت

(د. أمين الثانية عام ١٩٨٨)



صورة رقم (٦) سوء حالة الصرف الصحي بأحد شوارع قرية أبيــــمن
(قرية أبيمن الثانية عمارس ١٩٨٨) .



صورة رقم (٧) واحد من الأزقة الضيقة المسدودة بالقرية في
منطقة الاستداد الحديث.
(قرية أبيس الثانية، مارس ١٩٨٨)



صورة رقم (٨) أحد " البلوكات " الخاصة
 بالموظفين ، وقد توسع أحد هم في
 منزله أفقياً " في الخلف مكان
 الحديقة " ورأسياً (قرية أبيس الثانية
 مارس ١٩٨٨)

ملحق رقم (١) الزيادة الكلية والسوية لسكان شرق الاسكندرية ١٩٣٧/١٩٧٦

الزيادة / السوية	الزيادة / الكلية	عدد السكان		القسم	رقم الشياخة	الشاخة
		١٩٧٦	١٩٣٧			
٥ر٩	٢٣.ر.	٢٧٦٩٧	٨٣٩٤	الرمل	١	فلمنج
٣ر١	١٢٢ر.	٣٤٢٨٢	١٥٤٤٤	-	٣	زعرمانه والحمام
٣ر٢	١٢٥ر٣	١٦٤٧٢	٧٣١.	-	٤	العاقصة وماكوس
٣ر٤	١٣.ر٩	٩٥٧١	٤١٤٦	المنتزة	٥	المنتزة بحري
٥ر٦	٢١٧ر٩	٩٨٥٨	٣١.١	-	٧	المعمورة
		٦٩٣٢	-	-	١١	الناصرية
٩ر٢	٣.٨ر٩	٨٣٤١	٣٧٣٥	-	١.	طلحات الطابية
ر٩	٣٢ر٥	٤٥٢٨	٣٤١٨	-	١٧	التوفيقية
		٦٣٨٢	-	-	١٦	خورشيد البحرية
٧ر٢	٢٩٣ر٢	٤٦.٨	٣٨٧٤	-	١٥	المهاجرين
		٤٢٤٢	-	الرمل	١١	خورشيد القبلة
١١ر.	٤٢٧ر٩	٤٣٣٢٤	٨١٩٢	الرمل	٩	الظاهرة وعزبة الصفيح
١٣ر٣	٥١٦ر٧	٢٦٤٥.	٤٢٨٩	-	٢	سان استافانو
١٥ر٤	٦.١ر٦	١.٨٢٥	١٥٤٣	-	١.	حجر النواتية
		٤٩.٣	-	-	٥	القصى بحري
ر٣	٦٧٥ر٥	٣٤٧.٤	١.٧٩٤	-	٦	القصى قبلى
		٩١٢٣	-	المنتزة	١٣	المنشية البحري
١٦ر٢	٦٢٩ر٥	٥.٥٥	٢٣٨٤	-	١٢	العصراوي
		٣٢١٣	-	-	١٤	القرداخى
٢٩ر٨	١١٦٢ر٦	٣٨٦٧٣	٣.٦٣	الرمل	٨	المحرسة
١٨٩ر.	٧٣٦٩ر٥	١٥٥.٦٦	٢.٧٦	-	٧	دنا الجديدة
		٢٥٩٥٥	-	المنتزة	١	الصيوف بحري
٢٢ر٨	٨٨٧ر٤	٥٤٨١٥	٨١٨.	-	٢	الصيوف قبلى
		١٦١٨٣	-	-	٣	سيدى بشر بحري
١.٥ر١	٤.٩٨ر٢	٧٥٧٥٨	٢١٩.	-	٤	سيد بشر قبلى
٢٢ر٣	٨٧١ر٦	٥.٥٦٩	٥٢.٥	-	٦	المنتزة قبلى
		٥٩٥٧	-	-	٩	أبو قير الشرقية
٤١ر.	١٥٩٩ر.	١٥.٩٣	٦٣٣٩	-	٨	أبو قير الغربية
		٥٣٣٦	-	الرمل	١٢	أبيس
١٦ر٢	٦٣١ر٧	٧٥٧٩١٥				الجملة

المصدر ١ - مصلحة التعداد والاحصاء - التعداد العام للسكان عام ١٩٣٧

٢ - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - التعداد العام للسكان والاسكان ١٩٧٩ - النتائج التمهيدية

محطة الاسكندرية الجزء الأول القاهرة ص ٤٧ ٤٨ ٥١ ٥٥ ٥٦

ملحق رقم (٢) توزيع السكان حسب الحالة التعليمية في شرق الاسكندرية ١٩٧٦

الشيخة	جدة الأكراد	مؤهل جامعي	%	مؤهل متوسط	%	مؤهل ابتدائي	%	أمن	%
فلنج	٢٢٢٥٤	٤٨٦٥	٢١.٨	١.٥٣	٤٧.٨	٢٩٨٨	١٧.٨	٢٩٦١	١٧.٨
سان أفسان	٢٩٢٣	٥١٨	٢٤.٦	١٧.٣	٤٥.٨	٢٣٧١	١٥.٨	٢١٤٣	١٥.٨
سدي بشر بحري	١٢٩٥	١٥٣٧	١١.٩	٤٥.٨	٢.٢٦	٢٣.٢	١٢.٢	٢٥٣٧	١٩.٦
السويك بحري	٢.٥٨٢	٢٢٣٣	١.٨	٨٦١٨	٤١.٨	٥.٢١	٢٤.٦	٤٧١	٢٢.٨
لشيرة بحري	٧٣٤٤	٦٨٢	٩.٢	٢٨.٦	٢٨.١	١٩٢٩	٢٦.٢	١٩٣٢	٢٦.٢
القصبي بحري	٢٨١٩٦	١٨٨٣	٤.٩	١٤٩٨	٢٣.٢	١.٦٨٥	٢٨.٦	١.٦٤٨	٢٧.٨
زعمان والمسام	٢٧٢٣	١١٣٣	٤.٢	٨٦٧٢	٢١.٨	٨٤٤	٢٦.٢	٨١٨٥	٢٣.٢
سيلي بشر تيلي	٥٥٧٨٥	٢٤٩٨	٤.٨	١٩٨٧٢	٢٥.٦	١٦٢٨٣	٢٩.٢	١٧١٢٢	٢.٧
الجملة	٢.٥٦٧١	٢.١١	٩.٨	٨١.٥٩	٢٩.٦	٥٢٧٥٣	٢٥.٦	٥١٨٤٨	٢٥.٢
الظاهرة وم الصفيح	٣٢٥٦٦	٣٢٩	١.٨	٦٧٨٤	٢.٨	١٢.٤٤	٢٧.٢	١٢٤.٩	٤١.٨
الحرسية	٢٧٣٦٩	٣٦٦	١.٨	٤٩٦٩	١٨.١	١.١٧٤	٢٧.٢	١١٩٥	٤٣.٧
القصبي تيلي	٢٦١٨٧	٦٤٧	٢.٨	٦٣٨٤	٢٤.٦	٩١٨٦	٢٥.٦	٩١٧	٢٨.٦
العاقصة وتاكوس	١٣٢٥٥	٧٧	١.٨	٤.٧٣	٢.٧	٤٣٥٨	٢٢.٨	٤٥٥٤	٢٤.٦
دا الجديدة	١.٥٨٤٣	٨٨٢	١.٨	١٧٥٤	١٦.٦	٢٥٩٨٤	٢٤.٦	٥١٤٢٧	١٨.٦
حجر التوانة	٧٤٢	٤٣	١.٨	١٧٨	١.٨	٢١٤٤	٢٨.٦	٤٤٢٥	٢٩.٧
تسبون قليم	٣٨٦٢٨	٨٥٥	٢.٨	٤٩٨١	٢٣.٢	١٢٥٦٦	٢٢.٨	١٦١٨٣	٤١.٨
الظاهرة تيلي	٣٦٤٢٤	٦٨٦	٢.٨	٩١٤	٢٥.٦	١٢٣٦٥	٢٢.٨	١٦١٢٢	٢٣.٨
العمودي	٣٩٦٧	٦٩	١.٨	٨.٢	١.٢	٦٤١	٢٥.٦	١٦٨٦	٢٥.٦
أبو قمر القرية	١١٥.٤	٣٩٤	٢.٨	٤١٩٦	٢٣.٨	٢٩٧٢	٢٥.٦	٢١٩٢	٢٥.٦
أبو قمر الشويك	٤٦١٤	٤٥	١.٨	١٢٨٥	٢٧.٨	١٢٧٢	٢٧.٦	١٦٧٢	٤٢.٨
الجملة	٢.٧٧٧٨	٤٥٧٨	٢.٨	٦٤٩٥٢	٢١.٨	١.٤٤٢٨	٢٢.٨	١٢٢٨٢	٤٢.٨
الشيخة البحري	٦١٤٢	١٦	٢.٨	٤.٩	٢.٧	١٧٨٧	٢٩.٦	٢٦٢	٢٤.٦
الهاجرين	٣١.٩	٨	٢.٨	٢٦٨	١١.٢	٦٤٤	٢.٧	٢١.٩	٢٤.٨
خوشيد البحري	٤٢٨٢	١٨	٢.٨	٢٨٢	٨.٢	١٢١	٢٥.٦	٢٧٦	٢٣.٢
خوشيد القليلة	٢٧٩٢	٩	٢.٨	٦٩١	١.٨	٦١٢	٢٢.٨	١٨٨	٢٤.٢
أبيس	٢٦٢	١٩	٢.٨	٤٤٨	١٧.٢	٢٧٧	٢٨.١	١٤١٦	٢٤.٦
المعمورة	٧١٢٩	٦٧	٢.٨	١٢٩٥	١٨.٢	٢٢٨٦	٢٢.٨	٢٤٨١	٢٤.٨
طلحات الطابية	٥٨.٦	٢١	٢.٨	٥٥٦	٩.٦	١٢٦٧	٢١.٨	٢٣٥٧	٢٤.٢
الناصرية	٤٦٩	٨	٢.٨	١٦٧	٢.٨	٦٧	١٤.٢	٢٨٤٥	٨٢.٨
التونيقية	٢.٦٥	٤	٢.٨	٢٨	٢.٨	٢٢٤	١.٨	٢٦٤٩	٨٦.٨
القرناني	٢١٤١	٢	٢.٨	١٩	١.٨	٨٢	٢.٨	٢.٢٧	٩٥.٢
الجملة	٤١٨٧٢	١٧٢	٢.٨	٢٩٩٢	٢.٨	٩٦٢	٢٢.٨	٢٨.٧٧	٦٧.٨
قاعة نطاق شرق الاسكندرية	٥٥١٢٢٢	٢٤٧٢٢	٢.٨	١٥.٠٠٤	٢٧.٨	١٦٦٨١١	٢.٨	٢١٢٧٤٥	٢٨.٨

المصدر - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - تتعلق العام للسكان الاسكان ١٩٧٦ - النتائج التفصيلية محافظة الاسكندرية - الجزء الاول - النشرة ١٩٧٨ من ١٤٧/١٤٨/١٥٤/١٥٥/١٥٦.

ملحق رقم (٣) توزيع المكان حسب أقسام المهنة

الشيخة	جولة ذوى الشاطئ	لدى مهنة	%	الامداد الكبير والحساب	%	الاتاج ستان والثلج والخلج	%	الزراعة والصيد	%
المنج	٨٧.٩	٣٨٨٨	٤٤.٣	٢٤١٣	٢٧.٨	٢٢٣٥	٢٧.٨	٧٣	١.٨
سان استبانو	٨٨٤٣	٤.٦	٤٥.٩	٢٤٤٣	٢٧.٦	٢٢٤٥	٢٧.٨	٩٥	١.٨
سيلي بشر بحري	٤٨٨٤	١٤١٢	٢٨.٥	١٤٢٩	٢٩.٣	٢.١٢	٤١.٢	٣٥	١.٨
السيف بحري	٧٧١٧	٢١٣٢	٢٧.٧	٢١١٨	٢٧.٤	٢٣٩١	٤٣.٩	٧٨	١.٨
المنيرة بحري	٢٩٢٤	٧١٨	٢٤.٦	٨١٨	٢٨.٩	١٢٧٦	٤٣.٦	١١٢	٣.٨
القصى بحري	١٣٦٣٤	٢.٩٨	١٥.٤	٢٤٥٢	٢٥.٣	٧٩٥٩	٨٨.٤	١٢٥	١.٨
زعرانته والحمام	٩٨٤٥	١١٧٩	١٢.٠	٢٧٢.٠	٢٧.٦	٥٨٣٧	٥٩.٣	١.٩	١.٨
سيلي بشر قبلى	٢١٨٩٩	٢١٦٦	١٤.٤	٥٧٢٢	٢٩.٢	١٢٨٦٥	٥٨.٧	١٥١	١.٧
المهنة	٧٨٤٥٥	١٨٦٤٨	٢٣.٨	٢١١٦٥	٢٦.٩	٣٧٩٢.٠	٤٨.٣	٧٧٦	١.٨
الطاهرة وبه الصفيح	١١٣٧٥	٥١٢	٤.٥	٢٥٢٥	٢٢.٢	٨١١٨	٧١.٤	٢٢.٠	١.٨
المحروسة	١.٨١	٤٣٢	٤.٣	٢١٦٦	٢١.٥	٧٣٦٦	٧٣.٦	١١٧	١.٨
القصى قبلى	٩.٨٧	٧٨٣	٨.٦	٢.٦٢	٢٢.٧	٦.٨.٠	٦٦.٩	١٦١	١.٨
العاقصة وبأكوس	٤٨٩٢	٣٥٣	٧.٣	١٢٣٨	٢٤.٥	٣٢٤١	٦٦.٦	٢.٠	١.٨
ونا الجديدة	٤.٦٩٩	١٥٥٦	٣.٨	٩٣.٥	٢٢.٩	١٩٣٩٢	٧٢.٢	٤٤٦	١.٨
سحر الترابية	٢٨٥٨	٧٤	٢.٦	٤٢.٠	١٤.٧	١٨.٠	١٢.٣	٥١٤	١.٨
السيف قبلى	١٤٩٢١	١١٨٨	٨.٠	٢٨٥٤	٢٥.٨	٩٢٥٢	٦٤.٠	٦٢٧	١.٨
المنيرة قبلى	١٤١٢٨	١.٩٨	٧.٨	٢٤٩٥	٢٤.٧	٩.٦٩	٦٤.٢	٤٦٦	١.٨
العمروى	١٢٣٦	٣٧	٥.٥	٣٦٥	٢٥.٥	٤٦٥	٢٧.٦	٣.٩	١.٨
أبو قير البحرية	٤٩٥١	٥٢٢	١٢.٦	١١٩٢	٢٨.٧	١٨٦٧	٤٤.٠	١.٨	١.٨
أبو قير شرقى	١٦٩٧	١٢١	٧.٧	٤١٥	٢٤.٥	٧٣٦	٤٣.٣	١١٢	١.٨
المهنة	١١٥.٩٥	٦٧٦٦	٥.٥	٢٧.٣٧	٢٣.٣	٧٧٢٨٩	٦٧.٢	٣.٢	١.٨
التنسية البحري	٢٢٧٥	٣٨	١.٧	٢١٢	٩.٣	١١٤٥	٥.٣	٣٨.٧	١.٨
الهاجين	١١٥.٠	١٤	١.٧	١٥٩	١٣.٨	٧٢٦	١٣.١	٢١	١.٨
خورشيد البحرية	١٥٥.٠	٦٦	٢.٠	١٨١	١٥.٧	٨٤٧	٥٤.٦	٤٩١	٣١.٢
خورشيد القبلة	٩٢٥	٢١	٢.٣	١٧٤	١٨.٨	٢٦٥	٢٨.٦	٤٦٥	٥.٣
أيس	١٢١٢	٤٧	٣.٩	٢٨٤	٢٢.٤	١٣٧٧	٢٢.٩	٦.٤	١.٨
المصورة	٢٥٦٥	٩.٠	٣.٥	٤.٠	١٥.٦	١٢٩٧	٥.٩	٧٧٨	٢.٣
علميات الطابية	٢١٧٢	٤.٠	١.٨	٢٤٣	١١.٢	١٢٥٢	٨٧.٧	٦٣٧	٢٩.٢
الناصرية	١٦٨٣	٣٧	١.٦	٩٤	٥.٦	٢٣٥	١٤.٠	١٢٢٧	٧٨.٧
الكوشية	١١٧٧	٨	٠.٦	٤٦	٣.٩	١.٢	٨.٨	١.٢	٨٦.٧
الفردانى	٨٤٥	٦	٠.٦	١٤	١.٧	١١١	١٣.١	٧١٤	٨٤.٥
المهنة	١٥٥٥٥	٣٣٧	٢.٦	١٨.٧	١١.٦	٦٢٥٩	٤.٢	٧١٢٢	٤٦.١
نعمه نظار شرقى الاسكندرية	٢.٩١.٥	٢٥٦٩١	١٢.٣	٤٩٩٥٩	٢٣.٩	١٢١٥٦٨	٥٨.٦	١١٨٨٧	٥.٧

المصدر : جواز المركزي للخدمة العامة والأحصاء - لتعداد العام للسكان والسكان ١٩٧٦ - النتائج التصيلية
محافظة الاسكندرية - الجزء الاول - تقاطع ١٩٧٨ من ١٩٦٩ / ١٧ / ١٧٧ / ١٧٧.

ملحق رقم (٤) مشروع الدراسة الميدانية لقرية أبيس الثانية

(البيانات الواردة في هذه الاستمارة سرية ولايجوز تناولها الا لغرض البحث العلمي)

موقع السكن :

اسم رب الأسرة :

سنة الوفود : عدد الأسر بالسكن جملة الأفراد

أفراد الأسرة	العلاقة	السن	محل الميلاد	المهنة	مكان العمل	وسيلة النقل	مباشر أو غير مباشر	اشتراك أو بدون	عدد المرات في الأسبوع
رب الأسرة									

السكن : (من الخارج)

طابق واحد به فناء مسقوف / غير مسقوف / بدون

ملحق به حظيرة دواجن / أغنام / مواشى / استخدامات أخرى (تذكر)

طابق أرضى وعطري خاص

متعدد الطوابق عدد الطوابق أرضى + عدد الرخات السكنية

مادة البناء ك بالأسمنت المسلح / طوب فقط / طوب لبن / خشب / صفيح / مواد

أخرى (تذكر)

المسكن (من الداخل)

ملك / تليك حكومى / ايجار خاص / ايجار حكومى

عدد غرف المسكن :

به دورة مياه مستقلة / مطبخ مستقل / غرفة مستقلة للزوار / عدد غرف النوم

مزود بالكهرباء / بدون مزود بالمياه / بدون الصرف الصحى عام / خاص

أثاث السكن: راقى / متوسط / أقل من المتوسط .

الأجهزة الكهربائية : برتاجاز / مروحة / تليفزيون / فيديو / غسالة / أجهزة كهربائية أخرى

(تذكر)

الهوامش والمراجع

١- فتحى محمد أبو عيانه - جغرافية العمران ، دراسة تحليلية للقرية والمدنية - الاسكندرية ١٩٩١ ، ص ٢.٢

(2) Carter, H.; The Study of Urban Geography
pp.305-306

٣ - فتحى محمد أبو عيانه - مكان الاسكندرية - الاسكندرية . ١٩٨٠ ص ٣.

٤ - محمد صبحى عبد الحكيم - مدينة الاسكندرية - القاهرة ١٩٥٨ ص ١٦٦

٥ - فتحى محمد أبو عيانه (١٩٨٠) مرجع سبق ذكره ص ٤ - ٥ .

٦ - محمد أمين حسونه - مصر والطرق الحديدية - القاهرة ١٩٣٨ - ص ٢٣٨-٢٣٩ .

٧ - أ . محمد صبحى عبد الحكيم - مرجع سبق ذكره ، ص ١٦٩

ب. كتاب غرفة الاسكندرية التجارية - عام ١٩٤٩ - ص ١٧٧ - ١٨٠ .

٨ - حسن الساعاتى - التصنيع والعمران - بحث ميدانى للاسكندرية وعمالها - القاهرة ١٩٥٨ .

٩ - سعد قسطندي ملطى - بحيرات مصر الشماليه - دراسة طبيعية بشرية - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة . ١٩٦٠ - ص ٢٢٩ .

١ - محمد خميس الزوكة - استغلال الأرض في نطاق الزراعة الحضرية
للاسكندرية - بدون سنة للنشر ، ص ٧ .

١١ - محمد خميس الزوكة - المرجع السابق ، ص ٨ .

١٢ - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - التعداد العام للسكان
والاسكان ١٩٧٦ ، النتائج التفصيلية - محافظة الاسكندرية ،
القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٥ .

١٣ - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - التعداد العام ١٩٨٦ - المجلد
الأول - خصائص السكان والظروف السكنية - محافظة الاسكندرية
- القاهرة ١٩٩٠ - ص ٩ .

١٤ - تشكل أراضي الاصلاح الزراعى فى هذه المنطقة نحو ٧٣٪ من جملة
المساحة، راجع : محمد خميس الزوكة - مرجع سبق ذكره ، ص ٣٧ .

١٥ - يبلغ عدد الحاصلين على درجتى الماجستير والدكتوراه ومابعادلها فى
هذه المنطقة ٨.٤ أشخاص بنسبة ٩١.٥٪ من مجموعهم الكلى
بنطاق شرق الاسكندرية .

١٦ - يلاحظ أن الاسم الشائع لهذه التجمعات لهذه التجمعات السكنية عزب
(وليست قري) رغم تزايد أعداد السكان فيها والتحامها بالعمران .

١٧ - محمد خميس الزوكة - مناطق الاستصلاح الزراعى فى غرب النيل -
دراسة جغرافية - الاسكندرية ١٩٧٩ - ص ٢٩/٣ ، ١٠٣/٢٠٣ ،
٢٤٠/٢٣٧ .

١٨ - أما باقى المساحة ، فقد خصص ٣٣٩٩ فدانا بنسبة ١١.١٪ لبعض
الهيئات كالقوات المسلحة والاذاعة وغيرها و١٩٢٩ فدانا بنسبة

١٤٪ للمنافع العامة و ٢٨٦٣ فداناً بنسبة ١٢٫٩٪ للإيجار
و ١٣٨ فداناً بنسبة ٤٫٦٪ للمهاجرين من السويس وعددهم ٥٥٢
مزارعاً .

١٩ - على الرغم من أن القرية الأولى تتبع مركز كفر الدوار - محافظة البحيرة
إدارياً .

٢٠ - تم حساب معدل النمو السنوي بين عامي ١٩٦٦ ، ١٩٧٦ وكذلك
اسقاط السكان لعام ١٩٨٨ ، مع الأخذ في الاعتبار ثبات معدل
النمو السنوي ، باستخدام المعادلة الأسية

$$س_p = س_x ي_x ر_x ن$$

حيث س_p عدد السكان في التعداد اللاحق ، س_y عدد السكان في
التعداد السابق و ي رقم ثابت ٤٣٤٣ر . ، ر معدل النمو السنوي
في الألف ، ن الفترة الزمنية .

أنظر : فتحي محمد أبو عيانه - جغرافية السكان ، الاسكندرية ١٩٨٨ .

٢١ - يبلغ عدد الأفراد الذين يعملون بالأنشطة الاقتصادية المختلفة ٥٦٧ فرداً
من جملة العينة البالغ عددها ٢٠٤٠ فرداً بنسبة ٢٧٫٨٪ .

٢٢ - الهيئة العامة لنقل الركاب بمحافظة الاسكندرية - الاحصاء السنوي العام
عن أعمال الهيئة عن المدة من أو يوليو ١٩٨٨ إلى آخر يونيو ١٩٨٩
ص ٣١/٣ ، ٧٧/٧٦ ، ٨١/٨٠ ، ٨٦/٨٥ .

٢٣ - محمد خميس الزوكة (١٩٧٩) - مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥٤ - ٢٥٨

٢٤ - محمد خميس الزوكة (١٩٧٩) - مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩٩ .

٢٥ - مقابلة مع السيد المهندس مدير الهيئة الفنية بمراقبة أبيض الزراعة -
مارس ١٩٨٨ .

تتمية الساحل الجنوبي الشرقي لمصر
نظرة جغرافية

إعداد

د. عيسى علي إبراهيم
قسم الجغرافيا - كلية الآداب
جامعة الاسكندرية

١٩٩١



تتمية الساحل الشرقي لمصر نظرة جغرافية

تناول هذه الدراسة الساحل الجنوبي الشرقي لمصر الممتد على البحر الأحمر بين سفاجا شمالا وشر شلاين جنوبا حيث تقع نقطة الحدود الادارية بين مصر والسودان وهي مسافة تبلغ زهاء ٥٠٠ كيلو متر طولا وغنل ٣٥٧٪ من امتداد الساحل المصري على البحر الأحمر وخليج السويس البالغ ١٣٨٦ كم. وتراوح عرض المنطقة الساحلية هذه بين ٢ - ١٠ كيلو متر في المتوسط من الشمال إلى الجنوب. (١)

وقد دفع الباحث لدراسة المنطقة اعتبارات عدة منها أهمية الاقليم الاقتصادية بما يملكه من موارد متنوعة لا تستثمر حاليا بالصورة المرضية . فواجهته البحرية ذات طبيعة شريطية محاذية لإقليم جنوب الصعيد الأمر الذي يساعده في إقامة علاقات تسهم في تنمية القطاع الصحراوي الأوسط وتدعم التنمية في الأقاليم الثلاثة، كما أنه يقابل الساحل السعودي على الجانب الآخر ويقرب الأراضي المصرية كثيرا منه. ويضم بجانب هذا إمكانات ترفيهية جيدة

• أكدت الدراسات (٢) تزايد أهميتها خلال العقدين الماضيين كمتجعات تستقبل أعدادا كبيرة من السائحين للتمتع بمزاياها العديدة سواء على المستوي الرسمي أو الدولي، ويلاحظ أن سياحة السواحل لا تتطلب كثيرا من الاستثمارات لاستغلالها كقطب جاذب وهو ما يتفق مع الظروف الاقتصادية المصرية.

وسواء اعتبر الترويج استخداما للأرض أم نشاطا اقتصاديا أم مكونا من مكونات الملوك البشرية فهو يدخل ميدان جغرافية التنمية التي تصنف الموارد الترويجية كليا وتتعرف على خصائصها وتحدد امكانية نظمها في استخدام معين أو توجيهها لاستخدامات بديلة وهو ما يعنى به إلى حد كبير اتخاذ القرار. (٣)

كما أن الساحل يملك إمكانات صيد لا بأس بها وبخاصة في الجنوب، ومن ثم يمكن توظيف مجموعة من المراكب لخدمة هذا النشاط واستيعاب أعداد من الوافدين للعمل وسد جانب من حاجات الإنسان المتزايدة للدهون في مناطق المعمر المصري.

والتعدين نشاط اقتصادي ثالث يتركز في الظهير وبصفة خاصة إلى الجنوب من طريق قنا- سفاجا وحتى الحدود السياسية، وتستخرج هنا مجموعة من المعادن الثمينة والأقلية تدخل في صناعات محلية أو تصدر للخارج، الأمر الذي دفع لظهور مجموعة من المراكب والمراكب قامت عليها في الأصل ثم تطورت لتقدم خدمات نقلية متنوعة.

ويضاف لكل هذا الرعي وجمع النباتات الطبية- علي نطاق محدود- ومحاولات التنمية الزراعية في أقصى القرب عند هوامش وادي النيل وبالذات في شرق حوض كوم أمبر وفي وادي عبادي بإدفو.

ولا كانت الدراسات الإقليمية غالباً ما تكون مقدمة للتنمية، فإن التركيز علي فهم ما يترتب من نتائج تفاعل الإنسان مع البيئة بعد أمراً ضروريا بالنسبة للجغرافيين والمخطط في آن واحد^(٤) للوصول لقيمة تطبيقية لهذه الدراسات

والملاحظ أن الاهتمام بالتنمية الاقتصادية والعمرانية وجه منذ نهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣ لسواحل البحر الأحمر، ولكنه تركز في المنطقة الواقعة شمال سفاجا حيث أقيمت سلسلة من المشروعات السياحية ساعدت علي النهوض بمشروعات البنية التحتية لها. غير أن المنطقة الجنوبية من الساحل لم تحظ بنفس العناية ولذا يرمي هذا البحث إلى :

أولاً:

التعرف علي معطيات الإقليم البنية والتركيز علي علاقاته بالظهير البري وامتداداته شمالاً وجنوباً وتطوره البحري وأهمية شبكات النقل في ذلك.

ثانياً،

دراسة الأنشطة الاقتصادية الحالية وتقييمها مع بيان دورها في
مواقع وأحجام ووظائف مراكز العمران

ثالثاً،

وضع تصور لإمكانات تنمية الأنشطة الاقتصادية واستغلال الموارد المتاحة
مستقبلاً.

رابعاً،

بلورة أهم المشكلات المعروفة لاستثمار موارد البيئة بصورة أفضل مما هي
عليه الآن مع اقتراح بعض الحلول لها.

وبعد جمع البيانات الأولية من الحقل والتحدث إلى الناس بصورة مباشرة
في إطار المكان^(٥) وسيلة تساعد في تفسير طبيعة العلاقات القائمة بين
السكان والمكان وتنتاجها المثبتة في استثمار موارد البيئة والمظاهر البشرية
المرتبطة ثم الانتقال بعدها لتحليل أسباب التخلف ومشكلات إعادة توزيع الموارد
و السكان، وتشجيع القرارات التنفيذية الصائبة في هذا المجال
أولاً: معطيات البيئة الطبيعية؛

١١-١-الموقع

يمثل الساحل الجنوبي الشرقي لصر وظهيره الصحراوي إقليمًا متميزًا في
موقعه فهو بحكم امتداده نحو الجنوب لشرقي بعد أقصى إقليم يقترب من
سواحل شبه الجزيرة العربية الغربية، فالمسافة بين رأس بناس وبينع مثلاً ٢٣٠
كم، وبين القصير والوجه ٢٥٠ كم أما جدة فلا تبعد عن رأس بناس سوى
٤٥٠ كم وعن مرسى علم ٦٠٠ كم والقصير ٧٠٠ كم وسفاجا ٨٠٠ كم، ويوضح
ذلك أهمية الإقليم اقتصادياً واستراتيجياً بالنسبة لعلاقات مصر بكل دول شبه
الجزيرة.

كذلك بجوار الإقليم منطقة شمال شرق السودان ويقترب من باب النديب ذو الأهمية الاستراتيجية ملاحيا وفي نفس الوقت تعد منطقة بحيرة الد العالي وادي النيل في أسوان وقنا ظهيرا له في الغرب بل أنه يقوم علي خدمة بعض مناطق الصحراء الغربية (هضبة أبر طرطور)^(٦)، ولاشك أن ثنية النيل عند قنا قربت المسافة إلى البحر الأحمر واقتطعت جزء من امتداد الطرق العرضية الصحراوية بمنفعها لتجع حمادي في نفس الوقت للغرب.

وقد كانت لمنطقة ثنية قنا أهميتها كطريق دولي قبل حفر قناة السويس عندما استفادت من الملاحة النيلية ومن الأودية الجافة كطرق قوائم من ناحية، ومن مواجهة الموانيء المصرية لموانيء الساحل السعودي من ناحية أخرى ولذلك برزت مدن قوص وقنط والقصر وعيذاب كمراكز تجارية ذات شأن في العصور الوسطى.^(٧)

(٢) التركيب الجيولوجي ومظاهر السطح:

يمثل الإقليم جزء من منطقة البحر الأحمر بالأخدودية النشأة، ولذا فالسهل الساحلي ضيق بصفة عامة وإن اختلف اتساعه من الجنوب للشمال، فهو يؤلف نصف دائرة بين حلايب أو رأس بناس ويتسع هنا ليبلغ بضع عشرات من الكيلومترات عند مصب وادي المخروين، بينما لا يتعدى اتساعه الكيلو مترين كثيرا في معظم المناطق الأخرى شمالا حتي سفاجا، ويتوقف عرض السهل الساحلي علي تأثيرات الحركات الباطنية والتنمية البحرية وإرسابات الأودية الجافة التي حدثت في المنطقة.

ويمكن اعتبار خط كتور ٢٠٠ متر حداً غربيا للمنطقة الساحلية وبذلك تضم كل الأرصعة البحرية السبعة المحددة لخط الساحل باستثناء القسم الذي يرتفع لمسرب ٢٥٠ متر^(٨)

وصخور لقاعدة الأثرية في الساندة في الداخل وتحت الساندة في الخارج.

عمرا والتي تشمل رواسب الرمال البحرية والقارية وإرسابات بطن الأودية الجافة والأرصفت البحرية والشعاب المرجانية، وفي بعض المواضع تقترب التكوينات الكريتاسية والجيرية من الساحل ويحتمل وجود قدر من المياه الجوفية بها. (٩)

ويمكن تقسيم أشكال سطح المنطقة عرضيا إلى:

الرف القاري والجزر، الرؤوس والمراسي والشروم، الشواطئ، السهل الساحلي، المدرجات أو الأرصفت البحرية، الأودية الساحلية

ويختلف اتساع الرف القاري من منطقة لأخرى وإن كانت خطوط الأعماق تشير إلى امتداده الأكبر عند مصبات الأودية وفي مناطق الرؤوس البارزة وحول الجزر الشاطئية، وضيقة في الشمال عن الجنوب. ويبدو أن المناطق الغنية بالأسماك تنركز في الجنوب بسبب هذا الاتساع السي وما قد تلقته الأودية من مياه وزوسب أحيانا بصورة أكبر.

أما الجزر فهي إما قريبة من الساحل وإنها بعيدة عنه - والأولي أكثر عددا وأهمية من الثانية وعددها ثمان. وترى بالعين المجردة، ومعظمها اقتطع من اليابس بفعل عوامل التعرية أو تكون بفعل تضافر الإرساب البحري والقاري وهي علي الترتيب من الجنوب مرير ومكوع ومحابيس وشواربط وسيال وجزائر قلعان ووادي جمال وسفاجا (شكل ١). والملاحظ أنها تقع غالبا قريبة من مصبات الأودية الجافة أو علي امتداد الرؤوس البارزة، ويمكن استغلالها في إقامة منشآت سياحية أو لتوليد الطاقة لبعض أنواع الرهاضيات المائية

وقتل جزيرة الزبرجد (٤٥ كم من الطرف الجنوبي لرأس يناس، ٦٥ كم من خط الساحل) أول الجزر البعيدة وارتفاعه نحو ٢٠٠ متر وصخورها نارية، ويمكن استغلالها سياحيا بربطها باليابس عند رأس يناس في صورة رحلات بحرية، أما الجزيرة الثانية قشع دهنالوس علي خط عرض مرسي علم، وبعد ٩٠ كيلو مترا عنها وهي أبعد جزر البحر الأحمر قاطبة عن الأراضي المصرية،

وأخر الجزر هي الأخوان لجاء القصير وبعد ٦٥ كم عنها، ونظرا لبعدها الكبير وصغر مساحتها يصب في الوقت الحالي استخدامها إلا في الأغراض الملاحية أو العسكرية.

ويبرز من خط الساحل مجموعة من الرؤوس ذات صخور نارية مثل رأس الشيخ بناس أو رسوبية مثل بغدادي وطرمي وصنفاي تاركة بينهما وبين الساحل جيوبا حائية صغيرة تمثل شروما أو خلجانا يمكن استغلالها في مجالات الصيد والسياحة وإقامة المرافق، كما يساعد امتدادها على الاقتراب من الجزر الشاطئية والبعيدة.

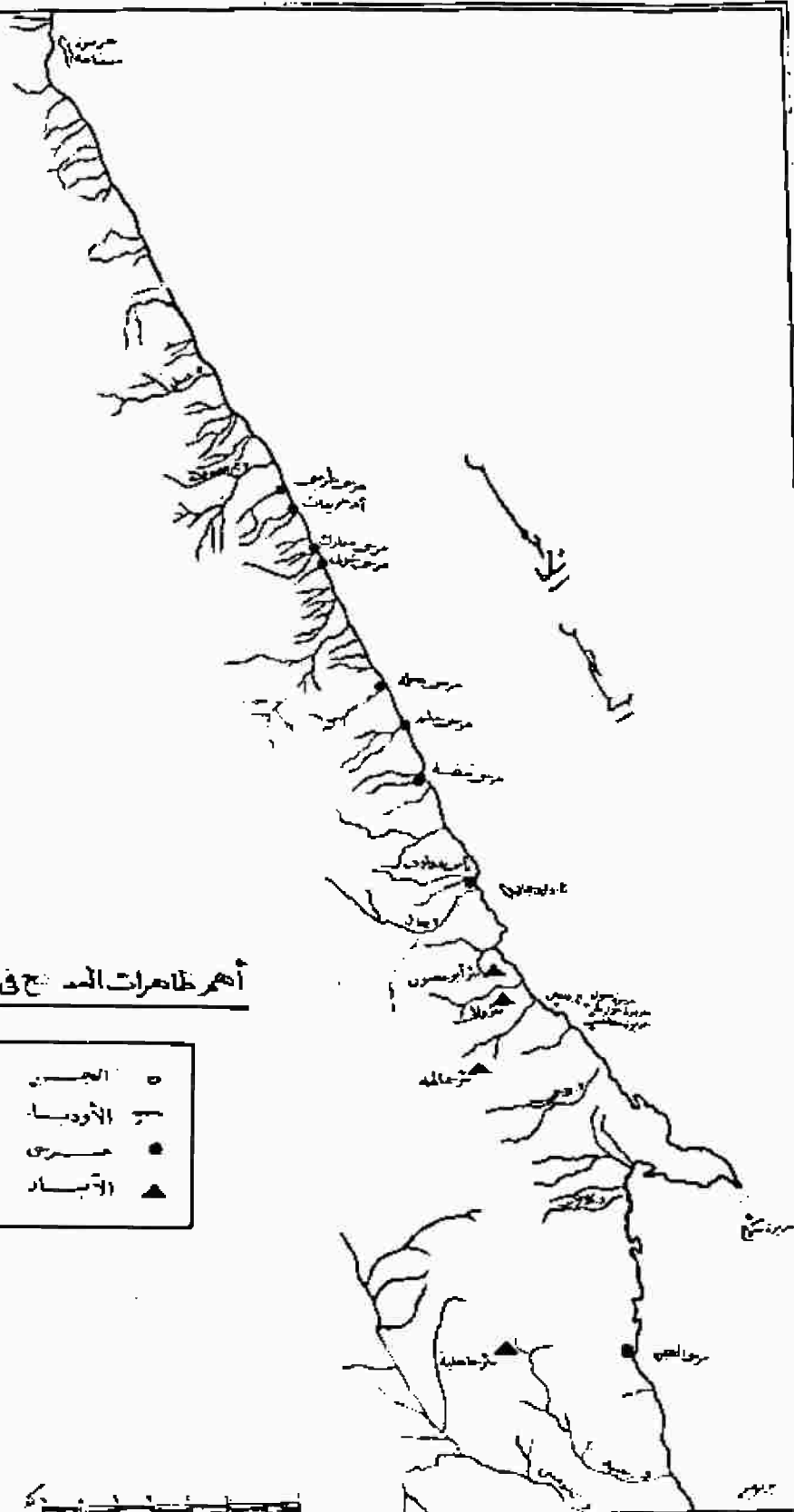
ومعظم الموانئ والشروم يستغل حاليا في ميادين التعدين وبعضها يحتضن قاربا أو اثنين للصيد، والثالث ما يزال دون استخدام. ويمثل النوع الأول مرسى علم وأم غبيج وعجلة وأم جريقات، والثاني طرمي ومبارك وتنضة ووادي لحمي وحميرة. أما الشروم فأهمها البحري والقبلي واللوفي ورجبة وكلالات ويرانيس (١٠)، (شكل ١)، وتتل هذه الشروم خلجانا صغيرة محمية من أخطار بعض أسماك البحر الأحمر للسائحين.

أما الشواطئ فهي رملية صالحة كمواقع ترفيهية أو لإقامة بعض قرى الصيد الصغيرة أو المراكز العمرانية الأخرى الحديثة، وترفع أعدادها في الشمال بين سفاجا والقصير ومرسى علم - أبو غصون ونقل في الوسط والجنوب.

وربما كانت الأودية الجافة أهم ظاهرات السطح من حيث تأثيرها على أنشطة السكان في المنطقة ، وهي قصيرة الامتداد بصورة عامة في المناطق الوسطى والشمالية على التوالي، وزداد طولها في الجنوب، وبعد وادي حوضين أهمها على الإطلاق، وقد أشار حمدان إلى اتساع حوضه بحيث لا يقل عن مساحة الصيد كله (١١)، ويلي على التريب من الجنوب أودية رجبة وكلالات ويرانيس حتي رأس بناس، ثم أودية لحمي وجمال والعلم ودبر وأم غبيج

أهم ظواهر المدح في مكان النجاسة

○	البحر
□	الأودية
●	مصرى
▲	الآبار



وعسل وكريم وأبرشجيله وجاسوس وسفاجا والبارود. والملاحظ تكاثر الأودية وقصرها في الشمال عن الوسط والجنوب.

ولهذه الأودية أهمية كبيرة في فتح نفقات عبر الشعاب المرجانية بما تلقىه من رواسب بحيث تجعل خليجانا معينة صالحة كمراسى. وقد تكون بعض الجزر الشاطئية أمامها أو تزد في تعاريج خط الساحل، بجانب أن طرقاتها المروحية الفيضية الصغيرة تصلح للزراعة، كما أن بطونها تضم آبارا أو عيوننا تجمع فيها المياه، وتؤدي بامتدادها للكشف عن الرواسب المعدنية وإقامة مراكز التعدين ولاستخدامها كطرق عرضية تقطع سلسلة المرتفعات الساحلية لتربط الساحل بالغرب، وبين الجدول رقم (١١) وشكل (١١) توزيع الأودية وكثافتها في منطقة البحث:

جدول رقم (١١) توزيع الأودية الجافة وكثافتها في منطقة الدراسة. (١٢)

الموقع	عدد الأودية	النبة %	الكثافة / كم
بيرائيس - أبو غصون	١١	٢٠.٤	٦٥
أبو غصون - مرسى علم	٩	١٦.٧	٨٩
مرسى علم - القصير	٢١	٣٨.٩	٦٣
القصير - سفاجا	١٣	٢٤.٤	٦٢
المجموع	٥٤	١٠٠	٦٨

ويتألف السهل الساحلي من أراضي منبسطة يختلف اتساعها تبعاً للعوامل سابق الإشارة إليها، غير أن أكثر أجزائه ضيقاً في المنطقة بين مرسى علم والقصير (١٣٣ كم) وتليها القصير - سفاجا ثم يتمتع في الجنوب تدريجياً ويظهر تأثير المد والجزر فيه بوضوح أكبر بسبب انخفاض منسوبه واتساعه.

٣- المناخ والحياة النباتية،

والإقليم بعد مناخيا ضمن المناطق المدارية شديدة الجفاف والمتأثرة بدرجات متفاوتة بالمزروعات البحرية الضعيفة في رطوبة الهواء، وتشير بيانات سفاجا والقصير لتوسطات حرارة عظمى تتراوح بين ٢٣ - ٢٤ وصغرى في حدود ٩٠ شتاءً، وترتفع هذه القيم قليلاً بالاتجاه جنوباً، وفي الصيف يتراوح متوسط الدرجة العظمى في المدينتين بين ٣٤، ٣٨ والصغرى من ٢٦ إلى ٣٠ (١٣)، ومن ثم يلاحظ أن المدينتين الحراريتين اليومي والفصلي أقل من مدن الوادي الواقعة في ذات العروض.

ويرفع الرطوبة النسبية خلال الشهر من مايو إلى ديسمبر لما يتراوح بين ٧٣٪ إلى ٨٠٪، وتنخفض إلى ٥٠٪ في أواخر الشتاء وأوائل الربيع، وتسمى السكان الرطوبة العالية في المنطقة "الأدبية" ويتركون خطورة تأثيرها عليهم وعلى المنشآت القريبة من الساحل.

أما المطر فكميته محدودة وتقل بالاتجاه شمالاً، وتظهر خطوط المطر المتساوي تقارباً مكانياً وارتفاعاً كمياً في الجزء الجنوبي حتى رأس بناس، ثم يبرد الجفاف شبه الكامل في الشمال، وعلى سبيل المثال يمر خط المطر المتساوي (١٠٠ مم كم متوسط سنوي) بحلاب وبليه خط ٥٠ مم عند دائرة عرض ٣٢° بالقرب من بنر ثلاثين، ثم خط ٢٥ مم عند رأس بناس، ١٠ مم عند مرسى علم ويمكن الاستفادة من المطر القليل التفاوت السقوط كما وزمنا إذا أقيمت بعض السدود في مواقع مختارة بعناية على الأودية الجافة. وفي الوقت الحالي تنمو بعض الأشجار في بطون هذه الأودية وعند مصابها اعتماداً على المياه

لوحة (أ) - منظر على حسب وادي جبال

"المصورة مجموعة المتعلها الباحث"

تاريخ ١٨/٣/١٩٩١

المختزنة تحت السطح وتزدهر بعض الأعشاب الهزيلة المؤقتة عقب سقوط المطر أحيانا، ويتفق عرفا بين بطون قبيلة العبابدة على مناطق حيابة الأاض ذات الأهمية من هذه الناحية سواء على الساحل أو في الداخل، وفوق كل ذلك تنمو بعض الأشجار التي تكيف مع الملوحة على الساحل مباشرة في الجنوب وذلك في حدود مناسيب المد والجزر مثلما هو الحال عند الكيلو ١١ جنوب أبو غصون وتسمى محليا باسم "الشورابا" وهي نوع من أشجار المانجروف وترعى أوراقها الأبل. والملاحظ أن المنطقة الوحيدة الغنية بغطائها النباتي نسبيا في الإقليم هي مصب وادي جمال (٤٩ - ٥٣ جنوب مرسى علم) حيث تظهر أشجار النخيل للمرة الوحيدة من سفاجا إلى برانيس (الوحة ١).

والخلاصة أن الفقر الشديد في الحياة النباتية سمة سائدة للإقليم وإن اعتمد العبابدة على المراعي الهزيلة والأشجار البعثة في رعي حيواناتهم "والاحتطاب" للحصول على الوقود أو دعاصات المساكن المؤقتة التي تقام على الساحل ويظهر ذلك بوضوح أكثر في الجنوب.

وفي نفس الوقت يعتمد على الأشعاع الشمسي وقوة الرياح كمصدر للطاقة لأغراض مختلفة (السحنات والتلاجات في أبي غصون)، ولكنها لا تعد مجرد محاولات فخرية تستخدم في إدارة مراوح تكفل الطاقة لتلاجة صغيرة في نفس المنطقة تقوم بإنتاج كميات محدودة من الثلج المجروش.

ثانيا: الأنشطة الاقتصادية ومراكز الاستيطان البشري:

١- التعدين والموانيء ومراحيء التصدير:

يظهر التعدين باعتباره أكثر الأنشطة الاقتصادية تأثيرا في المنطقة، فمراكز العيران ذات الأهمية حجما ووظائفا وعلاقات استندت إليه. صحيح أن بعضها جذب بزاياء الموقعية وظائف أخرى وتوسيع وما بها، ولكن النشة كانت غالبا من خلال التعدين، ويقوم استغلال المعادن في الأودية والمناطق الجبلية الواقعة خلف

الإقليم الساحلي، ويستتبع ذلك اختيار مرسى أو مرفأ صغير ملائم بقرب
مكاتبنا من مراكز التعدين ويتمتع بسهولة الوصول ، وتجمع فيه الخامات وتعالج
(طحن - غريلة - غيل - تركيز) وتصدر بعدها عن طريق البحر أو شحن
برا بالشاحنات للمناطق الصناعية في الرادي والدلتا (١٦٦)

وتنقسم مراكز العمران القائمة على خدمة التعدين في النطاق الساحلي الي
مجموعتين: الأولى، الموانئ القديمة نسبيا وتحتلها القصير وسفاجا (١٦٧)،
وتعتبر مدينة القصير الأقدم حيث تشير أطلالها الأثرية لأهميتها التاريخية
(القصير القديم شال المرقع الحالي ب ٦ كيلو متر. ولوكيس ليمن (البناء
الأبيض) في عهد البطالة (الرومان)، وهي مازال رغم منافسة سفاجا المادة لها
مدينة تجارية أكثر سكانا، حوالي ٢٠ ألف نسمة عام ١٩٨٦ مقابل ١٠٥ ألف
نسمة لسفاجا) (١٦٨). وتزود خدمات لكل المراكز الأصغر الواقعة جنوبا حتى
شلايين، غير أن مرسى علم بدأت تيزع كمركز عمراي يمكن أن يقوم بهذا الدور
مستقبلا وخصوصا بعد تعبيد طريقها مع إدفو (٢٢٦ كم) بصورة جيدة ليصبح
أكثر أهمية من طريق القصير - فقط ورغم قصر هذا الأخير إلا أن انتهائه عند
قرية "أبر شعر قبلي" جعله أقل أهمية من طريق مدينة إدفو بسبب تميز الأخيرة.
ولاشك أن موانئ التعدين ومراسيه الحالية أفادت من مواقع ومواقع
الموانئ القديمة أحيانا ويظهر ذلك واضحا في حالة القصير وسفاجا، غير أن
الظروف التاريخية تدفع بعضها للنمو الأزدهار في فترات وللتراجع والانكماش
وأحيانا التلاشي في فترات أخرى، فالقصير مثلا دخلت عن خدمات الاستيراد
والتصدير والمهاجر لسفاجا ولم تعد تصدر سوى الفوسفات بصورة رئيسية، وقد
صدرت منه عام ١٩٩٠ حوالي ١٧ ألف طن مقابل ١٠ ألف فقط
لسفاجا) (١٦٩)

غير أن ميناء سفاجا اتسع مدى خدماته النقلية جغرافيا ليستورد القمح

لمحافظات جنوب الصعيد وخامات الالنيوم لنجع حمادى، كما يصدر منه فوسفات أبو طرطور، وهنا كانت عوامل قرب المسافة، وأفضلية الطريق البرى، ومعاونة السكة الحديد^(٢٠)، وتوفر المياه، ولجبهات الميناء، وأهمية لنا كنقطة اقتراب من ساحل البحر الأحمر مسئولة عن المنافسة غير المتكافئة.

والنوع الثانى من مراكز التعدين هو المرافىء الصغيرة التى تتراوح أطوال أرضيتها بين ٥٠ - ١٠٠ متر وغالبا ما تحتوى على رصيف واحد فقط أعد لشحن الخامات واستقبال سفن الإمداد بالمياه والمواد الغذائية أحيانا، وغالبا ما تكون هذه أحدث عمرا وأصغر حجما وأشد التصاقا بالتعدين كنشاط اقتصادى، ويثقلها المحراوين ومراسى: أم جريفات وأم عيج، علم، ثم أبو غصون وحماطه، وساعد وجود رواسب الفوسفات والتلك والفلسبار والاسبستوس والتنجيزيت على الاهتمام بتنمية الظهير والساحل في آن واحد وقوية العلاقة مع وادى النيل باجذاب العاملين، ومن ثم ازداد سكان هذه المراكز تدريجيا، فالمحراوين مثلا قدر عدد سكانها بحوالى ٧٠٠٠ نسمة (١٩٩٠) ومرسى علم بين ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ نسمة وأبو غصون حوالى ٢٠٠ نسمة، وهذه المراكز الثلاثة تلي مفاجا والقصر في الأهمية بل إن مرسى علم تطورت بسرعة كبيرة بعد تحسين طريقها إلى ادفو، أما مراسى عجلة (٦ كم شمال مرسى علم) وأم جريفات (٥٢ كم شمال مرسى علم أيضا) فلا يتعدى سكانهما ٧٥ - ١٠٠ نسمة (شكل ٢).

ويتوقع أن يكون لمرسى علم أهمية أكبر في المستقبل بسبب ارتباطها بمنطقة "روض عشاب" والتي لا تبعد سوى ٩٠ كيلو مترا وتقع في وسط الصحراء الشرقية كمركز إدارى للخدمة مناجم الفلسبار والكوارتز ومناجم البرامية لتعدين الذهب، وفوق هذا تتميز بمجموعة الأودية الواقعة بينها وبين إدفو (بيزح والبرامية وعبادى) بوجود مساحات واسعة من الأراضي ذات التربة الجيدة يمكن زراعتها، وقد نمت المدينة في خلال بضع سنوات من مجرد مركز لهيئة

المساحة الجيولوجية لتتحول إلى قرية عام ١٩٨٧ تم تحولت إلى مدينة عام ١٩٩٠ غير أنها رغم هذا المسمى الحضري ما تزال كتلتها السكانية محدودة المساحة جدا لا تجاوز ٢ كيلو متر مربع، وتتألف من ثلاث مجسوعات من المباني تتجمع حول الطريق الساحلي المزدوج وطريق ادفو، معظمها مآكن حكومية (١٥٠ مآكن) أو مباني خدمات عامة، ومن المفترض أن المدينة في إطار أربعة عشر كيلو مترا بمحاذاة الساحل (٢١). أما حطاطة فهي مرفأ تعديني صغير يقع علي الساحل ويتكون من حوالي ٤٠ مآكن ومحطة لمقاومة الجراد

٢ - الصيد والرعي وحملات الصيد الصغيرة

يعتبر الرف القارى محدود الاتساع بين سفاجا ورأس بناس وبذلك يتم الصيد من اللاجونات المرجانية المتناثرة ذات القيعان الطينية والرملية، وفي جنوب برانيس يتسع الرف القارى ويصبح أكثر غني نسيا، وفي كل الحالات بقدر محصول الصيد في منطقة البحر الأحمر كلها بحوالي ٢٥ طن من الأسماك سنويا (٢٢) يأتي معظمها من منطقة خليج السويس وعلى سبيل المثال لايتجاوز عدد القوارب في مينائى سفاجا والقصور ٤ - ٥ قوارب، وتتأثر بضغ أخرى منها لا تزيد على اثنين أو ثلاثة من الدرجة الثالثة في المراسي والشروم المتبقية جنوبا.

وعلى ذلك يمكن القول إن الصيد في المنطقة ما يزال حرفة ثانوية لبعض العاملين بأنشطة أخرى من أجل سد حاجاتهم الخاصة أو الحصول على دخل إضافي ضئيل في ظل محدودية الطلب ورخص أسعار الأسماك، ومن ثم لا تخرج كميات تذكر على المستوى التجاري من المنطقة.

أما عن قري الصيد فهي عبارة عن حملات صغيرة يصعب إطلاق مسمى القوي عليها لقله أعداد مآكنها حيث لا تتعدى في كل الحالات ١٥ مآوى.

وهي أحياناً تنخفض العدد إلى ما بين ٣ ماوى إلى خمسة، وتتخذ مواقعها في السهل الساحلي عند الشروم أو المراسي أو قربها من مراكز التعدين لتتبادل معها الحاجات الاقتصادية حيث يباع السمك مقابل المواد التموينية ويتم بعض هذه القرى بالاستقرار الدائم بينما يتنقل البعض الآخر حسب توافر فرص الصيد ولذا جنى ماؤها غالباً من الصفيح أو الخشب المتخلف عن شحنات السفن أو ما يلتقطه البحر وقتما يستعمل الطوب أو الحجر، وعلى كل حال يبلغ عدد حلات الصيد في المنطقة عشرين حلة، وهي عموماً أكثر عدداً وتقارياً في الجنوب.

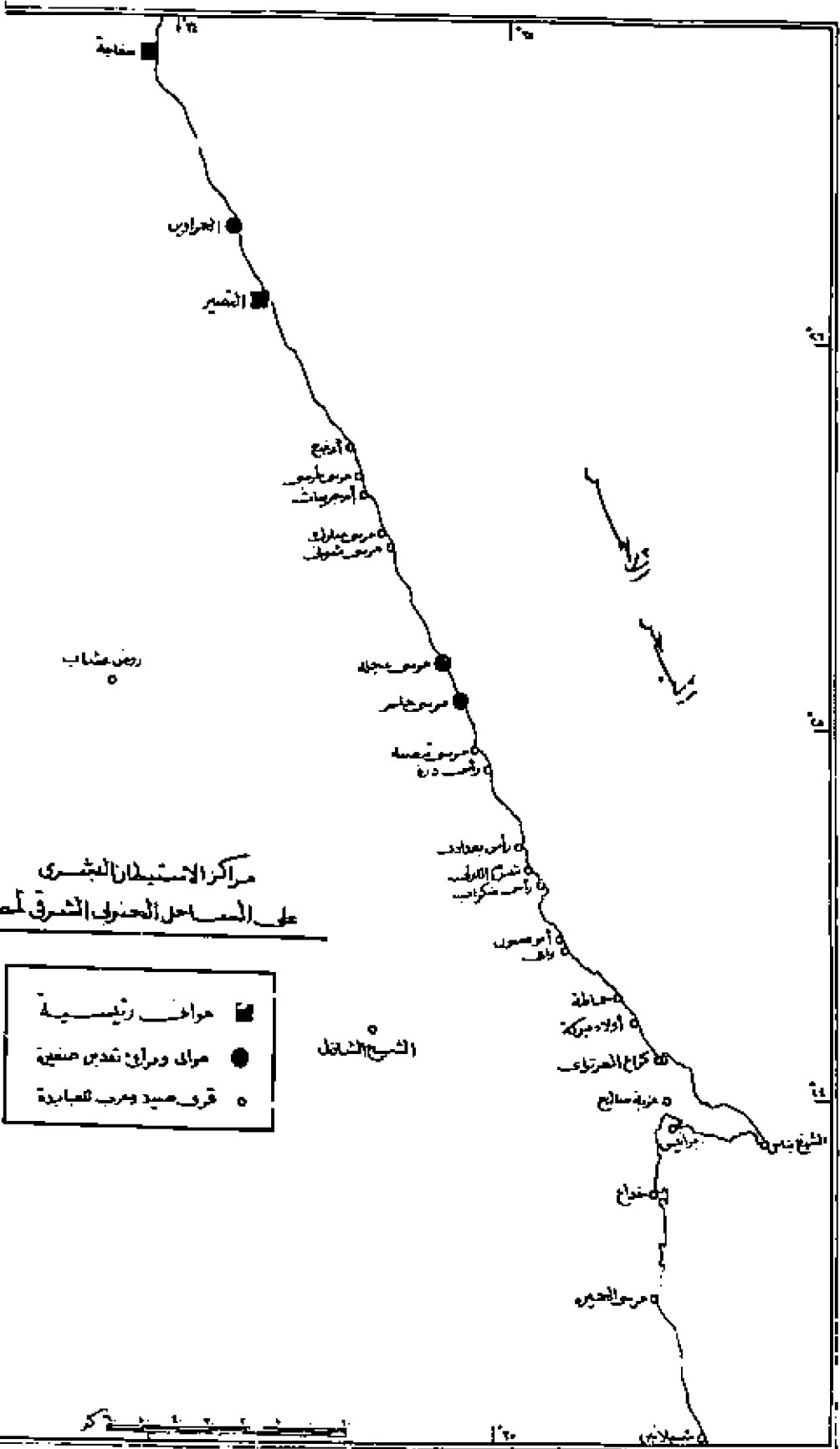
ويمكن بصورة عامة توزيعها من الشمال إلى الجنوب كما يتضح من الشكل (٢) على النحو التالي:

١ - قرية واحدة في المنطقة بين سفاجا والقصور عند الكيلو ٣٢

٢ - ثلاث قرى بين القصور مرسى علم عند مرسى طرمي ومرسى مبارك ومرسى شوني.

٣ - خمس قرى بين مرسى علم وأبر غصون، أولاًها عند مرسى تنضبه ثم تتابع بعد ذلك عند رأس درة بغدادى وفي شمال وادى جمال وعند شرم اللولي.

٤ - خمس قرى بين أبر غصون وبرانيس وقوع عند مصب وادى الحمي وكراع الهرتواي ورأس بناس وميناء برانيس ثم عزبة صالح وهي قرية صغيرة أقيمت كمشروع لتوطين العبادة بمعرفة الولايات المتحدة تقع عند نقطة تفرع الطريق الساحلي ليشبه شرقاً ميناء برانيس (٦٠ كم من أبي غصون، ١٢ كم من برانيس) وتعتبر أكبر مركز عمراني وفي حجاز ولا يعمل سكانها بالصيد، وإنما بالرعي وجمع التبادات الطبية وتجارة التجزئة لمعسكرات الجيش والتهريب ويبلغ عددهم حوالي ٣٠٠ نسمة يقيم معظمهم في مساكن نمطية عددها ٤٠ وحدة (لوحة رقم ٢) تتألف من حجرتين وصالة وبجانبها بعض أكشاك من الصفيح



والملاحظ أن أحد المستنقعات أقام مشروعاً يسمى مشروع أدميرال لإنتاج وتجميع الأسماك عند الكيلو متر ٣٦ جنوب أبو عصور يتكون من قرية صيد صغيرة (٨ مساكن) على الساحل ولكنه لعثر سبب عدم توافر مقومات الإغاشة الأساسية

والى الجنوب من برانيس وحتى الحدود الإدارية عند بئر ثلاثين تقع ثلاثة مراكز عمرانية ريفية الطابع هي خداع (٣٠ كم) ثم ثلاثين ذاتها (١١ كم). والأولى والثانية عذب صغيرة، أما الثالثة فيقدر سكانها بحوالي ٢٠٠٠ نسمة، يعملون بالتجارة فى سلع معينة عبر الحدود الإدارية مثل الأسطح التى تهرب لمحافظة الصعيد، ويضاف إلى هذه المراكز الساحلية قرية الشيخ الشاذلي الواقعة إلى الداخل ويقدر عدد سكانها بما يتراوح بين ٥ - ٦ نسمة وتقوم بخدمة روار الضريع (١٣٢)

ويضاف لهذه المراكز العمرانية قرية سياحية واحدة شمال القصير بحوالي ٥ كم وبعض المراكز ذات الطابع العلي مثل محطات مقاومة الجراد وأبحاث البورانييم والمواقع العسكرية المتناثرة على طول الساحل إما كمعسكرات وإما كمطارات أو موانئ أو نقاط مرور وحرس سواحل لمنع التهريب وهي أكثر المحطات السكنية المؤقتة انتشاراً.

ويتعتبر الرعي أقل الحرف أهمية في المنطقة لإنتاجه معاشي وضئيل ويرتبط ببطن الأودبة فى ظهير الساحل وتتفاوت تقديرات أعداد الحيوانات فى المنطقة الجنوبية الشرقية كلها بين ١١ ألف رأس، ٢٠٠ ألف رأس (٢٤). ويبدو على كل حال أن العبادة المقدر عددهم بحوالي ١٥ ألف نسمة (٢٥) فى عام ١٩٩٠ يحترف عدد محدود منهم رعي الأغنام والماعز لأن معظمهم استقروا فى السنوات الأخيرة فى مناطق الاستصلاح فى كوم أمبو والردسية وإدفو وفى المراكز العمرانية الساحلية.

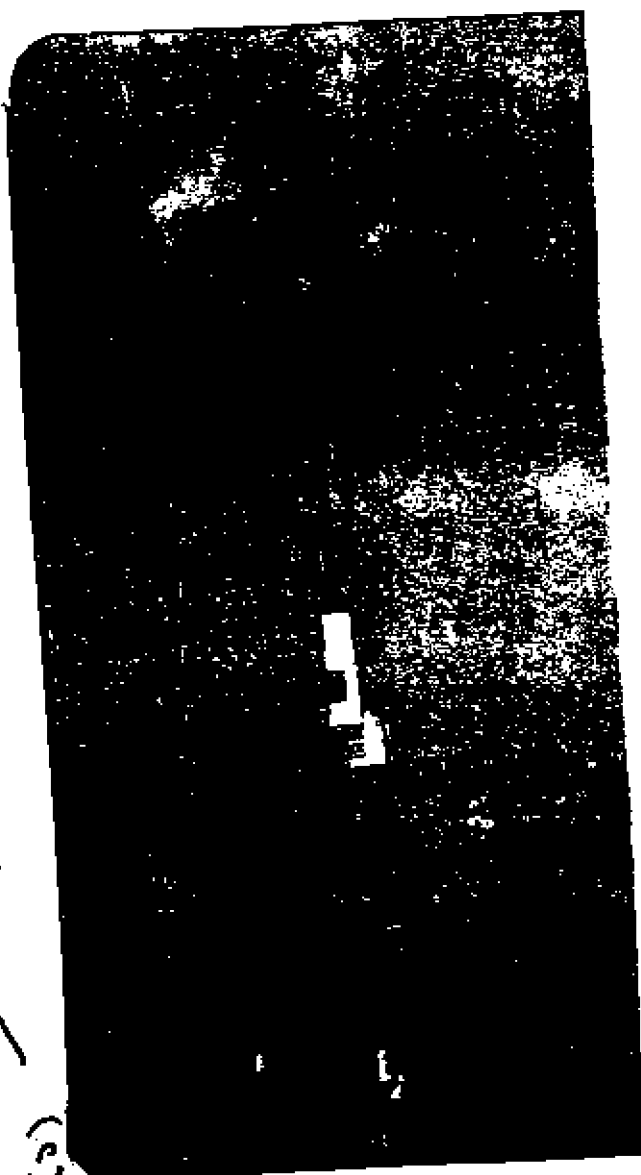
ثالثا : إمكانات تنمية الأنشطة الاقتصادية :

١- التعدين :

يتوقف دور التعدين في تنمية المنطقة الساحلية مستقبلا علي الجهد المبذول لاستغلال الاحتياطيات المعدنية في الظهير والتي تضم أكبر مجموعة من المناجم في الأراضي المصرية تتأثر جنوب طريق قنا - سفاجا وتحوي عددا كبيرا من المعادن الغلزية وبعض الخامات اللافلزية، وهناك احتمالات لاستغلال بعض المعادن الشعة واكتشاف مناجم أخرى إضافية، والملاحظ أن مشكلات الموقع النائي عن المناطق الصناعية ونقص المياه وقلة الطرق المعبدة وطبيعة وجود الخامات في مناطق الصخور النارية واحتمالات نفاذ احتياطياتها وتكاليف الإنتاج تعوق استثمار بعض الموارد المتاحة سواء بإضعاف قدرتها علي المنافسة في الأسواق الخارجية أو استهلاكها في الداخل.

حقيقة أن بعض محاولات التجهيز تجري عند فوهات المناجم أحيانا وفي مواقع ساحلية اختيرت لدوافع عديدة ، لكن يبقى التساؤل هل يمكن قيام صناعات في نفس المنطقة ؟ لقد اقترحت مواقع معينة لصناعة الحديد والصلب في منطقة البحر الأحمر عند المقاضلة بين المزايا الموقعية أحيانا ، وكان عامل الخامات أحد أسبابها غير أن قوى الطرد كانت أكبر بحيث ظلت خامات الإقليم دون تصنيع فيه ، وهكذا كان الحال في الفوسفات وغيره من الخامات الأخرى التي تصدر للخارج أو تنقل لتصنيعها في أماكن أخرى في الداخل.

ومن الممكن في الوقت الحالي الاستفادة من قوة دفع حرفة التعدين في تدعيم شبكات الطرق وتوصيل المياه وحفر الهجرات للعاملين وأسرهم وإقامة تجهيزات الموانئ والتخطيط لتكامل المجتمعات الصحراوية بحيث تسد احتياجاتها ذاتيا من المنتجات الزراعية والحيوانية.



لوحة رقم (٥)

مسكن توطين العبادرة في عزبة صلاح

الصورة المأخوذة للباحث بنجاح

١٩٩١/٢/٨

٢ - الصيد والرعي والجمع :

رغم غنى الاقليم في قسمة الجنوبي بالثروة السمكية إلا أن الصيد ما تزال ضئيلة الأهمية بسبب ضعف شبكات الطرق، فالطريق الساحلي متدهور جدا جنوبي أبو غصون حتى برايس ، كما أن المياه والغذاء لا يتولران بقدر كاف في مراكز العمران الساحلية الرئيسية المتباعدة جدا عن بعضها، وبضاف لذلك قلة أعداد السكان وضعف قدرتهم الشرائية، وعدم توافر وسائل الحفظ وأدواته للصيادين، وبعد المنطقة موقعا عن محترفي هذه المهنة في شمال الدلتا أو حتي صيادو الوجه القبلي في محافظتي سوهاج وقنا، ولقد تم فشل مشروع "أنميرال" سابق الإشارة إليه دليلا علي تأثير المعوقات في سبيل الانتاج السمكي .

غير أن ذلك لا يعني استبعاد هذا المورد كعامل جذب للتنمية والاسهام في تنمية دخل السكان ، فهناك مواقع عديدة علي طول الساحل وخصوصا في الجنوب يمكن أن تقوم فيها قرى صغيرة للصيادين حالما ذلت العقبات، وقد وضعت خطة من قبل وزارة التعمير قدرت فيها كميات الإنتاج السمكي المتوقع الحصول عليها من المنطقة وما توفره من فرص عمل محتملة والاستثمارات المطلوبة لها، ووزعت جغرافيا علي النحر الذي يبينه الجدول رقم (٢)، ومنه يتضح إمكانية الحصول علي ٨٥٠ طنا من الأسماك سنويا وإتاحة ٢٦٠ فرصة عمل من استثمارات قدرها حوالي ٤,٦ مليون جنيه. ولاشك أن هذه الأرقام تكشف تواضع الجهود المبذولة في التخطيط لتنمية الثروة السمكية في هذا الجزء من محافظة البحر الأحمر قياسا بالمناطق الواقعة لي الشمال كما بلغت النظر في نفس الوقت تركزا ما يقرب من خمسي فرص العمل في أقصى الجنوب بالقرب من الحدود، ولذا تعد مشكلة الاتفاق علي الحدود والمياه الإقليمية - وتنظيم عمليات الصيد بالتعذية - مع السودان ضرورة لدفع التنمية لي المنطقة.

جدول رقم (٢) توزيع الكميات المتوقع صيدها من الأسماك وفرص العمل المحتملة والاستثمارات المطلوبة في منطقة البحث حتى عام ٢٠٠٥ (٢٦)

المنطقة	الإنتاج (طن)	%	فرص العمل	%	الاستثمارات (ألف جنيه)	%
القصور	٢٥٠	٢٩٤	٧٥٠	٢٨٨	١٣٧٥	٣٠١
شوم اللولي	١٥٠	١٧٦	٤٥٠	١٧٣	٧٥٠	١٦٤
كراخ الهرنواي	١٠٠	١١٨	٣٥٠	١٣٥	٥٠٠	١٠٩
برانييس	٣٥٠	٤١٢	١٠٥٠	٤٠٤	١٩٥٠	٤٢٦
الجملة	٨٥٠	١٠٠	٢٦٠٠	١٠٠	٤٥٧٥	١٠٠

وفى واقع الحال يبدو أن خطط وزارة التعمير لتنمية بعض المناطق النائية في مصر ومنها هذه المنطقة لا يتفد منها سوى القليل^(٢٧) والدليل على ذلك خطط تنمية المصايد التي لم يتفد منها شيء بعد رغم أنها قدرت الإنتاج السمكي من خليج فول وحده بسبعة آلاف طن سنوياً بالإضافة إلى ما يقدر بألفي طن أخرى إلى الشمال حتى الفردقة.

أما الثروة الحيوانية فيمكن تنميتها خاصة في المنطقة الجنوبية الشرقية لتلقيها كما أكبر من الأمطار، وتوافر عدد من الآبار العذبة المياه وشدة التضرس بما يؤثر في غنى المرعى، وتحتاج التنمية في هذا القطاع العناية بالسلالات الجيدة من الحيوانات ورعايتها بيطرياً وتنوعية الرعاة وتوفير الرعاة وتوفير الأعلاف بزراعة بعض أنواع النباتات المقاومة للجفاف في الداخل والخارج عند

الساحل للتقليل من حركة الرعاة لمسافات طويلة الأمر الذي يؤدي لانهاك الحيوانات وتقليل إنتاجها أحيانا بل وإلى هلاكها في أحيان أخرى. وما يزال جمع النباتات الطبية يتم حتى الآن لاستخدامها في بعض الأغراض العلاجية من خلال تجارب سابقة لسكان الوادي (٢٨)، وتعتبر أسوان أهم مدينة بيعها وغالباً ما يقوم بها البشاريون وبعض العبادة وهي علي كل حال تمثل مصدراً ضئيل الأهمية لدخولهم.

٣- الزراعة:

يمكن أن تقوم الزراعة في بعض الأودية الساحلية مثل وادي جمال بين مرسى علم وأبو غصون والذي تتميز دلثاء المروحية الصغيرة بجودة تربتها حيث يصل سمكها الي ٣ أمتار علي الساحل، وتتمدد مجرى الوادي بعرض زهاء كيلومترين وتغطي أيضاً الرواسب الفيضية في جرنه الأدنى، ويحتاج ذلك لإقامة سد ركامي عليه وتخزين مياه السيول ثم الاستفادة منها. كذلك تتركز بعض الأراضي السهلية في الجنوب بين أبوغصون وبرائيس ويمكن زراعة مساحات منها بإقامة محطات لإعذاب مياه البحر سواء بالقرب من مراكز العمران الحالية أو في مناطق جديدة.

ولاشك أن بعض الأودية المنحدرة لنهر النيل يمكن أن تمثل ظهيراً زراعياً للأقليم وهي وادي اللقيطة. وقد تمت المساحات القابلة للزراعة فيه بـ ٨٦٥٠ فداناً ووادي عبادى ٩٦٠٠ فدان ، ووادي نتاش ٦٨٢٥ فداناً (٢٩) ، وهذه المساحات تمثل ٨٢,٥٪ من المساحات القابلة للاستزراع في محافظة البحر الأحمر وتقع كلها في الجنوب ويمكنها زراعة محاصيل تعد مجتمعات التعدين والصيد والسياحة بحاجة لها.

٤- السياحة:

تعتبر أهم الأنشطة التي يجب استثمارها في المنطقة فالبحر ذاته والمنظر

الساحلي وملأسة المناخ، وتوافر الأرض، والشواطئ، الجيدة، والمزج الشاطئية والبحيدة، والرف القارى وما يضمه من حياة فطرية نباتية وحيوانية، وطول الجبهة الساحلية وامتدادها الشربطى كلها مقومات جيدة للسياحة الساحلية. والمتفق عليه أن معرفة الموارد السياحية وتصنيفها أحد مهام الجغرافيا، وقد أصبحت كمية هذه الموارد وخصائصها وإمكانات نظمها واستخدامها تحظى بقدر كبير من الاهتمام من متخذى القرار.

وقد قلعت نظريات وغاذج كثيرة حول تنمية صناعة السياحة في البلدان المتخلفة منها ما قلعه كاسي Kasse عام ١٩٧٣ حول التأثير التضاعفى للسياحة في توفير فرص العمل وتحقيق عائد وفوائض من النقد الأجنبى بتوجيه بعض الاستثمارات لمشروعات البنية الأساسية. كذلك عرض فلان دوون Van Doorn عام ١٩٧٩ مراحل التنمية السياحية وربط بينها وبين التنمية الاقتصادية ووضع نموذجاً لذلك من ثلاث مراحل يبدأ باستكشاف الموارد للسياحة ثم ينتقل لاستجابة المجتمعات المحلية وينتهى بإقامة المؤسسات واتخاذ القرار في التخطيط السياحي، أما بترلر Butlerer فقد طبق عام ١٩٨١ فكرة دورة الإنتاج في نمودجه المكون من ست مراحل عن التنمية السياحية. وأكد جررمسن Gormsen عام ١٩٨١ على أهمية التنمية المكانية - الزمنية للسياحة البحرية النولية، وزيادة الاسهام الاقلىبى فيها من خلال دراساته عن سواحل شمال أفريقيا وغربها والبحر المكاربى. (٣٠)

وطبقاً لهذه النماذج ما تزال منطقة البحر الأحمر الجنوبية في مرحلة الاستكشاف للموارد السياحية، فليس هناك تأثير يذكر حتى الآن للسياحة في مضمار تنميتها، والجهود المبذولة في التخطيط سياحياً تركزت مكانياً في القسم الشمالى (بين السويس وسفاجا) من ساحل البحر الأحمر، ويمكن على كل حال الاستفادة من تجربتها وذلك بتشجيع المستثمرين على إقامة المشروعات، وتقديم تيسيرات خاصة فى أسعار الأرض وإقامة المشروعات الأساسية، وحفز المواطنين من يرغبون في قضاء إجازاتهم من العاملين بالصناعة ومن سكان

المحضر في الصيد وسكان القاهرة الكبرى عن طريق تنظيم رحلات بأسعار متميزة.

كما يساعد تدفق السياح الأجانب علي جنوب الصعيد لزيارة المعالم الأثرية في امكان تنظيم رحلات ترفيهية للمنطقة وخصوصا أن المتوقع زيادة أعداد السياح مستقبلا سواء علي المستوى الدولي أو القومي بسبب التغيرات الاقتصادية والاجتماعية المتمثلة في ارتفاع مستويات التعليم وسهولة الحركة وزيادة أوقات الفراغ والرغبة في الترويح عن النفس لدى الأفراد، واختلاف معدلات التنمية جغرافيا، وزيادة السكان وعمرهم بدرجة كبيرة في الدول المتقدمة والتي حد ما في الدول الفقيرة.

والحقيقة أن تخطيط الإقليم سياحيا يمكن أن يركز علي المشروعات المتوسطة أساسا لاجتذاب السياحة المحلية ذات الانفاق الأقل والسياحة الخارجية المتوسطة الانفاق واستغلال الإمكانيات السياحية المتاحة والتي من أهمها:

- أ - الشواطئ الرملية والجزر.
- ب - الميادين المائية في منطقة الرف القاري.
- ج - الهوايات مثل صيد الأسماك والغطس.
- د - المراكز العلمية والتعليمية للبحوث البحرية والصحراوية وشمل ذلك المحميات الطبيعية علي اليابس وفي الماء داخل اطار الأرصدة القارية.
- هـ - المزارات الدينية مثل الشيخ الشاذلي.

ونعتبر الشواطئ الرملية أهم هذه الموارد وقد حصرتها وزارة السياحة ضمن خططها لتنمية السياحة^(٣١)، واتضح أن عددها يبلغ ٤٤ شاطئا صنف إلى مستويات ثلاثة معظمها من النوع المتوسط الصلاحية وتوزعت علي النحو التالي:

جدول رقم (٣)

توزيع الشواطئ السياحية في منطقة البحث وكثافتها

الموقع	عدد الشواطئ	%	المساحة	الكثافة / كم
سفاجا - القصير	١١	٢٥.٠	٧٢	٣.٧
القصير - مرسى علم	١٤	٣١.٨	١٣٣	٥.٩
مرسى علم - ابرعصون	١١	٢٥.٠	٨٠	٣.٧
ابرعصون - برانيس	٨	١٨.٢	٧٢	٩.٠
الجملة	٤٤	١٠٠	٣٦٥	٨.٢

ويبدو من الجدول أنها مرتفعة العدد نسبياً في الشمال وتقل في الجنوب والوسط وتشير أرقام الكثافة لاحتلال قطاع القصير - مرسى علم المرتبة الأولى، وربما تكون السياحة أهم موارده لأنه يعتبر أنقر جهات الساحل في الموارد الأخرى مثل المصايد وأعشاب الرعي.

وهكذا يتضح أن المنطقة تملك إمكانيات جيدة للتنمية الاقتصادية ومع ذلك ظلت مهملة فما هي العوائق أو الأسباب المؤدية لهذا التخلف ؟ هنا ما سيرد ذكره مع بعض الاقتراحات للتغلب عليه في الصفحات التالية.

خلاصة:

يتضح مما سبق أن منطقة الساحل الجنوبي الشرقي لمصر ما تزال اقليما مغلقا سكانيا علي الرغم مما يملكه من موارد متنوعة تجري بعض محاولات لاستثمارها ، ولكنها دون المستوى المطلوب الموائم للرغبة في التعمير واستقطاب السكان من الوادي والدلت المكتظان سكانا. حقيقة أن المنطقة تقع ضمن الأقاليم الصحراوية القاحلة عند هامش الصحراء الكبرى الافريقية الشرقى وتقل بها إمكانات المياه الجوفية غير أنها بالمقابل تتضح بالاشراف علي البحر الأحمر بجهة ساحلية طويلة لم تستثمر جيدا بعد وتحتاج لجهود تنظيمية كبيرة لاستغلالها.

وهناك معطيات أخرى حياتها البيئة للإنسان مثل الطاقة الشمسية التي تعد موردا متجددا له مزايا كثيرة استفادت منها بعض الدول المتقدمة تقنيا (٣٢) والمتمتعة بقدر أقل من الاشعاع الشمس، ولا شك أن توظيف القدرات البحثية المحلية وإمكان تصنيع وحدات للخلايا الشمسية بطريقة بسيطة ومحدودة التكاليف سيرفر قدرات جيدة لتحلية المياه وتوفير تكاليف نقل أنواع الوقود الأخرى. ويضاف إلى ذلك الموارد المعدنية الكامنة، المراعى الفقيرة، والقليل من الأمطار الرعدية. وعلي كل حال تقع بعض المشكلات في سبيل التنمية الاقليمية للمنطقة هي :

مشكلة المياه

تجمع المنطقة استخدامات ثلاثة أنواع من المياه : الأبار (عذبة وغدقة) ومياه النيل النقلة وبعض محطات إعذاب ماء البحر الصغيرة، وتحاول جهات عدة تدبير حاجات السكان والاستخدامات الأخرى من المياه، ولكنها لا تنسق فيما بينها ، وينجم عن ذلك إقامة مشروعات صغيرة لاضى بالاحتياجات.

وتعد ندرة المياه أكبر معوقات تنمية المنطقة بصفة عامة، ولذا يمكن النظر لمياه النيل المنقولة بالأنابيب ، ممثلة في خط قنا - سفاجا (قطره ١٢ بوصة وطاقته ١١ ألف متر^٣ يومياً) باعتبارها أهم المصادر التي تغذى سفاجا والقصير والمناطق المحيطة بهما. غير أن سعر المياه المنقولة مرتفع نسبياً حيث يباع الطن في سفاجا ب ٣ جنيهات، وقد كانت المدن الواقعة على طول ساحل البحر الأحمر تزود جميعها بالمياه بواسطة السفن من السويس قبل إقامة الخط، وغالباً ما تصلها على فترات متباعدة حسب حركة نقل الحمامات المعدنية، مثلت مراسى علم وأبو غصون وحماطة وبرانيس محطات لذلك، أما الآن فتقوم السيارات (الصهاريج) بامدادها والتجمعات السكانية الأخرى بحاجة من المياه العذبة إما من القصير أو سفاجا.

وتلعب الأبار الواقعة لمي بطون الأودية الجافة أو قرب مصباتها المياه المنقولة في سد الحاجات المنزلية والصناعية - حسب جودتها - وربما كانت بترام خليجية القريبة من مرسى علم (تنتج ١٠٠ متر مكعب يومياً) وبئر أم جاهلية لمي مواجهة مرسى الحميرة ثم آبار حماطه وقلعان ودافى وأبو غصون مصادر هامة للمياه ويضاف إليها إسمكانات بعض الأحواض المحيطة بالقصير (أحواض كبيرة، ٦ صغيرة) والتي تضم احتياطياً جيداً من المياه الجوفية (أربعة آلاف متر مكعب).

أما المصدر الثالث فهو محطات إغذاب مياه البحر وأغلبها صغير الحجم جداً وقديم ولذلك لا تعمل بكفاءة دائماً ودورها محدود لمي الوفاء بحاجات المنطقة، وتوزع في المراكز الرئيسية، ففي سفاجا وحدة قديمة تنتج ٣٠ متر^٣ يومياً، ولمي الحمراوين ٥ وحدات تنتج ٥٠٠ متر^٣ للأغراض الصناعية والاستخدامات المنزلية للعاملين بشركة مصر للفوسفات، ولمي القصير وحدتان طاقتهما ١٠٠٠ متر مكعب يومياً، وفي برانيس وحدة طاقتها اليومية ١٠٠ متر مكعب ولكنها لا تعمل حالياً.

ولحل مشكلة المياه يقترح الباحث ما يأتي :

- ١ - دراسة موارد المياه الجوفية في المنطقة وتقدير احتمالاتها وبالذات في بعض أحواض الصخور الرسوبية المكونة من الحجر الرملي أو الجيري وفي السهل الساحلي .
- ٢ - تخزين مياه السيول بإقامة السدود علي أودية مختارة جيومورفولوجيا بدقة .
- ٣ - تزويد الأقليم بخطوط أنابيب إضافية لنقل المياه من قفط للقصير ومن إدفو لمرسى علم ومن كوم أمبو لبرائيس .
- ٤ - إقامة محطة اعذاب لمياه البحر في الجزء الجنوبي (جنوب برائيس) واستغلال مياهها في تعبير المنطقة زراعيا وورعوبا وتعلديا وتزويد مراكز الصيد الكثيرة نسبيا بحاجاتها من المياه .
- ٥ - ترشيد استخدامات المياه في الأغراض المختلفة .

مشكلات النقل :

وهي الثانية في الترتيب ، فالإقليم لا يفتقر لطرق النقل الجيدة فحسب ولكن لعدم العناية بها وضعف الحركة عليها دور آخر في إعاقة التنمية ، ويمكن أن يستفاد من البحر كطريق للنقل الرخيص إلى السويس وبورسودان والمواني السعودية ، كذلك يمتد محوران طوليان أحدهما في شرق الإقليم على الساحل والآخر في أقصى الغرب علي طول وادي النيل ، ويمكن إضافة طريق ثالث طولي عبر وادي قنا يربط جنوب البحر الأحمر بمرکز النقل السكاني في العاصمة وما حولها .

أما المحاور العرضية فيمثلها طريق قنا - سفاجا (١٦٠ كم) وإدفو - مرسى علم (٢٢٦ كم) وهما معبدان جيدا ، أما الثالث المستد بين قفط والقصير (١٨١ كم) فما يزال تعبيده دون المستوى اللائق في بعض أجزائه .

ويمكن إضافة ثلاث طرق أخرى هي (شكل ٣):

١ - طريق كوم أمبو - رأس حنكوداب مخترقا وادي شعيت ثم وادي جمال، ومنه يمكن الوصول للشيخ الشاذلي من مسافة أقل (٤٠ كم) نحو الجنوب مما هو عليه الحال الآن حيث تصل إلي ٧٠ كم من طريق إدلو - مرسى علم

٢ - طريق كوم أمبو - وادي الحريظ - وادي لمسي لمرسى وادي لمسي ويمكنه أن يتصل بعد ذلك ببرانيس.

٣ - طريق أسوان - وادي نعام - وادي طوده مرسى الحبيبه أو عبر وادي حوضين إلى بنز ثلاثين، وقد كان من المزمع تعبئته منذ عشر سنوات ولكن لم يتخذ منه سوى جزء ضئيل شرقي أسوان.

أما خط السكة الحديد فرغم ربطه الوادي بساحل البحر إلا أن الحركة ما تزال عليه قاصرة على البضائع، كما أن السيول كثيرا ما تعطله كما لوحظ ذلك أثناء الدراسة المحلية عند الكيلومتر ٧٠ من قنا، ويمكنه أن يخدم نقلات أكثر للسلع والبضائع لمحالطات جنوب الوادي بجانب توصيل حجاج الوجه القبلي لبناء سفاجا، وخدمته لعمال الناجم في منطقة القصير - المراوين. وتحتاج المنطقة للاستفادة من المطارات العسكرية المهجورة حاليا (٣٤) إنشاء مطارات جديدة في منطقة برانيس والاستفادة من مطار الأقصر الدولي بربطه مع طريق القصير عبر وادي حجازة.

مشكلة الحدود السياسية والإدارية والحياة الإقليمية:

وقد عبت الحدود بين مصر والسودان منذ عام ١٩٠٢ وانتزع من مصر قطاع عظيم على ساحل البحر ومباحته ١٢.٥ ألف من ٢ وطول جبهته الساحلية ٢ كم مقابل نتره جبل بارنازوحا داخل الصحراء في الأراضي

السودانية ومباحته ٩٠٠ كم ٢ بنسبة ١.٨٪ من قطاع علبة، وأثار خط الحدود بين الدولتين مشكلات في بعض الفترات وما يزال حتى الآن يثير عقبات في استغلال المعادن وصيد الأسماك ويمكن بالاتفاق علي اعتماد خط حدود واحد أن تتعاون الدولتان في استثمار المنطقة كلها.

المشكلات العسكرية:

وتحتل في السيطرة علي مواقع معينة وشغل ساحات كبيرة من الأرض تحتجز دون استغلال بجانب وجود مناطق متفرقة مزروعة بالالقمام علي الساحل تعتبر خطرا لأن بعضها لا توجد عليه تحذيرات كافية ، وهذه يمكن إزالتها طالما أن خرائطها لدى وزارةالدفاع.

المشكلات التلوث وأثاره:

لقد أصبحت أعداد من المدن والسفن ومراكز التعدين والمتجعات ومحطات التحلية والكهرباء تلقي بمخلفاتها في البحر، ويضاف حوادث السفن ومنصات استخراج البترول وفضلات أنابيبه ومصانع تركيز الحامات والمعادن الثقيلة والكيمائيات وتصنيعها - كل هذه تحمل بواسطة التيارات البحرية من مكان إلى آخر .

ويدخل ضمن الملوثات هذه تدمير الحياة الفطرية بالإفراط في الصيد واستعمال أدوات غير ملائمة فيه وقطع الأشجار الساحلية والشعاب المرجانية، وصيد الحيوانات والطيور النادرة على اليابس كل هذا يواكب التعبير والنشاط البشري. لذا يجب الاهتمام بإقامة المحميات مثلما هو الحال في قطاع عليه وضمان مراقبة تنفيذ التشريعات الخاصة بذلك.

وبجانب هذه هناك مشكلات أخرى اضافية تعوق التنمية في

المنطقة أهمية

- ١ - التجارة غير المشروعة في سلع مختلفة عبر الدروب الصحراوية وهذه لا يقلل منها سوى زيادة التعصير.
- ٢ - طالة الاستثمارات الموجهة للقسم الجنوبي من محافظة البحر الأحمر، وتعتبر خطط تنميتها.
- ٣ - صزارب وتنازع الاختصاصات بين الوزارات من ناحية وبين العمليات من ناحية أخرى.
- ٤ - للة أعداد السكان المقيمين في مراكز العمران الحالية وتقل أعداد أخرى منهم وراء الصيد والرعي وإقامتهم الموقنة المقترنة بالعودة الدورية لروادي النيل في حالة عمال المناجم وتعتبر منطقة الساحل الجنوبي الشرقي لمصر هذه من أقل الأقاليم الساحلية سكانا في البلاد، كما لوحظ أن نسب الذكورة والأمية عالية في هذه المنطقة، ومن ثم لا يهتد علي العاملين سوى في أعمال لا تتطلب مهارات خاصة.
- ٥ - افتقار المنطقة لمحطات الكهرباء باستثناء مدينة سفاجا مما يؤدي للاعتماد علي المولدات المحلية ويحد من أي أعمال إضافية عليها، بل تضطر بعض مراكز العمران (مثل أبوغصون) لقطع التيار في آخر الليل وأثناء فترة الصباح، وهنا يقترح الاستفادة من الطاقة الشمسية في توليد الكهرباء أو إقامة المحطات المزدوجة الغرض المحلية المياه وتوليد الكهرباء ذات القدرة العالية والتخلي عن إنشاء وحدات صغيرة ذات تقنيات قديمة كثيرا ما تصيبها الأعطال.
- ٦ - مشكلة التقسيم الإداري الحالي والطول المفرط لمحافظة البحر الأحمر (تزيد عن المسافة من القاهرة إلى أسوان كاملة) وبالتالي بعد الفردقة كحاضرة إدارية في الشمال عن المناطق الجنوبية، وهنا يمكن تجزئة المحافظة لقسمين أحدهما شمالي والآخر جنوبي علي أن تكون سفاجا حاضرة للجنوب ويتبعها مجموعة من المراكز في مرسى علم أبو غصون ويرانيس وخلائين.

- ٧ - ضعف دور الإعلام ممثلاً في الاذاعة والتليفزيون في المنطقة، والغريب أن بعض محطات تقوية القناة الفضائية لدول الخليج تقع في نفس المنطقة ولكن لا يستفاد من إرسالها وبالأذات في المراكز الواقعة جنوب أبوغصون.
- ٨ - ضعف الاهتمام بالمرافق، المجنوبة مثل القصير - مرسى علم - أبوغصون - برانيس ويمكن تدعيمها بتوجيه مزيد من الاستثمارات بل وإحياء موانئ، قديمة مثل عيذاب عند مصب وادي حرضين بعد ربطها بأسوان

المصادر والمراجع والهوامش

- 1 - Edwards, A., J., and Head, S., M., Red Sea Pergamon Press Oxford, 1987, p.2.
- 2 - Pearce, D., Tourist Development, Second Edition, John Wiley & Sons, New York, 1989, P.270.
- 3 - Stankey, G., H., Recreational Geography, Its evolution and Application to Problems of Wilderness Management in : Winters, H., and Winters, M., K., Applications of Geographic Research, Michigan State University, 1977, P.76-79.
- 4 - Forbes, D.K., The Geography of Underdevelopment, A Critical Survey, London, 1984, P.52.
- ٥ - اعتمد الباحث علي رحلة ميدانية قام بها للمنطقة في الفترة من ١٣ - ٢٠ مارس ١٩٩١ م ويتقدم بشكره لكل العاملين بشركة النصر للفوسفات بالسابعة والبحر الأحمر علي ما قدموه من تسهيلات واستخدمت في توثيق المادة العملية مجموعة من الخرائط الطبوغرافية حصل عليها من مقر الشركة في البحر الأحمر وقسم الجغرافيا بالاسكندرية مقاسات ١ : مليون ، ١ : ٥٠٠ ٠٠٠ ، ١ : ١٠٠ ٠٠٠ ، ١ : ٢٥ ٠٠٠ ، غطت المنطقة أو أجزاء منها .
- ٦ - يتفرع خط السكة الحديد المتجه إلى ابي طرطور من خط الوجه

القبلي إلى التحال قليلا من بلدة أبو شت الواقعة على مسافة
١٨ كم من تجمع حادي

٧ - عبد الفتاح محمد وهيبه ، مصر والعالم القديم - الاسكندرية
١٩٧٨ ، ص ٣٣٩ .

٨ - جمال حمدان، شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان ، الجزء
الأول، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٤٩٧ .

٩ - مصلحة المساحة الجيولوجية والتعدين ، خريطة مصر الجيولوجية
مقياس ١ : ٢٠٠٠٠٠٠ .

١٠ - ينطق اسمها محليا على هذا النحو، وتشير لوحات الطرق
الارشادية لذات الاسم .

١١ - جمال حمدان، المرجع السابق، ص ٤٩٩ .

١٢ - الجدول من اعدادالباحث اعتمادا على الخرائط الطبوغرافية والدراسة
الحقلية.

١٣ - حسين كفاي، المدن الصناعية في مصر، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٦٦،
ص ١٧٢ .

١٤ - عبد القادر عبد العزيز علي ، أطلق مصر المناخ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، القاهرة، ١٩٧٣، صفحات مختلفة.

15 - Arab Republic of Egypt, Ministry of Development, Red
Sea Governorate Regional Plan, Final Report Vol. I.
Main Report, Cairo, 1980

١٦ - تسخن كيات من الفوسفات من الحمرارين بلغت ١١٠ ألف طن
عام ١٩٩٠ بهذه الطريقة

١٧ - درس محمد مرسى الحريري، ميناء سفاجا في بحث نشر
بالاسكندرية عام ١٩٨٥، كما درست التصير في بحث للدكتور

احمد عبدالله حميد بعنوان القصير بين التعدين والسياحة نشر في
مجلة كلية آداب الرقازيق، العدد الرابع، ١٩٩٠، ص ١٠٦ -
١٥٨.

١٨ - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، التعداد العام للسكان
والإسكان والمنشآت عام ١٩٨٦، النتائج الأولية المدن، القاهرة
١٩٨٨، ص ٢٨، ٢٧.

١٩ - بيانات حصل عليها الباحث من السيد / رئيس قطاع الشئون
الإدارية بشركة لوسقات البحر الأحمر بتاريخ ١٩ / ٢ / ١٩٩١
٢٠ - يبدأ خط السكة الحديد من قنا متجها نحو الشرق حتى ك ٨٥
(منتصف المسافة تقريبا) وينتهي بعدها صوب الجنوب الشرقي
نحو القصير ليسير محاذيا لساحل البحر الأحمر شمالا مارا
بالحمراوين حتى سفاجا (المسافة ٥٢ كم)، وبذلك يصل طوله
الإجمالي إلى ٣١١ كم، والهدف هنا تجنب الانحناءات الشديدة في
الجزء الشرقي من طريق سفاجا- قنا وخدمة مناجم القصير، وقد
أقيمت محطتان على الساحل إحداها على بعد ٩ كم والأخرى
بعد ٢٢ كم من سفاجا نحو الجنوب.

٢١ - قام محمد الفتحي بكبير بدراسة مستوطنة أبو غصون تفصيلا
خلال نفس الفترة التي أعد فيها هذا البحث.

22- Ministry of Development, Op., Cit, P.58.

٢٣ - بيانات حصل عليها الباحث من السيد / شاذلي عبد السلام
عبد الكريم من رؤساء قبائل العيالة بتاريخ ١٨ / ٢ /
١٩٩١.

24 - Ministry of Development, Op., Cit, P., 122.

ويمل الباحث على ضرورة ملاحظاته الحقلية للتقدير الأقل.

٢٥ - حديث مع الشيخ علي القريايى سكريرالحزب الوطنى بالمنطقة بتاريخ ١٧ / ٢ / ١٩٩١،

٢٦ - البيانات ضمن تقرير وزارة التعمير عن تنمية محافظة البحر الأحمر حتى عام ٢٠٠٥، ص ٣٣، والنسب المئوية من حساب الباحث

٢٧ - وضعت وزارة التعمير خططاً جيدة لتنمية شواطئ بحيرة ناصر ولكن أثبتت دراسات الباحث في المنطقة أنها مجرد دراسات وأبحاث لم ينفذ منها سوى القليل جداً ، راجع رسالة الدكتوراة عن التنمية في محافظة أسوان عام ١٩٨٤، ويحث أعد عن مدينة أبو سمبل عام ١٩٩٠.

٢٨ - من هذه الأعشاب "الحرجل" وحلف البر" وتصار "الحنظل" " والشيخ" ويستعمل منقوعها كشراب أو تبت موضعياً علي مكان الألم

29 - Ministry of Development , op.cit, p. , 191 .

30 - Pearce, D., op. cit, PP: 11 - 19.

٣١ - وزارة السياحة ، قسم التخطيط السياحى، عن التنمية السياحية في محافظة البحر الأحمر ، بيانات غير منشورة .

٣٢ - بيانات ميدانية جمعها الباحث من أبو غصون وسفاجا .

33 - Seitkurbanov, S., Problems of Utilization of Energy of the Sun, Wind and Biomass., Problems of Desert development Number 2, 1990, PP: 29 - 34.

٣٤ - من أمثلتها المطار الواقع علي طريق إدفو - مرسى علم .

ثقافة الإسكندرية القديمة واثرها في حضارات العصر القديم
وفي الفكر الفلسفي الإسلامي خاصة

الأستاذ الدكتور / محمد علي أبو ريان

ثقافة الاسكندرية القديمة وأثرها في حضارات العصر القديم

وفي الفكر الفلسفي الإسلامي خاصة

أ.د/محمد علي أبو زيدان

مدخل عام

التيارات الفلسفية في العصر الهلنستي

نحن نعرف أن المسار التاريخي للفكر قد تجدد في ثلاثة أديار أو

مراحل:

المرحلة الأولى : وهي تتمثل في دور النشأة وتمتد من طاليس إلى سقراط.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة كبار السقراطيين : أفلاطون وأرسطر.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الذبول وفيها تظهر مدارس صفار السقراطيين والأبيقورية والرواقية والفيثاغورية الجديدة، والصورة الأخيرة التي انتهى إليها مذهب أفلاطون في المثل بالاضافة الى تيار الفكر اليهودي المتأثر بالافلاطونية عند فيلون السكندري ثم حركة المدافعين عن المسيحية ثم تيار الفلسفة الافلاطونية المحدثة الذي ظل يحدث أثرا كبيرا في الحياة العقلية والدينية في منطقة الشرق الاوسط وقد تركز في الاسكندرية القديمة وفعيها في أثينا وبيروت وامتد تأثيره على امتداد الساحل الافريقي الشمالي ولاسيما في المدن الخمس اليونانية في ليبيا والتي كان اليونان قد بدأوا في إنشائها قبل ظهور الاسكندرية.

ويبدو أن من أسباب تأسيس الاسكندرية في النصف الثالث من القرن الرابع ق.م هو أن تكون نقطة انطلاق إلى هذه المدن الخمس المشار إليها حيث أن العلماء والفلاسفة كانوا يبدأون الرحلة من مصر متجهين إلى هذه المدن على الساحل الافريقي وهكذا فعل أفلاطون قبل إنشاء الاسكندرية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الاسكندرية القديمة أصبحت منذ نشأتها مركزا لعبادة آلهة

اليونان في مواجهة المد الديني لمصر الفرعونية والتمثل في عبادة الآلهة أمون الذي أقام له الإسكندر معبداً في سبوة في الجلاء جنوب غربي الإسكندرية، وربما كان ظهور الاسكندرية بمثابة عملية حفظ للتوازن بين دين مصر ممثلاً في عبادة أمون ودين آله اليونان في الاسكندرية.

على أننا نلاحظ أن آثار هذه المدرسة الفلسفية والعلمية الكبرى قد تخطى الساحل الأفريقي بعد اهتمام البطالمة بالعلم وإنشائهم للمتحف والمكتبة الضخمة التي توافد عليها العلماء من سائر أنحاء العالم القديم وظهر أثره في صقلية حيث اكتشفت الرقائق الذهبية للفيثاغورية الجديدة وفي جنوبي إيطاليا التي سميت بالمستعمرات اليونانية حيث كان للفيثاغوريين دورهم الكبير في عمليات التآمر على الإمبراطورية الرومانية هنا بالإضافة إلى التأثير المباشر للرواقية في روما على يد " أبكتيتوس " و " نيكاس " و " مرقس أوريليوس ". ولم تلبث هذه التيارات الفلسفية أن انحصرت عن روما بعد أنقام الدولة الرومانية إلى غربية وشرقية " بيزنطية " وقعت الاسكندرية تحت دائرة نفوذ الدولة الرومانية الشرقية، ولم يكن حظ الاسكندرية في ظل هذه التبعية يدعو إلى التفاؤل ، بل كانت هذه المرحلة الأخيرة في حياة المدينة بمثابة لعصر الأفول للذكر الفلسفي، واضمحلال الجامعة لاسيما بعد انتشار المسيحية، وما صاحبها من حركات الإضطهاد الديني وشيوع مريجة من التعصب والجهل في مواجهة العلم والفلسفة بعد أن كان العلماء والفلاسفة يلقون كل حفاوة وتكريم في أحضان روما حيث استقبال أفلاطون على محفة ذهبية خارج روما وكان على رأس المستقبلين الإمبراطورة " سالونين " .

وعلى أية حال فإن العصر كله بشقيه البطلمي والروماني المتمثل في سيادة روما أو بيزنطة لم يكن عصر خلق أو إبداع فلسفي، إذ كان يمثل مرحلة الذبول والتلفيق في الفكر اليوناني الذي يعرف بمرحلة الثقافة الهلنيسية حيث

تداخلت فيها تيارات شرقية دينية وسحرية مع تيارات الفلسفة اليونانية التي شقت طريقها إلى الإسكندرية وقدت هذه المرحلة الأخيرة "الهيلينستية" من أوائل القرن الرابع قبل الميلاد إلى أواخر القرن الخامس الميلادى.

٢- تطور الفلسفة والعلم فى المرحلة الهيلينستية:

لقد اتضح لنا كيف أن الحركة الفلسفية فى الإسكندرية القديمة قد صاحبت قيام المدينة منذ نشأتها إلى إغلاق مدارسها طوال المرحلة الهيلينستية التى لم تكن مرحلة إبداع فكرى أو فلسفة يونانية خالصة وقد سبق الإشارة إلى أن حظ الاسكندرية من النمو والإزدهار أو الركود فيما بعد كان مرتبطا بوضعها السياسى أولا ثم بانتشار المسيحية ثانيا وهذا يمكن تقسيم المرحلة الهيلينستية إلى ثلاث فترات من الناحية السياسية.

١- الفترة الأولى:

وهى تبدأ من إنشاء المدينة على يد الإسكندر إلى سقوط الحكم البطلمى لانتهاء حكم كليوبترا لمصر وخضوع البلاد لروما ، وهذه فترة ازدهار العالم وتقدمها فى المدينة رغم تعدد التيارات الفلسفية وضحالة الفكر وغلبة الحدة والإبداع وسيادة النزعات المصرقية والسحرية وطغيانها على دور العقل وسيطرتها على الحركة الثقافية فى المدينة ومن الناحية العلمية نجد فى هذه الفترة شخصيات عدة من أمثال إقليدس عام ٢٧٥ ق.م "ايراتوستين" ٢٧٥ - ١٨٤ ق.م. أمين مكتبة الاسكندرية فى العصر البطلمى والمؤرخ الجغرافى المشهور الذى قاس محيط الارض وظلت تعاليمه تدرس فى أوروبا خلال أربعة عشر قرنا وبعد ذلك فقد عرفنا عن طريق تعاليمه أن الأرض كروية وأن لها قطبين ومحور وخط استواء ودائرتين قطبيتين وأن هذا يشير إلى تمايز مناخ الاقاليم على سطح الارض ثم معرفة أوجه القمر ومنازلة. وقد ظهر إلى جوار هؤلاء "أبولونيوس" و "تيسوكارس" و"جالينوس" فى الطب و"هيرودن" فى

الميكانيكا العلمية وكانت هذه الفنون العملية تدرس مرتبطة بالفلسفة ولا سيما الطب ولم تظهر دراسة الطب التجريبي إلا عند العلماء من أمثال سكستوس أمبريكوس الذين التزموا بضرورة قيام الطب على منهج الملاحظة أما الرياضة والموسيقى والفلك فأنها لم تكن ترتبط بالفلسفة إلا بقدر نفعها في مجال العمل. ولكن أحد الأفلاطونيين وهو تيرن السيرنى أشار في كتاب له عام ١٢٥م إلى أن المعارف الرياضية ضرورية لدارسى الفلسفة لإجادة قراءة أفلاطون ويبدو أنه كان على علم بما انتهت إليه فلسفة أفلاطون من استخدام الرياضة للتعبير عن المنهج في جملته وكذلك أشار هذا المؤلف إلى أن فيلون السكندري استخدم الحساب لكي يمهّد للرمزية العددية في تأويلاته المشهورة .

٢- الفترة الثانية:

وهي تمتد من انتهاء حكم البطالمة إلى نهاية السيطرة الرومانية على الاسكندرية وبداية خضوعها لحكم الدولة البيزنطية أى الدولة الرومانية ويلاحظ على هذه الفترة أنها كانت استمراراً لازدهار الحركة العلمية في الاسكندرية وتقديم علوم الفلك والرياضيات والطب وعلوم الأحياء وقد ظهر في هذه الفترة نخبة من العلماء في مدينة الإسكندرية كان لهم الأثر الكبير في تقدم العلوم وانتشارها في منطقة العالم القديم حتى بعد القرن السادس الميلادي . أما التيارات الفلسفية فقد استمرت في الحقبة الأولى من هذه الفترة الثانية بالصورة التي كانت عليها من قبل كظلال باهتة لأراء المدارس القديمة عند اليونان والتي انتهت إلى تعارض وتباعد وانحدرت إلى نوع من الخطأ والبيان كان يحذر منه الفيلسوف الرواقى ابيكتيتوس بينما كان سينكا يجيد هذا الأسلوب ويدعو طلبته إلى استخدام الأسلوب الأدبي في الفلسفة وتداخلت الممارسات الدينية الشرقية وكذلك الدين اليونانى القديم ودين الإله ميسرا، والدين اليهودي، وتعاليم الغنوصية والهرمسية وما تسلل إلى الوسط الثقافي من تعاليم المسيحية خلال

القرنين الأول والثاني والثالث بعد الميلاد فتخلت هذه العناصر كلها مع الفلسفة التي كانت تتسم بالنزعة التلقينية كما كان حالها في الفترة الأولى فيجمع الفلاسفة أقوال أرسطو إلى أفلاطون ويعلقون عليها، وكان الهدف كما ذكرنا هو الوصول بالنفس إلى مرتبة التصور والخلاص الديني والاخلاقي لتحقيق الطمأنينة والسكينة وسلام النفس بحيث أصبح الفيلسوف مرشداً روحياً بعيداً عن أسلوب العقل والمنطق. وحتى إذا عن أحدهم مثل ألبينوس الأفلاطوني أن يعتبروا الفلسفة هي الميل إلى التأمل والرغبة في الحكمة إلا أنه لا يكتفى بهذا التعريف للفلسفة بل إنه يقول أنها في نفس الوقت تحقق خلاص النفس وخروجها من الجسد واتجاهها إلى المعقولات والموجدات الحقة فليس المهم هو الحصول على معرفة خالصة، ولكن المهم هو ما تحدثه هذه المعرفة من أثر في النفس وتطهرها وخلصها.

هذا هو نسق الفلسفة والدين الذي كان سائداً في القرنين الأول والثاني للميلاد وقد ظل الوضع على هذا النحو إلى أن قام أفلاطون تلميذ أريستو ساكاس لكي يعلن الحاجة المتفقين ملهه الجديد وهو "الأفلاطونية المحدثة" لكي يعارض النسق المسيحي أو لكي يقدم دليلاً للإجهاجات الدينية التي كانت تحكم سطوتها على الثقافة والفكر والممارسات الروحية في الإسكندرية وفي المنطقة كلها، فمن ناحية تصدت الأفلاطونية المحدثة للدين الجديد وقدمت للمؤمنين صورة فلسفية للأقائيم الثلاثة المسيحية ومن ناحية أخرى أراد أفلاطون إشباع حاجة العصر إلى نسق روحى يحقق لهم السعادة عن طريق الوصول إلى السكينة كما ذكرنا وهنا هو أسلوب النزعات الفنوصية والهرمسية، وكذلك الأوروبية القديمة التي انتشرت في مدن البحر الأبيض المتوسط وصاحبها التيار الفيثاغورى الجديد.

وقد كان حكام روما يبحثون عن دين عالمي للامبراطورية يكون بمثابة

الدين الواحد لجميع الشعوب والأجناس، وجاء أفلوطين كما أشرنا لكي يقدم هذا النسق للخاصه بعد أن استشري خطر انتشار المسيحية بين العامة والأرقاء - في الدولة الرومانية وترفعت الطبقة الحاكمة والمثقفون والأغنياء عن مجاراة عامة الشعوب واعتناق المسيحية مثلهم وكانت الأفلاطونية المحدثة هي البديل الذي يقدم لهم بديلاً عن المسيحية دين التطهر والخلاص الجديد .

وهكذا ترى أنه بعد ظهور الفلسفة الأفلاطونية المحدثة كيف تصب سائر التيارات الفلسفية المعارضة، وتنصر في فلسفة أفلوطين التي تحمل طابع العصر

كله، أي الطابع الهلنستيني سواء في الإسكندرية أو في قرعيا في أثينا أو في بيروت الى نهاية العلم والفلسفة في خلال العصر البيزنطي.

٣- أهم الفترة الثالثة

وهي تبدأ من تاريخ انقسام الدولة الرومانية إلى شرقية وغربية أي نتره خضوع المدينة للحكم البيزنطي، وتعد هذه الفترة من أكثر الفترات تأثيراً واضطراباً في تاريخ المدينة ، وكذلك في منطق الشرق الأوسط بصفة عامة وازدياد التيار المسيحي ومحاولات المسيحيين نشر دعوتهم في المدينة ومهاجمة الطقوس الوثنية، وتكوين رأي عام مسيحي في مصر التي انحاز معظم أهلها إلى المسيحية قبل أن تعلن الدولة البيزنطية أن المسيحية هي دينها الرسمي، وما يدل على ظهور التأثير المسيحي في مدرسة الاسكندرية المتأخرة هو ظهور حركات التوفيق بين الدين والفلسفة عند أمثال يوحنا الفليبوني المعروف عند العرب باسم يوحنا النحوي، وقد ألفاً هو ومعاصروه من أمثال: دمسكوس اسقيلبوس واسطفن السكندري، وهم يشكلون جملة المعين للعمل المسيحي بعد أن تنصروا في النصف الأول من القرن السادس الميلادي وقد عمل هؤلاء على تحويل مسارا الافلاطونية إلى وجهة مسيحية.

على أن بداية التحويل التدريجى إلى المسيحية كان قد تم قبل النهاية للمدينة عام ٥٢٩م عندما أعلن جستنيان إغلاق مدارس الفلسفة الوثنية فى الاسكندرية ورواقدها العلمية الأخرى، وقد بدأت الدعوة العلنية إلى المسيحية تأخذ طريقها إلى جموع الشعب عندما رُسم بطريرك "ثيوفيلوس" أسقفًا مسيحياً للاسكندرية فى منتصف القرن الرابع الميلادى، وهكذا بدأ انهيار صرح الثقافة منذ ذلك العهد فعمتها موجة من الاضطرابات وسفك دماء الفلاسفة والعلماء وسحلهم فى الشوارع مثل ما حدث لعائلة الرياضة (هيباثيا) وأمر ثيوفيلوس بتدمير واحراق كل مؤسسات الدين والفكر الوثنى، ويذكر أرويسوس بأنه لم يعد للمكتبة- ويقصد بها مكتبة السيرايموم الصغرى- وجود عام ٤١٦م أى قبل فتح العرب لمصر بقرنين، ومن ثم فقد بُرئت ماحة العرب من قضية احراقهم للمكتبة على يد عمرو بن العاص عند فتحهم لمصر وقد فُند بظرف فى كتابه فتح مصر هذه الدعوى ورد على من اذاعوها من المستشرقين أو من الكتاب الإسلاميين الذين ينتقلون عن الترجمات المسيحية بدون تمحيص.

على أننا يجب أن نميز بين المكتبة الكبرى والمكتبة الصغرى: (مكتبة السيرايموم)، ويبدو أن الاولى احرقت على يد فليصر فى معركة أكتيوم البحرية عام ٣٨ق.م ويذكر "بلرتارك" وقلوطرخس أن أنطونيوس أهدى كليوباترا مائتى ألف مجلد من مكتبة بروجام السورية التى كانت تمثل الفرع الشرقى لمدينة الاسكندرية.

ويبدو أن مصير المرصد والتحف ومنشآت الجامعة القديمة كلها قد لقيت نفس المصير ابان الاضطرابات المسيحية التى استمرت زهاء قرنين، أى منذ منتصف القرن الرابع الميلادى إلى أغلاق المدرسة نهائياً، وقد نجم عن هذه الأحداث المدمرة أن اتجه كبار الأطباء والفلاسفة والعلماء الى شمال العراق فى حركة فرار تاريخية كبرى الى شمال العراق للإستئطال بحماية كسرى ولينقلوا

الى الفرس ثقافة اليونان القديمة، بعد أن لفظتها الدولة البيزنطية المسيحية،
العدو اللدود لدولة الاكاسرة، ولكن هؤلاء العلماء لم يكن لهم أى أثر فى الحياة
الثقافية لفارس القديمة وقد دلى المستشرق بول كراوس على عدم صحة الدعوى
التي أثارها البعض من أن منطق أرسطو قد نُقل الى الفارسية قبل الاسلام.

وقد كان من الممكن أن تحدث حضارة الاسكندرية وثقافتها أثرها فى
مصر كلها، ولكن الحقيقة أن المدينة ظلت معزولة بأسوارها وأبوابها الضخمة
مادياً ومعنوياً عن سائر ربوع مصر، بل أن الداخل اليها من المصريين للاتامة
كان عليه أن يستبدل باسمه المصرى إسماً يونانياً كما فعل أنطونين.

على أن العلماء الفارين من الإسكندرية إلى شمال العراق القديم لم يستقر
بهم المقام فى هذه البقعة حول مدينة جنديسابور الفارسية حيثذاك، بل دفعت بهم
الاحداث إلى غربى هذه المنطقة ولا سيما بعد الفتح الاسلامى وانتهت بهم
المسيرة العلمية إلى بغداد، يقول الفارابى، " إن المدرسة العلمية والفلسفية
تكونت فيما بعد فى أنطاكية " ويؤرخ المسعودى لتاريخ هذه الحركة ذاكراً أن
العلماء انتقلوا إلى حران فى عهد المتوكل العباسى وقد تنصر هؤلاء جميعاً فيما
بعد وقبل ظهور الإسلام بعد التحامهم بطائفة السريان المسيحية التي كانت
تسكن هذه المنطقة حيث ظهرت فيها مدرسة الرها ونصيبين من اتباع النسطورة،
وكان من بينهم جورجيجيوس العرب وطيمانوس الجاثليق، ويبدو أن آراء السريان
المسيحية كان لها تأثيرها على العلماء والفلاسفة والاطباء المهاجرين من
الإسكندرية فى منطقة أبطاليا وماحولها، وقد انصب هذا التأثير فى عملية النقل
من اليونانية إلى السريانية أو الى اللغة العربية فى العالم الإسلامى فيما بعد،
وكان يغلب على مدارس النقلة صناعة الطب والمنطق، وسمى القائلون عليها
باسم رؤساء المدارس وانتقلت هذه إلى بغداد فى نهاية القرن الثالث الهجرى
(التاسع الميلادى) حيث انتقل أربعة من الفلاسفة النصارى من حران إلى بغداد

فى خلافة المتوكل العباسى وفى نهاية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) أنشأت دار الحكمة فى بغداد وعرف من أساتذتها الأسقف السريانى اسرائيل قوبرى ويوحنا بن جيلان ويحيى المودى وابن كرتيب وأبو بشر متى بن يونس ومن بعده الفارابى.

وقد عكف السريان على نقل كتب الصنعة أولا، ثم كتب الطب لرغبة الخلفاء العباسيين فى عصر الدولة العباسية الاولى وكان النقل يتم من اليونانية الى السريانية ثم من السريانية الى العربية أو من اليونانية الى العربية مباشرة وقد نقلت كتب المنطق قبل كتب الفلسفة، وفى عصر المأمون تم نقل الكتب الفلسفية حسب طلبه بعد حلم رأى فيه أرسطو كان يذكر الإسلاميون.

ويلاحظ من ناحية أخرى أن هذه الترجمات التى نقلت إلى الاسلاميين قد وصلت إليهم بعد أن كانوا قد بلغوا درجة الرقى والدراية العقلية ثقلت فيما وضعوه من قواعد وأحكام قياسية فى حكم أصول الفكره

ولما كانت الترجمات اليونانية قد جاءت ملفقة لحمل طابع التحيز الهلنستى بالإضافة إلى ما انطوت عليه من أخطاء تاريخية ومذهبية - فى عهد التحرير، وفى كتابات بلوتارك وديوجين اللايرسى بصفة خاصة فقد عانى من تناقضاتها المفكرين الاسلاميين، ولم يسع أحد منهم أن يقوم بتصحيح أخطائها لانها نقلت اليهم وكأنها تمثل أعظم تراث أنتجته الانسانية عبر تاريخها الطويل. ولقد حاول الاسلاميون التوفيق بين آراء الكتب المنقولة المتعارضة بطريقة تعسفية كما فعل الفارابى فى كتابه الجمع بين رأى الحكمين.

ومن ثم فإن الفلسفة اليونانية فيما عدا المنطق كان لها تأثيرها المعاكس على الفكر الإسلامى، وقد جنت على تقدمه وأعادت مسيرته التلقائية كما سبق أن ذكرنا.

ولم تلبث هذه الفلسفة التليفيتية أن تكشفت فيما بعد نتيجة لظهور

نصوص أرسطية خالصة كان لها أثرها في ظهور أرسطو الحقيقي فيما بعد عند ابن رشد، وإحياء آراء أفلاطون الحقيقي في المدرسة الإشراقية ومع ذلك فقد ظلت نظرية الفيض القائمة على العقول العشرة الكونية هي البنية الأساسية للفكر الفلسفي الميتافيزيقي في الإسلام وكان أرسطو قد وضع الأساس الأول لهذه النظرية فيما أسماه بعقول الكواكب والأفلاك، وجاء الاسكندر الافروديسي لكي يجعل من العقل الفعال الإنساني بحسب أرسطو عقلاً كونياً مفارقاً ومتفصلاً عن الإنسان.

ومضى فيما بعد كيف استطاع أفلوطين مثل الحركة الفلسفية المزدهرة في الإسكندرية أن يضع نظرية الصدور ابتداء من الواحد مستعينا في ذلك بسائر المذاهب الفلسفية من فيثاغورث إلى أفلاطون إلى أرسطو بل والرواقية والغنوصية وأديان الشرق كلها، فما هي حقيقة الموقف الأفلوطيني وما هو مسار مدرسته إلى انتهاء تاريخ الاسكندرية القديمة....

الأفلاطونية المحدثة وتطورها:

كان أفلوطين (٢٠٤-٢٧٠م) قد تلمذ على يد أمونيوس سكاكس في الإسكندرية ، ولازمه أحد عشرة عاماً ثم أمضى بقية حياته في مدرسته التي أنشأها في روما . وكانت الحاجة ماسة إلى مذهب فلسفي يشج الحاجة في الاسكندرية والعالم في هذه الفترة، لا سيما بعد أن فشلت الرواقية في أن تصبح ديناً عالمياً لتسد هذا المطلب الجوهرى لأباطرة الرومان.

وجاءت الأفلاطونية المحدثة بما فيها من نزعة صوفية عالية وقولها بالأقانيم الثلاثة، الواحد والعقل والنفس في مقابل الآب والإبن والروح القدس. وقد أودع أفلوطين تعاليمه في التاسوعات التي أخرجها فوفوديوس بالصورة التي لمجدها عليها، ستة أقسام بكل منها تسع رسائل ، وتتناول التساعية الأولى النفس الانسانية، والثانية والثالثة العالم المحسوس والرابعة النفس والخامسة

العقل والسادسة الوجود بصفة عامة أو العالم العلوى.

وتتلور التاسوعات حول فكرة رئيسية هى وحدة وجود ضرورية يعتبر فيها الوجود الكلى مجلى لفيض تدريجى عن الواحد، ولا لمبت هذا الفيض الحيوى أن يعود ثانية إلى الواحد فى حركة صعود أبستمولوجية تهدف نهائى للوجود. وينبثق العقل الأول من الواحد فى نطاق عملية الصدور التى تأخذ فى التمدد والانتشار فى صورة أحزمة أشعة نورانية ثم لا تلبث النفس الكلية أن تأخذ طريقها إلى الظهور النورانى المعتدل وترسب المادة فى المرحلة الدنيا للصدورات كأنها أشعة دابلة كظلال شبحية للأتوار العليا الصادرة عما يذكرونا بالعالم المادى المحسوس الرهس الشيحى عند أنلاطون كما يساعدنا الجدول الصاعد فى الكشف عن هذه الواحدات الصادرة وتتبع مسارها صعوداً ونحن متعلقون بحبل الشعاع متجهين إلى جناب الحق فيكون لنا طريق نازل وطريق صاعد.

(١) الجدول الصاعد:

وتبه تصعد النفس إلى الواحد وهو يتمثل فى الإدراك الحسى بداية ثم الإستدلال العقلى، وأخيراً الحدس الصوفى، إذ تتجه النفس الجزئية أولاً إلى كثرة المحسوسات، فترى أنه لابد من وجود تنظيم أو منظم لها يحفظ عليها وحدتها كالجيش والمجوفة الموسيقية ولا تلبث النفس أن تكشف مصدر الوحدة فى المحسوسات وهى النفس الكلية، ويتقدم سير الجدول الصاعد بعد أن يكشف لنا عن حقيقة هامة وهى أن علة النظام المشاهد فى العالم المحسوس هو النفس الكلية المثبتة فى أرجائه، ولكن سرعان ما يظهر لنا أن النفس ليست هى الوحدة الكلية بل هى تشارك فى الوحدة فحسب. أما الوحدة المعقولة فهى تتمثل فى العقل الكلى الذى يجذب فيه المعقولات مترابطة فى صورة عالم معقول يعود بنا إلى عالم أنلاطون التالى.

ولكن العقل الكلى لا يمكن أن يكون عاتلاً ومعقلاً فى نفس الوقت أى أنه لا يمكن أن يعقل موضوعاته لأن ذلك يحدث ازدواجاً فى ذاتيته تنتفى معه بساطته المعقولة، فتبقى النفس الكلية التى انتهى سير الجدول الصاعد إليها قبل العقل الأول أنه لا بد أن يكون له وضع اسمى من ذاتيته وهكذا تكتشف الواحد بالذات الذى هو علة وجود العقل الأول وعلة وجود كل شىء على الإطلاق.

وهذا الواحد ينتهى لديه فعل التعقل والفهم أى تعقل ذاته وسائر الموجودات الأخرى. هذا هو الواحد، وهو الخير باللمات المفرد من كل محتوى وهو النبع النورانى الخالص الدائم، كما لو كان نبأً ينشق الماء منه باستمرار دون أن ينقص منه شيئاً، أو كالشمس التى تصدر أشعتها دون أن ينقص من نورها أو حرارتها شيئاً.

(٢) الجدول النازل:

على أن أفلاطون لا يكتفى بالجدول الصاعد وحده للكشف عن وحدات الوجود الصادرة، بل هو يستخدم منهجاً جدلياً آخر هو منهجه الجدلى النازل، وهو يتخذ عكس طريق الجدول الصاعد وهو هنا يستعير من أفلاطون خطوات الرحلة الروحية أو التجربة الصوفية التى يعاينها بداية من انطلاق الأول من الكشف فى رحلة الصعود الى الواحد ثم العودة من الواحد إلى الأشياء ثانية فيما يسمى بالجدول النازل. فنرى أفلاطون أولاً متفقاً مع نتائج المذهب الأفلاطونى المتأخر فى ضرورة الشفوية، إن الواحد يقال على أنحاء عدة فهو واحد فى ذاتيته، أى أنه ذاتية غير منقسمة إلى أجزاء، وهو أيضاً واحد حسابياً أى لا يتعدد وهو واحد كذلك لأنه لا تمايز فيه بين اللات والصفات، وهو واحد أخيراً لوحدة الفعل فيه بين الفاعل والمفعول فى ذاته، فلا ازدواجية اقتضاء، لأى حدوث فى ذاته القديمة.

ويحاول أفلاطون الكشف عن الواحد بأسلوب شعرى حتى يتخطى

الصعوبات التي قد يواجها في هذا المجال إذ أنه لا يقيم براهين عقلية على الوجود الواحد بل يكتفى بما يشبه الرؤيا الصوفية التي لا تعد دليلاً على وجوده فهو يقول إن الواحد يتجه إلى ذاته بتأملها فيصدر عن هذا التأمل العقل العقل الأول ويأجها العقل الأول إلى ذاته تتج عنه النفس الكلية وتصدر عن النفس الكلية نفوس الاحياء الماتية والمادة..... الخ.

وهكذا تكتمل صورة العالمين المعقول والمحسوس. ويبدو أن المذهب عند أفلاطون ينطوي على اتجاهين متطابقين أحدهما الإجهاد إلى الوجود على أنه مزلف من سلسلة من الصور أو المقولات التي يعتمد اللاحق فيها في إيجاده على السابق. وهذه السلسلة هي موضوع تفكير عقلى للنفس، أما الإجهاد الأخير فيقوم على اعتبار أن هذه الوحدات المكونة لسلسلة الفيض هي في نفس الوقت مراتب أو معطيات روحية تظهرية صرفية يصعد من خلالها السالك إلى هدفه النهائي وهو الواحد، ولجهد بالفعل عند أفلاطون تطابق هذين الاتجاهين وترابطهما.

(٣) نظرية الصذور وأصلها الأفلاطوني (الرياضي):

إن فكرة الصذور هي النتيجة المباشرة لتطور مذهب أفلاطون في الأكاديمية والآراء الشفوية مزوداً بنظرية الرماتيط الفنوصية. وترد نظرية أفلاطون إلى نظرية فلكية عن السماء المحسوسة مستمدة من تأملات أبلوكس الفلكي في القرن الخامس قبل الميلاد فالسما عند مركبة من أنلاك مركزية، والفلك الذي تصدر عنه أكبر الأشعة يحتوى على الثابت، أما الأنلاك التي تقل عنه في قرة الإشعاع فإن كلا منها يشتمل على كوكب سيار، ولهذا العالم السماوى المحسوس تأثير على عالمنا لأرضى المحسوس فتوضع حركاته للضرورة، ويكون أزلياً تتعاقب فيه الأدوار الواحد تلو الآخر، ومن هنا لجهد مصدر نظرية الأنلاك والأدوار والأكوار الاسماعلية، ولجهد في التساعية الثانية والمقالة الأولى دفاعاً حاراً من أفلاطون عن هذا التطور الفلكي للعالم وا تنقاده للآراء المعارضة له

عند الرواقين والغنوصيين للعالم ودفاعه عن قدم العالم وأزليته، وعن تيماسوس أفلاطون الذي فهم المسلمون والمسيحيون على سبيل الخطأ أنه قال بتقديم العالم عند تقديمه للصانع ليخلق بحساب مثال الإله أن يخلقه في الزمان.

ومعرض أفلاطون مرقفه من الصدور، فيرى أنه لما كان هذا العالم المحسوس بنظري على نظام معين يتحقق في الزمان والمكان فيجب إذن أن يكون مبدأ هذا العالم نظاماً معقولاً ثابتاً يحتوى على سائر العلاقات والتنظيمات التي نراها في العالم المحسوس، ولكن تصور أزليته تتفق مع طبيعة العقل الخالص وهذا المبدأ أي الصادر الأول وهو العقل، فهذا إذن نظام المعقول مناسب لصدور الكثرة عن الواحد.

إذا كان الواحد كاملاً وخصب الوجود فلماذا إذن يتجه إلى الإيجاد، أو بمعنى آخر ما سبب صدور الكثرة عن الوحدة ؟

لقد عالج أفلاطون هذه المشكلة متأثراً بمذهب بارمنيدس فأثبت الوحدة ونفى الكثرة، إذ أنه في فيليروس بدأ تفسيره الرياضى للمثل حيث تكلم عن الواحد والثلاثي اللامحدد وهو أن أصل الكثرة تبدأ من الثلاثي اللامحدد لينتهي عند العدد عشرة، ويذكر أفلاطون بهذا الصدد أن الأعداد العشرة من واحد إلى عشرة هي أعداد مثالية، وهي أصول الموجودات كذلك عند الفيثاغوريين أيضاً، وسميها أفلاطون بالأمهات أو بالأصول الأعلى وهي نفسها ما سميها شارحه ابن سينا التعليقات المفارقة الأفلاطونية. وقد انتقلت نظرية العقول العشرة إلى المسلمين والمسيحيين فيما بعد عن طريق النصارى الأفلاطونية ومن خلال ما اقتبسه أفلاطون منها بعد أن مزجه بنظرية جديدة في الصدور أو في فيض العقول عن الواحد، ولما كان أفلاطون لا يذكر مصدر هذه النظرية - أي نظرية العقول العشرة - وقد نقلها عنه الإسلاميون فيما بعد انتهاء بالعقل النفعال الذي أشار إليه الإسكندر الأترووديسي وريطورها بمذهب بطليموس

وايدوكس الفلكى، ومن هنا جاء تخطيطهم فى تحديد عدد العقول الصادرة بدقة كاملة بعد أن ربطوها بنظام الاثلاث، وفى ليست عشرة، ونضرب مثلاً على ماوقع فيه الاسلاميون، وما نُقل عنهم من تخطيط فى هذه المسألة بما نجده عند الفارابى فهو مرة يذكر أن العقول عشرة، ومرة أخرى يذكر أنها ثمانية، بينما يذكر ابن جبريول اليهودى أنها إحدى عشرة، الأمر الذى يدل على عدم معرفتهم بمصدرها الأفلاطونى فى التعاليم الرياضية لأفلاطون.

وقد لاحظ أبو البركات البغدادى هذا الخلط الذى وقع فيه الاسلاميون بصدد نظرية العقول العشرة التى توارثها عن مدرسة الاسكندرية الفلسفية، فتصدى لتغيير هذه النظرية وتساطل فى تحد ظاهر عن مصدر هذه النظرية إذ يقول " نريد أن نعرف هل هذه النظرية تقليدية، أى موحى بها، فينبغى لنا حينئذ ألا نناقشها، أم أنها تأتى من إبداع عقولهم فيجب، والحالة هذه، أن نعرض لها بالنقد والتحليل، الا أنه يبدو أن أصحابها قد وضعوها وضعا كأنها نصيص إلهية بدون حجة أو دليل على صحتها ". ومن ثم فإن هذه النظرية تعد باطلاً، إذ كيف نحدد القدرة الإلهية اللاتهامية فى عشر صدورات فحسب فى العقول العشرة فقط، وكما يقول الذكر الحكيم أن المخلوقات الإلهية لامتناهية بحيث لا يمكن لاحد أن يحصيها عنا، وانتهى أبو البركات من نقده الى اثبات أن الأفضل من ذلك أن نلجأ الى القول بمثل أفلاطون وأن نقول أن الموجودات الحقة والعليا المعقولة فى صور أو مثل أفلاطون أما غير ذلك فقير معقول.

أما فكرة الصدور نفسها فقد نجح أفلاطون فى آرائه الشفوية فى التقريب بين المحسوس والمعقول بعد أزمة المشاركة المعروفة، إذ تراه يرتب عوالم هندسية بالإضافة الى الاعناء المثالية العشرة ابتداء من النقطة ثم الخط والطول والعرض والعمق كأشكال مثالية ثم الجسم المائلى، وهكذا أصبح الصعود عبر العالم الروحى ممكناً دون عشرات، وهذا هو طريق الصوفية الذى يرسه المذهب

كما تستمر حركة النزول فلسفياً من الواحد عبر العالم المعقول إلى العالم المحسوس، وهكذا تستمر حركة الصدور التدريجي أى حركة الفيض النازلة من الواحد عبر العالم المحسوس دون أن تعترضه صعوبة الانتقال من المعقول الى المحسوس. على أننا لا نكاد نجد عند أفلاطون أى نوع من البرهان المنطقي الذى يصلح للرد على المعارضين على نظرية الصدور فهو يستعيز عن هذا بأسلوب عاطفى صوفى يكاد يكون نوعاً من الإبداع الشعرى أو الادبى. فتراه يقول فى التاسوعات: إذا كان هناك موجود آخر بعد الواحد فكيف صدر هذا عن الواحد، فليس هذا الموجود سوى شعاع ظاهر عنه شعاع بفيض منه وهو (أى الواحد) باق فى كيانه الازلى. كما تصدر الحرارة عن النار، والبرودة عن الثلج والروائح عن المشروبات، وهى تصدر عنها آثار تجاوزها. وهكذا فإن الواحد تفيض منه الموجودات التى تنعم بجواره " وعندما يصل أى موجود إلى كماله يلد موجوداً شبيهاً به فالموجود الأكثر كمالاً هو الخير بالذات يبقى ثابتاً وتصدر عنه الموجودات كما تفيض الأشعة عن الشمس. يقول أفلاطون " تخيل نبعا مائياً لا مصدر لمانه، وهذا النبع يوزع مياهه على الأنهار كلها، ولكن مع هذا لا ينضب ما يحتربه من ماء أبداً، ولا تتحرك مياهه أو يتحرك مستوى الماء فيه نتيجة لهذا التوزيع بل يبقى ساكناً وفى مستوى واحد، دائماً. هذه الانهار الصادرة عنه تتجمع أولاً عند الخروج منه فى مجرى واحد، ثم تبدأ فى التفرق فياخذ كل منها طريقه الجزئى الخاص به " .

يبدو إذن أن المحرك الأساسى فى عملية الصدور هو تلك الحياة الروحية التى تنتشر باستمرار فى عالم الفيض الاقلوطيى، ومن ثم فإننا نؤكد ماسبق أن أشرنا إليه فى مقدمة البحث، وهو أن التصور الميتافيزيقى للوجود مرتبط بالتجربة الباطنية فى الحياة الروحية أو بمعنى آخر أن الحقيقة الميتافيزيقية هى نفسها الحياة الروحية متخذة صورة أقاليم تعتبر كالنقطة فى الخط المستقيم وهى

تندمج في النهاية لتعبر عن الوحدة والإستمرار، والتجربة الباطنية وحدها هي التي تظهرنا على هذا الإستمرار.

وهكذا نجد كيف أن موقف أفلاطون الرياضي، مضاف إليه فكرة الوسائط تعتبر هي الجذور الأصلية لنظرية الصدور عند أفلوطين، فكما أن العقل وسيط بين الواحد والنفس، فكذلك نجد أن النفس وسيط بين العقل والمحسوسات، أما حركة الصدور فهي تلقائية والعالم قديم وأزلي، والمادة شر مطلق، ولما كان الخير مبدأ أول لهذا لا يمكن أن يكون الشر مساوياً لوجود الخير كما هو الحال عند المانوية، وأفلوطين يجعل للشر وجوداً ذاتياً، ولكنه وجود مطابق للمادة فالمادة شر بالذات حسب العقلية الأوربية القديمة وهي وهم زائل أي لاوجود كما قال أفلاطون.

وقد كانت هذه المشكلة أي " وجود الشر " هي سبب ارتداد القديس أوغسطين عن المسيحية كما يذكر في اعترافاته إلى أن عاد به القديس امبروزو إلى حظيرة الايمان بعد أن أقنعه بأن الشر لاوجود له، وأنه أمر نسبي وليس نداً مساوياً للخير، حتى لا يعترض هذا التصور مسبب رحلة الصدور إلى الواحد أو الخير بالذات.

المدرسة الأفلاطونية المحدثة في عهد هالفاكس

الأمر الذي لا شك فيه أن استمرار مذهب أفلوطين وسيطرته على الفكر في الإسكندرية وفي العالم الهلنستي إنما يرجع إلى أن التاسوعات قد احتوت معظم صور الاتجاهات العقلية في هذا العصر جنباً إلى جنب مع التيارات اللاعقلية من سحر وتنجيم وطقوس عذلية، وأديان شرقية، وتعاويذ وعلوم الشعريين إلى غير هذا. وكان هذا هو الطابع الذي تميزت به المدرسة في كتابات (المتأخرين) من أتباعها من أمثال " فروغوريوس " إلى يوحنا الدمشقي مروراً بيازيلخرس وأبروقليس ودمسكيرس، وكان فروغوريوس (٢٢٣-٥٠٣ م)

تلميذا لأفلوطين. وقد نشر آراءه وكتب تاريخ حياته وله رسالة يهاجم فيها المسيحية. ويرى أنها لم تأت بجديد غير ما جاء به اسقليبيوس (وهو ابن أبوللو) إله الطب عند اليونان، ويلاحظ أن المدرسة الأفلاطونية المحدثة قد انتشرت الى فروع منها:-

أولاً: المدرسة السورية وفروعها في بعلبك:

ولد ظهر نياها يا مبليخوس وهو أعظم فلاسفة الأفلاطونية المحدثة التأخرين وكان يمارس التعليم في عهد دقلديانوس، وقسطنطين ، وسمى بالإلهي. وكان يربط أفلاطون وأرسطر بفيشاغورث ثم يمزج تعاليمهم بأديان الشرق وتصرفه والتراث السحري للعالم القديم، وسمى هذا الخلط اللاهوتي "علما" مع أن الهدف الأخير من هذه التعاليم هو الوصول بالنفس إلى الاتحاد بالله، والوحى الإلهي هو الذى يعلمنا كيف نبلغ هذا المقام، فكان الكهنة عنده أعلى مرتبة من الفلاسفة لأنهم هم حملة الوحى الإلهي، وهم الذين يعلمون الناس كيف يكون التطهر لتخلص النفس من الجسم وتسير إلى مستوى الوجود الأول. ويدافع يامبليخوس عن الفرد، ويريد وجود الوسائط لأنها هي التى تحرر الإنسان من القوة الضاغطة، ولا يصلح فى تحرير الإنسان مادام مرتبطاً بالجسد سوى التعاويذ السحرية والطلاسم التى هي واسطته إلى الموجودات العليا . وعلى الرغم من قبول يامبليخوس لهذا التراث، إلا أنه أقبل على الرياضيات بشغف واستفاد من الفكر القديم على العموم وبالإضافة إلى هذا فإننا نلمس من مذهبه تأثيراً لنحلة القبالة، ولاسيما فيما ذهب إليه من ثلاثيات وجودية مرتبة بعضها فرق بعض فى سلم الفيض ابتداء من الواحد، وهذا هو الترتيب الذى استعاض به يامبليخوس عن أقانيم أفلوطين الثلاثة، وهنا نجد ثلاثيات الإسلاميين تجاه العقل الى ذاته، ثم الى العقل الصادر عنه ثم إلى الواحد، وهذه الثلاثيات تصدر فى غير أنقسام ودون تشتت وتتضمن الثلاثية الوجودية الأولى

ثلاثة مبادئ هي:

أ- مبدأ الثنائية، وهو يشير إلى الوحدة.

ب- مبدأ الصدور أو التمايز، وهو يشير إلى الكثرة، ويقصد به الثنائي اللامحدود عند أفلاطون.

ج- ولحد أخيراً مبدأ الرد (أو الرجعة)، وهو يقابل عند أفلاطون النفس لأنها هي التي ترد كثرة العالم المحسوس والنفوس الجزئية إلى وحدة نفس هي النفس الكلية.

غير أن جميع المراتب الثلاثية، التي تلى ثلاثية الوجود الأولى تستمد مبادئها منها فتحصل على الوحدة، ثم ما يسمح بصدور الكثرة عنها، وأخيراً ما يسمح بالعودة إلى العالم المعقول، ويلاحظ من ناحية أخرى أن جميع وحدات العالم المعقول عند يامبليخوس آلهة مرتبون في ثلاث مستويات: آلهة المعقولة الخالصة، ثم آلهة مافوق العالم، ثم الآلهة الحاليين للعالم، وهؤلاء الآلهة هم الذين يعنون بعالمنا، وتتعدد الصلة بيتنا وبينهم وهم يشكلون ما نسميه نحن بالعودة الإلهية، أما الواحد أو المطلق عند أفلاطون فهو إله متعال لا يمكن أن نعرفه، ولقد محلل هو من أي علاقة تربطه بالعالم على عكس الإله عند المسيحيين، فكان التصورين الأفلاطوني والمسيحي لإله كانا على طرفي نقيض ولكن الأفلاطونية الحديثة كانت مدرسة تطهر وممارسة روحية عملية بتعين على المرء فيها أن يسلك سبيل التطهر والتجرد حتى يصل إلى الله، لهذا فقد كان لزاماً على فلاسفتها أن يضعوا على الطريق وسائل روحية تجعل العبور إلى العالم الأعلى ميسراً، فتستمر الصلة بين مراتب الوجود التنازلية المختلفة التي لا تشارك أصلاً في الوحدة المطلقة (أي الواحد) بل يكون اتصالها بمراتب الوجود المعقولة المتعالية والصادرة عن الواحد.

والواقع أن الواحد عند يامبليخوس ليس هو نفسه قائماً الواحد

الأفلوطينى، ذلك لأن يامبليخوس أشار إلى نوعين من الواحد: واحداً أولى وهو فوق المبادئ ولا يمكن التعبير عنه أو وصفه. أما الواحد الآخر، فإنه ينطبق على الواحد أو الخير عند أفلوطين، وكذلك ينقسم العالم العقول عند يامبليخوس، وهو العقل الأثْنَمُ الثانى عند أفلوطين إلى قسمين : عالم معقول، وعالم عقول، ولكل من هذين العالمين ثلاث ثلاثيات وتنقسم النفس (الأَنُوم الثالث عند أفلوطين) إلى قسمين أيضاً وفى هذه المرتبة نجد نفوس الملائكة والجن والأبطال وهنا مانراه عند أبروقلس.

وأخيراً نجد أن يامبليخوس قد عبّر عن تيارات العلوم الحفية التى سيطرت تماماً على أخريات العصر الهلنستى، ودافع عن التنبؤ والتعاويز والطلسمات وعبادة الأوثان، وآمن بالمعجزات وبأغواص السحرية للأعداد ، وظهرت رجوه كثيرة من المفكرين فى مدرسه يامبليخوس منهم ثيودوروس الأثينى الذى تتلمذ أيضاً على كل من " قورفودوروس " و " أبروقلس " ومنهم أيضاً أديسيوس الكابادوسى ويونانيوس السارديسى.

ثانياً: مدرسة أثينا:

ظهر فى هذه المدرسة عدة شخصيات هامة من الشراح والمعلقين على النصوص القديمة من أمثال : ثامسطيوس، وبلوتارك، وصوريانوس، وهارينوس دمسكيوس، وسبليقيوس وكان أبرزهم على الإطلاق الفيلسوف " أبرقليس " (٢١٠ - ٢٤٨ م)، ويبدو أن مذهب الفيض الإسلامى قد استمد أصوله من فلسفة أفلوطين ومن موقف الإسكندر الأفروديسى خلال الفترة المتأخرة الى أواخر القرن السادس الميلادى.

وسيكون على الإسلاميين أن يُخرجوا هذا المذهب ويتأثر بهم المسيحيين فيما بعد، فقد نُقلت آراء هذه المدرسة من المتأخرين الى المسلمين، ولاسيما الصورة الأخيرة بعد تطورها خلال مدرسة يامبليخوس، وقد ذكر الاسلاميين كل

رجال هذه المدرسة في مؤلفاتهم مثل القفطي، والشهر ستاني والشهر زوي والرازي... الخ.

أما مذهب أبوقلس فكان يستند إلى أفلوطين، ثم إلى التيارات الدينية، إذ كان يخلط الفكر الفلسفي مع تيارات الزهد والعلوم الخفية، ويؤمن أن روح نيومارخوس الجديد قد تقمصته، وعرف عنه نفسه ولحمسه الشديد لممارسة الصقوس والشعائر الدينية للمدرسة، والتمسك باعتقاداتها وتقديسها للأشعار الأورفية، وكان أقدر الجميع على صياغة مذهب يعبر عن النزعة التليفية المستحكمة التي انتهى إليها العقل اليوناني في العصر الهلينيستي، والتي سبكون لها أثرها الكبير في القرنين الوسطى المسيحية وفي العصر الإسلامي، ولا يخرج مذهب أبوقلس عن ثلاثيات ياميليخوس الوجودية فهناك وحدة وجودية أو تعبير عن الوحدة وتصلر عن هذه الوحدة الكثرة ممثلة في العقل، ثم تعود الكثرة إلى الوحدة ممثلة في الوحدة الكلية حيث نجد أن الواحد هو وحدة مطلقة لاصلة لها بالعالم، وهو علة دون أن يكون علة حقيقية وهو ليس وجوداً أو لا وجوداً.

أما العقل أو الأتونم الثاني عند أفلوطين فقد صدرت عنه ثلاث مراتب أولها مرتبة العقول، ولجد فيها الوجود اللامتناهي أو الصورة وثانيها مرتبة المعقول الحاصل على الفكر، ولجد فيها القوة والوجود ووحدهما الحياة العقلية، وثالثها مرتبة ما هو حاصل على الفكر ولجد فيها الفكر الثابت ثم الفكر في حركته أي الإدراك الحسي ويجمعهما الفكر التأمل، وهذه المراتب الثلاث يكشف كل منها عن وجه من وجوه العلة الأولى وهي على التوالي تكشف عن وحدة الأول الدائمة ثم عن خصوصيته التي تتمثل في العقولات أي في مثل أفلاطون أو الصرد التي ينطوي عليها العقل أو الصادر الأول، ثم أخيراً تكشف المرتبة الثالثة عن كمال العقل اللامتناهي. ثم يعود أبوقلس فيقسم المراتب

الأولى والثانية إلى ثلاث ثلاثيات، أما ثلاثية الفكر فإنها تنقسم إلى سبع ثلاثيات وينتهى أبروقليس إلى تسعة الثلاثيات باسم الإله ويختار لها أسماء من بين أسماء الآلهة الشعبية.

ولمجد أخيراً أن النفس وهي الأتوم الثالث عند أفلوطين وضع لها أبروقليس ثلاث مراتب: مرتبة إلهية ثم مرتبة القوات (الجن والملائكة) ثم المرتبة الإنسانية.

أما المرتبة الأولى من الأتوم الثالث فهي تنطوي على ثلاث مراتب للنفس: مرتبة الثلاثيات الأربعة لرؤساء الآلهة، ومرتبة الثلاثيات الأربعة للآلهة الحرة، ثم مرتبة الآلهة الحرة في العالم وهي: آلهة النجوم والكواكب وإلهة العنصریات.

والمرتبة الثانية من النفوس تنقسم إلى آلهة ملائكة وآلهة هي جن ثم آلهة أبطال، والمرتبة الثالثة أيضاً تشتمل على النفوس الإنسانية التي تحمل بالجسم والنفس بصفة خاصة ذات طبيعة أثيرية نوردانية، وأما المادة فهي الأتوم الرابع عند أفلوطين، ولمجد يجعلها مخلوقة للنفس وهو يشتقها مباشرة من اللامحدود الذي يضاف إليه المحدود فيكون منهما الخليط.

المراجع العربية

(١) أبوديان (محمد على) : تاريخ الفكر الفلسفى عند اليونان:

١ - من طاليس الى أفلاطون

٢ - أرسطو والمناروس المتأخرة

٣ - تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام

٤ - أصول الفلسفة الاشراقية

(٢) ابن سينا : الشفاء

الاشارات

رسائل فى الحكمة والرياضيات

(٣) بدوى (عبد الرحمن) : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية

من الاسكندرية الى بغداد - ترجمة مقال ماكس مايرهوف.

(٤) الغزالى (أبو حامد) : تهافت الفلاسفة.

الرد على الباطنية

(٥) ميللى (ألدو) : العلم عند العرب - الترجمة العربية

- (1) Armstrong: The structure of the Intelligible world in the philosophy of plotinus.
- (2) Brehier (Emile): L'Intelligence chez plotin'ed: Boivin, Paris.
- (3) Cassartelli : E.R.E. art . Dualism (Persion).
- (4) Cochez : Les Religion de l'Empire dans la philosophie de plotin 1915,
- (5) Cumont : Recherches sur le Manicheisme.
- (6) Ency. of Religion & Ethics : art. Cnoticism - Hermes - Orphim.
- (7) Festigiére : Les Revelations d'Hermes Tresgiste Paris.
- (8) Inge (W.R) : The Philosoaphy of Plotinus,London, 1918.
- (9) Simon : Histoire de l'ecole d'Alexandrie, 2 Vol, 1843 - 1845.
- (10) Vacherot: Histoire critique de l'ecole d'Alexandrie, 3Vol, 1864 - 1851,
- (11) Whintaker (B) : the Neoplatonists, Camb. 1901 2'edit ; 1918.

قلق الاختبار لدى طالبات الجامعة
وعلاقته ببعض المتغيرات الدراسية

إعداد

د. عبد الرحمن بن سليمان الخطيري

أستاذ علم النفس المشارك

قسم علم النفس - جامعة الملك سعود

بالرياض



قلق الاختبار لدى طالبات الجامعة وعلاقته ببعض المتغيرات الدراسية

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى الإجابة عن بعض التساؤلات حول قلق الاختبار وبعض المتغيرات الدراسية لدى طالبات الجامعة مثل المستوي الدراسي، والتخصص، والمعدل التراكمي.

وقد اشتملت عينة الدراسة على ١٤٨ طالبة من تخصصات مختلفة في جامعة الملك سعود بالرياض. وتم تطبيق أداة من إعداد الباحث لقياس قلق الاختبار، وكذلك تم التأكد من صدق الأداة وبنائها على عينة من الطالبات. وقد بين من نتائج الدراسة أن هناك ارتباطاً سلبياً بين قلق الاختبار والمعدل التراكمي، كما بينت الدراسة أن هناك فروقاً بين الطالبات في المستويات الدراسية المختلفة فيما يتعلق بقلق الاختبار، وفي الوقت نفسه لا توجد فروق دالة إحصائية بين فئات التخصصات الدراسية المختلفة في قلق الاختبار. أما فيما يختص بالمعدل التراكمي فقد بين أن طالبات المستويات الدراسية المختلفة يوجد بينهن فروق في المعدل التراكمي، إلا أن هذه الفروق لا توجد بين طالبات التخصصات الدراسية المختلفة.

قلق الاختبار لدى طالبات الجامعة وعلاقته ببعض المتغيرات الدراسية

لمكرة الدراسة وأهميتها

سبق للباحث أن أجرى دراسة في موضوع قلق الاختبار وعلاقته ببعض المتغيرات الأكاديمية عند طلبة الجامعة في المملكة العربية السعودية، إلا أن تلك الدراسة كانت مقتصرة على الطلاب الذكور فقط.

وقد شعر الباحث بضرورة إجراء دراسة حول موضوع قلق الاختبار عند الطالبات لمعرفة مستوى القلق الاختباري لديهن بشكل عام، وعلاقته ببعض المتغيرات الدراسية مثل المعدل التراكمي* بوصفه تعبيراً مجعلاً عن التحصيل الدراسي، وكذلك العلاقة بالتخصص الدراسي بالإضافة إلى المستوى الدراسي للطالبات. وقد كانت الرغبة في إجراء الدراسة السابقة للباحث على الإناث أيضاً ملحة، إلا أنه لم يتسكن من ذلك، وبعد أن تمكن من معرفة المعوقات التي تعترض إجراء هذه الدراسة على الطالبات وعرف كيف بذلها أقدم على إجراء هذه الدراسة التي يؤمل منها أن تعطي صورة واضحة عن قلق الاختبار لدى الطالبات، وذلك لأهميته في مجالات متعددة على المستوى الفردي وكذلك على المستوى المؤسسي.

فعلى المستوى الفردي نجد أن قلق الاختبار يؤثر على صحة الإنسان النفسية والجسدية، بالإضافة إلى أثره على الأداء الأكاديمي. أما على مستوى المؤسسات فإن هذه الدراسة يؤمل أن تسهم نتائجها - مع غيرها من الدراسات - في إثارة الاهتمام بالموضوع و إعطائه الأهمية اللائقة به من قبل الأساطفة

* ويقصد به المؤشر الرياضي الذي يتم من خلاله إعطاء وصف عام لمتوسط التحصيل الدراسي لطالبات منذ دخولهن الجامعة وحتى وقت إجراء الدراسة.

وأولياء الأمور، لأن إهمال مثل هذا الموضوع وعدم أخذه في الحسبان قد تكون نتائجها سلبية، ومن ثم قد يصيب الطلاب الضرر في صحتهم وفي مستقبل حياتهم الدراسية.

ونأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تسهم في رسم صورة عن واقع قلق الاختبار لدى الطالبات فلا تكن الدراسات موجهة للذكر فقط كذلك يؤمل أن تسهم هذه الدراسة في إضافة نتائج إمبريقية (واقعية) جديدة إلى التراث البيكولوجي بشكل عام. وحيث إن الأداة المستخدمة في هذه الدراسة لقياس قلق الاختبار سبق للباحث أن طورها بوصفها جزءاً من رسالة الدكتوراه، فإن هذه الدراسة تعد فرصة لتطبيق الأداة على الإناث، ومعرفة مدى ملائمتها، وكذلك اكتشاف نقاط الضعف فيها عند التطبيق على الطالبات الجامعيات. هنا فضلاً عن إمكان مقارنة نتائج هذه الدراسة سابقتها (انظر ملحق ١).

الإطار النظري

كثير الاهتمام بموضوع القلق- بوجه عام- من قبل الباحثين والدارسين، وذلك نظراً للآثار الناجمة عنه على مستوى صحة الأفراد النفسية وعطائهم واتساجيتهم أو في علاقاتهم مع الآخرين. وتشكل هذا الاهتمام في المجهود المبذول للتعرف على ماهية القلق ومسبباته وآثاره. ويربط كثير من الباحثين بين القلق وطبيعة الحياة المعاصرة بما تتضمنه من تحولات سريعة وأساليب حياتية متكررة حتى أن البعض يطلق على العصر الحاضر عصر القلق.

ولكن أهمية القلق في أنه يمثل إشارة تحذيرية للإنسان والحيوان من خطر محتمل، مما يشير في داخله استجابات تنزع به إلى إقامة التوافق مع هذه الاخطار المحتملة ويختلف الاستجابة للقلق نتيجة بعض الظروف والمتغيرات مثل: خبرة الفرد السابقة، قدراته وإمكاناته، وطبيعة المشكلة المراد حلها من حيث التكوين والمحتوي والأهمية.

وفي تناول الباحثين لموضوع القلق نجد التباين والاختلاف بينهم كبيرا، فالقلق عند "يونج" Jung عبارة عن رد فعل يقوم به الفرد حينما تنفزو عقله قوي وطبالات غير معقولة صادرة من اللاشعور الجمعي (١). أما "هورني" Horney فأنها ترى أن القلق عبارة عن استجابة انفعالية لخطر يكون موجها إلى المكونات الأساسية للشخصية، وبختلف الأفراد فيما بينهم من حيث نظرتهم للموضوعات التي تمثل قيمة حيوية لديهم، بما يتعكس أثره علي مستوي الاستشعار بالخطر (٢). وفي تحليلها للقلق ترى "هورني" أن القلق يحدث نتيجة التهديد الواقع علي التنظيم الزائف (الذات المثالية) التي يكونها الشخص برصفه محاولة دفاعية للتوفيق مع الحياة وظروفها، وحاجة بالاسة لحماية نفسه ضد الظروف العدوانية وتتلخص نظرية القلق عند "هورني" في الجوانب الآتية:

- (١) القلق رد فعل انفعالي لخطر فعلي أو متوهم
- (٢) مصدر الخطر هو الدوافع العدوانية وشدة هذه الدوافع كما يشير القلق .
- (٣) يوجد تفاعل بين العدوان والقلق .
- (٤) مجموعة الدفاعات والاتجاهات التي يكونها الفرد أثناء عملية التنشئة الاجتماعية نحو الآخرين تساعد في التخلص من القلق وتجلب الأمن والطمأنينة .
- (٥) مصدر الخطر ليس شيئا معينا كالدوافع الغريزية من وجهة نظر " فرويد " Freud بل إن الخطر يأتي من عوامل كثيرة خارجية وداعلية (٣).

أما " هاري ستاك سوليفان " Sullivan فانه يرى أن القلق يحدث نتيجة أية خيرة تهدد نظام الذات، مما يقوم الفرد للقيام ببعض الأعمال التي تؤدي إلى التقليل من القلق دون وعي بذلك (٤).

يعتقد "دولارد، وميلر" Dollard & Miller أن القلق بما له من قوة الدافع، يدفع إلى أنواع من الاستجابات التي يمكن أن تخفف من حدته، حيث يلجأ الفرد للقلق إلى بعض الممارسات مثل الحيل الدفاعية كالتهريب والإسقاط والتقمص والإعلاء والكوص (٥).

أما وجهة نظر "دهفيد شيهان" Sheehan فإن هناك نوعين من القلق: الأول هو الذي يخبره الناس في الأحوال الطبيعية كرد فعل على الضغط النفسي أو الخطر الذي يهدد أمن الفرد وسلامته، كان بهاجم الفرد من حيوان ما ثم يصير حنرا من فصيلة ذلك الحيوان عند رؤيتها، وهذا النوع هو ما يعرف بالقلق الخارجي. أما النوع الثاني فهو داخلي المنشأ، وهو يعني أن المشكلة الرئيسة تنبع من مصدر ما داخل كيان الفرد، أي أن هناك استعدادا وراثيا تمثل هذه التربيات من القلق دوما سبب ظاهر. ونجد "شيهان" في هذا التفريق بين أنواع القلق يتفق مع "فرويد" Freud في تصنيفه للقلق إلى قلق عصابي وآخر موضوعي (٦).

والقلق بالنسبة "لاينزك" Eysenck هو العصاب، وليس هناك فرق بينهما، إلا أن كاتل يعارضه في هذا الرأي، حيث يرى أن القلق يختلف عن العصاب برغم ما يوجد بينهما من أمور مشتركة (٧).

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات الكثيرة التي أجريت على موضوع القلق قد اختلفت من حيث نظريتها له، فمن الباحثين من يصفه على أنه قوة بناءة Constructive force ومنهم من يسمي أنه قوة هدامة Destructive force

أما عن الآثار الناجمة عن القلق والمترتبة عليه فهي كثيرة ومتعددة، منها الجسدي كاضطرابات المعدة وسوء الهضم، ومنها ما هو نفسي وعقلي، هذا فضلا عن إمكانية انحراف السلوك وفي هذا الصدد يرى "هورني" أن خفقان القلب، ونصب العرق، والإسهال، وسر الهضم من الأمور المصاحبة للقلق (٨). كما

تتميز حالات القلق بمشاعر ذاتية تتضمن التردد والخشية والعصية والإنزعاج، كما تتصف بتنشيط الجهاز العصبي الذاتي وزيادة نسيجه (عبد الخالق، حافظ) (٩) .

وامتدادا للتصنيف الثاني للقلق يري "سبيلبرجر" Spielberg (١٩٧٢) أن هناك نوعين : قلق الحالة وقلق السمة، وفي رأيه أن قلق الحالة State Anxiety هو حالة تغير انفعالي، يمر بها الفرد نتيجة تعرضه لموقف أو عرض من المواقض، وفي رأيه أن هذه الحالة تتفاوت من حيث شدتها عبر الزمن وحسب الظروف، ويعزو "سبيلبرجر" هذا التغير الانفعالي إلى الشعور الشخصي و يميز الجهاز العصبي المترقب لهذا الموقف أو ذلك الظرف أما قلق السمة Trait Anxiety فهو الاستعداد الفطري والذاتي لدى الفرد لتفسير معظم - إن لم يكن كل - المواقف والظروف التي يمر بها على أنها خطيرة، وينظري هذا التعريف لقلق السمة على إشارة إلى أن من يوجد لديهم قلق السمة يتميزون بهذه الصفة بشكل شبه مستقر في كل الظروف والمواقف (١٠).

مجمل القول أن قلق الحالة هو تلك الحالة الانفعالية التي يعاني منها الفرد في اللحظة الراهنة أو في موقف خاص ومحدد تتج عنه مثل هذا التغير، أما قلق السمة فيشير إلى خصلة أو صفة ثابتة نسبيا في الشخصية، ويحدد آثارها واضحة على الفرد في معظم الحالات والمواقف.

وقلق الاختبار نوع من أنواع قلق الحالة، يحدث حينما يدرك الفرد المثيرات المتعلقة بموقف الاختبار ويستجيب لها استجابات انفعالية وسلوكية حيث ينظر الفرد إلى موقف الامتحان على أنه موقف يهدد كما يري "ساراسون" Sarason (١١) .

وبناء على ما تقدم يمكن القول: إن قلق الاختبار نوع من أنواع القلق العام، حيث يتضمن مجموعة الاستجابات وردود الفعل الفيزيولوجية، والانفعالية، والسلوكية المتعلقة بالاهتمام أو الانشغال والخوف من الفشل في موقف

الاختبار.

وفي دراسة لمعرفة العلاقة بين القلق والأداء علي الاختبارات قامت "لويس، تايلر" Lewis&Taylor بدراسة للكشف عن الصلة بين القلق وبين تفضيل الاستجابات المتطرفة وقد وجدوا أن من يحصلون علي درجات عالية علي مقياس القلق يميلون إلي اختيار الاستجابات المتطرفة (مثل أحب جدا وأبغض جدا) وذلك علي اختبار رد الفعل الإدراكي، أما ذوي الدرجات المنخفضة علي مقياس القلق فإنهم أقل في اختيار الاستجابات المتطرفة (١٢) .

كما ظهر من دراسة العلاقة بين قلق الاختبار والذكاء والتحصيل الدراسي أن التغيرات في مستوى قلق الاختبار تؤدي إلي تغيرات في النتائج علي اختبارات الذكاء، أي أن الزيادة أو النقصان في مستوى قلق الاختبار يتبعها نقصان أو زيادة في درجة الفرد علي اختبار الذكاء (Hill & Sarason, 1966; Sarason, 1964) (١٣)

هناك ارتباط سالب بين قلق الاختبار ودرجات التحصيل الدراسي، ويرجع حجم هذا الارتباط عبر سنوات الدراسة في المرحلة الابتدائية، كما أن حجم هذا الارتباط السالب له المستوى ذاته بالنسبة للبنين والبنات كما يذكر "ساراسون" (١٤).

وفي محاولة لإرجاع الآثار والنتائج المترتبة علي قلق الاختبار إلي أصولها ومبداها الأساسية وجد "موريس، ليبيرت" Liebert & Morris أن هذه الآثار مردها توزيع الانتباه لدى الفرد وشئته بين حسن الأداء (الإجابة) علي الاختبار وبين المظاهر الفيزيولوجية المصاحبة للقلق، فبينما يكون الانتباه مشتتا، وفي تقديرها أن ذوي الدرجة المرتفعة علي قلق الاختبار يكون اهتمامهم موجهًا ومربطًا بهذه الآثار، بينما يكون اهتمامهم أقل بالنسبة للمهمة المعطاة لهم ألا وهي الاختبار (١٥)

يري "هل، إيتون" Hill & Eaton (١٩٧٧) أن خبرات الفرد في النجاح

أو الفشل دور بارز في جعل بعض الأفراد أكثر تعرضاً لقلق الاختبار، وضييقان أن ذوي القلق المنخفض لهم تاريخ حافل من النجاح ولو النجاح. سواء أكان ذلك في المدرسة أم في أي موقف آخر من مواقف الحياة، مما يوجد لديهم الثقة في التعامل مع الآخرين. ويوجد عندهم دافعية لتحقيق النجاح وليس تجنب الفشل.

وجد "دكتور، ألتمان" Doctor & Altman أن الطلاب المستهدين لهم بشكل مرتفع قد حصلوا على درجات منخفضة في مادة علم النفس، وذلك في الاختبار النهائي. أما من كانوا أقل في الاستهداف لهم فإنهم حصلوا على درجات عالية (١٧).

ومن ناحية أخرى وجدت الكحيمي (١٩٨٥) في دراستها على طالبات المرحلة الثانوية أن التحصيل الدراسي يزيد بارتفاع درجة القلق، وتصل درجة التحصيل إلى أقصاها عندما تصل درجة القلق إلى ٢٤، أو ٢٥ درجة، إلا أن مستوي التحصيل الدراسي يبدأ في الانخفاض التدريجي كلما ارتفعت درجة القلق، إلى أن يصل التحصيل إلى حده الأدنى، وذلك عند درجة قلق تساوي ٥٠. وما ذلك إلا فكرة الارتباط المنحني Curvilinear، وهو - في هذا المجال -

أحد تطبيقات قانون "بيركس-دودسون" Yerks-Dodson (١٨).

أما الطبري (١٩٨٤) Altrairy فقد وجد أن كلا من : الجامعة التي ينتمي لها الطالب، ومستواه الدراسي، وكذلك العبء الدراسي للطالب ليس لها علاقة جوهرية إحصائية بمستوي القلق عند الطلبة، أما التخصص الدراسي فقد بين أنه ذو علاقة دالة بمستوي القلق، إذ بين أن ذوي التخصصات الأدبية أكثر عرضه لقلق الاختبار من زملائهم ذوي التخصصات العلمية. كذلك بين من دراسة الطبري أن قلق الاختبار، التخصص، المستوي الدراسي، العبء الدراسي، الجامعة التي ينتمي لها الطالب كلها متغيرات ذات علاقة دالة بالتحصيل الدراسي كما عبر عنه من خلال المعدل التراكمي (١٩).

هدف الدراسة

الهدف الرئيس من هذه الدراسة هو محاولة الخروج ببعض الإجابات على التساؤلات ذات العلاقة بقلق الاختبار وبعض المديريات الأخرى لدى طالبات الجامعة، والمؤمل أن هذه الدراسة من خلال نتائجها تسهم في بعض الإضافات في هذا المجال الحيوي، كما يؤمل أن يكون مردود الدراسة مفيداً في ميدان التربية والتعليم.

فروض الدراسة

- أخذاً في الاعتبار للنقاط التي تم إنارتها في الجزء الخاص بفكرة الدراسة، بالإضافة إلى الدراسات السابقة تم صياغة فروض الدراسة على النحو التالي :-
- (١) ليس هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين قلق الاختبار والمعدل التراكمي لدى طالبات الجامعة.
 - (٢) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات المستويات الدراسية المختلفة فيما يتعلق بقلق الاختبار لديهن.
 - (٣) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات التخصصات المختلفة فيما يتعلق بقلق الاختبارات لديهن.
 - (٤) ليس هناك تداخل ذو دلالة إحصائية بين المستوى الدراسي والتخصص في تأديهما على مستوى قلق الاختبار.
 - (٥) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات المستويات الدراسية المختلفة فيما يتعلق بالمعدل التراكمي.
 - (٦) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات التخصصات المختلفة فيما يتعلق بالمعدل التراكمي.
 - (٧) ليس هناك تداخل ذو دلالة إحصائية بين المستوى الدراسي والتخصص في تأديهما على المعدل التراكمي للطالبات.

أداة الدراسة

سبق للباحث أن طور أداة لقياس قلق الاختبار لدى طلاب الجامعة المذكور في المملكة العربية السعودية، وقد تحقق من خلال تلك الدراسة من صدق الأداة وبنائها، وذلك نتيجة الدراسة الاستطلاعية والأساسية، حيث بلغ الثبات ٠.٩٠، وذلك باستخدام معادلة ألفا، أما الصلتى التلازمي بين هذه الأداة وقائمة "سپلبرجر" Spielberg لتقلق الاختبار فوجد أن معامل الارتباط بين الأداتين ٠.٧٤ (٢٠). وفي هذه الدراسة التي نعرض لها هنا، أراد الباحث أن يتأكد من صلاحية الأداة على عينة من الطالبات، وذلك من حيث صدقها وبنائها، حيث تم استخراج معامل الارتباط بين درجة كل بند من بنود الأداة والدرجة الكلية وبين جدول (١) أن جميع معاملات الارتباط لكل البنود دالة عند مستوى دلالة ٠.٥.

وتؤكد هذه النتائج الواردة في جدول (١) مدى الانساق ووحدة الهدف الذي يجمع بين هذه البنود، مما يؤكد صدق الأداة في قياس قلق الاختبار. وبما أن الأداة تتكون من ثلاثة أبعاد فقد تم حساب معاملات الارتباط بين درجات البنود المكونة للبعد والدرجة الكلية على ذلك البعد. وبين جدول (٢) أن جميع معاملات الارتباط بين بنود الأبعاد ودرجاتها الكلية دالة عند مستوى ٠.١.

جسول (١١)

معاملات الارباط* بين الدرجة علي البند والدرجة الكلية للأداة (ن

= ١٤٨)

البند	معامل الارباط	البند	معامل الارباط	البند	معامل الارباط
١	٠.٤٥	١٢	٠.٥٩	٢٣	٠.٢٧
٢	٠.٦٣	١٣	٠.٦٨	٢٤	٠.٢٧
٣	٠.٦٣	١٤	٠.٤٢	٢٥	٠.٦٤
٤	٠.٥٩	١٥	٠.٥٧	٢٦	٠.٦١
٥	٠.٧٢	١٦	٠.٥٠	٢٧	٠.٦٩
٦	٠.٤٧	١٧	٠.٤٠	٢٨	٠.٥٩
٧	٠.٤٧	١٨	٠.٤٦	٢٩	٠.٥٣
٨	٠.٥١	١٩	٠.٦٢	٣٠	٠.١٩
٩	٠.٢٧	٢٠	٠.٧٠	٣١	٠.٤٠
١٠	٠.٦٥	٢١	٠.٥٩	٣٢	٠.١٩
١١	٠.٢١	٢٢	٠.٥٣		

* يصبح معامل الارباط دالا إحصائيا إذا كان ≤ ٠.١٩ .

جنتول (۲)

معاملات الارتباط* بين درجات البنود والدرجات الكلية للأبعاد

(ن = ۱۴۸)

بعد الظاهر الفيزيولوجية		بعد الأفكار والآراء الطارئة		بعد أهمية الاختبار واستعداد الفرد له	
البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط
٩	٠.٤٢	٢	٠.٦٤	١	٠.٤٧
١١	٠.٣٩	٥	٠.٧٥	٣	٠.٦٢
١٢	٠.٥٦	١٠	٠.٦٦	٤	٠.٦٣
١٩	٠.٦٥	١٤	٠.٥٣	٧	٠.٥٠
٢١	٠.٦٢	٢٢	٠.٥٥	٨	٠.٥٤
٢٣	٠.٤٧	٢٤	٠.٨٣	١٣	٠.٧٠
٣١	٠.٥٦	٢٥	٠.٦٥	١٥	٠.٦٠
٣٢	٠.٢٥	٢٧	٠.٧١	١٦	٠.٥٥
		٢٨	٠.٦١	١٧	٠.٤٤
		٢٩	٠.٦١	١٨	٠.٦٢
				٢٠	٠.٦٧

* يصبح معامل الارتباط دال إحصائياً إذا كان ≤ ٠.٢٥

ويتضمن البعد الأول والمتعلق بالمظاهر الفيزيولوجية الناتجة عن القلق
 صانبة بنود، أما البعد الثاني فيحتوي علي عشرة بنود ، ويتناول هذا البعد
 الأفكار والآراء الطارئة والمتدخلة في أداء الفرد للاختبار. أما البعد الثالث فهو
 يعني بأهمية الاختبار واستعداد الفرد بالنسبة له ، ويحوي أحد عشر بنود
 انظر أرقام هذه البنود في جدول (٢) .

كما تم حساب معاملات الارتباط بين الأبعاد مع بعضها بعضا وكذلك بين
 كل بعد مستقل والدرجة الكلية للمقياس. وبين الجدول (٣) أن كل معاملات
 الارتباط دالة عند مستوى ٠.٠١. وتؤكد هذه النتائج مرة أخرى مدى صلق
 الأبعاد ببعضها، وتكونها الأداة بصورتها الكاملة، والتي وضعت لقياس هذه
 الظاهرة النفسية المسماة بقلق الاختبار، في حين أن معاملات الارتباط بين
 الأبعاد بعضها مع بعض أقل من ارتباطها بالدرجة الكلية برغم دلالتها عند
 مستوى ٠.٠١. ويؤكد ذلك خصوصية الأبعاد وتميزها في تناول مكونات خاصة
 من قلق الاختبار.

جدول (٣)

مصنوفة الارتباط بين الأبعاد والدرجة الكلية لمقياس قلق الاختبار

(ن = ١٤٨)

	الدرجة	البعد الأول	البعد الثاني	البعد الثالث
الدرجة الكلية	-	-	-	-
البعد الأول	٠.٨٠	-	-	-
البعد الثاني	٠.٩٤	٠.٦٧	-	-
البعد الثالث	٠.٩٢	٠.٦٥	٠.٧٩	-

وقد تم حساب معامل ثبات الأداة بطريقتي كرونباك (معامل ألفا) Alpha Coefficient والتجزئة التصفية (جتمان) Guttman حيث بلغ معامل الثبات بطريقة كرونباك ألفا ٨٥.٠ ، أما بطريقة جتمان فقد بلغ ٨٧.٠ . وهذه النتائج تؤكد أن الأداة ذات ثبات عالٍ، مما يجعلنا نطمئن لاستخدامها لقياس قلق الاختبار بالنسبة للطلّابات، كما تم الأمر ذاته قبل ذلك بالنسبة للطلّابة السعوديين (Altrairy, 1984).

عينة الدراسة

تم إجراء هذه الدراسة علي عينة قوامها ١٤٨ طالبة من مركز الطالّابات بعليشة والتابع لجامعة الملك سعود بالرياض، وشملت العينة طالّابات من مجموعة من التخصصات مثل: علم الاجتماع، اللغة العربية، التاريخ والجغرافيا، بالإضافة إلي تخصص التربية . كذلك اشتملت العينة علي طالّابات من مختلف المستويات الدراسية من المستوى الأول حتي الرابع. هذا وقد تم تطبيق الأداة وكذلك استمارة المعلومات العامة من قبل بعض الأساتذات والمحاضرات بقسم علم النفس بالمركز . وبين جنول (٤) توزيع أفراد العينة حسب التخصص والمستوي الدراسي.

حدود الدراسة

نتائج هذه الدراسة محدّدة بحجم العينة ومراصفاتها، إذ لا يمكن أن نعمم النتائج علي كل الطالّابات الجامعيات في المملكة ، لأن العينة كانت مستمدة من جامعة الملك سعود فقط، وكذلك لم تشتمل العينة علي كل التخصصات الدراسية في الجامعة، وعليه ستكون النتائج صالحة ومفيدة ضمن نطاق الطالّابات لجامعة الملك سعود.

جدول (٤)

توزيع أفراد العينة حسب التخصصات والمستويات الدراسية

النكرار		
١٤	١ - مربي	التخصص
١٠٠	٢ - علم اجتماع وخدمة إجتماعية	
١٢	٣ - تاريخ وجغرافيا	
٢٢	٤ - تربية	
١٤٨		المجموع
٥٣	١ - الأول	المستوى الدراسي
٥١	٢ - الثاني	
٢٦	٣ - الثالث	
١٨	٤ - الرابع	
١٤٩		المجموع

الاماليب الاحصائية

استخدمت معاملات الارتباط (بيرسون)، وكذلك استخدم تحليل التباين الأحادي والزدوج بالإضافة إلي استخدام اختبار Scheffe لمعرفة الفروق بين المجموعات وتربيتها.

نتائج الدراسة

انطلاقاً من الفروض التي تم طرحها فيما تقدم استخدمت الأساليب الإحصائية التي تمكن من اختبار تلك الفروض . وبين الجداول من ٥ إلى ١٠ نتائج الدراسة والبيانات الواردة في جدول (٥) تعطينا صورة وصفية عامة للمامع العينة فيما يتعلق بتغيري قلق الاختبار والتحصيل الدراسي ممثلاً بالمعدل التراكمي. ويتبين من الجدول أن أعلى درجة حصل عليها من قبل أفراد العينة كانت ١٤٨، علي حين كانت أدنى درجة هي ٤٦، والمتوسط ٩٣٫٦٩ والانحراف المعياري ٢١٫٩٧ وذلك فيما يخص متغير قلق الاختبار. أما فيما يخص المعدل التراكمي فكانت أعلى قيمة ٤٫٧٩، علي حين كانت أدنى قيمة ١٫٣٢ أما المتوسط فهو ٣٫١٦ والانحراف المعياري كان ٠٫٧٢. ويتضح من هذه النتائج أنه لم يكن من بين أفراد العينة من حصل علي أعلى درجة في المقياس وهي (١٦٠)، وكذلك لم يكن هناك من حصل علي أدنى درجة وهي (٣٢)، وذلك فيما يخص قلق الاختبار. أما وضع أفراد العينة علي متغير المعدل التراكمي فلا يوجد من حصل علي أعلى قيمة (٥)، إلا أنه يوجد من حصل علي أقل من الحد الأدنى لطلقات الجامعة، إذ حصلت طالبة علي معدل تراكمي مقداره ١٫٣٢، وهنا أقل بكثير من الحد الأدنى المسوح به كمعدل تراكمي يسمح للطلاب بالاستمرار في الجامعة.

جدول (٥)

بيان بالمتوسط، والانحراف المعياري، وأدنى وأعلى درجة للعينة
في متغيري القلق والمعدل التراكمي (ن = ١٤٨)

المتغير	المتوسط	الانحراف المعياري	أدنى الدرجات	أعلى الدرجات
قلق الاختبارات	٩٣٫٦٩	٢١٫٩٧	٤٦	١٤٨
المعدل التراكمي	٣٫١٦	٠٫٧٢	١٫٣٢	٤٫٧٩

ولاختبار صحة الفرض الأول في هذه الدراسة والذي ينص على أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين قلق الاختبار والمعدل التراكمي عند طالبات الجامعة بين من النتائج الواردة في جدول (٦) أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠٢. بلغت قيمتها - ١٧.٠. وهذا الارتباط سالب وبذلك على أن الزيادة في مستوى قلق الاختبار عند الطالبات يؤدي إلى انخفاض المعدل التراكمي، أي أن العلاقة عكسية فإذا زاد القلق قل المعدل التراكمي، وإذا قل مستوى القلق ارتفع المعدل التراكمي.

جدول (٦)

معامل الارتباط بين قلق الاختبار والمعدل التراكمي

عدد أفراد العينة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
١٤٨	- ١٧.٠	٠.٠٢

وعليه يتم رفض الفرض الصفري وقبول الفرض البديل أي أن هناك ارتباطاً ذا دلالة إحصائية بين قلق الاختبار والمعدل التراكمي لدى الطالبات الجامعيات. أما باختبار الفرض الثاني والقاضي بأنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات المستويات الدراسية المختلفة فيما يتعلق بقلق الاختبار فقد تبين من النتائج الواردة في جدول (٧) أن الفروق دالة إحصائياً بين متوسطات قلق الطالبات في التخصصات المختلفة، إذ إن قيمة معامل "ف" بلغت ٢٦٦.٢، وهي قيمة دالة عند مستوى ٠.٠٥، وعليه يتم رفض الفرض الصفري الخاص بهذه

النتيجة وقبول الفرض البديل، أي أن هذا الفرق لا يمكن أن يعزى إلى الأخطاء العشوائية.

وباختبار الفرض الثالث والذي ينص على أنه لا فروق ذات دلالة إحصائية بين ذوات التخصصات المختلفة في مستوى القلق لديهم فقد بين من النتائج الواردة في الجدول (٧) أن قيمة معامل "ف" ٨٥-٠، وهي قيمة غير دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ٥-٠. وعليه يتم قبول الفرض الصفري. كذلك بدراسة النتائج الواردة في الجدول (٧) والخاصة بالفرض الرابع والذي ينص على أنه لا يوجد تفاعل ذو دلالة إحصائية بين المستوى الدراسي والتخصص في تأثيرهما على مستوى قلق الاختبار بين أن قيمة نسبة "ف" مساوي ١٦٤-٠. وهذه القيمة غير دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ٥-٠. وعليه يجب قبول الفرض الصفري.

جدول (٧)

تحليل تباين قلق الاختبار بالنسبة للمستوى الدراسي والتخصص والتفاعل بينهما (ن = ١٤٨)

مصدر التباين	درجة الحرية	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	معامل "ف"
المستوى الدراسي	٣	٣٦٣٩,٦٥	١٢١٣,٢٢	٢,٦٦
التخصص	٣	١١٥٧,٣٧	٣٨٥,٧٩	٨٥-٠
العلاقة بين متغير المستوى الدراسي والتخصص	٧	٥٢٣٤,٨٠	٧٤٧,٨٣	١,٦٤
الخطأ	١٣٤	٦١٠٩٦,٤٨	٤٥٥,٩٤	
المجموع	١٤٧	٧٠٩٣٣,٧٠	٤٨٢,٥٤	

* ذات دلالة عند مستوى ٥-٠.

ولإزاء قيمة نسبة "ف" (٢٢٦٦) ذات الدلالة الإحصائية والمتعلقة بفرض الدراسة الثاني يلزم الأمر استخدام اختبار Scheffe لمعرفة ترتيب طالبات المستويات الدراسية المختلفة من حيث مستوى القلق لديهن. وقد بين من الجدول (٨) أن مجموعة طالبات المستوى الأول حصلن علي أعلى متوسط في قلق الاختبار، ثم تليهن مجموعة المستوي الثاني بفارق قدره سبع درجات، ثم يأتي بعد ذلك مجموعة المستوي الدراسي الثالث، ثم مجموعة المستوى الدراسي الرابع، إلا أن الفرق بين مجموعتي المستوي الدراسي الثالث والرابع لا يكاد يذكر. أما الفرق بينهما معاً وبين مجموعة المستوى الدراسي الثاني فيصل إلي ٥ درجات ويتضح من هذه النتيجة أن مجموعة المستوى الدراسي الأول هي أكثر المجموعات تعرضاً لقلق الاختبار، وقد يكون السبب في ذلك قلة خبرة مجموعة المستوي الأول، وكذلك اختلاف النظام الجامعي عن النظام في التعليم العام. أما انخفاض مستوى القلق عند مجموعة المستوي الدراسي الرابع فقد يكون مرتبطاً بالفتهم للنظام الجامعي وتعودهم عليه واكتساب الخبرة الكافية لمواجهة مشيرات القلق الخاصة بالاختبارات.

جدول (٨)

بيان ترتيب مجموعات المستويات الدراسية المختلفة

حسب متوسطات قلق الاختبار

المجموعة	المتوسط
المستوي الدراسي الرابع	٨٧,٦٧
المستوي الدراسي الثالث	٨٧,٩٢
المستوي الدراسي الثاني	٩٢,٥٩
المستوي الدراسي الأول	٩٩,٦٢

وفيما يختص بالفروض الخامس والسادس والسابع والتي وردت النتائج المتعلقة بها في الجدول (٩)، فيتضح من النتائج الخاصة بالفرض الخامس أن معامل "ف" (٢٨٩) دال إحصائياً عند مستوى ٠.٥. وهذا بعكس الفرض، والذي ينص على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات المستويات الدراسية المختلفة فيما يتعلق بالمعدل التراكمي. وعليه يتم رفض الفرض الصفري وقبول الفرض البديل، أي أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية بين طالبات المستويات الدراسية المختلفة فيما يتعلق بمعدلهن التراكمي.

جدول (٩)

تحليل تباين المعدل التراكمي بالنسبة للمستوى الدراسي

والتخصص (ن = ١٤٨)

مصدر التباين	درجة الحرية	مجموع المربعات	متوسط مجموع المربعات	معامل "ف"
المستوى الدراسي التخصص التفاعل بين متغير المستوى الدراسي والتخصص الخطأ	٣	٤٣٣	١٤٤	٢٨٩ *
	٣	٢٠٢	٠٦٧	١٣٤
	٧	٤٢٨	٠٦١	١٢٢
	١٣٤	٦٧٠٣	٠٥٠	
المجموع	١٤٧	٧٧١٦	٠٥٣	

* ذات دلالة عند مستوى ٠.٥ -

وباستقصاء النتائج الخاصة بالفرض السادس والذي ينص على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طالبات التخصصات المختلفة فيما يتعلق بالمعدل التراكمي فقد تبين من الجدول (٩١) أن معامل "ف" (١٤٠٦) غير دال إحصائياً عند مستوى ٥-٠٠، وعليه يتم قبول الفرض الصفري أي أن الفروق بين طالبات التخصصات المختلفة في معدلهن التراكمي بسيطة ولا يمكن النظر إليها على أنها دالة.

وبالمضي قدماً في اختبار صحة فروض الدراسة نجد أن الفرض السابع والأخير والذي مفاده أنه ليس هناك تداخل ذو دلالة إحصائية بين المستوي الدراسي والتخصص في تأثيرها على المعدل التراكمي للطالبات، قد تأكد وتم قبوله أي أن أثر المستويات الدراسية المختلفة على المعدل التراكمي لا يختلف باختلاف التخصص وكذلك يمكن القول أيضاً بأن أثر التخصص الدراسي - مهما اختلف - على المعدل التراكمي لا يختلف باختلاف المستويات الدراسية، وذلك كما يتضح من قيمة "ف" (١٠٢٢) غير الدالة إحصائياً.

وبحول قيمة "ف" (٢٨٩) ذات الدلالة الإحصائية والخاصة بفرض الدراسة الخامس، يلزم الأمر استخدام اختبار Scheffe لتحديد جهة الفروق في متوسطات المعدل التراكمي لصالح أية مجموعة من مجموعات المستويات الدراسية. وبالرجوع إلى جدول (١٠) يتضح أن أقل المجموعات من حيث المعدل التراكمي هي مجموعة المستوي الدراسي الثالث، يليها مجموعة المستوي الدراسي الأول، ثم مجموعة المستوي الدراسي الثاني، أما مجموعة المستوي الدراسي الرابع فمتوسطها بعد أعلى متوسط بين المجموعات، ولعلنا من خلال هذه النتيجة نكون من المفهوم ارتفاع المعدل التراكمي عند مجموعة المستوي الرابع إذ إن هذه النتيجة تتفق أيضاً مع انخفاض مستوي قلق الاختبار عند المجموعة ذاتها، وهنا أمر متوقع إذ إن معامل الارتباط بين المتغيرين كان سلبياً وذا دلالة، أي أن ارتفاع القلق عند الطلاب يصاحبه انخفاض في التحصيل الدراسي (المعدل التراكمي) والعكس صحيح، وينطبق ذلك على مجموعة المستوي الدراسي الأول والثاني، إلا أن مجموعة المستوي الدراسي الثالث تشذ عن هذا الاتجاه فتري أنها أقل المجموعات في المعدل التراكمي، وكذلك تحتل المربة الثالثة في مستوي قلق الاختبارات، أي أنه ينطبق على هذه المجموعة عكس ما ينطبق على

المجموعات الثلاث، فانخفاض مستوي القلق صاحبه انخفاض في المعدل التراكمي.

جدول (١٠)

بيان ترتيب مجموعات المستويات الدراسية المختلفة
حسب متوسطات المعدل التراكمي

المعدل التراكمي	المجموعة
٢٩٩٩	المستوى الدراسي الثالث
٣١١١	المستوى الدراسي الأول
٣١١٤	المستوى الدراسي الثاني
٣٥٧٧	المستوى الدراسي الرابع

وبعرض الجدول (١١) المعايير التي تم استخدامها لهذه المجموعة الطلابية من طالبات جامعة الملك سعود، حيث يتضمن الجدول الدرجات الخام ومقابلاتها من الدرجات الثائية، وتبين من الجدول أن أدنى درجة من السكن الحصول عليها في مقياس القلق هي ٣٢ درجة خام ومقابلها درجة ثائية ٢٠.٨٢، أما أعلى درجة خام يمكن الحصول عليها فهي ١٦٠ درجة ومقابلها درجة ثائية تساوي ٨٠.٧٠. وإذا أخذنا في الاعتبار أن متوسط الدرجات الخام ٩٣.٦٩ والانحراف المعياري ٢١.٩٧، فإنه يمكن القول بأن الدرجة التي تعلق المتوسط بانحرافين معياريين يمكن اعتبارها مرتفعة ومشيئة إلى مستوي القلق المرتفع، أما الدرجة التي تقل عن المتوسط بانحرافين معياريين فإنه يمكن اعتبارها منخفضة وتدل على انخفاض مستوي القلق عند الطالبات.

جداول (١١)

الدرجات الخام ومقابلاتها من الدرجات التائية لطالبات
جامعة الملك سعود في مقياس قلق الاختبار

خام	ت	خام	ت
٣٢	٢٠٨٢	٤٦	٢٧,٣٧
٣٣	٢١,٢٩	٤٧	٢٧,٨٤
٣٤	٢١,٧٦	٤٨	٢٨,٣١
٣٥	٢٢,٢٢	٤٩	٢٨,٧٧
٣٦	٢٢,٦٩	٥٠	٢٩,٢٤
٣٧	٢٣,١٦	٥١	٢٩,٧١
٣٨	٢٣,٦٣	٥٢	٣٠,١٨
٣٩	٢٤,١	٥٣	٣٠,٦٠
٤٠	٢٤,٥٦	٥٤	٣١,١١
٤١	٢٥,٣٧	٥٥	٣١,٥٨
٤٢	٢٥,٥٠	٥٦	٣٢,٠٥
٤٣	٢٥,٩٧	٥٧	٣٢,٥٢
٤٤	٢٦,٤٤	٥٨	٣٢,٩٨
٤٥	٢٦,٩٠	٥٩	٣٣,٤٥

تابع جدول (١١)

الدرجات الخام ومقابلاتها من الدرجات الثانية لطالبات

جامعة الملك سعود في مقياس قلق الاختبار

خام	ت	خام	ت
٦٠	٣٣,٩٢	٧٤	٤٠,٤٧
٦١	٣٤,٣٩	٧٥	٤٠,٩٤
٦٢	٣٤,٨٥	٧٦	٤١,٤٠
٦٣	٣٥,٣٢	٧٧	٤١,٨٧
٦٤	٣٥,٧٩	٧٨	٤٢,٣٤
٦٥	٣٦,٢٦	٧٩	٤٢,٨١
٦٦	٣٦,٧٣	٨٠	٤٣,٢٧
٦٧	٣٦,١٩	٨١	٤٣,٧٤
٦٨	٣٧,٦٦	٨٢	٤٤,٢١
٦٩	٣٨,١٣	٨٣	٤٤,٦٨
٧٠	٣٨,٦٠	٨٤	٤٥,١٤
٧١	٣٩,٠٦	٨٥	٤٥,٦١
٧٢	٣٩,٥٢	٨٦	٤٦,٨٥
٧٣	٤٠,٠٠	٨٧	٤٦,٥٥

تابع جدول (١١)

الدرجات الخام ومقابلاتها من الدرجات الثانية لطاليات
جامعة الملك سعود في مقياس قلق الاختبار

خام	ت	خام	ت
٨٨	٤٧,٠٢	١٠٢	٥٣,٥٦
٨٩	٤٧,٤٨	١٠٣	٥٤,٠٣
٩٠	٤٧,٩٥	١٠٤	٥٤,٥٠
٩١	٤٨,٤٢	١٠٥	٥٤,٩٧
٩٢	٤٨,٨٩	١٠٦	٥٥,٤٣
٩٣	٤٩,٣٥	١٠٧	٥٥,٩٠
٩٤	٤٩,٨٢	١٠٨	٥٦,٣٧
٩٥	٥٠,٢٩	١٠٩	٥٦,٨٤
٩٦	٥٠,٧٦	١١٠	٥٧,٣١
٩٧	٥١,٢٣	١١١	٥٧,٧٧
٩٨	٥١,٦٩	١١٢	٥٨,٢٤
٩٩	٥٢,١٦	١١٣	٥٨,٧١
١٠٠	٥٢,٦٣	١١٤	٥٩,١٨
١٠١	٥٣,١٠	١١٥	٥٩,٦٤

تابع جدول (١١)

الدرجات الخام ومقابلاتها من الدرجات الثانية لطالبات

جامعة الملك سعود لى مقياس قلق الاختبار

خام	ت	خام	ت
١١٦	٦٠,١١	١٣٠	٦٦,٦٦
١١٧	٦٠,٥٨	١٣١	٦٧,١٣
١١٨	٦١,٠٥	١٣٢	٦٧,٦٠
١١٩	٦١,٥٢	١٣٣	٦٨,٠٦
١٢٠	٦١,٩٨	١٣٤	٦٨,٥٣
١٢١	٦٢,٤٥	١٣٥	٦٩,٠٠
١٢٢	٦٢,٩٢	١٣٦	٦٩,٤٧
١٢٣	٦٣,٣٩	١٣٧	٦٩,٩٣
١٢٤	٦٣,٨٥	١٣٨	٧٠,٤٠
١٢٥	٦٤,٣٢	١٣٩	٧٠,٨٧
١٢٦	٦٤,٧٩	١٤٠	٧١,٣٤
١٢٧	٦٥,٢٦	١٤١	٧١,٨١
١٢٨	٦٥,٧٢	١٤٢	٧٢,٢٧
١٢٩	٦٦,١٩	١٤٣	٧٢,٧٤

تابع جدول (١١)

الدرجات الخام ومقابلاتها من الدرجات الناتجة لطاليات
جامعة الملك سعود في مقياس قلق الاختبار

خام	ت
١٤٤	٧٣,٢١
١٤٥	٧٣,٦٨
١٤٦	٧٤,١٤
١٤٧	٧٤,٦١
١٤٨	٧٥,٠٨٤
١٤٩	٧٥,٥٥
١٥٠	٧٦,٠١
١٥١	٧٦,٤٨
١٥٢	٧٦,٩١
١٥٣	٧٧,٤٢
١٥٤	٧٧,٨٩
١٥٥	٧٨,٣٥
١٥٦	٧٨,٨٢
١٥٧	٧٩,٢٩
١٥٨	٧٩,٧٦
١٥٩	٨٠,٢٢
١٦٠	٨٠,٦٩

مناقشة واستنتاجات

يؤكد الارتباط السالب الذي تم التوصل إليه من بين نتائج هذه الدراسة والخاص بالفرض الأول، الاتجاه العام للقيمة والمردود العملي للقلق علي مستوى الفرد، من حيث كونه دافعا مهما إلا أنه قد يفقد قيمته وفائدته ويتحول إلي قوة محبطة أو دافع هدام، حيث يتبين من النتائج أن زيادة القلق يتبعها انخفاض في مستوى التحصيل الدراسي كما عبر عنه من خلال المعدل التراكمي، وكذلك الانخفاض في مستوى القلق يتبعه ارتفاع وتحسن في مستوى التحصيل، تحقق مع ما توصل إليه "دكتور ، ألتمان" Doctor & Altman (٢١). وكذلك نتيجة الكحيسي (٢٢)، إلا أننا يجب أن نكون حذرين فلا نأخذ هذه النتيجة علي ظاهرها، إذ إن الانخفاض الشديد في مستوى القلق قد يترتب عليه انخفاض في مستوى التحصيل، وذلك لانتقاد الدافعية المعركة للطالب لكي يعمل وينجز مايراد منه إنجازا، وبمعنى آخر يمكن أن نقول: إن القلق مطلب أساسي ولكن بمستوي معين، فإذا تجاوز هذا المستوى فقد ليته وبدأت آثاره السلبية. وما ذلك إلا أحد تطبيقات قانون " بيركس ، دودسون".

أما بخصوص الفروق الدالة إحصائيا في مستوى القلق بين الطالبات في المستويات الدراسية المختلفة فهنا متوقع، ولا سيما إذا عرفنا أن هذه الفروق جاءت بشكل متدرج بين المستويات الدراسية الأربعة، حيث وجد أن الطالبات في المستوى الدراسي الأول هن الأعلى قلقا، يليهن طالبات المستوى الدراسي الثاني، فطالبات المستوى الدراسي الثالث، ثم طالبات المستوى الدراسي الرابع، والأطيرة أقل مجموعة من حيث مستوى القلق إذ إن هذا التدرج يتفق مع التدرج في الخبرة المكتسبة و التضج. ويختلف هله النتيجة مع ما توصل إليه الطبري (٢٣) علي عينة من طلبة الجامعة المذكورة، فلم يستخرج نتائج دالة

إحصائيا. وقد يكون لاجتماع متغير المستوي الدراسي مع متغير الجنس
الأنثري دور في ذلك، ولكن لا بد من إجراء مزيد من الدراسة في هذا الشأن
أما النتيجة الخاصة بالتخصص وعلاقته بالقلق فلم تكن دالة وتعارض
هذه النتيجة أيضا مع ما تم التوصل إليه بخصوص طلبة الجامعة الذكور في
دراسة الطبري السابق الإشارة إليها. وقد يكون السبب في عدم دلالة الفروق
بين ذوات التخصصات الدراسية المختلفة عائدا إلى أن الطالبات المشاركات في
هذه الدراسة يصنفن كلهن على أنهن في نطاق التخصصات الأدبية، أما دراسة
الطبري على الذكور فقد شملت العينة طلبة من كل من التخصصات الأدبية
والعلمية

وقبما يتعلق بنتيجة المستوي الدراسي وعلاقته بالمعدل التراكمي فقد بين
أن هناك فروقا دالة إحصائيا بين ذوات المستويات الدراسية المختلفة لصالح ذوات
المستوي الدراسي الرابع، وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة الطبري الخاصة بالطلبة
الذكور، والتي بينت أن طلبة المستوي الدراسي الرابع أعلى في معدلهم
التراكمي. أما فيما يخص التخصص الدراسي ودوره في ظهور فروق في المعدل
التراكمي بين ذوي التخصصات الدراسية المختلفة فلم يكن هناك فرق دال إحصائيا
بين طالبات التخصصات الدراسية المختلفة في معدلاتهن التراكمية، وتتفق هذه
النتيجة مع الفروق في مستوى القلق والراجعة إلى التخصص، فلم تكن هناك
فروق دالة بين الطالبات في التخصصات الدراسية المختلفة في القلق.

وباختصار يمكن القول بأن هذا الموضوع في حاجة إلى مزيد من الدراسة
والبحث والاستقصاء، مع ضرورة شمول عينات طلابية مختلفة من الجنسين،
ومن تخصصات دراسية متنوعة، وكذلك من جامعات مختلفة حتي يتسنى
للتخصصين الوقوف على حقيقة هذه الظاهرة النفسية المهمة، ومن ثم سهل
التعامل معها.

الهوامش

(١) مصطفى غالب (١٩٨٥) نغلب على القلق. القاهرة. دار مكتبة الهلال.

ص ٣٧ .

(٢) مصطفى غالب مرجع سابق، ص ٣٨ .

(٣) مصطفى غالب، مرجع سابق، ص ٩٢ - ٦٨ .

- (٤) مصطفى غالب، مرجع سابق، ص ٧٠ .
- (٥) مصطفى غالب، مرجع سابق، ص ٧٥ - ٧٧ .
- (٦) دهنيد ف. شيهان (١٩٨٨) مرض القلق: ترجمة ، عزت شعلان.
- الكويت ، عالم المعرفة ، ص ١٧ - ١٨ .
- (٧) كمال مرسي (١٩٨٣) علاقة سمة القلق بالعصابية: دراسة نقدية
بالتحليل العامل. مجلة دراسات، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
- (٨) مصطفى غالب، مرجع سابق، ص ٩٢ .
- (٩) أحمد عبد الحائق ،أحمد خيرى حالىظ (١٩٨٨) حالة القلق وسمة القلق
لنفي عينات من المملكة العربية السعودية. مجلة العلوم الاجتماعية،
جامعة الكويت، ص ١٨٢ .
- (10) Sarason. I.G.(1980) Test anxiety:Theory, research, and applications. Lawrence Erlbaum Associates Publishers.
- (11) Sarason. I.G. Ibid, p. 20 .
- (12) Lewis, N.A & Taylor, J.A.(1955) Anxiety and extreme response preferences. Educational & Psychological Measurements, 111 - 116.
- (13) Sarason. I.G. Ibid. p. 105
- (14) Sarason. I.G. Ibid., p. 105.
- (15) Liebert, R., & Morris, L.W. (1967) Cognitive and emotional components of test anxiety: A distinction and some initial data. Psychological Reports, 20, 975 - 978 .
- (16) Hill, K.T.,& Eaton, W.O.(1977), The interaction of test anxiety and success-failure experiences in determining children's arithmetic performance.Developmental Psychology, 13, 205 - 211.
- (17) Doctor, R.M., & Altman, F. (1969) Worry and emotionality as components of test anxiety: Replication and further data.

Psychological Reports, 24, 563 - 568.

(١٨) وجلان الكعبي (١٩٨٥) دراسة للعلاقة بين مستوى القلق ومستوى

التحصيل الدراسي لدى طالبات المرحلة الثانوية. رسالة ماجستير (غير

منشورة) ص ١-٣ . كلية التربية، جامعة الملك سعود.

(19) Altrairy, A. (1984) Test anxiety and academic performance of Saudi Arabian university students. Unpublished dissertation, Washington State University Pullman, Washington, 38-56.

(20) Altrairy, A. Ibid. p. 83 - 85 .

(21) Doctor, R.M., & Altman, Ibid.

(٢٢) وجلان الكعبي، مرجع سابق.

(23) Altrairy, A. Ibid.

ملحق

مقياس قلق الاختبارات

إعداد

د. عبد الرحمن بن سليمان الظويري

قسم علم النفس - كلية التربية

جامعة الملك سعود

تعليمات

هذا الاستفتاء يحتوي على مجموعة من الجمل التي يمكن أن تستخدمها الطالبات في وصف اتجاهاتهن ومشاعرهن نحو الاختبارات والطلوب منك هو أن تترني كل عبارة بتمعن، ثم تضع علامة (✓) في المكان المناسب الذي يصف مدى صحة العبارة بالنسبة لك. المرجو أن تضع جواباً واحداً لكل جملة .

أبدا نادرا أحيانا غالبا دائما
(١) (٢) (٣) (٤) (٥)

() () () () () () () () () () (١١) أنا أطلع بكل شوق إلى الاختبارات .

() () () () () () () () () () (١٢) أثناء الاختبار أشعر بالانزعاج.

(١٣) أنا أنزعج وأغضب عندما أفكر

() () () () () () () () () ()

في الاختبار

(١٤) الانتظار لدخول غرفة الاختبار

() () () () () () () () () ()

يزيد من قلقي.

(١٥) خلال الاختبار ألتقي جدا لدرجة أنني

() () () () () () () () () ()

أنسى المعلومات .

(١٦) ضيق الوقت في الاختبار يجعل

() () () () () () () () () ()

درجتي أسوأ من الآخرين.

(١٧) كلما زادت أهمية الاختبار

() () () () () () () () () ()

كلما عملت أسوأ في الاختبار.

(١٨) أنا أهتم معظم الوقت من

() () () () () () () () () ()

أجل الاختبار.

(١٩) عندما أنتهي من الاختبار

() () () () () () () () () ()

أشعر بالتعب الشديد.

(٢٠) لا أستطيع التفكير جيدا

() () () () () () () () () ()

أثناء الاختبار.

(٢١) من السهل إزعاجي وإعائتي

() () () () () () () () () ()

بالأصوات أثناء الاختبار.

() () () () () () () () () ()

(٢٢) لا أستطيع النوم ليلة الاختبار.

(٢٣) أنزعج كثيرا من المذاكرة

() () () () () () () () () ()

للاختبار النهائي .

(١٤) أشعر بالارتباك عندما ينظر

() () () () ()

الأستاذ لي أثناء الاختبار.

(١٥) بعد الاختبار أفكر

() () () () ()

كثيرا فيما عملته في الاختبار.

() () () () ()

(١٦) أحلم أثناء النوم بالاختبارات

(١٧) أهتم بالاختبارات أكثر من

() () () () ()

غيري

(١٨) الاختبارات بالنسبة لي نجاح

() () () () ()

أو فشل في الحياة.

(١٩) أثناء الاختبار تزيد نبضات

() () () () ()

قلبي

(٢٠) كلما استعد جيدا للاختبار

() () () () ()

كلما ازدادت ارتباكا.

(٢١) قبل الاختبار جد أهدأ

() () () () ()

بالارتعاش.

(٢٢) التفكير في عدم الإجابة جيدا

() () () () ()

يؤثر علي نتيجتي.

(٢٣) يتصبب العرق مني خلال

() () () () ()

الاختبارات

(٢٤) أرتبك كثيرا أثناء الاختبارات

() () () () ()

(٢٥) خلال الاختبار أفكر في النتائج

() () () () ()

الترية علي القفل.

(٢٦) أشعر بالكآبة بعد الاختبارات

() () () () ()

(٢٧) أقلق في الاختبار حتي لو كنت

() () () () ()

مستعدا جيدا.

() () () () ()

(٢٨) مشاعري أثناء الاختبار تؤثر

() () () () ()

علي نتائجي.

(٢٩) أشعر بالثقة والارياح أثناء

() () () () ()

الاختبار.

() () () () ()

(٣٠) أهتم لأي نوع من الاختبارات.

(٣١) قبل الاختبارات المهمة أعرض

() () () () ()

لأرباك في المعنة.

() () () () ()

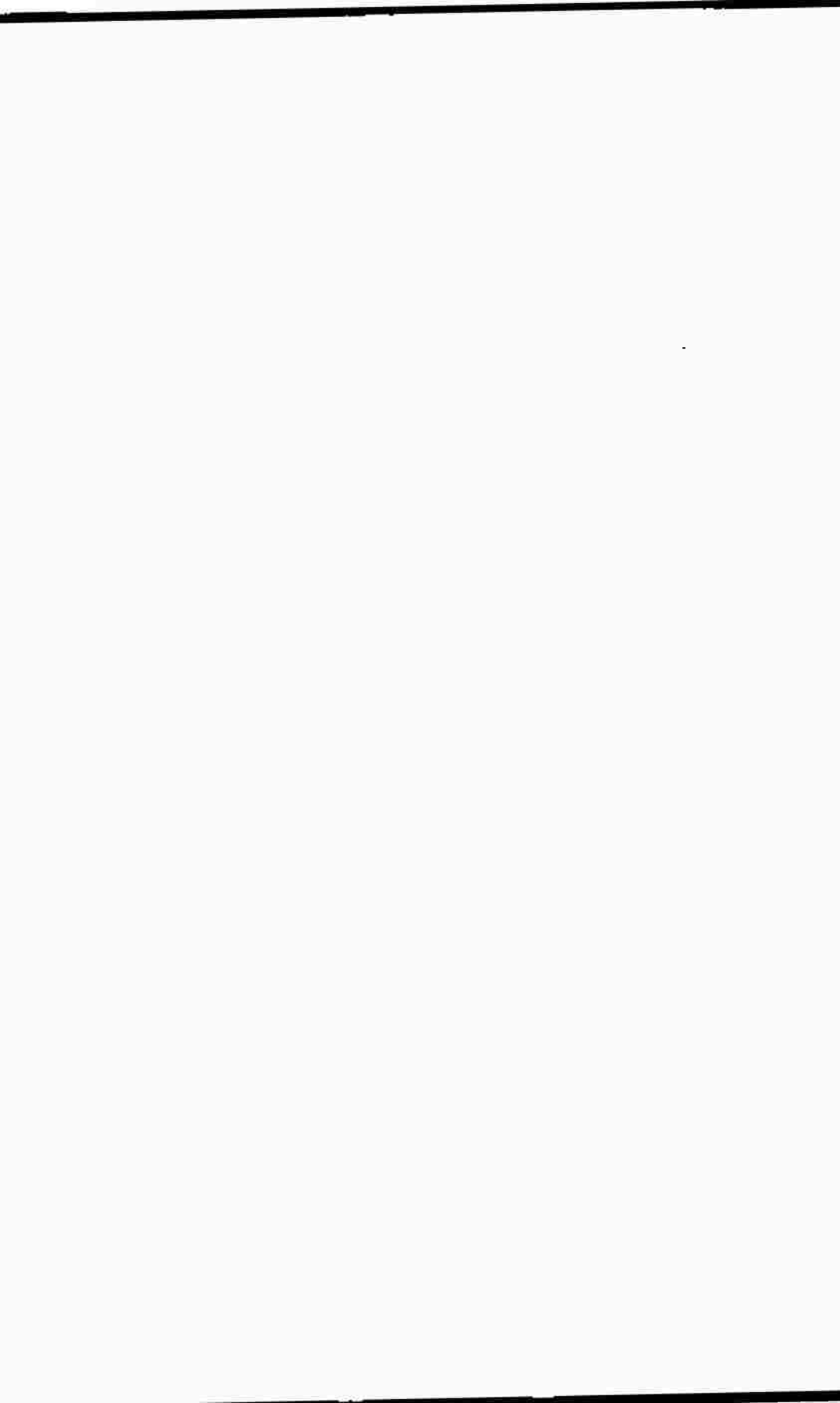
(٣٢) أبقيا قبل الاختبار.

المجزء من الويف الح المدينة النوافع والتكيف والاثار

دكتور

سعيد فالح الضاهدي

استاذ مشارك - قسم الاجتماع
كلية الاداب - جامعة الملك عبد العزيز



مقدمة :

موضوع الهجرة من الموضوعات الجديدة بالدراسة في الوقت الحاضر بعد ان أصبحت ظاهرة التحضر من أهم معالم التغير الاجتماعي ، حيث ان الحياة الحضرية قد سيطرت على مظاهر الحياة بصفة عامة وبين الدول المتقدمة والصناعية بصورة خاصة.

وقد خلقت ظاهرة التحضر وغو المدن العالمية والعربية العديد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي أصبحت تهدد حياة سكانها ومستوياتهم المعيشية وذلك من جراء الهجرة المتزايدة والنزوح البشري المستمر من المناطق الريفية والأقاليم البعيدة في اتجاه المدن الكبرى ومراكز التحضر الجديدة .

بل ان الهجرة الريفية نفسها أدت الى اهمال الأقاليم الريفية لهجر السكان لأراضيهم الزراعية ومناطقهم الرعوية مع الاتجاه نحو المدن حيث فرص العمل المتوفرة والأجور المرتفعة التي خلقتها الحياة والنشاط الاقتصادي والصناعي والتجاري والحرفي وحركة البناء والتعمير التي تشهدها معظم دول العالم حاصه النامية منها .

والمملكة العربية السعودية احدي الدول النامية التي تأثرت بالـ " جرة الداخلية " التي تدخل في نطاقها الهجرة من الريف الى المدن حيث ان " السكة " قد شهدت محاولات اجتماعية واقتصادية كبيرة وذلك على اثر العوامل المختلفة التي أثبتت لها وخاصة العوامل الاقتصادية التي قتل الدعامة الكبرى لزيادة موارد الدولة ومضاعفة امكانياتها للاتفاق وتخصيص الأرصدة الكبيرة لاعمال التطوير والتحديث خاصة في البنية الأساسية والانشاءات الضخمة ، وقد أدى ذلك الى حدوث حركات سكانية مختلفة من حيث النوع والحجم والطبيعة عما كان سائدا في الماضي . وسوف نخص من هذه الحركات التحرك من الريف الى المدينة ومدى أثره على الحياة في المجتمع السعودي من الناحية الاجتماعية والاقتصادية .

وقتل المملكة العربية السعودية مساحة جغرافية واسعة تتكون من العديد من الأقاليم والبيئات المختلفة منها الزراعية ومنها الرعوية وكذلك المناطق الحضرية .

ولقد كانت المملكة العربية السعودية في الفترات الأولى من تاريخها - قبل اكتشاف البترول - تتميز بنشاطات مختلفة اجتماعية واقتصادية حسب المناطق المختلفة من ريفية وبدوية وحضرية . حيث نجد أن المناطق الريفية تعتمد اعتمادا كبيرا على الحياة الزراعية باعتبار الزراعة هي المورد الاقتصادي الذي يمكن ان يقوم بتوفير متطلبات الحياة من ملابس ومأكل ومشرب . وتعتبر الأسرة الممتدة الأساس في القيام على ادارة النشاط الزراعي أو الاقتصادي داخل المناطق الريفية .

أما المناطق البدوية فان سكانها يمارسون نشاط الرعي وتربية المواشى والتنقل من منطقة الى منطقة أخرى حسب الظروف المناخية وبحسب توفر المناطق الرعوية التي يمكنهم الاستقرار بها لفترة معينة من الزمن ثم الانتقال الى منطقة أخرى . وهذا النشاط الرعوي يعتمد كذلك على الأسرة الممتدة وان كانت أقل حجما من الأسرة الممتدة بالمناطق الريفية التي تتميز بحياة الاستقرار .

أما الحياة الحضرية في الفترات الأولى فلم يكن هناك الا عدد من المدن القليلة التي يتركز فيها العديد من السكان يمارسون بعض النشاطات التجارية والصناعية البسيطة والقيام على خدمة الحجاج ، ومن أهم المدن في المنطقة : مكة المكرمة ، الطائف ، جدة ، المدينة المنورة ، ولقد كانت الحياة في هذه المدن تفتقر بالحياة البسيطة الغير معقدة نظرا لقلة السكان وعدم وجود المميزات المتوفرة في المدن الحضرية - وذلك من منطلق قلة الموارد الاقتصادية وغيرها مما يساعد على التقدم الاجتماعي أو الحضاري بصفة عامة .

الا انه بعد اكتشاف البترول اتخذت الحياة في المجتمع السعودي اتجاهها آخر وتغيرت في الكثير من المجالات الاجتماعية والاقتصادية .. مما ساعد على نمو المملكة وتقدمها في الكثير من المجالات . حيث أصبحت تعيش عهدا فريدا من

النمو الحضري قل ان يوجد له مثيل في كثير من مدن العالم من حيث السرعة الهائلة التي يمر بها هذا النمو سواء من الناحية التخطيطية أو العمرانية ، اذ تضاعف نمو الكثير من المدن السعودية في غضون العامين الأخيرين - بشكل خاص - سواء من حيث المساحة أو السكان .

وقد أدى ها النمو الحضري الى حدوث حركات سكانية مختلفة وقد اختلفت مظاهر هذه الحركات السكانية حسب المراحل الانمائية في المملكة .

ويمكن لنا ان نتناول هذه الحركات السكانية التي عرفتھا المملكة علو، مرحلتين أساسيتين هما (١) :-

المرحلة الأولى ، وقد بدأت مع بداية التطور الاقتصادي الحديث وكان من نتائجها حصول هجرة شبه منتظمة من مختلف الأقاليم إلى مناطق أريفية إلى المناطق أو المدن التي سبقت غيرها في التطور كالرياض ، مكة المكرمة ومناطق إنتاج النفط ومراكز التجارة . وكان الدافع الرئيس لتلك الهجرة هو ارتفاع مستوى المعيشة في المناطق الأكثر تطوراً التي اتسعت فيها أسواق العمل بالإضافة إلى أسباب أخرى اجتماعية وتعليمية وغيرها . وقد اتسمت هذه الهجرة بطابع انتقائي تناول في الغالب فئة الشباب الذكور ممن تراوحت أعمارهم بين ١٨ - ٣٠ سنة .

المرحلة الثانية ، منذ أوائل السبعينات حين تزايد استثمار النفط وتضاعفت أسعاره مما أدى لتزايد عائدات الدولة في المملكة العربية السعودية وأصبح بإمكانها تخصيص مبالغ ضخمة للاتفاق على البنية الأساسية ومشروعات التنمية في الأقاليم النائية . فتوجهت هذه الأرصدة بشكل رئيسي إلى بناء الطرق والاتصالات الحكومية والمرافق العامة والخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية . وقد تركزت هذه المشروعات بطبيعتها في المدن ومراكز الأقاليم ثم امتدت إلى المدن الأصغر تدريجياً .

ولذلك يمكن القول ان دوافع الهجرة تعددت واختلطت ولم يعد التوازن الذي كان سائدا بين عدد السكان والموارد المتاحة قائما . وقد أدى هذا التعدد والاختلاط الى تباين اتجاهات وأحجام حركات السكان وتعدد الخصائص والمشكلات الناجمة عنها .

وحيث أن موضوع بحثنا هذا يقع تحت نطاق الهجرة الداخلية ، فالتنا لبحثنا الى الباحثين قد ميزوا بين أنواع من الهجرة الداخلية ، هي (٢) :

١ - الهجرة من الريف الى الريف .

٢ - الهجرة من الريف الى المدن .

٣ - الهجرة من المدن الى الريف .

٤ - الهجرة داخل أقسام المدينة الواحدة .

٥ - انتقال الأفراد من محل إقامتهم الى محل إقامة آخر .

الا أن أبرز الأنواع وأكثرها شيوعا واستمرارا هو الهجرة من الريف الى المدن .

ولقد جذبت هذه الظاهرة أنظار الباحثين في العالم منذ فترة طويلة وبدأت الدول تدرك الأهمية الكبرى لحركات السكان الداخلية وأثر ذلك على السياسات المتبعة ، وكان الاهتمام مركزا على الحد من تدفق المعدمين الى المدن التي تقوي على أيوائهم ، وفي دول العالم النامي لابد ان يعمل المسؤولون على تلاهي المشكلات ووضع الخطط اللازمة للحد من هذه الهجرة عندما تزيد عن الحد المطلوب مع مراعاة ان معظم السمات الحضرية في البلاد النامية لا تستطيع وضع تغييرات جوهرية في طبيعة العلاقات الشخصية ، والانسانية والنظم الاجتماعية ، خلافا لما هو موجود في المجتمعات الغربية ، الأمر الذي يجعل المفهوم الغربي للهجرة لا يفتق مع الواقع في مجتمعاتنا .

أهداف الدراسة .

يمكن حصر أهداف الدراسة فى النقاط الآتية:

- ١ - معرفة التركيب النوعى والعمرى للمهاجرين . وعلاقتها بالهجرة بشكل عام.
- ٢ - معرفة عوامل الجذب والطرده للمهاجرين والأسباب والدوافع .
- ٣ - معرفة الآثار الاقتصادية والاجتماعية للهجرة من الريف الى المدينة .
- ٤ - معرفة مدى تكيف وتفاعل المهاجرين الى المدينة مع البيئة الاجتماعية والثقافية الجديدة .

فروض الدراسة .

- ١ - الفرض الأول : ترتبط دوافع الهجرة بانخفاض المستوى الاجتماعي والاقتصادي للفرد فى المناطق الريفية .
 - ٢ - الفرض الثانى : هناك علاقة بين العمر والنوع للمهاجرين و خلاف دوافع الهجرة لديهم .
 - ٣ - الفرض الثالث : كلما زادت الهجرة من الريف الى المدينة أدى ذلك الى ظهور الآثار السلبية على النشاط الاقتصادي فى الريف .
 - ٤ - الفرض الرابع : يرتبط تكيف المهاجر للحياة الاجتماعية فى المدينة ارتباطا عكسيا بقلته صلته بالريف .
- بمعنى انه : كلما زادت صلة المهاجر وارتباطه بالريف أدى ذلك الى عدم تكيفه للحياة الاجتماعية .

المنهج والأدوات ،

تتبع هذه الدراسة فى خطواتها المنهج التاريخى الذى يفيد فى القاء الضوء على حركة السكان داخل المملكة العربية السعودية والتى بدأت منذ وقت مبكر وإن كانت لم تبرز كظاهرة ملفتة للنظر إلا منذ ظهور البترول فى البلاد بكميات تجارية ضخمة منذ نحو ربع قرن من الآن . . . وأعنى بهذا دخول المملكة العربية السعودية كمنتج رئيسى للبترول فى الشرق الأوسط وليس بداية وجوده . كما تم الاعتماد على المنهج الوصفى بشكل رئيسى لوصف آثار الهجرة فى منطقتى الدراسة . وكذا وصف المهاجرين وتصنيفهم وفق بعض الأسس التى اعتمدت عليها لإبراز بعض خصائص المهاجرين .

أما أدوات الدراسة فقد اقتصرت على الاستبيان الذى تم اختيار أسئلته بعنايه لتخدم أغراض الدراسة ، ولذلك فقد تم اختيار العينة بما يتلائم مع ماذكر . حيث تم توزيع ستين استبياناً فى جامعة الملك عبد العزيز شملت بعض الأساتذة والموظفين والطلاب . بحيث تم توزيعها على النحو التالى :

(١.٠) أساتذة من كلية الآداب والعلوم والاقتصاد والادارة ، (١.٠) موظفين من إدارة الجامعة ، (٤.٠) طلاباً من كلية الآداب . وقد راعينا عند التوزيع على الطلاب أفهامهم أن يلا الاستبيان بواسطة رب الأسرة وليس الطالب نفسه مالم يكن هو رب الأسرة. وتم تحديد العينة من المهاجرين من منطقة الباحة الى مدينة جدة بصرف النظر عن مدة الهجرة . وتم اختيار العينة وفق الآتى :

١ - بالنسبة للأساتذة الذين يعملون فى الكليات الثلاث تم اختيارهم من خلال معرفتى الشخصية بهم وهم الذين ينتمون الى منطقة الباحة وهاجروا منذ مدة للدراسة بالجامعة سواء فى مدينة جدة أو غيرها ثم التحقوا بالعمل فى جامعة الملك عبد العزيز ، وهم يمثلون (٦٢.٥٪) من مجموع الأساتذة العاملين فى الجامعة الذين ينتمون الى منطقة الباحة .

٢ - الموظفين تم اختيارهم بنسبة (٥٠٪) من مجموع الموظفين الذين ترجع أصولهم الى منطقة الباحة ، وذلك بالاستعانة بقائمة أسماء الموظفين بالجامعة ، وقمت بحصر الموظفين العاملين بإدارة الجامعة فقط ليكونوا هم عينة تمثل الموظفين .

٣ - أما الطلاب فقد تم اختيارهم من بين الطلبة المسجلين في خمس عشرة شعبة لمواد مختلفة وذلك من خلال الألقاب ، إذ أن الأسماء في كشوف المواد الدراسية تكتب هكذا : الغامدي * . محمد أحمد . وكان المعيار الذي تم الاختيار على أساسه يتمثل في كون الطالب يقيم مع أسرته في مدينة جدة ، وبلغ عدد الطلاب المسجلين في الشعب المشار إليها والمقيمين مع أسرهم (٦٠) طالبا وهم يمثلون (٧٠٪) من مجموع الطلاب المسجلين بكلية الآداب للعام الدراسي ١٤١١ هـ والذين ترجع أصولهم الى منطقة الباحة .

* غامد : احدي أكبر قبيلتين في منطقة الباحة واليهما ينتسب أفرادها فيلحق ياء النسب بالغاء ، كما هو في هذا الاسم .

المفاهيم الأساسية

مفهوم الهجرة ،

تمثل الهجرة عاملا من أهم العوامل المؤثرة في التغير الاجتماعي والاقتصادي الذي يشهده عالم اليوم ، ولقد انصرف كثير من العلماء والدارسين الى الاهتمام بهذه الظاهرة والتعرف على أسبابها ودوافعها والآثار الناتجة عنها ، والسعى الى وضع الحلول المناسبة لتلاقي الكثير من مشكلاتها .

والهجرة كعملية سكانية تزايدت معدلاتها في عالم اليوم على نحو ملحوظ نتيجة لتغير نظام العمل والانتاج في أغلب مجتمعاته ، من الزراعة الى الصناعة ، ومن نظام في الانتاج الزراعي أصبح عاجزا عن توفير العمل لجميع السكان الى نظام في الانتاج يقوم على التصنيع وإيجاد فرص العمل لاعداد كبيرة من السكان يسعون دائما الى التنقل أينما وجدت هذه المنشآت الصناعية .

ومن هنا ينظر الى الهجرة باعتبارها علامة بارزة على التغير الاجتماعي طالما كانت عملية التصنيع تصاحبها حركات سكانية من الريف الى الحضر ومن مدينة الى أخرى في نفس البلد ومن مجتمع الى آخر .

وعلى هذا فقد عرفت الهجرة بأنها "عملية انتقال أو تحول أو تغير فيزيقي لفرد أو جماعة من منطقة اعتادوا على الإقامة فيها الى منطقة أخرى أو من منطقة الى منطقة أخرى داخل حدود مجتمع واحد أو منطقة الى أخرى خارج حدود هذا المجتمع . وقد تتم هذه العملية بإرادة الفرد أو الجماعة أو بغير إرادتهم وإنما باضطرارهم الى ذلك قسرا أو لهدف ، وقد تكون عملية الانتقال والتحول في المكان المعتاد للإقامة من منطقة الى أخرى على نحو دائم أو مؤقت وهكذا . (٣)

وهناك من يعرف الهجرة بأنها "تغيير مكان السكن أو مكان الإقامة الاعتيادي إلى مكان جديد ومختلف فهي تعنى تغييراً في المحيط جنيها إلى جنب مع التغيير في وحدة السكن - أو بمعنى آخر تغيير دائم لكان الإقامة من بيئة إلى بيئة أخرى بقصد الاستقرار في البيئة الجديدة - (٤٦)

ومن منطلق تعرضنا لفهوم الهجرة فإنه يمكن لنا أن نتناول أو نرسم الحدود الفاصلة بين هذا المفهوم وبعض المفاهيم المشابهة له. فالمهاجرين يختلفون عن المتنقلين ، لأن المهاجر الذي يغير مكان إقامته المعتاد من منطقة إلى أخرى يختلف عن الذين ينتقلون من بيت إلى آخر حتى ولو اضطروهم ذلك إلى تخطي حدود مجتمعهم . لأن نقل مكان الإقامة في حالة الهجرة يترتب عليه بالضرورة نقل حياة الإنسان المهاجر برمتها ، أما الذي ينتقل بين سكن وآخر فقد يظل يمارس حياته كلها في مكان السكن الأول .

وكذلك نجد أن هناك فارقاً واضحاً بين التنقل الاجتماعي والهجرة ، ذلك أن التنقل الاجتماعي يعتبر من قبيل تغيير المركز الاجتماعي والاقتصادي وربما سم هذا التغيير داخل منطقة واحدة في المجتمع دون حاجة إلى الانتقال إلى منطقة أخرى أو هجرة. كما أن الهجرة باعتبارها عملية تغيير فيزيقي في مكان الإقامة المعتاد وبالتالي تغيير جفري في حياة المهاجر تنطوي على عملية تنقل اجتماعي ، لأن المهاجر قد يحقق أثناء إقامته في منطقة المهجر مستوى من الحياة الاجتماعية ويصل إلى بعض المراكز. ويتمتع بمكانة اجتماعية اقتصادية لم تكن له في المنطقة التي انتقل منها وهجرها وهكذا . (٤٧)

أنواع الهجرة .

يوجد نوعان من الهجرة - أولهما : الهجرة الداخلية ويقصد بها الانتقال داخل حدود الدولة الواحدة كأن تكون الهجرة من البوادي أو الأرياف إلى المدن ، أو من مدن إلى أخرى .

وثانيتها : الهجرة الخارجية : وهى تعنى الانتقال من دولة الى أخرى .

ويمكن القول هنا انه سواء كانت الهجرة داخلية أم خارجية فإن الباعث اليها هو رغبة الانسان فى تحسين حالته ورفع مستواه سواء من الناحية الاقتصادية ، أو من الناحية الاجتماعية ، أو الثقافية ، أو غير ذلك ..
ولجد ان هناك تصنيفات أخرى للهجرة منها (٦) :

١ - من حيث الدافع . هناك الهجرة الاختيارية يختار الفرد مكان هجرته بنفسه حسب الظروف والأسباب الى تتعلق بأوضاعه الخاصة . وهناك الهجرة القهرية أو الاجبارية والتي تتم عملية الهجرة فيها بصورة إجبارية تحت ضغط الغزاة أو الحكم العسكري أو بسبب التنكيل والتعذيب والتهجير الاجباري فى حالات الحرب والسلام .

٢ - من حيث مدة الهجرة . هناك الهجرة الموسمية والفصلية حيث ينقل الأفراد أو العائلات من القرى والبادية الى مناطق أخرى بسبب ملازمة الظروف الاقتصادية والمعيشية وتوافر الماء والرعى للماشية . يعودون بعدها الى مناطقهم الأصلية . وهناك الهجرة الدائمة أو الطويلة الأمد التى يبتعد فيها الفرد عن موطنه الأصلى لفترات طويلة مع احتمال عدم العودة اليها .

٣ - من حيث الشكل . قد تكون الهجرة فردية على شكل أفراد من أسر وفئات وطبقات وعقائد متباينة فى المجتمع يهاجرون لأسباب اقتصادية أو ثقافية أو سياسية لفترات ومسافات طويلة أو قصيرة . وقد تتخذ الهجرة شكلا جماعيا بصورة جلاء شعب من موطنه أو طائفة دينية أو قبيلة من القبائل بسبب الحروب والاضطهاد والقحط والظروف البيئية كالزلازل والظوفان ، وقد تتم الهجرة الجماعية وفق تخطيط قومى أو دولى بمقتضى اتفاقيات دولية لتبادل قطاعات سكانية بين دولتين أو مجموعات من الدول .

وهناك أنواع أخرى من الهجرة مثل : الهجرة الأولية والهجرة الثانوية ، والهجرة الكاملة ، والهجرة الاصطفائية ، والهجرة المحافظة . وإن كان يجدر بنا القول هنا بأنها تدخل فى اطار التصنيفات المختلفة للهجرة ضمن اطار تحليلي لأنماط الهجرة ودوافعها وجماعاتها التى تختلف من دولة الى أخرى وقد تشابه بين مجموعة من الدول . (٧)

والهجرة ظاهرة اجتماعية يترتب عليها الكثير من الآثار الاجتماعية والاقتصادية ومن بينها عملية التكيف الاجتماعى للمهاجرين حتى يمكن أن يتكيفوا مع كل الأنماط السائدة فى المجتمع الذى هاجروا اليه ويمكن أن لايتكيفوا . وهناك نوعان من التحرك الاجتماعى الأول هو الحراك الاجتماعى الأفقى والحراك الرأسى . فالحراك الأفقى هو انتقال الأفراد أو الجماعات من مكان الى آخر وهذا هو ما يطلق عليه "الهجرة" أما الحراك الرأسى فلا يندرج تحت مفهوم الهجرة ، حيث أنه عبارة عن انتقال الفرد من طبقة اجتماعية الى أخرى . (٨)

خصائص المهاجرين من الويف الى المدن .

من المتوقع بالطبع ان يكون للمهاجرين بعض الخصائص النوعية والعمرية والتعليمية والمهنية والطبيعية وغيرها ، والتى تميزهم عن غير المهاجرين ولذلك كان التعرف على هذه الخصائص لاهقل أهمية عن التعرف على حجمهم والتغير فى هذا الحجم ، طالما كانت هذه الدراسة لخصائصهم كافية فى فهم نوعية المهاجرين وبالتالي توقع تكيفهم وتشكلهم مع ظروف المناطق التى ينتقلون اليها . ولقد دلت الدراسات المتعلقة بخصائص المهاجرين على ان أعلى نسبة للتنقل والهجرة تكون بين صغار العمر أكثر منها بين المتقدمين فى العمر وإن الرجال أكثر ميلا الى الهجرة من النساء . وإن الأشخاص الذين تلقوا تعليما متوسطا أو جامعيًا أكثر فخرا بالهجرة من غيرهم . وأنه تقل فرص الهجرة بين الأشخاص الذين يملكون مشروعات خاصة أو مهن ، لأن عليهم اذا فكروا فى الهجرة ان يكونوا عملاء جدد لمشروعاتهم

ويوفروا الامكانيات اللازمة لاقامة مثل هذه المشروعات . كما ان العاملين الذين يعيشون على مرتبات من وظائفهم يجدون أن من واجبهم التكيف مع الهجرة اذا فقدوا هذه الوظائف وهكذا .

والحقيقة ان الكثير من هذه الخصائص تنطبق على المهاجرين في المملكة العربية السعودية ويمكن لنا تحديد بعض خصائص المهاجرين من الريف الى المدن السعودية على النحو التالي : - (٩)

٩ - من حيث المهنة .

ان معظم الذين يهجرون الريف والبادية من المزارعين والرعاة الذين يقومون بالأعمال الزراعية التقليدية غير التكنولوجية مثل الحراثة بواسطة الحيوانات . أو الذين يربون الحيوانات ورعى الماشية أو العمل بالأعمال البسيطة كالبناء واقامة الحواجز والعمل على المطاحن التقليدية أو تقطيع الأشجار وغيرها .. اضافة الى العاملين في بعض الصناعات التقليدية .

٢ - من حيث ملكية الأرض .

ترتفع الهجرة بين المزارعين ممن لا يمتلكون الأرض كالعاملين بالأجرة اليومية أو المناصفه في الناتج مع صاحب الأرض أو الذين تقل لديهم حيازة الأرض بحيث لا تناسب مع حجم الأسرة الريفية الكبيرة .

وفي الواقع ان الخاصتين السابقتين قد تميزان المهاجرين في بعض المناطق الريفية السعودية . الا انه يمكن القول انها قد لاتعتبر دوافع اضطرارية لترك الريف والاتجاه الى المدن حيث ان السبب قد يعود الى تطلعات أكبر للمهاجر وهو ما سرف نتناوله عند الحديث عن الأسباب والدوافع .

٣ - من حيث العمر والجنس .

ترتفع نسبة الذكور المهاجرين على الاناث، حيث ان التقاليد والقيم

الاسلامية والريفية الغالبه لا تسمح بهجرة الفتاة والمرأة دون محرم . وغالبا ما ترتبط حركة الاناث بهجرة الذكور . اما من حيث العمر فقد دلت الدراسات على ان معظم المهاجرين من الريف تتراوح أعمارهم بين ١٨-٣٥ سنة . حيث تكون هذه الفئة أقل ارتباطا بالأرض وأكثر قدرة على الحركة والتكيف والمجازفة في الابتعاد عن المجتمع الريفي وروابط القرابة

٤ - من حيث الحالة الاجتماعية .

تزداد نسبة المهاجرين العزاب والمطلقين والأرامل أكثر من الفئات الأخرى وحتى عندما يتخذ المتزوجون القرار بالنزوح من القرية فأنهم يتركون زوجاتهم وأولادهم في معظم الحالات عند الأقل والأقارب حتى تتاح لهم فرصة إيجاد العمل وتوفير الأيراد الكافي لتأمين المسكن وتأثيثه وتقبل القيم الحضريه . وقد غدت فترة الهجرة الفردية من سنة الى عدة سنوات تتم خلالها الرحلات المستمرة بين المدن والريف اسبوعيا أو شهريا أو سنويا ريثما تلائم الظروف لهجرة الأسرة وربما الأسرة الممتدة بكل أفرادها بحسب امكانيات المهاجر . وفي أغلب الأحوال فان الانسان الذي هاجر من الريف حتى ولو طالت هجرته قد يعود اليه وان توفرت كل الامكانيات في الحياة الحضريه . اذ انه من الصعب على الريفي ان يقطع من المجتمع الذي تأصلت فيه جفوره ولعدة أجيال سابه .

٥ - الحالة التعليمية .

يمكن القول انه خلال الفترات السابقة من نمو وتطور المملكة لم يكن هناك الكثير من المهاجرين النازحين الى المدن يستمعون بقدر من التعليم حيث ان الدولة كانت تقبل أي متقدم حتى وان كان لا يحمل أي شهادة من أجل العمل في الشرطة أو قطاع الجيش أو غير ذلك من القطاعات التي استوعبت الاعداد الكثيرة من المهاجرين دون النظر الى الناحية التعليمية وذلك بحسب الظروف السائدة في حينه ومن أجل السعى الى المشاركة في ارساء الكثير من مظاهر النشاط العام مع ان

هناك بعض المتعلمين الذين هاجروا الى المدن ولكن كان تعليمهم يمتاز بطابعه الغير رسمى بعكس ما هو سائد فى الوقت الحاضر ، اما فى الفترات الأخيرة وبعد توفر فرص التسليم وانتشاره لى كثير من أنحاء المملكة وقراها المختلفة فان المهاجرين من المتعلمين يتكلمون الغالبية . ويعود ذلك الى تفرغ فرص العمل المناسبة فى المناطق الحضرية والرغبة فى التغيير ومعرفة المجهول وخاصة الذين اتهموا دراساتهم المتوسطة أو الثانوية اضافة الى رغبة هؤلاء فى تكملة دراساتهم فى الجامعات والكليات المختلفة التى لا يوجد منها فروع فى بعض المناطق الريفية .

ولمجد ان هناك دراسات فى بعض المجتمعات على النقيض من ذلك حيث تدل على انه كلما ارتفع المستوى التعليمى فى المنطقة التى يجري التزوج منها ، قل الميل الى الهجرة ، وهذا بالطبع يقترن بمستوى المعيشة والفرص الوظيفية المتوفرة فى تلك المناطق ، وعلى كل فانه يمكن القول ان الاختيار لعملية الهجرة يركز على الفئات الغنية فى القرية الأكثر ازدهارا وعلى الفئات الغنية والفقيرة فى القرية الفقيرة .

٦ - الحالة الاقتصادية ،

ان الناحية الاقتصادية لها الدور الفعال من حيث ارتباطها بنسبة المهاجرين الى المدن حيث ان أولئك المهاجرين يتميزون بقله مواردهم الاقتصادية والتى تعتمد فى الأساس على الزراعة وعلى بعض الممارسات التجارية التى لا تستطيع ان تفى بالمطلوب تجاه الأسرة لكثرة عددها . وقد أصبحت تلك الموارد الاقتصادية عاجزة بالفعل عن الوفاء بمطالب الأسرة المستدة نتيجة لمتطلبات الحياة التى افرزتها الاتجاهات الاستهلاكية الحديثة .

وهناك بعض الخصائص الأخرى التى يري البعض ان لها الدور الفعال فى عملية الهجرة أو أن المهاجرين يتصفون بها مثل مدى تريف أو محضر المهاجر أو من حيث المكانة ودورها فى هجرة المنتصف بها اضافة الى الانتماء القائم على أساس

السلاسل أو الجماعة التكنولوجية .. الخ مما يمكن اعتبارها خصائص ثانوية حيث ان الظروف هي المحك الأول والأخير وهي التي قد تميز الشخص وهي التي قد تدفعه الى الهجرة أو عدمها .. (١٠)

عوامل الهجرة من الريف الى المدن .

هناك عدة أسباب أو عوامل تعمل على دفع الريفيين لاتخاذ القرار بالنزوح من القرية الى المدينة . كما ان هناك عوامل تسهم في جذب الريفيين الى المدينة ولكل من عامل الدفع والجذب اثره على حياة المهاجرين وغط الهجرة وكذلك الآثار الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية المترتبة على القرى المصدرة وعلى المدن المستقبلية لأولئك المهاجرين .

اضافة الى عوامل الجذب والدفع نجد ان هناك عوامل ذاتية تتعلق بالمهاجر نفسه وتجعله يفكر في الهجرة دون أن تكون هناك عوامل خارجية تدفعه الى الهجرة .

ومع انه يمكن الفصل بين العوامل الطارئة والجاذبة للمهاجرين ، الا ان الأهم هو محاولة تناولهما في آن واحد حتى يسهل الربط بينهما لتتضح تلك العوامل بشكل أوسع ، وان كان التقسيم مفيداً في مجال البحث ، الا ان عوامل كل قسم قد لا تعمل منفردة ومستقلة عن عوامل القسم الاخر اضافة الى ذلك . فان بعض العوامل يصعب ضمها الى كل من الفئتين كالعوامل الذاتية .

ومن الأمثلة على ذلك "عامل التطور التكنولوجي" حيث نجد ان التطور التكنولوجي في ميدان الصناعة الذي يعبر عنه بالثورة الصناعية وماتطلبه من الأيدي العاملة يجذب كثيراً من المهاجرين الى المدينة التي تقوم فيها الصناعة . والتطور التكنولوجي في ميدان الزراعة يعتبر عامل طرد ، لأن ظهور الآلات الزراعية الحديثة ووسائل الميكنة في الزراعة أدت الى وجود فائض من عمال الزراعة، دفعهم الى البحث عن فرص أخرى للعمل في المناطق الصناعية. (١١)

ويمكن لنا فيما يلي توضيح العوامل الطاردة والجاذبة فى عدد من النقاط التى قد تكون مستوفية لتلك العوامل ثم نتناول العوامل الذاتية الدافعة الى الهجرة من الريف الى المدن .

١ - العامل الاقتصادي .

فى الحقيقة ان العامل الاقتصادي وحسب ما أشارت اليه الكثير من الدراسات يعتبر من أهم العوامل الطاردة والجاذبة للهجرة السكانية من الريف الى المدن .

وان كان هناك اختلاف فى نسبة هذه الهجرة من منطقة الى منطقة بحسب تحسن الظروف المعيشية . اضافة الى انه لا بد من الأخذ فى الاعتبار العامل الزمنى من حيث ان نسبة المهاجرين فى الآونة الأخيرة متجهة الى الانخفاض وذلك من منطلق الاهتمام المتزايد بتنمية المناطق الريفية بالمملكة العربية السعودية . والهجرة ليست مجرد انتقال مكاني من منطقة الى أخرى بل انها ترتبط بتغيرات فى المستوى المعيشى للمهاجرين ، وترتبط بتغير فى المهنة أيضا ، فمعظم المهاجرين من الريف الى المدينة يتحولون من الزراعة الى الصناعة أو التجارة . والفرد يبحث عن المكان الذي يجد فيه عملا أفضل أو أكثر ملاءمة له وظروفه .

والحياة الاقتصادية الريفية تتميز بطردها للسكان على اثر النقص فى أجور العاملين فى الزراعة وقلة دخل الريفي وضعف مستوى معيشته الى جانب ان العمل فى الزراعة غير منظم وغير دائم فهو يتأثر برغبة المالك وحالة الطقس والمواسم الزراعية .

وقد أثبتت البحوث ان دخل صغار الملاك فى الزراعة يقل عن دخل العمال غير المهرة فى الصناعة أو الأعمال الوظيفية الأخرى علما بأن عمال الزراعة يقل دخلهم عن دخل صغار الملاك ولذلك يفضل عمال الزراعة وصغار الملاك الهجرة الى المدن والعمل فى الصناعة والوظائف الحكومية والخدمات مطمئنين الى حد أدنى فى

الدخل قد لا يقل عن دخلهم في العمل الزراعي أو المهني التقليدي، وإلى عمل لا يتوقف على حالة الطقس أو حالة السوق . (١٢)

ويمكن هنا أن نورد بعض النقاط المتعلقة بالعامل الاقتصادي وعلاقته بتاحية الجذب والطرده :

أ - أن مهنة الزراعة - وهي الغالبة في النمط الريفي - تتميز بعائدها غير المستقر والضئيل بالنسبة للذين لا يملكون سوى قطع زراعية لا تنفي بالحاجة مع امتداد الأمر الريفية وزيادة السكان وهذا يجعل الحياة الريفية غير مستقرة وبالتالي يندفع الكثير من الأفراد إلى الهجرة للمدن الحضارية لتحسين مستويات معيشتهم .

ب - أن الظروف المعيشية في الريف السعودي وإن كانت تحسنت في الآونة الأخيرة إلازال ينقصها جانب الخدمات التي تعتبر غير ملائمة بمقارنتها بأحوال المعيشة في الحضر .

ج - أن التنوع في مجالات العمل (التي اتاحتها الحياة الحضرية والموارد الاقتصادية الهائلة والتي تركزت في المدن) وبالتالي في مصادر الدخل ، جعلت الريفيين يتجهون إلى تلك المدن ، حتى يتمكنوا من زيادة دخلهم وخاصة كلما اتجهت إلى المجال التجاري أو الصناعي .

د - أن جوانب التقدم المادي بما يمثله من تطورات تكنولوجية - تعد خاصية تميز الحياة في المدن ، الأمر الذي يدفع بالأفراد ويغريهم بترك محل إقامتهم الأصلي ومحاولة الاستفادة بهذا التقدم المادي الجذاب .

وخلاصة القول أن الريف السعودي تميزت ظروفه بطابع القساوة التي تمثلت في قلة الأراضي الخصبة ، تخلف أساليب الإنتاج الزراعي وتربية بعض الحيوانات ، ونفرة الأمثلة ، وانخفاض الإنتاج وتدنى الأجور ، وصعوبة التسويق ، ويطء تطور

النظم الاقتصادية الريفية ، وعدم توفر فرص العمل للمتعلمين أدى كل هذا الى الاتجاه الى المدن الكبيرة والصغيرة التي أصبحت أماكن لجذب المزيد من القوي العاملة لأن المتوفر منها لم يعد كافيا للقيام بأعباء التحديث بعد ان توسعت القاعدة الاقتصادية وتنوعت في البلاد الأمر الذي اقتضى بدوره استمرار التوسع في المشروعات الاستثمارية وتضخم جهاز الوظائف الحكومية وماتبع ذلك من تطور في التجارة ونهوض الخدمات التعليمية والثقافية والصحية والاجتماعية والمهنية .

٢ - الدافع الاجتماعي .

ان الدافع الاجتماعي يأتي في المرتبة الثانية بعد الدافع الاقتصادي حيث لمجد الحياة الريفية تتميز ببساطتها ومع هذه البساطة أصبحت القرية غير منفصلة على نفسها بعد تيسر طرق المواصلات وانتشار وسائل الاعلام التي أثرت في مسار الحياة الريفية البسيطة ، وجعلت سكان الريف يشعرون بعدم الرضا عن الحياة التي يجبرونها في الريف مما يجعلهم يندفعون الى ترك الحياة الريفية والهجرة الى المدينة سعيا وراء حياة أفضل .

" وقد اعتبر "بيجيه" سوء الحالة السكنية للريفيين ، النقطة الأساسية في الدافع الاجتماعي للهجرة الداخلية ، حيث أن معظم مساكن الريفيين تقل في مستواها كثيرا عن مساكن المدينة ، كما انها غالبا ماتكون مكتظة بساكنيها . وقد دلت استفتاءات أجريت في دول مختلفة عن أسباب الهجرة من الريف الى المدن على ان عدم توفر الراحة في المساكن الريفية وكذلك الظروف العامة للحياة في الريف من أهم أسباب الهجرة" (١٣)

ومن الدوافع الأخرى دوافع شخصية نابعة من الظروف الاجتماعية المحيطة بالشخص نفسه مثل الرغبة في اللحاق بمجموعة من الأقارب أو أبناء القرية يكونون قد هاجروا الى المدينة منذ فترة من الزمن ، أو الرغبة في الزواج من المدن نظرا لبعض المشكلات الريفية المحيطة بالمهاجر (وان كانت هذه الحالة نادرة نسبيا)

إضافة الى وجود أزمات أو مشكلات عائلية يعاول المهاجر الهروب منها والذهاب الى المدينة.

ان الفوارق الطبقية بين سكان الريف أنفسهم وكذلك سكان الحضر والتي وجدت منذ عدة قرون عندما كان ينظر لكل من أهل البادية والريف وأهل المدينة نحو بعضهم البعض بنوع من التسامي والغيرة والتحقير والتصنيف بمختلف أنواع التمييز الاجتماعي . ان هذا الوضع دفع بأهل الريف نحو كسر الطرق الاجتماعية والتحرك من الطبقات الدنيا الى المتوسطة والعليا وتعتبر المدينة ومجتمعها ومؤسساتها وامكانياتها المجال الذي يوفر للريفيين الحركة الاجتماعية والانتقال من طبقة الى أخرى ومن المستوي المنخفض الى المستوي الأعلى . (١٤)

٢ - العامل النفسي .

ويمكن تقسيم هذا العامل الى عدة نقاط :

١ - آمال المهاجر وأحلامه التي يبنها على الهجرة ، فهو يري فيها عادة قفزة تحقق له ما يصبو إليه ، وخاصة اذا كان شخصا واسع الطرح . وفي هذا يشير " دي فوتر" الى انه لاستخلاص الأسباب الحقيقية للهجرة يجب ألا نهتم فقط باستخراج نتيجة تفاعل القوي الأساسية للجذب والطرده ، بل يجب أيضا مراعاة مدى آمال المهاجر وأحلامه . (١٥)

٢ - الرغبة في التقدم مستقبلا وضيق الفرص امام هذا التقدم في ميدان الحياة الريفية ، قالعامل الزراعي أو المزارع قد يعمل طول حياته بنفس العمل وينفس العائد وخاصة كلما كانت الساحات الزراعية محدودة ، اما الميدان الصناعي والتجاري والوظيفي فانه يتميز بالحراك الاجتماعي وهنا مايسعى اليه المهاجر في حياة المدينة . كما ان تعلم المهاجر لحرفة معينة أو اكتساب مهارة خلصة يزيد من ثقته بنفسه ورضاه عن قدراته .

٣ - ان الاختلافات الكثيرة بين ظروف العمل الزراعى وظروف العمل التى تتميز بها حياة المدينة تجعل المهاجر يتجه الى المدينة رغبة فى الحصول على عمل يري فيه الراحة والانتظام بعكس العمل الزراعى وما يترتب عليه من الشعور بالتوتر والتعب نتيجة لأيام العمل الطويلة وانعدامه فى فترات معينة ، ومع هذا فان العائد والحصول من الأعمال الريفية قد تريح الريفى ولا يجعله يفكر فى الهجرة مهما كان هناك من مشقة وعناء .

٤ - ان حياة المدينة بسهولتها وجبوتها وماتوفره من وسائل التسلية والترفيه فيها قد تكون من الأسباب النفسية التى تدفع الى الهجرة بين الريفين وخاصة الشبان منهم ، لانعدام هذه الوسائل فى الحياة الريفية والضغط الذى يواجهونها من كبار العمر الذين لا يتقبلوا الكثير من الوسائل الترويحية والرياضية الحديثة ويرى انها لا تليق بالعادات والتقاليد المحمودة .

٤ - عامل التعليم ،

يعتبر عامل التعليم من أهم العوامل الأساسية فى الهجرة من الريف الى المدن ، وخاصة ان هذا العامل فى المملكة العربية السعودية مرتبط بالعديد من الأمور التى شجعت على زيادة انتقال المهاجرين من بين الشباب الى المدن .

وهذه الأمور تلخص فى التشجيع المستمر من قبل الدولة على مواصلة التعليم لما له من عائد على المستوي الاجتماعى والحضارى الذى عاشته هذه البلاد فى المراحل المختلفة ولا زالت تعيشه ، ولحيث ان هذه المؤسسات الحضارية لازالت بحاجة الى موهلين يعملون بها التى تنعدم فى كثير من المجالات وتكثر فيها العمالة الأجنبية مما حدى بالدولة الى تشجيع الاقبال على الناحية التعليمية وذلك من أجل سد الاحتياج واتاحة الفرص للجميع انجهاها الى الاكتفاء الذاتى من الموارد البشرية .

وبهذا فقد أصبحت الرغبة فى مواصلة التعليم من أجل السعى الى المؤهل
الوظيفى ظاهرة تتميز بها الحياة الريفية ، وأصبحت الظاهرة التعليمية دافعا لأهل
الريف على الهجرة الى المدينة ، وخاصة بعد ان أصبح التعليم حقا للجميع لا فرق
بين غنى وفقير ، حضري وريفى . وبعد ان أصبحت فرص الترقى فى العمل والتقدم
فى الحياة متوقفة على مدى ما يحصله المرء من التعليم والخبرة .

ولما كانت فرص التعليم فى الريف محدودة لذلك يلجأ كثير من الريفيين
للحجرة الى المدن حتى يوفروا سبل التعليم ان لم يكن لأنفسهم فلأولادهم . وان
كانت الهجرة تكثر بين الشباب بأنفسهم بعيدا عن اصطحاب أسرهم . ويلاحظ انه
كلما زاد تحضر الريف زاد اهتمام أبناؤه بالتعليم وأقبالهم على الهجرة الى المدن
حيث العديد من المدارس والمعاهد والكليات والجامعات .

٥- عوامل أخرى ومنها :

أ - الرغبة فى الهجرة .

مع ان الهجرة وكما فسرتها الكثير من الدراسات تنشأ اما بفعل عوامل
اقتصادية أو اجتماعية . الا أن هذه العوامل فى بعض الحالات أصبحت عاجزة عن
تفسير كافة حالات الهجرة من الريف الى المدن . اذ يبدو ان هذه الهجرة حتى لو
صار معروفا ان المكان المقصود بالهجرة يعانى البطالة وغيرها من المشكلات حتى
وان كانت هناك بعض التحسينات على الواقع الريفى فقد لا يكون لذلك الأثر على
حياة أولئك المفكرين فى الهجرة . لذلك يبدو ان هذه الأسباب الخفية واللامنتطقية
للحجرة تلعب دورا كبيرا خصوصا فى أوساط الشباب . فالاقامة تقدم لك ماهر
معلوم لديك ، خيرا كان أم شرا ، اما الرحيل فيقدم لك المجهول أي دنيا الآمال .
وقد لا تكون الاختلافات بين من بهاجر ومن لا بهاجر هي الفاصل وانما الاختلافات
بين الأماكن المتاحة للهجرة . (١٦)

وهنا يتضح فى الغالب ان عوامل الجذب والطرْد ليست بالأساس ، وإنما لأن الهجرة ، بمعنى التنقل ، أصبحت فى نظر عدد متزايد من صفار العمرة حمة فى حد ذاتها ، ولا محتاج اذن الى أية مبررات منطقية . وهذا يعنى ببساطة ان أحد الأسباب الهامة للهجرة هى الهجرة ذاتها ، وعنده يمكن اعتبار الهجرة من الريف الى المدينة ظاهرة تاريخية تشمل فى زوال أهمية مكان محدد فى حياة البشر . (١٧)

ب - عوامل تتعلق بالانتقال .

لقد كان تطور النقل والمواصلات كذلك بالملكة العربية السعودية وماتبعه من سهولة الاتصال بين المدن والمناطق الريفية وكذلك حرية الانتقال والاقامة (دون أي قيود أو شروط تفرضها السياسة الحكومية) الأثر الكبير على مرونة حركة السكان واستجابتهم لعوامل الجذب المتنامية .

وفى نهاية عرضنا لبعض هذه الدوافع التى نرى أنها أهم الدوافع للهجرة سكان الريف الى المدن بالملكة العربية السعودية يجدر بنا ان نقول ان هذه الدوافع وغيرها من الدوافع لاتعمل منفردة ولكنها تعمل متعاونة فيما بينها ، كما ان تأثير الدوافع المختلفة للهجرة تختلف قوة وضعفا باختلاف الزمان والمكان وباختلاف ظروف الموطن الأصلى للمهاجرين والنمط الثقافى السائد بين أبنائه .

الدراسة الميدانية

جدول رقم (١)

توزيع مفردات العينة حسب العمر

النسبة %	التكرار	فئات العمر
-	-	أقل من ٢ سنة
٪١٣,٣٣	٨	من ٢ - ٣
٪٢٠,٠٠	١٢	من ٣ - ٤
٪٥٠,٠٠	٣٠	من ٤ - ٥
٪١٦,٦٧	١٠	٥ فأكثر
٪١٠٠	٦٠	المجموع

الجدول رقم (١) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب فئات العمر . ونلاحظ أن مفردات العينة من أرباب الأسر المهاجرة الى مدينة جدة ، تزيد أعمارهم عن عشرين عاما ولا تنقل عنها ، اذ بلغت نسبة الفئة العمرية من عشرين الى ثلاثين سنة من بين مجموع مفردات العينة (١٣,٣٣٪) وهؤلاء اما من المهاجرين حديثا أو الذين أصبحوا أرباب أسر لوفاة رب الأسرة الكبير أو لاتفصال هؤلاء عن الأسرة الأم. اذ أن المتوقع في المدينة ان يتفصل الأبناء عن أسرهم الكبيرة بعد زواجهم . أما الفئة العمرية الثانية والتي تقع بين ثلاثين الى أربعين سنة فتتمثل (٢٠٪) من مجموع مفردات العينة ، تليها الفئة العمرية الثالثة والتي تقع بين أربعين الى خمسين سنة اذ نلاحظ انها بلغت نصف مفردات العينة عموما ، في الوقت الذي تبلغ نسبة المهاجرين في مدينة جدة من فئات العمر خمسين سنة فأكثر (١٦,٦٧٪)

ونلاحظ من هنا الجدول برجه عام أنه لا وجود لأرباب أسر مهاجرة من الريف الى المدينة دون العشرين من العمر . بينما تتزايد النسب تزايداً طردياً مع العمر

جدول رقم (٢)

توزيع مفردات العينة حسب المهنة .

النسبة %	التكرار	المهنة
٦٧٪	٤	طالب
٣٦,٦٪	٢٢	موظف حكومي
١٣,٣٪	٨	موظف غير حكومي
٢٣,٤٪	١٤	تاجر
٨,٣٤٪	٥	مهن حرة
٦٧٪	٤	عسكريه
-	-	مزارع
-	-	عامل
٥٠,٠٪	٣	لا يعمل
١٠٠٪	٦٠	المجموع

والجدول رقم (٢) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب المهنة . وينبغي أن نلاحظ أن المقصود بذلك المهنة الحالية للمهاجر وليست مهنته قبل الهجرة . ول نجد من بيانات الجدول أن أعلى نسبة تقع في فئة الموظفين الحكوميين . وبدل ذلك على أن هؤلاء المهاجرين اما أن يكونوا هاجروا من الريف الى المدينة لانتقال وظائفهم اليها . نسبة الموظفين الحكوميين (٣٦,٦٪) من مجموع مفردات العينة ، تليهم نسبة الذين يشتغلون بالتجارة بواقع (٢٣,٤٪) فنسبة الموظفين في القطاع

الأعلى بواقع (١٣ر٣٣٪) ثم المهن الحرة بنسبة (٨ر٣٤٪) فالعسكريين والطلاب بنسبة (٦ر٧٪) لكل فئة . وأخيرا الذين لا يعملون بنسبة (٥ر٠٠٪) وبدل هذا الجدول على أن العامل الاقتصادي أساس في الهجرة . فالموظف قد يهاجر بحثا عن فرصة وظيفة أفضل لتحقيق له دخلا اقتصاديا مناسباً . وقد يهاجر المزارع من هناك ليعمل في التجارة التي لا شك أن عائدها الاقتصادي أكبر من عائد الزراعة في الريف .

جدول رقم (٣)

توزيع مفردات العينة حسب مكان الميلاد

النسبة ٪	التكرار	مكان الميلاد
-	-	مدينة
٩٣ر٣٣٪	٥٦	قرية
٦ر٦٧٪	٤	بادية
١٠٠٪	٦٠	المجموع

والجدول رقم (٣) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب مكان الميلاد . فنلاحظ أن نسبة (٩٣ر٣٣٪) من مجموع مفردات العينة من مواليد الريف بينما نسبة (٦ر٦٧٪) من مواليد المناطق البدوية . وبدل هذا على أن الهجرة لا تقتصر على المناطق الريفية فقط . بل نجد أن هناك هجرة من البادية الى المدينة . وقد تكون دوافع الهجرة متماثلة لدى القطاعين الريفي والبدوي ، خاصة اذا وضعنا في الاعتبار أن الريفي والبدوي يرغبان في تحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي لهما ويعتقدان أن ذلك يمكن أن يتحقق عن طريق الهجرة الى المدينة .

جدول رقم (٤)

توزيع مفردات العينة حسب المستوى التعليمي

النسبة %	التكرار	المستوى التعليمي
٥٠.٠٪	٣	أسي
٥٠.٠٪	٣	يقرأ ويكتب
٨٣.٣٪	٥	ابتدائي
١٦.٦٪	١٠	متوسط
٣٠.٠٪	١٨	ثانوي
١٨.٣٪	١١	جامعي
١٦.٦٪	١٠	فوق الجامعي
١٠٠٪	٦٠	المجموع

نلاحظ من بيانات هذا الجدول أن نسبة المتعلمين من المهاجرين مرتفعة ، فنجد أن نسبة الأميين من بين مفردات العينة تبلغ (٥٠.٠٪) فقط بينما تبلغ نسبة الذين يقرأون ويكتبون دون الحصول على شهادة (٥٠.٠٪) أيضا ، ونسبة الذين حصلوا على الشهادة الابتدائية (٨٣.٣٪) وترتفع النسبة بعد ذلك الى (١٦.٦٪) لمن تعلموا تعليما متوسطا ، ثم تزداد ارتفاعا الى (٣٠.٠٪) لمن يحصلون الشهادة الثانوية . أما المرحلة الجامعية فتبلغ نسبة من حصلوا عليها من بين مفردات العينة (١٨.٣٪) وفوق الجامعي (١٦.٦٪ . وعند مقارنة هذا الجدول ببيانات الجدول رقم (٢) ومن واقع الاستبيانات ، وجدنا أن المتعلمين تعليما ثانويا فما فوق هم فئة الموظفين الحكوميين وغير الحكوميين والعسكريين والطلاب . بينما تقع الفئات الأخرى وتقتصر بها التجار وأصحاب المهن الحرة وبعض الموظفين غير الحكوميين في المرحلة المتوسطة والابتدائية وما دونهما من المستويات التعليمية

. انظر جدول رقم (٢) .

جدول رقم (٥)

توزيع مفردات العينة حسب مدة الهجرة

النسبة %	التكرار	مدة الهجرة
50.0%	3	أقل من خمس سنوات
23.3%	2	من ٥ - ١٠
9.0%	٦	من ١٠ - ١٥
١٦.٦%	١٠	من ١٥ - ٢٠
١٥.٠%	٩	من ٢٠ - ٢٥
8.3%	٥	من ٢٥ - ٣٠
١8.3%	١١	من ٣٠ - ٣٥
٢٠.٠%	١٢	من ٣٥ - ٤٠
23.3%	٢	من ٤٠ فأكثر

ومن بيانات الجدول رقم (٥) نلاحظ عدم ثبات النسب المتوحد بالنسبة للمدة التي أمضاها المهاجرون في المدينة . إذ تبلغ نسبة الذين أمضوا ١٠ من خمس سنوات في المدينة (٥٠٪) بينما تبلغ نسبة الذين مضى عليهم أقل من عشر سنوات (23.3٪) بنسبة (١٠٪) للذين قضوا من عشر إلى خمس عشرة سنة. لكن النسبة تزيد بشكل ملحوظ عند الفئة السابعة وهم الذين مضى على هجرتهم من الريف إلى المدينة من ٣٠ إلى أقل من ٣٥ سنة ثم ترتفع إلى (٢٠٪) لمن هم من ٣٥ إلى ٤٠ سنة . ولعل ذلك يعطى مؤشرا على أن الدافع إلى الهجرة لا يرتبط بعامل وحيد فالدافع إلى الهجرة بدأ منذ زمن بعيد وقبل أن تشهد المدن في البلاد بصفة عامة نماء وتقدما اقتصاديا الأمر الذي يمكن معه القول بأن دوافع الهجرة متعددة

ومختلفة وليست مرتبطة بالنمو الاقتصادي الذي شهدته البلاد في السنوات الأخيرة
كما يعتقد البعض .

جدول رقم (٦)

توزيع مفردات العينة حسب مستوى تعليم الأبناء

النسبة %	التكرار	المستوي التعليمي
-	-	لم يبلغوا عمر الدراسة
٪١٣,٣٣	٨	في المرحلة الابتدائية
٪١٠,٠٠	٦	في المرحلة المتوسطة
٪٢٣,٣٣	١٤	في المرحلة الثانوية
٪٣٦,٦٦	٢٢	في المرحلة الجامعية
٪١٠,٠٠	٦	في المرحلة فوق الجامعية
٪٦,٦٧	٤	لا يوجد أبناء
٪١٠,٠٠	٦	المجموع

أما الجدول رقم (٥) فخاص بتوزيع أبناء مفردات العينة حسب المراحل الدراسية . فنلاحظ أنه لا وجود لأطفال صغار لدى أفراد العينة لم يبلغوا العمر الملائم للدراسة . بينما بلغت نسبة من لهم أبناء في المرحلة الابتدائية (٪١٣,٣٣) وفي المرحلة المتوسطة (٪١٠,٠٠) وفي الثانوية (٪٢٣,٣٣) أما المرحلة الجامعية فبلغت فيها نسبة أبناء وبنات مفردات العينة (٪٣٦,٦٦) ونسبة (٪١٠,٠٠) لمن يواصلوا دراساتهم العليا . بينما جاءت نسبة (٪٦,٦٧) لتمثل من ليس لهم أبناء من مجموع مفردات العينة . وهذه النسبة هي الأصل هي نسبة الذين لم يتزوجوا من بين مفردات العينة . انظر جدول رقم (٨) .

جدول رقم (٧)

توزيع مفردات العينة حسب الدخل الشهري

النسبة %	التكرار	الدخل الشهري
-	-	ليس لدى دخل
-	-	أقل من ٢.٠٠٠ ريال
٪١٨,٣٣	١١	٢.٠٠٠ - ٤.٠٠٠
٪٢١,٦٦	١٣	٤.٠٠٠ - ٦.٠٠٠
٪١٦,٦٦	١٠	٦.٠٠٠ - ٨.٠٠٠
٪٣,٠٠٠	١٨	٨.٠٠٠ - ١٠.٠٠٠
٪١٣,٦٦	٨	أكثر من ١٠.٠٠٠ ريال
٪١٠٠	٦٠	المجموع

والجدول رقم (٦) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب الدخل الشهري لكل منهم فنلاحظ من هذا الجدول أنه لا وجود لمن يقل دخلهم عن ألفين ريال في الشهر الواحد بينما تقع أعلى نسبة في الجدول عند فئة الدخل من ثمانية آلاف إلى أقل من عشرة آلاف ريال في الشهر حيث وصلت إلى (٣٠٪) من مجموع مفردات العينة ، ثم نسبة (٢١,٦٦٪) لمن تقع دخلهم الشهرية بين أربعة آلاف ريال إلى ستة آلاف ريال في الشهر الواحد ، ونلاحظ أيضا أن نسبة الذين تزيد دخلهم الشهرية عن عشرة آلاف ريال في الشهر الواحد تبلغ (١٣,٦٦٪) ويمكن أن نلاحظ بصفة عامة أن العينة تنقسم من حيث الدخل إلى فئتين رئيسيتين هما : فئة الدخل المتوسط والتي تتراوح بين ألفين إلى أقل من ستة آلاف ريال في الشهر الواحد ، وتبلغ نسبتها (٤٠٪) من مجموع العينة . بينما بقية النسبة وهي (٦٠٪) تمثل

الفئة الثانية وهي فئة الدخل المرتفع والتي تقع بين ستة آلاف الى أكثر من عشرة آلاف ريال في الشهر الواحد . وهذا يعنى أن العينة بصفة عامة يتمتع أفرادها بدخول عالية تتيح لهم حياة أفضل .

جدول رقم (٨)

توزيع مفردات العينة حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة %
أعزب	٤	٦٧/٦
متزوج	٥٢	٨٦٧/٨٦
مطلق	٢	٣٣/٣
أرمل	٢	٣٣/٣
المجموع	٦٠	١٠٠/١

الجدول رقم (٨) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب الحالة الاجتماعية .

فلاحظ أن نسبة المتزوجين تبلغ (٨٦٧/٨٦ %) بينما تتساوى نسبة المطلقين والأرامل بواقع (٣٣/٣ %) لكل منهما . أما غير المتزوجين - العزاب - فتبلغ نسبتهم (٦٧/٦ %) من مجموع العينة . وهؤلاء من الشبان الذين لازالوا يواصلون تعليمهم الجامعى وهم أرباب الأسر يحكم وفاة رب الأسرة وقيامهم مقامه .

جدول رقم (٩)

توزيع مفردات العينة حسب عدد الزوجات

عدد مرات الزواج	التكرار	النسبة %
واحدة	٥٣	٩٤,٦٥%
اثنان	٢	٣,٥٧%
ثلاث	١	١,٧٨%
أربع	-	-
المجموع	٥٦	١٠٠%

والجدول رقم (٩) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب عدد الزوجات .
ونلاحظ من بيانات الجدول أن نسبة (٩٤,٦٥%) من مجموع العينة من المتزوجين
بواحدة . بينما تبلغ نسبة المتزوجين باثنتين (٣,٥٧%) والمتزوجين
بثلاث (١,٧٨%).

جدول رقم (١٠)

توزيع مفردات العينة حسب عدد الأبناء

عدد الأبناء	التكرار	النسبة %
١ - ٣	١٠	١٧,٨٥%
٣ - ٦	١٦	٢٨,٥٧%
٦ - ١٢	٢٧	٤٨,٢٢%
أكثر من ١٢	٣	٥,٣٦%
المجموع	٥٦	١٠٠%

والمجدول رقم (١٠) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب عدد الأبناء .
فلاحظ أن نسبة عدد الأسر التي يوجد بها أبناء من واحد الى أقل من ستة تبلغ
(٤٦٤٢٪) وهو عدد يتناسب مع مفهوم الأسرة الحضرية بالنسبة لعدد الأبناء ،
بينما تبلغ نسبة الأسر التي يتراوح عدد الأبناء فيها بين ستة الى أكثر من اثنين
عشر (٥٣٥٨٪) - ويمثل هذا العدد من الأبناء ميلا الى النمط الريفي فيما
يتعلق بحجم الأسرة .

جدول رقم (١١)

توزيع مفردات العينة حسب المستوي الاقتصادي قبل الهجرة

النسبة ٪	التكرار	الحالة الاقتصادية
٢٥٪	١٥	جيدة
٥٨,٣٤٪	٣٥	متوسطة
١٦,٦٦٪	١٠	متدنية
١٠٠٪	٦٠	المجموع

جدول رقم (١١) يوضح المستوي الاقتصادي لمفردات العينة قبل هجرتهم من
الريف الى المدينة. فنجد أن (٢٥٪) من مجموع العينة كانت الحالة الاقتصادية
لديهم جيدة قبل الهجرة . بينما تبلغ الحالة المتوسطة (٥٨,٣٤٪) والمتدنية
(١٦,٦٦٪). ولعل المهاجرين على المستويات الثلاثة هاجروا الى المدينة رغبة في
تعديل المستوي الاقتصادي . أما قياس المستوي الاقتصادي لدى مفردات العينة
بمتدنية أو متوسطة أو جيدة مثل الهجرة ، فتم على أساس سؤاله عن دخله في
الريف ومدى مناسبة ذلك الدخل وكفايته للوفاء بمتطلبات الحياة اليومية حيث كان
السؤال رقم (١٢) على النحو التالي : اختر أحد الفقرات الثلاث الآتية لبيان حالة
الأسرة الاقتصادية مثل الهجرة :

١ - الدخل كان كافياً .

٢ - الدخل لم يكن كافياً .

٣ - الدخل كان يكفى زيادة .

فأعتبرنا أن رقم (١) يمثل المستوى المتوسط . ورقم (٢) يمثل المستوى الأقل . ورقم (٣) يمثل المستوى الجيد .

جدول رقم (١٢)

توزيع مفردات العينة حسب المهنة قبل الهجرة

النسبة %	التكرار	المهنة قبل الهجرة
٧٥.٠ %	٤٥	الزراعة
٢١.٦٦ %	١٣	التجارة
٣.٣٤ %	٢	أعمال حرفية
-	-	بدون عمل
١٠٠ %	٦٠	المجموع

ونلاحظ من الجدول رقم (١٢) أن مهن المهاجرين من الريف الى المدينة قبل الهجرة كانت الزراعة بنسبة (٧٥ %) والتجارة بنسبة (٢١.٦٦ %) وأعمال حرفية بنسبة (٣.٣٤ %) وليس بينهم من لم يكن يعمل قبل الهجرة . وهجرة المزارعين من الريف بهذه النسبة تؤثر ولاشك على النشاط الزراعى فى مناطق الهجرة . اذ أن ذلك يعنى أن الأفراد القادرين على العمل بالزراعة هاجروا الى المدينة مما أدى الى تحول الأراضى الزراعية هناك الى أراض بور أو استخدمت لاتقامة المنشآت الحديثة فيها كالورش والمحلات التجارية أو لبناء المنازل عليها . وهذا ما أكدته دراسة سابقة عن الأسرة فى المجتمعات الريفية بالملكة العربية السعودية . (١٨)

جدول رقم (١٣)

توزيع مفردات العينة حسب وجود ممتلكات في القرية

نوع الممتلكات	التكرار	النسبة %
أراضي زراعية	٥٨	٩٦,٩٧%
أراضي غير زراعية	٤.	٦,٦٧%
عقارات	٥٨	٩٦,٩٧%
محلات تجارية	٤	٦,٦٧%
مواشى	١.	١,٦٧%

والجدول رقم (١٣) خاص بتوزيع مفردات العينة المهاجرون من الريف الى المدينة حسب وجود ممتلكات لديهم هناك . ونلاحظ أن كل المهاجرين لديهم ممتلكات وفي مقدمتها الاراضى الزراعية والعقارات ، ويقصد بالعقارات هنا المنازل التى يمتلكها هؤلاء . فى القرية حيث بلغت نسبتهم (٩٦,٧٩٪) تليها الأراضي غير الزراعية وهى الاراضى المستصلحة فى أطراف القرى وخاصة على سفوح الجبال لغرض انشاء منازل عليها بنسبة (٦٦,٦٧٪) ثم المحلات التجارية بنسبة (٦,٦٧٪) - بالمواشى بنسبة (١,٦٧٪) ونلاحظ من بيانات هذا الجدول أن كل مهاجر يمكن أن تكون له أراضي زراعية وغير زراعية وعقارات ومحلات تجارية ومواشى بنسبة فى آن واحد . ولذا اختار المهاجرون أكثر من واحد من نوع الممتلكات المذكورة فى الجدول

جدول رقم (١٤)

توزيع مفردات العينة حسب دوافع الهجرة

النسبة %	التكرار	دوافع الهجرة
٩٣٫٩٤%	٥٦	١- الحالة الاقتصادية في القرية لم تكن جيدة
٣٫٣٣%	٢	٢ - المستوى الاجتماعي في القرية غير مناسب
١٠٠٫٠%	٦	٣ - لم أكن مرتاحاً في القرية لأسباب مختلفة
٥٠٫٠%	٣	٤ - القرية لم تناسب الأسرة للإقامة فيها
٨٣٫٣٤%	٥٠	٥ - بسبب ضعف مردود النشاط الزراعي
٩٠٫٠%	٥٤	٦ - الرغبة في مواصلة التعليم حيث لا فرص للتعليم في القرية
٩٠٫٠%	٥٤	٧ - بسبب عدم وجود جامعة في المنطقة يلتحق بها الأبناء
٦٧٫٧%	٤	٨ - لأن ابني يعمل في المدينة ووجدنا في الانتقال معه
٣٠٫٠%	١٨	٩ - لأن وظيفتي انتقلت إلى مدينة جيدة
٦٠٫٠%	٣٦	١٠ - لأنني هنا أعمل بالتجارة
٨٨٫٣٣%	٥٣	١١ - لأن الفرص الاقتصادية في المدينة متاحة أكثر
-	-	١٢ - لأختي منحت من حياة القرية وتقاليدها
-	-	١٣ - أخرى تذكر

والمجدول رقم (١٤) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب دوافع الهجرة .

ونلاحظ أن في مقدمة دوافع الهجرة من الريف إلى المدينة الحالة الاقتصادية .

نسبة (٩٣٫٩٤٪) من مفردات العينة يرون أن الحالة الاقتصادية في القرية لم

تكن مناسبة . الأمر الذي دفعهم إلى الهجرة . وكان لعدم وجود جامعة في الريف

ورغبة الآباء فى مواصلة تعليم أبنائهم أثره فى هجرة الريفيين الى المدينة حيث اختارت نسبة (٩٠٪) من مجموع مفردات العينة هذين السببين كدافعين للهجرة الى المدينة . وتبعاً للمستوى الاقتصادي غير المرضي فى القرية (١٠٪) نسبة (٨٨و٣٣٪) من العينة أشارت الى عدم وجود فرص اقتصادية مناسبة فى القرية ولذلك هاجروا بحثاً عن هذه الفرص فى المدينة . ويشاركهم فى ذلك نسبة (٨٢و٣٤٪) من العينة الذين يرون أن ضعف مردود العائد من النشاط الزراعى فى القرية كان دافعاً أساسياً للهجرة وترك العمل الزراعى . ولذلك فإن المهاجرين اختاروا سبباً له علاقة بما ذكر حيث وأت نسبة (٦٠٪) منهم أن العمل التجاري فى المدينة كان من الدوافع الرئيسية للهجرة . أما الانتقال بسبب انتقال الوظيفة اما للترقية أو لأي سبب آخر فقد نال نسبة (٣٠٪) من مجموع مفردات العينة الذين انتقلوا كموظفين من القرية الى المدينة. أما بقية النسب فقد توزعت بعد ذلك على دوافع أخرى منها عدم الشعور بالراحة فى القرية . والتحاق الابن بعمل فى المدينة وأن القرية لم تناسب الأسرة كمكان للإقامة ، أو لرغبة البعض منهم فى تغيير وضعه الاجتماعي فى القرية بآخر أفضل منه فى المدينة . ولكن ليس بين مفردات العينة من اختار كره حياة القرية وتقاليدها كدافع الى الهجرة منها.

جدول رقم (١٥)

توزيع مفردات العينة حسب رأيهم فى أثر الهجرة على النشاط الاقتصادي فى القرية

أثار الهجرة	التكرار	النسبة %
١- الهجرة الى المدينة أدت الى عدم الاهتمام بالزراعة	١٥	٢٥ر٠٪
٢- الهجرة أدت الى عدم الاهتمام بتربية المواشى	٢٥	٥٨ر٣٤٪
٣- الهجرة أدت الى اختفاء الصناعات اليدوية القديمة	١٠	١٦ر٦٦٪
٤- الهجرة الى المدينة مفيدة للأفراد ومضرة للقرية	٦٠	١٠٠٪

والجدول رقم (١٥) يوضح رأي العينة فى الآثار الناجمة عن الهجرة وخاصة ما يتعلق منها بالنشاط الاقتصادي فى الريف بوجه عام. فالهجرة الى المدينة أدت الى اهمال النشاط الزراعى فى القرية ووافقت مفردات العينة على ذلك بنسبة (١٠٠٪) كما وافقوا أيضا على أن الهجرة وإن كانت مفيدة للمهاجرين أنفسهم على مستوى الأفراد إلا أنها أضرت بالقرية من جوانب مختلفة لعل أهمها اندثار مظاهر النشاط الاقتصادي المختلفة حيث وافقوا على ذلك بنسبة (١٠٠٪) . أما نسبة (٩٦٦٦٪) من مجموع العينة فيرون أن الهجرة كانت سببا فى اختفاء الكثير من الصناعات التقليدية اليدوية التى كان السكان يقومون بها . ولما هاجر المهرة فى الصناعات التقليدية اختفت تماما . أما نسبة (٨٦٦٧٪) فيرون أن الهجرة من الريف الى المدينة أدت الى ضعف واختفاء نشاط تربية الماشية والاستفادة منها .

جدول رقم (١٦)

توزيع مفردات العينة حسب تكييفهم فى المدينة

النسبة /	التكرار	مدى تكييف المهاجر
٩٦٦٦٪	٥٨	أشعر وأسرته بالراحة فى المدينة
١٣٤٪	٢	لا أشعر بالراحة فى المدينة
١٠٠٪	٦٠	المجموع

والجدول رقم (١٦) خاص بتوزيع مفردات العينة حسب تكييفهم فى المدينة. فنلاحظ أن نسبة (٩٦٦٦٪) يشعرون بالراحة للإقامة فى المدينة وذلك لتوفر الخدمات اللازمة ولسهولة الحياة عن الريف . أما نسبة (١٣٤٪) من العينة فلا يشعرون بالراحة فى المدينة . والجدول رقم (١٧) يكشف أسباب ذلك .

جدول رقم (١٧)

توزيع مفردات العينة حسب أسباب تكيفهم في المدينة

النسبة %	التكرار	الأسباب
٦٨,٩٧%	٤٠	١- لآنك حققت دوافعك إلى الهجرة
١٠٠,٠٠%	٥٨	٢- لآنك تشعر أن الحياة هنا أفضل من القرية
٥١,٧٢%	٣٠	٣- الأوضاع الاجتماعية في المدينة أفضل منها في القرية
٩٦,٥٥%	٥٦	٤- الخدمات في المدينة متاحة وليست كذلك في القرية

والمجدول رقم (١٧) يوضح أسباب الشعور بالراحة لسكنى المدينة . إذ نلاحظ أن نسبة (٦٨,٩٧%) من مفردات العينة يفضلون المدينة ويشعرون بالراحة فيها لأنهم يشعرون أنهم حققوا دوافعهم للهجرة بينما تبلغ نسبة الذين يفضلوا الحياة في المدينة عنها في القرية لأسباب مختلفة (١٠٠%) ، أما الذين يفضلوا المدينة لشعورهم بأن وضعهم الاجتماعي فيها أفضل منه في القرية فتبلغ نسبتهم (٥١,٧٢%) أما الذين يشعرون بالراحة في المدينة نتيجة لتوفر الخدمات فيها فتبلغ نسبتهم (٩٦,٥٥%) . راجع فقرة (٣) من هذه الدراسة على ص ١٧ .

جدول رقم (١٨)

توزيع مفردات العينة حسب علاقتهم بالريف

النسبة %	التكرار	هل لك علاقة بالريف
١٠٠,٠٠%	٦٠	نعم
٠,٠٠%	-	لا
١٠٠,٠٠%	٦٠	المجموع

جدول رقم (١٩)

يبين توزيع مفردات العينة حسب نوع علاقتهم بالريف

النسبة %	التكرار	نوع العلاقة
٨٣,٣٣%	٥.	١ - زيارات شخصية متبادلة
١٦,٦٧%	١.	٢ - زيارات فى المناسبات والأعياد
صفر%	-	٣ - علاقة بالاتصال الهاتفى فقط
صفر%	-	٤ - اتصال عن طريق المراسلات
صفر%	-	٥ - لم تعد لى علاقة بالقرية
١٠٠%	٦.	المجموع

والجدول رقم (١٨) خاص بتوضيح علاقة المهاجرين بالريف . ونلاحظ من الجدول أن كامل مفردات العينة لهم علاقة بموطنهم الاصلى الذي هاجروا منه . أما شكل هذه العلاقة فيوضحها الجدول رقم (١٩) اذ نجد أن نسبة (٨٣,٣٣%) لهم علاقة مباشرة بذويهم فى الريف عن طريق الزيارات المتبادلة فهؤلاء يسمون بزيارات للزويهم فى الريف فى كل المناسبات والأعياد ، وبعضهم يقضى عطلة نهاية الاسبوع هناك بكامل أسرته ، فى الوقت الذي يقوم ذويه فى الريف بزيارات شائلة . ويدل هذا على عمق العلاقة بين المهاجر وذويه فى مناطق الهجرة . أما باقى مفردات العينة ونسبتهم (١٦,٦٧%) فهم على علاقة بذويهم فى الريف . ولكن هذه العلاقة أقل شدة من النسبة السابقة فهم لا يتبادلون الزيارات بشكل مستمر وانما يفعلون ذلك فى الأعياد والمناسبات . وليس بين مفردات العينة من له علاقة بذويه فى الريف عن طريق الاتصال بالهاتف أو الراسلة فقط .

جدول رقم (٢٠)

توزيع مفردات العينة حسب رأيهم في بيع ممتلكاتهم في الريف

النسبة %	التكرار	الرغبة في البيع
٢٠ %	١٢	نعم
٨٠ %	٤٨	لا
١٠٠ %	٦٠	المجموع

جدول رقم (٢١)

توزيع مفردات العينة حسب أسباب الرغبة في بيع الممتلكات في الريف

النسبة %	التكرار	الأسباب الدافعة الى البيع
٨٣,٣٤ %	١٠	١ - لاستغلال ثمنها في مشروعات في المدينة
١٦,٦٦ %	٢	٢ - لادخار ثمنها لحين الحاجة
١٠٠ %	١٢	المجموع

جدول رقم (٢٢)

توزيع مفردات العينة حسب رأيهم في عدم الرغبة في بيع ممتلكاتهم في الريف

النسبة %	التكرار	أسباب عدم الرغبة في البيع
٨,٣٣ %	٤	١ - لأنني استثمرتها في القرية
٦٦,٦٥ %	٣٠	٢ - لأنها تمثل الصلة بيني وبين القرية
٢٩,١٧ %	١٤	٣ - لأن العادات والتقاليد في القرية لا تحيز بيعها
١٠٠ %	٤٨	المجموع

وسألنا عينة الدراسة عن رأيهم فى امكانية بيع ممتلكاتهم فى الريف من عدمه . خاصة وأن كامل العينة لهم ممتلكات هناك كما هو واضح فى الجدول رقم (١٣) فوجدنا كما هو مبين فى الجدول رقم (٢٠) أن (٢٠٪) من العينة يمكن أن يبيعوا ممتلكاتهم هناك لأسباب موضحة فى الجدول رقم (٢١) بينما لا يفضل (٨٠٪) بيع تلك الممتلكات للأسباب الموضحة فى الجدول رقم (٢٢) . فالذين يفضلون بيع ممتلكاتهم فى الريف بنسبة (٨٣٫٣٤٪) يرون أنه يمكن الاستفادة من ثمنها فى مشروعات فى المدينة تدر عليهم أرباحا معلومة . خاصة وأن تلك الممتلكات حاليا لم تعد ذات فائدة اقتصادية . بينما ترى نسبة (٦٦٫٦٦٪) الباقية من الذين يفضلون بيع ممتلكاتهم هناك أنه يمكن ادخار ثمن تلك الممتلكات عند بيعها لحين الحاجة . أما الذين يفضلون عدم بيع ممتلكاتهم فى القرية فلأنهم يستشعرونها هناك بنسبة (٨٣٫٣٪) أو لأنها تمثل الصلة بينهم وبين الريف بنسبة (٦٢٫٥٪) أو لأن العادات والتقاليد لا تجيز بيع الممتلكات فى الريف وذلك بنسبة (١٩٫١٧٪) . انظر الحاققة .

جدول رقم (٢٣)

توزيع مفردات العينة حسب زغبتهم فى دفع أقرانهم فى القرية الى الهجرة

النسبة %	التكرار	أرغب فى هجرة الاقرباء فى القرية
١٣٫٣٤٪	٨	نعم
٨٦٫٦٦٪	٥٢	لا
١٠٠٪	٦٠	المجموع

أما الجدول رقم (٢٣) فهو خاص باستطلاع رأي العينة فيما إذا كانوا يرغبون في دفع أقربائهم في الريف إلى الهجرة إلى المدينة أم لا . فنلاحظ أن نسبة (١٣٣٤٪) منهم لديهم الاستعداد لاغراء أقربائهم بالهجرة إلى المدينة . بينما نرى نسبة (٨٦٦٦٪) عدم الرغبة في دفع الأقرباء للهجرة من الريف إلى المدينة . ولعل أسباب عدم الرغبة تكمن في كون هؤلاء المهاجرين يشعرون بالانتماء إلى القرية ورغبتهم في التردد عليها ولذا يفضلون بقاء أقاربهم هناك تحقيقاً لهذا الغرض . إذ أن هؤلاء يرون أن الظروف في المدينة تغيرت عن ماكانت عليه عندما هاجروا إليها فربما يشعرون أن أقاربهم سيعانون من بعض المشكلات قبل التكيف والاستقرار في المدينة . أو أنهم يرون أن بقاء أقربائهم في الريف أصبح ممكناً أكثر من ذي قبل ، خاصة بعد تحسين الظروف المعيشية والاقتصادية هناك . فلماذا يدفعون أقربائهم إلى الهجرة ؟

جدول رقم (٢٤)

توزيع مفردات العينة حسب رغبتهم في العودة إلى القرية

النسبة ٪	التكرار	الرغبة في العودة إلى القرية
٤١٦٧٪	٢٥	نعم
٥٨٣٣٪	٣٥	لا
١٠٠٪	٦٠	المجموع

جدول رقم (٢٥)

توزيع مفردات العينة حسب أسباب رغبتهم في العودة الى الريف

النسبة %	التكرار	الأسباب الدافعة الى العودة الى القرية
٦٠٪	١٥	١ - لأن الفرص في القرية متاحة الآن
٤٠٪	١٠	٢ - لأن الأبناء انهوا تعليمهم الجامعي
-	-	٣ - لأن أحد الأبناء التحق بعمل في الريف
-	-	٤ - لأننى سئمت حياة المدينة
١٠٠٪	٢٥	المجموع

جدول رقم (٢٦)

توزيع مفردات العينة حسب أسباب عدم رغبتهم في العودة الى الريف

النسبة %	التكرار	أسباب عدم الرغبة في العودة الى الريف
٢٨ر١٤٪	٥	١ - لأننى تعودت على حياة المدينة
٤٢ر١١٪	٤	٢ - لأنه ليس في القرية فرص مناسبة
١٥ر٥٧٪	٢	٣ - لأن الأبناء لا يحبون القرية
١٥ر١٧٪	٦	٤ - لأن بعض الأبناء لازالوا يواصلون تعليمهم
١٠٠٪	٢٥	المجموع

ومن الجدول رقم (٢٤) الخاص بتوزيع مفردات العينة حسب رغبتهم في العودة الى الريف نجد مايدعم ماذهبنا اليه في تحليل بيانات الجدول السابق رقم (٢٣) ذلك أن نسبة (٤٦٧/١) من مجموع عينة الدراسة يرغبون في العودة الى الريف بينما تفضل نسبة (٥٨٣٣/١) البقاء في المدينة . والجدول رقم (٢٥) يوضح أسباب رغبة بعض المهاجرين العودة الى القرية ذلك أن (٦٠٪) منهم يرون امكانية العودة نظراً لأن الفرص كاملة أصبحت متاحة الآن في القرية عكس ماكانت عليه عند هجرتهم . ونسبة (٤٠٪) منهم يفضلون العودة الى المدينة ربما للسبب السابق اضافة الى أن أبنائهم أنهوا تعليمهم الجامعي فلم يعد دافعهم الى الهجرة بسبب مواصلة أبنائهم تعليمهم قائما . والجدول رقم (٢٦) يكشف عن أسباب عدم رغبة بعض المهاجرين في العودة الى الريف ، فنسبة (٥٧١٥٪) منهم ذكروا أن سبب عدم الرغبة في العودة الى الريف هو أن الأبناء لايجدون الحياة في القرية التي لاشك أنها تختلف عن الحياة في المدينة وخاصة لدي الجبل الذي لم يعش جزءاً كبيراً من حياته في القرية . أما النسبة الثانية وتبلغ (١٧١٥٪) فلا يرغبون في العودة لأن بعض أبنائهم لازالوا في المرحلة الجامعية من التعليم ، وحيث لاتوجد جامعة هناك فان بقاءهم هنا أمر ضروري . أما نسبة (١٤٢٨٪) فلا يفضلون العودة الى القرية بسبب تعودهم على حياة المدينة . والنسبة الأخيرة بواقع (١١٤٢٪) ترى أن الفرص من وجهة نظرها غير متاحة في القرية بالشكل الذي يدفعهم الى التفكير في العودة اليها . راجع عوامل الهجرة من الريف الى المدينة ص ١٤ ومابعدها من هذه الدراسة .

الخاتمة

ونصل الآن الى نهاية هذه الدراسة ، ونحاول أن نستخلص منها بعض النتائج ونتحقق من صحة فروضها . فقد وضعنا الفرض رقم (١) على النحو التالي :

١ - ترتبط دوافع الهجرة بانخفاض المستوي الاجتماعي والاقتصادي للفرد . بمعنى أنه كلما قل المستوي الاجتماعي والاقتصادي للفرد في المناطق الريفية أدى ذلك الى زيادة دوافع الهجرة لديه . وقد ثبت من معطيات الدراسة الميدانية صحة هذا الفرض وأن كانت المعلومات الواردة في الجدول رقم (١١) قد توحي بعكس ذلك ، اذ نلاحظ أن نسبة الذين قالوا أن مستواهم الاقتصادي قبل الهجرة كان دون المتوسط ($\frac{1}{16}$) فقط بينما تقع النسبة الباقية بين الجيدة والمتوسطة . ولكن يجب أن نلاحظ أن الحالة المتوسطة والجيدة للريفيين قبل الهجرة كانت قياسا بالمستوي في الريف . وأكد هذا المعلومات الواردة في الجدول رقم (١٤) اذ تبلغ نسبة الذين قالوا بأن الحالة الاقتصادية في القرية لم تكن جيدة ($\frac{1}{93}$) وهم ولاشك يقيمون ذلك بالمستوي الاقتصادي الذي يعيشونه في المدينة . ويدعم ذلك أيضا نسبة ($\frac{1}{88}$) الذين قالوا أن الفرص الاقتصادية في المدينة أكثر منها في القرية . وهذا يعني أنهم هاجروا لمحاولة تحسين المستوي الاقتصادي . اذ أن الزراعة لم تعد ذات عائد اقتصادي جيد يجعل الريفيين يفكرون كثيرا قبل الهجرة . حتى أن المقيمين حاليا في الريف هجروا النشاط الزراعي كما سنلاحظ في الفقرة الثالثة.

٢ - وقد افترضنا أنه " ترتبط دوافع الهجرة باختلاف النوع والعمر للمهاجرين ، بمعنى أن هجرة الشباب من الريف الى المدينة ترتبط بالرغبة في التعليم أو

مواصلة التعليم حيث توجد فرص أكبر في المدينة . وهذا الفرض أيضا ثبت صحته من واقع الدراسة الميدانية حيث نلاحظ من المعلومات الواردة كان دافعهم الى الهجرة مواصلة التعليم وخاصة التعليم الجامعي . اذ لاوجود لجامعة في منطقة الباحة الأمر الذي دفع بعض الاسر للهجرة ليلتحق أبنائها بالجامعة في مدينة جدة . وفي دراسة سابقة اشارت الى هنا وتأكيد على أن الشباب وخاصة من الذكور يهجرون المناطق الريفية الى المدن من أجل مواصلة التعليم الجامعي . الأمر الذي أدى الى ارتفاع نسبة النساء عن الرجال بواقع (٦٠٪) الى (٤٠٪) عند المرحلة العمرية من ٢٠ سنة الى أقل من ٢٤ سنة ، وهذه المرحلة من العمر في المرحلة التي يواصل فيها الشباب المرحلة الجامعية من التعليم . (١٩)

٣ - والفرض الثالث الذي ينص على أنه " ترتبط الهجرة من الريف الى المدينة بظهور الآثار السلبية على النشاط الاقتصادي والتي تظهر بالريف أكثر وضوحا منها في المدينة. بمعنى أنه كلما زادت الهجرة من الريف الى المدينة أدى ذلك الى ظهور الآثار السلبية على النشاط الاقتصادي في الريف " . وهذا الفرض صحيحا من الواقع ومن وجهة نظر المهاجرين أنفسهم . فنجد المعلومات الواردة في الجدول رقم (١٥) أن كامل العينة يؤكدون على أن الهجرة الى المدينة أدت الى عدم الاهتمام بالزراعة ، وإلى اختفاء الصناعات التقليدية في مناطق الهجرة بنسبة (٩٦٦٦٪) وإلى عدم الاهتمام بتربية الماشية بنسبة (٨٦٦٧٪) ونسبة (١٠٠٪) يرون أن الهجرة من الريف الى المدينة أفادت الأفراد المهاجرين ولكنها أضرت النشاط الاقتصادي في القرية. ليس ذلك فحسب . بل إن هناك مجموعة أخرى من العوامل حولت المجتمع الريفي من مجتمع زراعي الى مجتمع من نوع آخر، يمارس أفرادها نشاطا اقتصادية مختلفة ، بحيث يمكن ملاحظة أن الزراعة في منطقة الباحة أصبحت نشاطا ثانويا بعد أن كانت رئيسيا، وبعد أن كان المجتمع

ينتج ما يحتاجه ويصدر الفائض الى المجتمعات المجاورة . أصبح يعتمد على المدينة بشكل مباشر . ومن هذه العوامل الهجرة كما أشرنا اليها سابقا وخاصة هجرة الذكور وانتشار التعليم فى المنطقة بشكل كبير ، بحيث التحق الذكور واللاتات بالمدارس والمعاهد التي انتشرت فى المنطقة ، وتوجه الأفراد هناك نحو أعمال أخرى . فنلاحظ أن نسبة (٣٣ و ١٩٪) من مجموع العينة فى دراسة عن منطقة الباحة (٢٠) بينما بلغت نسبة الموظفين (٤٢٪) والمشتغلين بالتجارة (٣٣ و ٣٢٪) حتى المرأة تغيرت أدوارها فلم تعد تقارس عملها فى المنزل كما كانت فى السابق أو فى الحقل بل أصبحت اما طالبة أو موظفة . وفى الدراسة المشار اليها أصبحت نسبة الطالبات والموظفات من بين زوجات مفردات العينة وعددها ثلاثمائة (٦٦ و ٤٢٪) بينما النسبة الباقية يقتصرن على الاعمال المنزلية فقط . (٢١)

ونظرا لهجرة الذكور أو عدم قيامهم بأعمال النشاط الزراعى فقد عرفت المنطقة العمالة الزراعية لأول مرة فى تاريخها الحديث (٢٢) اضافة الى مهن أخرى . وهكذا نجد أن الهجرة كعامل أول فى اختفاء مظاهر النشاط الاقتصادي فى الريف تضافرت مع مجموعة عوامل أخرى فكانت آثارها السلبية على الريف أكثر وضوحا وشدة .

٤ - والفرض الرابع ينص على أنه : يرتبط تكيف المهاجر للحياة الاجتماعية فى المدينة ارتباطا عكسيا بقوة صلته بالريف . بمعنى أنه كلما زادت صلة المهاجر وارتباطه بالريف أدى ذلك الى عدم تكيفه للحياة الاجتماعية فى المدينة . وقد أثبتت الدراسة الميدانية عدم صحة هذا الفرض . وبالرجوع الى الجدول رقم (١٦) نجد أن الذين يشعرون بالراحة فى المدينة وأنهم تكيفوا مع الحياة فى المدينة تبلغ نسبتهم (٦٦ و ٩٦٪) من مجموع العينة . وشعورهم بالراحة يرتبط اما بكونهم حققوا دوافعهم الى الهجرة أو لأن الحياة فى المدينة أفضل منها فى القرية . أو لأن الوضع الاجتماعى الذى يعيشونه فى

المدينة أفضل من الذي كان يعيشونه فى القرية. أو لأن الخدمات فى المدينة متاحة وهى ليست كذلك فى المناطق الريفية. هذا فى الوقت الذي قالت فيه العينة أن لها علاقة وطيدة بالريف بنسبة (١٠٠٪) - انظر الجدول رقم (١٨) - وهذا يعنى أن علاقة الريف بالقرية وبأشكال مختلفة ليست مؤثرة فى مدى تكيفه مع الحياة الاجتماعية فى المدينة الا بنسبة ضئيلة لم تتجاوز (٣٣٤٪) من عينة الدراسة وسنزيد ذلك ابضاحا فى الفقرات اللاحقة .

٥ - ورغم أن المهاجرين يعيشون حياة المدينة الا أننا نلاحظ أن لديهم ميولا لبعض أنماط الحياة الريفية. فنجد أن من بينهم المتزوج بأكثر من واحدة ، انظر جدول رقم (٩) وأن عدد الابناء لديهم ليس هو النمط المتوقع فى المدينة انظر جدول رقم (١٠) .

٦ - أن معظم المهاجرين من الريف الى المدينة كانوا يمارسون مهنة الزراعة ، وبعد اقامتهم فى المدينة تحولوا الى مهن أخرى ، ولاشك أن هجرة المزارعين بأعداد كبيرة يؤثر على النشاط الاقتصادي فى الريف تأثيرا عميقا كما سبق توضيحه.

٧ - أن كل المهاجرين لديهم ممتلكات فى الريف - تتراوح بين الاراضى الزراعية والعقار والمواشى والمحلات التجارية ونسب مختلفة ، وهذا يعنى الارتباط المباشر بينهم وبين الريف يتثل فى احتفاظهم بتلك الممتلكات لأسباب مختلفة كما هو موضح فى الجداول رقم ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

٨ - أن معظم المهاجرين لا يرغبون فى بيع ممتلكاتهم فى الريف للأسباب الموضحة فى الجدول رقم (٢٢) . ونسبة (٢٩١٧٪) لا يرغبون فى بيع ممتلكاتهم فى الريف لأن العادات والتقاليد فى الريف لا تحبذ بيعها ، ونظام الملكية فى منطقة الباحة نظام من نوع خاص ، فهناك ارتباط وثيق بين الملك والمالك من خلال الشعور بالانتماء الى الأرض والحفاظة عليها . ومن هنا المنطلق فان

الفرد الذي يرث عن والده وحده أراض زراعية أو غير زراعية أو عقار لا يفكر في بيعها . فان فعل ذلك فان المجتمع هناك يقابله بالازدراء فيعه للأرض يعنى بيعه للانتماء للقبيلة كلها . وغالبا ماتتدخل الأسر القريبة في هذا الموضوع فتحاول اثناء الفرد عن بيع ممتلكاته بتقديم المساعدات اللازمة له فان عجزت عن ذلك بمقاطعته نهائيا واعتباره عنصرا شاذا في وحدته الاجتماعية . (٢٣)

٩ - والملاحظة الملفتة للنظر هي أنه على الرغم من تكيف المهاجرين من الريف الى المدينة مع حياة المدينة ، فهم لا يرغبون في دفع أقرانهم في الريف الى الهجرة وذلك بنسبة (٨٦/٦٦٪) وسبق أن قمت بتوضيح أسباب ذلك في شرح الجدول رقم (٢٣) .

١٠ - وبما يلتفت النظر أيضا رغبة نسبة (٤١/٦٧٪) من مجمرع العينة في العودة الى الريف وترك حياة المدينة . كما هو واضح في الجدول رقم (٢٤) . والجدول رقم (٢٥) يوضح أسباب ذلك .

وبصفة عامة فانه يمكن القول أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي أتاحت لهذا المجتمع ساهمت في توسيع رقعة التحضر في شتى أنحاء البلاد ومحاولة تأمين المستوى المعيشي لكل مواطن . وذلك مايتضح من خلال خططها التنموية المختلفة والتي تسعى دائما الى وضع المناطق الريفية في عين الاعتبار حتي تحدد من هجرة الريفيين الى المدن .

وذلك ما نلمسه مثلا في وسائل المواصلات التي تسعى الى ازالة العزلة عن الريف وزيادة الاهتمام به مما سبب ظهور رحلة العمل اليومية التي يقوم بها قسم من العاملين في المدن المتخذين من الريف مكانا لاقامتهم . وكذلك بدأت تزداد نسبة الهجرة المعاكسة الى الريف ، وان كانت لم تصل الى المستوى المطلوب الذي يعيد التوازن بين الجانبين .

وفى النهاية يمكننا القول انه لابد من زيادة الاهتمام بالتخطيط الشامل وهو ما يؤكداه العلماء والمختصون وذلك لمعرفة امكانيات وموارد الدولة الطبيعية والبشرية ودراسة صفاتها العامة وخصائصها المميزة واحتياجات مناطقها المختلفة، لأن هذا يمثل الدعامة الأساسية والركيزة فى وضع الحلول لمشكلات الهجرة وفى الحد من آثار هذه الظاهرة.

وان المملكة العربية السعودية كما أملنا تشتمل على مناطق جغرافية مختلفة ومساحات واسعة من الأراضى وكل هذه الأجزاء المختلفة ينتشر بها السكان وان كان هذا الانتشار لا يشكل ضيقا مكانيا فى كثير من أجزاء المنطقة - حيث تشكل الحياة القروية الكثير من هذه المساحات وكذلك الحياة البدوية ، وخاصة فى العقدين الماضيين من تاريخ المملكة العربية السعودية - ومع هذا فان العوامل الاقتصادية المتمثلة فى اكتشاف النفط وغيره ساعدت على تقدم المملكة بصفة عامة وخاصة فى الناحية الحضارية وساعد ذلك على ظهور الكثير من المدن فى شتى أنحاء المملكة وحتى وصلت مايقارب الأربعين مدينة فى الوقت الحاضر تكاد تكون مكتملة بجميع متطلباتها ، وليس من المعقول بالطبع ان تحول كل قرية الى مدينة . ولكن لابد من الاهتمام على الأقل بتوفير الاحتياجات الأساسية الممكن توفيرها لتلك القرى ، ولى ذلك الاهتمام بالمدن والمراكز الصغيرة المنتشرة فى جميع أنحاء المملكة وجعلها مكتملة من جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية ... الخ . حتى يقلل ذلك من الاقبال على المدن الكبيرة التى يراها الكثير نيراسا للهجرة الريفية .

وختاماً يمكن القول أن هذه الدراسة لم تحقق بعض الأهداف الى تم تحديدها على الصفحة الرابعة بالشكل الذى كنت آمل الوصول اليه . فالهدف الأول لم أستطع تحقيقه خاصة ما يتعلق بنوع المهاجرين وهو "الذكور والاناث" وان كانت البيانات الميدانية قد أوضحت نوع المهاجرين الذكور، الا أنها كانت قاصرة عن ايضاح ما يتعلق بهجرة المرأة وعلى الرغم من اشارات متفرقة فى متن هذه الدراسة

الى أن هجرة المرأة في المجتمع العربي السعودي ترتبط مباشرة بهجرة الرجل الا أنها تظل قاصرة. واعتقد أن سبب ذلك يرتبط مباشرة بقصور في معلومات صحيفة الاستبيان حيث لم ترد فيها أسئلة خاصة بمعلومات عن هجرة المرأة . أما هجرة الذكور فكانت علاقاتهم بالهجرة واضحة وذلك يمكن ملاحظته من معلومات وشروح الجداول . أما الهدف الثاني والهدف الثالث فقد تحققا بشكل واضح حيث بينت المعلومات الميدانية عوامل ودوافع الهجرة من الريف الى المدينة، وكان واضحا أثر الهجرة على النشاط الاقتصادي التقليدي في الريف ، سواء من معلومات الدراسة الميدانية أو من نتائج دراسات وبحوث سابقة، والهدف الرابع يمكن القول أنه أمكن تحقيقه بطريقة أفضل، حيث وضع تماما أن المهاجرين استطاعوا التكيف مع الحياة الاجتماعية في المدينة ، ولعل ذلك يرتبط بطول مدة هجرتهم وتحقيق أهداف الهجرة بالنسبة لهم . ولا يعنى على الاطلاق ارتباط الريفين بذورهم في المناطق الريفية من قبيل سؤ التكيف. أن العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع بشكل عام تتأثر بقوتها واستمرارها حتى لو تباعدت مناطق الإقامة ، فالمقصود بالتكيف من الناحية الاجتماعية : العملية الواعية التي يحاول بها الأفراد والجماعات التلاؤم مع الظروف المختلفة التي يجدون أنفسهم فيها وتشمل هذه الظروف النواحي الاجتماعية والاقتصادية وحتى الظروف الطبيعية . وفي سؤ تلك المحاولة يتمكنون من تعديل بعض أنماط سلوكهم بما يتلاءم مع البيئة الجديدة. ولأننى ذلك بصفة عاجلة أو مفاجئة وأما بالتدرج ويختلف التدرج في موضوع التكيف باختلاف الأفراد أنفسهم والجماعات ويرتبط ذلك من وجهة نظري بالمستوى التعليمي والعمر والمستوى الاقتصادي.. ولعل الجهد الذي بذلته يشفع لجوانب القصور التي أشرت إليها. وأن يكون خطوة على طريق البحث في مجتمعنا المتغير باستمرار .

﴿ المراجع ﴾

- ١ - عبد الرحمن الشريف : هجرة السكان الى مدن جنوب السعودية . النشرة السكانية، الكويت ، ١٩٨٦، ص ص. ١٤-١٤١
- ٢ - السيد حنفى غرض : علم الاجتماع والتحضر. ط١، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٦، ص ص ١٢١-١٢٢.
- ٣ - على عبد الرازق جليلى : علم اجتماع السكان . دار النهضة العربية ، بيروت، ١٤٠٤هـ ، ص ص ٢١٧-٢١٨ .
- ٤ - اسحق يعقوب القطب: النمو والتخطيط الحضري . ط١، وكالة المطبوعات ، الكويت، ١٩٨٠، ص ١٤٦.
- ٥ - على جليلى : مرجع سابق ، ص ص ٢١٨ - ٢١٩.
- ٦ - المعهد العربى لانماء المدن : الهجرة من الريف الى المدن، ١٤٠٧هـ، ص ص ٥-٦ .
- ٧ - نفس المرجع ، ص ٩ .
- ٨ - محمد فؤاد حجازي : الأسرة والتصنيع . مكتبة وهبة. القاهرة، ١٩٧٩هـ، ص ٢١٥.
- ٩ - المعهد العربى لانماء المدن : مرجع سابق ، ص ص ٣١-٣٢ .
- ١٠ - انظر : سعيد فالح الغامدي: البناء القبلى والتحضر فى المملكة العربية السعودية، ط٤، دار الشروق ، جدة، ١٤٠٤هـ، ص ١٧ وما بعدها .

- ١١- عبد الحميد محمود سعد: المدخل المورفولوجى لدراسة المجتمع الريفى . دار الثقافة ، القاهرة . ١٩٨٠ ، ص ١٢٢ .
- ١٢- نفس المرجع ، ص ١٢٤ .
- ١٣- المعهد العربى لائتاء المدن : مرجع سابق ، ص ٢٥ .
- ١٤- نفس المرجع ، ص ٢٥ .
- ١٥ - عبد الحميد محمود سعد : مرجع سابق ، ص ص ١٢٦-١٢٧ .
- ١٦- مكتب اليونسكو الاقليمى للتربية - السكان والتربية والتنمية (فى البلاد العربية) ، بيروت ، ١٩٧٧ م ، ص ص ٢٣٣-٢٣٤ .
- ١٧- نفس المرجع ، ص ص ٢٣٣-٢٣٤ .
- ١٨- مجلة كلية الآداب . جامعة الملك عبد العزيز، المجلد الثانى : تغير الأدوار فى الأسرة الريفيه ١٤٠٩ هـ ، ص ١٠ وما بعدها .
- ١٩- سعيد قالح الغامدي : التراث الشعبى فى القرية والمدينة. شركة دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ١٤٠٥ هـ ، ص ص ١٠٥-١٠٦ .
- ٢٠- تغير الأدوار فى الأسرة الريفيه . مرجع سابق ، ص ٢٦ .
- ٢١- نفس المرجع ، ص ٥١ .
- ٢٢- نفس المرجع ، ص ٥٢ .
- ٢٣- سعيد الغامدي : البناء القلبي والتحضر : مرجع سابق ، ص ١٧٣ وما بعدها .
- ٢٤- المعهد العربى لائتاء المدن : مرجع سابق ، ص ٤٣٣ .

**استرابون يتحدث عن
حملة أيليوس جالوس على بلاد العرب**

**للدكتور / محمد عبودي إبراهيم
أستاذ الدراسات اليونانية والرومانية المساعد**

استرابون يتحدث عن

حملة إيليوس جالوس على بلاد العرب (١)

تناولنا في بحث سابق (٢) ما كتبه الجغرافى الاغريقى استرابون عن بلاد العرب ، وركزنا فيه على القسم الذى اعتمد فيه كاتبنا كلية على ماكتبه أسلافه من مؤلفى الاغريق وبخاصة اراتونيس وأرتقليدوروس وأجاتار خيدس وذكرنا فى حينه أنه على الرغم من دقة ملاحظات المؤلف ومن التناسق الذى اضم به فى كل ماكتبه وخصوصا فى الجزء المخصص فى جغرافيته لوصف مصر والمصريين ، نجد وصفه لبلاد العرب وأهلها يرمزه هذا التنسيق وذلك الترتيب ، ويرجع عدم الترتيب هذا ، على الأرجح فى رأينا ، الى اعتماد كاتبنا على ما كتبه أسلافه من بنى جلده من الاغريق الذين كتبوا فى مراحل زمنية مختلفة، وكذلك على التقارير الرسمية المتعلقة بحملة صديقه إيليوس جالوس الالى الرومانى فى مصر (26-25 B.C) على جنوب بلاد العرب ، المعروفة آنذاك بالعربية السعيدة أو المزدهرة أو الميمونة (٣) . وهناك سبب آخر جعل من وصف استرابون

(١) بدأت هذه الحملة اما فى عام ٢٥ ق.م أو عام ٢٤ ق.م حسب رأى

Richard le Baron & Franc. Albright Bowen. Jr, Archaeological Discoveries in South Arabia. Vol II.P.38.

(٢) بحث قدم أمام المؤتمر الثالث للدراسات العربية اليونانية Helleno- Arabica المتعقد

فى مدينة أثينا باليونان يوليو ١٩٨٨.

(٣) لقب اليونان جنوب بلاد العرب (اليمن حاليا) Arabia Eudaimon ومعناها بلاد

العرب السعيدة أو البسيرة ، أو المزدهرة .

لبلاذ العرب بتقصه الترتيب والتنسيق، ذلك أن المؤلف كما هو واضح لم يرافق الحملة المذكورة (٤) وأدلتنا على ذلك كثيرة، فامسترابون لاخيرنا بصراحته المعهودة بأنه زار تلك البقاع كما حدث عندما حدثنا عن مصر والصريين (٥) كذلك نجد استرابون يعتمد اعتمادا كليا على كتابات أسلافه وعلى تقارير حملة أيلوس جالوس على بلاد العرب بينما لا يغفل ذلك في وصفه المفصل والدقيق لمصر وسكانها.

في هذا البحث سنركز - كما وعدنا في المقال السابق المشار اليه على المعلومات التي استقاها استرابون بشكل رئيسي من التقارير الرسمية التي صدرت عن حملة أيلوس جالوس على جنوب بلاد العرب ، وفي الحملة التي تمت مع بداية قيام الامبراطورية الرومانية وفي أوائل عهد مؤسس هذه الامبراطورية اكتافيانوس الملقب أوغسطس أي المجل [Octavianus Augustus]

وبلاذ العرب عامة وجنوبها برجه خاص كان باستمرار ومنذ أقدم العصور مثالا للشراء والبيع والفتح والجمع أو هكذا أشيع عنها بين الاقدمين ، وقد أدت هذه الشهرة الى خلق الاطماع فيها وإثارة الرغبة في الاستحواذ على ثرواتها من قبل القوى الكبرى المتصارعة في العالم القديم آنذاك.

Nigel Groom.
Frankincense and Myrrh
(Longman, London and New York, 1981, P 73)

هذا الرأي يؤيده أيضا
في كتابه

١١١ الكتاب السابع عشر من جغرافية بطليموس.

وقد ظهر صدى هذا الغنى وذاك الثراء فى الكتب السماوية. وفى القرآن الكريم نجد طائر الهندد يخاطب سيدنا سليمان ^(٦) عليه السلام والذي عرف عنه أن يعرف لغة الطير - فيقول ^(٧) - فمكنت غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من مابنا بقين. انى وجدت امرأة تلكهم وأوديت من كل شئ. ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجلون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون " . فى مكان آخر يقول تعالى ^(٨) - لقد كان لبا فى مسكنهم أمة جثان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم وأشكروا له بلدة طيبة ورب غفور

وعندما غزا الاسكندر الاكبر المقتولنى الشرق ابتداء من عام ٤٣٢ ق.م حاول هو الآخر أن يغزو شبه الجزيرة العربية نظرا لأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية حتى قيل ^(٩) أنه فكر فى جعل عاصمة ملكه فيها .

(٦) يرجع علماء التاريخ والاديان أن عهد الملك النبى سليمان عليه السلام كان فى القرن العاشر قبل الميلاد (انظر: الديانة العربية قبل الاسلام مؤلفه د. محمد بيومى مهران ص ٢٢) .

(٧) القان الكريم ، سورة النمل من آية ٢٢ حتى آية ٢٥

(٨) القرآن الكريم ، سورة نبا ، الآية ١٥ .

(٩) انظر استوارس ، الجغرافيا ١٦ - ٤ - ٢٧ . فارسي ارهاينوس حياة الاسكندر الكتاب ٧

ويؤكد الجغرافى أجاثارخيدس (١٠) فى كتابه عن البحر الاحمر (١١) أنه لا توجد أمة أكثر ثراء من السبيين وأهل جرجة ، الذين كانوا يتعاملون فى كل شيء يتصل بالتجارة بين آسية وأوربية .

ويقول المؤرخ دودوروس الصقلى فى هذا الصدد (١٢) ، "تتفوق قبيلة أو قوم السبيين ليست فقط على ما جاورهم من عرب بل أيضا على جميع الشعوب الاخرى فى الثراء والمفاخر الاخرى".

أما الجغرافى استرابون ، موضوعنا فى هذا البحث ، فانه يصف ثراء بلاد العرب فى أكثر من موضع فى مؤلفه . وفى الكتاب الاول ، بعد أن يقرر أنه فى أيام الشاعر هوميروس (نظم شعره فى حوالى القرنين التاسع أو الثامن قبل الميلاد) لم تكن بلاد العرب غنية (١٣)

(١٠) ازدهر أجاثارخيدس فى القرن الثانى قبل الميلاد . ونقل عنه استرابون الكثير .

(١١) K. Mueller, Geographici Graeci Minores (Paris, 1882) (١١)

Chap.10.

(١٢) دودوروس الصقلى (ازدهر فى منتصف القرن الاول قبل الميلاد) ، المكتبة التاريخية ، الكتاب الثالث ، فصل ٤٧ .

(١٣) الواقع أن هنا الكلام يتناقض مع ما جاء ذكره فى القرآن الكريم عن ثراء قوم سبا فى وقت حكم النبی الملك سليمان بن داود عليهما السلام وهو ما سبق الإشارة اليه ، وهو سابق أو معاصر لتاريخ هوميروس . والارجح فى رأيى أن اليونان لم تكن لهم دراية آنذاك ببلاد العرب وهى أبعد بلاد العالم المتحضر كما يتقول هيرودوت (الكتاب الثالث الفصل ١٠٧) .

وبالتالى لم تكن مشهورة ، وهذا ما يفسر عدم معرفته بها معرفة جيدة ،

يقول استرابون^(١٤) : " أما الآن (يقصد فى عصر استرابون) من

المؤكد، أضحى العرب ميسرى الحال وحتى أدرياء ، لأن تجارتهم واسعة

ووافرة ، لكن من غير المحتمل أن الوضع كان كذلك فى أيام هوميروس .

وفيما يتصل بالتجارة فى الطيوب ، فإن التاجر أو الحمال (المشتغل

بعملية نقل الطيوب) قد يصل الى نفس درجة الثراء من التجارة أو من

نقل هذه الطيوب . وفى مكان آخر يتحدث استرابون^(١٥) وهو ينقل عن

سلفه أرتيميدورس فيقول : " ومن نقل هذه التوابل والطيوب أضحى

السيئون وأهل جرهه اغنى الناس قاطبة ، وامتلكوا أعظم المعدات

المصنوعة من الذهب " . وفى فقرة ثالثة يبدأ استرابون وصفه لمجربات

حملة صديقه أهليوس جالوس على جنوب شبه الجزيرة العربية بقوله^(١٦) :

" اتضحت كثير من الملامح الخاصة لبلاد العرب نتيجة للحملة القريبة

العهد التى جردها الرومان على بلاد العرب ، تلك الحملة التى تمت فى

زمنى (أى زمن استرابون فى حوالى ٢٥ ق.م) بقيادة أهليوس

جالوس " .

Πολλὰ δὲ καὶ ἡ τῶν Ῥωμαίων ἐπὶ τοὺς
Ἀραβας στρατεία νεωστὶ ἐγεννηθεῖσα ἐφ' ἡμῶν, ὧν
ἡγεμῶν ἦν Αἰλῖος Γάλλος, διδάσκει τῶν τῆς χώρας
ἰδιωμάτων.

(١٤) استرابون : ١ - ٢ - ٢٢.

(١٥) استرابون : ١٦ - ٤ - ١٩ .

(١٦) نفس المؤلف : ١٦ - ٤ - ٢٢.

كما سبق ذكره يتضح من كلام استرابون أن هذه الحملة أضافت إلى معلومات الباحثين والعلماء آنذاك نتيجة لما تجمع لديهم من تقارير عن هذه الحملة لكنها على غير المتوقع كانت إضافات طفيفة كما قلنا في حديث سابق (١٧) .

يستطرد بعد ذلك كاتبنا معددا الأسباب والدوافع التي أدت إلى شن الحملة المذكورة . وهو حديث يظهر صراحة استرابون المعهودة - فيقول (١٨) " فقد أرسله جالوس (القيصر أوغسطس لاكتشاف القبائل والاماكن ، ليس فقط في بلاد العرب ، بل أيضا في أبيوية (١٩) ، حيث لاحظ قيصر أن بلاد ساكنى الكهوف (Troglydtes) وهم سكان الساحل الشرقى للسودان وأرتريا والصومال) المتاخمة لمصر تقترب من بلاد العرب ، ولذلك أن التحليج العربى (البحر الأحمر بفهرمه الضيق) ، الذى يفصل العرب عن ساكنى الكهوف، ضيق للغاية. بناء على اختصر فى ذهنه هدف كسب العرب إلى جانبه (سلا) أو اخضاعهم (بالثوة المسلحة). وهناك اعتبار آخر وهو الفكرة التى ذاعت (٢٠) طوال الزمن

(١٧) قارن أيضا . Bunbury, A History of Ancient Geography, Vol .II . P . 320.

(١٨) استرابون نفس المكان السابق .

(١٩) المقصود بأبيوية فى كتابات اليونان والرومان تلك المنطقة الواقعة جنوب مصر وحتى تنزانيه ، والاثيوبيين يعنى الوجود السراء البنية التى لوحظت الشمس وهى تقابل بلاد السودان بفهرمها الواقع عند العرب الاكلمين.

(٢٠) قارن ما قاله هيرودوت وأجانار خبذيس وأدقيدروس وديودوروس الصقلى فى هذا الخصوص فيما ورد أعلاه .

من أنهم قوم أغنياء جدا . وأنهم كانوا يبيعون الطيوب وأنفس الاحجار مقابل الذهب والفضة، ولكنهم كانوا لا يتفقون أى شىء مما حصلوا عليه من الاجانب ، لأنه (أى أعطس) توقع اما أن يتعامل مع اصدقاء أثرياء (عن طريق الحالفه) أو أن يسيطر (عن طريق الحرب) عل أعداء أغنياء . وشجعه على ذلك أيضا توقع المساعدة من الانباط ، لانهم كانوا على صلات صداقة به ووعده بالتعاون معه بكل وسيلة .

τοῦτον ο ἑπέμψεν ο βασιλεὺς Καίσαρ διαπειρασόμενον τῶν ἐθνῶν καὶ τῶν τόπων τούτων τε καὶ τῶν Αἰθιοπικῶν, ὁρῶν τήν τε Ἑρωγλοδυτικὴν τὴν προσεχίῃ τῇ Αἰγύπτῳ γειτονεύουσαν τούτοις, καὶ τὸν Ἀράβιον κόλπον

στερὸν ὄντα τελίως τὸν διείργοντα ἀπὸ τῶν Ἑρωγλοδυτῶν τοὺς Ἀραβας· προσοικειοῦσθαι δὴ διανοίβῃ τούτους ἢ καταστρέφεσθαι. ἦν δέ τι καὶ τὸ πολυχρημάτους ἀκούειν ἐκ παντὸς χρόνου, πρὸς ἄργυρον καὶ χρυσὸν τὰ ἰσώματα διατιθέμενους καὶ τὴν πολυτελεστάτην λιθίαν, ἀναλίσκοντας τῶν λαμβανομένων τοῖς ἔξω μηδὲν ἢ γὰρ φίλοις ἢ λιπίζε πλουσίοις χρήσεσθαι ἢ ἐχθρῶν κρατήσκειν πλουσίων. ἐπῆρε δ' αὐτὸν καὶ ἡ παρὰ τῶν Ναβαταίων ἐλπίς, φίλων ὄντων καὶ συμπράξειν ἅπανθ' ὑπισχνουμένων.

لاستكشاف ومعرفة الشعوب والقبائل وطبيعة سواحل البحر الاحمر
بالتالى وسيلة وغاية لتأمين الطرق التجارى البحرى مع شرق أفريقيا

وبلاد العرب والهند التى سلاحظ أن التجارة معها ستزداد وتنشط فى عصر الامبراطورية الرومانية (٢١). وثانى السبب لشن الحملة هو أن الرومان وفى مقدمتهم الامبراطور أوغسطس بالذات قد تأثروا بما قرأوه وبما سمعوه عن ثراء جنوب بلاد العرب التى أطلقوا عليها باستمرار بلاد العرب السعيدة أو المزدهرة (٢٢). بسبب ثرائها فى الطيوب والبخور والمعادن النفيسة ،من تجارتهم مع البلاد الاجنبية فى الشرق والغرب. ولذلك عقد الرومان العزم على الاستحواز على ثروة تلك البلاد بأية وسيلة سلما أو حربا . وقد أعتملوا فى تحقيق مآربهم على قوتهم الذاتية الى جانب توقعهم تلقى المساعدة من أصدقائهم عرب الشمال ، وهم الانباط الذين كانوا على علاقات تحالف مع الرومان (٢٣).

كان اعتماد الرومان على توقع المساعدة المجردة من عرب الانباط لهم ضد بنى جلدتهم عرب الجنوب أول خطأ جسيم وقعوا فيه . فقد فاتهم

(٢١) قارن بليتيوس الاكبر : التاريخ الطبيعى الكتاب السادس . فصل ٢٦ فقرة ١٠١.

فان كذلك Bunbury المرجع السابق ، ج ٢ فصل ٢٧ ، استرايون ص ٣١٩ .

(٢٢) لقب اليونان جنوب بلاد العرب (البس حاليا) Arabia Eudaimon ثم ترجمها

الرومان Aabia Felix ومعناها بلاد العرب السعيدة أو البسورة والمزدهرة اقتصاديا .

(٢٣) نلاحظ هنا أن الرومان كانوا حتى هذه اللحظة لم يتمكنوا من السيطرة على الانباط،

بل كان الانباط على علاقات تحالف وصداقة مع الرومان، وأنهم لم ينضموا الى

الامبراطورية الرومانية الا فى وقت متأخر وذلك فى أوائل القرن الثانى الميلادى . =

أن عرب الشمال هم أئمة لعرب الجنوب ، وبالتالي فمن المؤكد - كما يتضح بشكل جلي مما يقوله استرابون بعد ذلك - ألا يسلم الانهاط أشقا هم عرب اليمن الى الاجانب وهم الرومان . فسرعان ما تكشفت الحقائق أمام قائد الحملة أهليوس جالوس ، وأنه بدلا من مد يد المساعدة للرومان في انجاح حملتهم، استطاع الوزير العربي البطي سولايموس (٢٤) Syllaïos أن يضلهم وأن يجعلهم يتكبدون خسائر فادحة . يقول استرابون في هذا الصدد بناءً على هذه الاعتبارات بدأ جالوس حملته ، لكنه وقع ضحية الخديعة من قبل ماعدة البطي سولايموس ، الذي على الرغم من أنه كان قد وعد بارشادهم في زحفهم ويمدهم بكل احتياجاتهم ويمعاونتهم، تصرف بطريقة غادرة في كل الأمور، فلم يشر عليهم بسلوك الطريق السليم المحاذي للساحل ولا بالدرب الأمن عبر البر ، مضللا أياهم عبر أصقاع لا تحوى طرقا البتة أو عبر ممالك متعرجة وخلال بضع خالية

= (انظر Pierre Grimal and others, Hellenism and the rise of Rome, P. 290,

cf. also Nigel Groom, op.cit., pp.202,203).

(٢٤) نظرا لعدم الاغريق وعدم قدرتهم على نطق الاسماء العربية نطقا صحيحا فاننا اخترنا - كما اختار غيرنا - في معرفة النطق السليم لاسم سولايموس Syllaïos فقد ذكره أحد المراجع الأوروبية الحديثة على أنه سولايموس Pierre Grimal (Shyllay) نفس المصدر السابق ص ٢٩٥، وسماء لطفى عبد الوهاب يحيى (العرب في العصور القديمة ص ٣٦٤) "الصلاة" أما كاتب هذه السطور فيميل الى القول بان هذا الاسم إما أن يكون "الصلاة" أو "شريع" أو "صويلح" أو "الصل" وكلها أسماء عربية موجودة في البلاد العربية

من كل شيء ، أو عبر شواطئ صخرية تفتقر الى وجود الموانئ ، أو خلال مياه ضحلة أو مملوطة بصخور قابعة تحت الماء ، وخاصة وأنه في أماكن من هذا القبيل كانت حركة المد وكذلك حركة الجزر سبب أشد المحن - (٢٥) .

السبب الأول إذن وراء فشل الحملة الرومانية على بلاد اليمن يعود الى اعتماد الرومان على ارشاد العرب المتمثل في الوزير الهنطي سولابوس لهم ، وهذا لم يتم بالطريق الصحيح والليم كما يذكر استرابون صراحة . أما السبب الثاني فيعزوه استرابون لجهل صديقه قائد الحملة ايليوس جالوس بطبيعة البلاد التي سيفتزمها . ويوضح الكاتب هذا عندها بقول (٢٦) " الخطأ الاول الذي وقع فيه جالوس هو أنه بنى سفن طويلة *Μακρὰν λωία* سفنًا حربية (٢٧) . حيث لم تكن هناك حرب بحرية وقتذاك أو حتى لم تكن متوقعة ، لأن العرب ليسوا محاربين ممتازين حتى على البر ، بل بائعون (متنقلون) وتجار ، ناهيك عن الحرب في البحر (فهم يجهلونهم) (٢٨) . لكن جالوس لم يبن أقل من ثمانين سفينة ، من

(٢٥) استرابون ١٦ ، ٤ ، ٢٢ . نفس المرجع السابق .

(٢٧) السفن الطويلة *Μακρὰν λωία* هي ترجمة اللاتينية للكلمتين *naves longae* التي تعنى السفن الحربية وليست سفنًا طويلة بالمعنى الحرفي للكلمتين .

(٢٨) لا يتفق ديودوروس الصقلي الذي كتب عام ٦٠ ق.م. مع استرابون (٢٥ ق.م.) في وصفه

للعرب بأنهم قوم يجهلون الحرب على البر وفي البحر بل يصرح (المكتبة التاريخية ٢ -

١) بأن بلاد العرب كانت زاخرة بالرجال الشجعان ، ويعلن العرب قوم يعشقون الحرية =

تلك الأنواع الثنائية والثلاثية^(٢٩)، وقوارب خفيفة عند ميناء كليبيترس (أو هيرونبوليس وهي مدينة السويس حاليا) القريبة من القناة القديمة^(٣٠) التي تمتد من النيل، لكنه عندما أثبت أن خدع قماما، بنى مائة وثلادين سفينة من سفن النقل (σκευαφόρα) أبحر على ظهورها وبصحبه عشرة آلاف جندي من الشاة مكونين من الرومان في مصر، وكذلك من حلفاء الرومان، الذين كان من بينهم خمسمائة من اليهود، وألف رجل من (عرب) الانباط تحت قيادة الوزير سولاومس وبعد محن ومصاعب جمه وصل بعد أربعة عشر يوما الى ليوكي كومي (القرية البيضاء - الحوراء حاليا)، في أرض الانباط، وهي ميناء ضخم، على الرغم من أنه فقد كثيرا من سفنه، حتى أن بعض هذه السفن فقدت بمن عليها من بحارة وكل شيء فيها بسبب صعوبة الملاحة في القسم الشمالي من البحر الاحمر) وليس بسبب أي عدو وبالرغم من استرايون بتهم الرألي الروماني ايليوس جالوس قائد الحملة بأنه تركب خطأ

= ولا يقبلون الخضوع تحت أي طرف من الظروف لحاكم أجنبي . وفي مكان آخر يقول (نفس المؤلف ٢ - ٥٤) أن العرب كانوا يحاربون من على ظهور جمالهم وكل جمل كان يحمل فرق ظهره رجلين يحملان ظهرا إلى ظهر تحاربة الاعلاء القادمين من الامام والمهاجرين من الخلف.

(٢٩) السفن القديمة أنواع منها المكون من طابق واحد من المجندين ومنها ثنائية والطبقات، والثلاثية أسرعها جميعا، وهي التي طورتها أثينا ابان حرب الاغريق مع الفرس في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد. وكان لهذا التطوير أثر بالغ على هزيمة الفرس (٣٠) يتضح من كلام استرايون هنا أن هذه القناة لم يعد لها وجود في عصره والا لذكرها صراحة ولكانت سفن الحملة قد استخدمتها في حالة الحاجة الى تعريقات من الاسكندرية أو روما مثلا

جسيما عندما وضع نقشه فى الوزير النبطى سولايمس الا أنه وبحكم صداقته لهذا القائد يحاول تبرئته من سوء التقدير من ناحية ويجعله بطبيعة البلاد التى كان يقصد غزوها من جهة أخرى ونراه ينهى باللائمة على الوزير النبطى سولايمس الذى يتهمة بالفكر والخيانة والتآمر وسوء القصد فى هذا الصدد : كان السبب فى ذلك (أى فى الخسائر التى لحقت بالجيش الرومانى) غدر سولايمس ، الذى قال أنه لا توجد طريق (أخرى) يملكها الجيش الى ليوكى لومى برا من البتراء الى هذا المكان (ليوكى كرمى) فى أمان وسهولة ، وباعداد هائلة من الرجال والجمال لدرجة لا يختلفون فيها بأى حال من الاحوال عن الجيش (٣١) .

وبعلل استرايون نجاح خطة الوزير سولايمس فى الابتاع بالقائد الرومانى أهليوس جالوس بتضليله وخداعه بسمين : أولهما هو أن الملك النبطى عبادة ترك زمام أمور الدولة بما فيها المسائل العسكرية فى يد وزيره سولايمس ، وثانيهما نتج عن دهاء سولايمس وتفوقه على أهليوس جالوس فى التواصى الاستراتيجية والعسكرية وكل شيء . فى هذا الصدد يقول استرايون (٣٢) .

(٣١) يشير استرايون الى استخدام هذا الطريق فى مكان آخر من مؤلفه (١٦ - ٤ - ٢٤) انظر كذلك Ptolemaic Alexandria; Peter Fraser, Vol. II P.176. كما يشير القرآن الكريم الى هذا الطريق فى سورة قريش ذرعهما ١٠٦، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يسافر الى بلاد الشام سالكا نفس الطريق ابان عمله فى التجارة نياحة عن السيدة خديجة رضى الله عنها.

(٣٢) استرايون : ٦١ - ٤ - ٢٤

” مر هذا الامر (أى خلع سولايموس لجالوس) لان الملك عبادة لم يكن يولى اهتماما كثيرا للشئون العامة ، خصوصا للنواحي العسكرية (وهذا مسلك عام لجميع ملوك العرب) ، ولانه ترك كل شيء فى يدي سولايموس، ولأن سولايموس تغلب بوسيلة غادرة على جالوس فى الناحية الاستراتيجية فى كل شيء.

بحق لنا أن نسأل هنا عما يعنيه استرابون عندما يذكر أن الملك عبادة شانه فى ذلك شأن كل الملوك العرب، لم يهتموا بالشئون العامة بما فيها النواحي العسكرية. أيعنى هذا القول أن هؤلاء الملوك كانوا يهتمون فقط بمصالحهم الخاصة وأمور حياتهم الذاتية تاركين شئون الدولة لوزرائهم وعمالهم ؟ أم أنهم كانوا ملوكا ديمقراطيين يملكون ولا يحكمون مثل ملوك الدول الديمقراطية فى العصور الحديثة ؟ فى رأى كاتب هذا البحث يبدو الاحتمال الثانى أكثر رجحانا خصوصا وأن استرابون نفسه يتحدث^(٢٣) ملوك الانباط ، ويشئ على روحهم الديمقراطية ونواضعهم الجم ، وخضوعهم للمحاسبة أمام مجالسهم وجمعياتهم الشعبية.

وبطلنا استرابون على معلومة فى غاية الاهمية والانارة تتعلق بالهدف الذى رسمه سولايموس لنفسه عندما اشترك فى حملة أيليرس جالوس فيقول^(٢٤) : ”كان سولايموس يهدف ، على ما أعتقد (والكلام على لسان استرابون) ، الى استطلاع البلاد بمساعدة الرومان بهدف تدمير

(٢٣) استرابون ، ١٦ - ٤ - ٢٦ .

(٢٤) استرابون ، ١٦ - ٤ - ٢٤ .

بعض مدنها وقبائلها ، ثم ينتصب نفسه سيدا على الجميع ، بعد أن يكون قد قضى على الرومان بسبب الجوع والارهاق والامراض وكل المصائب التى دبرها سولايوس للفكر بهم .

كان سولايوس إذن رائدا للوحدة العربية، أى أنه سبق الى المناداة بتوحيد شبه الجزيرة العربية التى بذلت محاولات عديدة لتحقيقها^(٣٥) حتى قبض الله لها أن تحقق بعد ظهور الاسلام وانتشاره فى طول البلاد وعرضها .

يستأنف استرايرون حديثه عن سير الحمله بعد أن عانت ما عانت من مخاطر الملاحة فى خليج السويس وعبر القسم الشمالى من البحر الأحمر ، وبعد أن دمر قسم كبير من سفنه من فيها من جنود وما بها من عتاد بالاضافة الى ما أصابهم من جوع وارهاق وأمراض.

يقول المؤلف^(٣٦) : "على أية حالبقى جالوس فى ليوكى كوسى بعد أن ابتلى جيشه آنذاك بمرض الشلل والمرض فى الأرجل وهما برضان محليان ، يظهر الأول نوعا من الشلل حول الفم بينما يصيب الآخر الأرجل بالعرج ، اكلاهما يتج من تناول الماء والاعشاب الحلية . وعلى كل

(٣٥) عن المحاولات التى بذلت لتكون ممالك وامارات فى شبه الجزيرة العربية وبالتالى الى قيام وحدة شاملة فى المنطقة قبل الاسلام . انظر كتاب لطفى عبد الوهاب يحيى: العرب فى العصور القديمة من ص ٢٤٥ الى ص ٢٥٤ .

(٣٦) استرايرون : نفس المكان السابق .

الاحوال اضطر جالوس الى قضاء فصلى الصيف والشتاء (٣٧) هناك .
فى انتظار المرضى أن يتماثلوا للشفاء .

ولا بنوت كاتبنا ، الذى عرف عنه دقة الملاحظة أن يسجل هنا (٣٨)
حقيقة مهمة تتصل بمدينة وميناء ليوكي كومي كمركز تجارى تتجمع عندها
قوافل الجمال المحلة بالطيوب وغيرها من سلع ، ومنها تنقل هذه الاحمال
الى البتراء ، حاضرة الانباط ، ومن هناك الى ربتوكولورة (٣٩) . وهى
Rhinocolura العربش الان) التى تقع فى فينيقية بالقرب من مصر ،
ثم ينقل من هناك الى الشعوب الاخرى . وهنا يضيف استرابون ملاحظة
اخرى فيقول (٤٠) أنه فى عهدة (أى فى أوائل عهد الحكم الرومانى فى
مصر) أصبحت البضائع فى معظمها تنقل عن طريق النيل الى

(٣٧) يلاحظ هنا أن الكاتب هو جغرافى مدقق يتحدث عن فصلى الصيف والشتاء ولم يذكر
فصل الخريف الذى يترسمها . هل فطن الكاتب الى ملاحظة أن منطقة البحر الاحمر
لا تعرف الفصل الاربعة كما هو الحال فى المناطق المعتدلة . بل أن المنطقة المذكورة لا
تشهد غير فصل صيفى طويل وفصل شتوى قصير . وهنا ما يسم كاتب هذه
السطر ان استرابون لصد.

(٣٨) استرابون ، نفس المكان السابق .

(٣٩) ومعناها مدينة ذوى الاثرف المقطوعة وقد جاءت هذه التسمية كما تقول النصه التى
رواها كل من ديودوروس الصقلى : الكتاب الاول فصل ٦٠ ، واسترابون ١٦ - ٢ -
٢١ من أن الملك الاثريش (النوبى) شاباكا Shabaka الذى حكم مصر ابان حكم
الاسرة النوبية ، كان ينشئ اليها ما يقضى عليهم من الجرمين واللصوص بعد جزع
انوفهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم ويكونوا معروفين لدى الآخرين .

(٤٠) استرابون ، نفس المكان السابق .

الاسكندرية، فبعد وصول البضائع الى ليوكي كومي تفرغ (البضائع الواردة) من بلاد العرب والهند (فى سفن تنقلها من ليوكي كومي عبر البحر الاحمر) فى ميناء ميوس هرموس (ميناء أبو شعر القبلى على الساحل المصرى) ، ثم يتم نقلها على ظهور الجمال الى مدينة قنط (Koptos فى وادى النيل) فى منطقة طيبة وهى تقع على قناة (موصلة الى) النيل ومن هناك الى الاسكندرية (عن طريق النيل).

بعد هذا الاستطراد يواصل استرابون وصفه لمسار الحملة داخل بلاد العرب قائلا (٤١) "مرة أخرى حرك جالوس جيشه من الحوراء وزحف عبر مناطق معينة حتى أن الماء كان يلزم نقله بالجمال بسبب سفالة الأدلاء" (٤٢)، لهذا السبب استغرق السير أياما كثيرة للوصول الى أرض (الملك) الحارث (Aretas) وهو من أقارب الملك عبادة ، فى هذا المكان استقبله الحارث استقبالا وديا وقدم اليه الهدايا، لكن غدر الوزير سولايمس جعل الرحلة عبر ذلك الاقليم صعبة كذلك ، وعلى أية حال ، تم اجتياز المنطقة فى ثلاثين يوما ، وهذه المنطقة لا تنج سوى الذرة (Zeia) فقط ، وينمو فيها القليل من نخيل البلح ، وتنتج الزبدة الحيوانية بدلا عن الزيت ، (أو السبب فى طول الوقت الذى استغرقته الرحلة عبر هذا الاقليم)، هو لانهم مروا عبر أصقاع تخلوا من الطرق الممهدة

فى الفقرة السابقة تستوقفنا عدة ملاحظات حول كلام الكاتب منها

(٤١) استرابون ، نفس المكان السابق.

(٤٢) مرة أخرى يشير الى الوزير سولايمس ورجاله .

جهله بالمنطقة التى مرت بها الحملة الرومانية بعد مغادرتها ليوكى كومي . فهو لا يذكر أى مدينة من المدن بل اكتفى بالقول أن المنطقة يحكمها الملك الحارث وهو قريب عبادة ملك البتراء ، وهذا يفسر فى رأى الاستقبال الودى الذى قوبل به جاللوس وصحبه من قبل هذا الأمير ، الذى يحكم منطقة كانت إما مستقلة أو أنها كانت تشكل جزءا من مملكة الانباط ، حلفاء الرومان وأصدقاءهم . شىء آخر نلاحظه هو استمرار استرابون فى هجومه على الوزير سولاوس متهما إياه بالفساد والحيانة المتعمدة لأهداف الرومان الذين وثقوا به واعتمدوا عليه ، وهذا التحامل من جهة استرابون على سولاوس منطقى وطبيعى لأنه صديق لقائد الحملة ومواطن روماني . ولكنه من وجهة نظر محايدة موقف متحيز ويبدو هذا التحيز فى تجاهله للوجه الآخر من القضية ، وهو ما اعترف به الكاتب صراحة قبل ذلك عندما صرح بأن سولاوس كان يريد توحيد قبائل العرب ومنهم وقراهم تحت امرته بعد أن يكون قد تم له إخضاعهم بمساعدة الجيش الروماني وفى نفس الوقت يكون قد تخلص من القسم الذى ر من هذا الجيش بتضليله عبر الطرق الصحراوية الوعرة والحالية من الماء وكل أسباب الحياة .

الملاحظة الثالثة هى أننا لانتطيع أن نكون فكرة واضحة عن منطقة الحارث التى أشار إليها الكاتب . ولا ندرى أن كانت هذه المنطقة هى الهجاز حيث واحة المدينة المنورة (يشرب آنذاك) أو مكة المكرمة حيث يقع وادى فاطمة على مقربة منها . وكلها مناطق تجود ببعض الحاصل الزراعى وتغنيى البلع ويمر معشرا من الثروة الحيوانية ، التى يحصل منها السكان على حاجتهم من الزبد

واستخدامها بدلا عن الزيوت النباتية كما يشير بذلك استرابون.

تواصل الحملة تحركها، فيقول الكاتب^(٤٢) "الأقليم التالي الذي عبره جاللوس كان يقطعه قوم من البدو، ودونى حقيقة أمره أقليم صحراوى فى معظمه، وكان يطلق على هذا الأقليم أرازيه (Ararene) وبحكمه الملك صعب (Sabos) ونى مروءه خلال هذه المنطقة عبر جاللوس ، أجزاء خالية من الطرق، وبعد أن قضى خمسين يوما فى مسيرته، وصل بعدها الى مدينة تجران".

فى الفقرة السابقة من وصفه بطلنا استرابون على بعض المعلومات: منها أن المنطقة التى عبرها الجيش الرومانى هذه المرة صحراوية فى معظمها ويسكنها قوم من البدو، ويقول أن اسمها أرازيه ونحن لانتطيع تحديد هذا الاسم بشكل دقيق فلربما كان عرعر أو عرار وكلها أسماء معروفة فى شبه الجزيرة العربية كذلك لم يحدثنا استرابون عن ملك تلك المنطقة صعب وموقفه من الحملة، كما هو الحال عندما ذكر أقليم الملك أو الامير الحارث وكيف أنه من أقرباء عبادة ملك البتراء وبالتالي فهو حليف للرومان، أما عن صعب لقد لزم الكاتب الصمت على كل حال يبدو جليا أن المنطقة التى كانت تحت نفوذ صعب لم تكن خاضعة للأنباط والا لكان استرابون ذكر ذلك ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو هل كان أقليم ارازيه الذى يحكمه صعب محابدا فى موقفه من هذه الحملة؟ هنا لا نجد اجابة صريحة من الكاتب، لكننا نستطيع الاستنتاج من أن سكوت استرابون عن بيان موقف صعب أنه (أى صعب) التزام الحياد فعلا، والا فلماذا إذن لم يرحب بمقدم الجيش الرومانى اذا كان مؤيدا كما فعل الحارث أو لماذا لم يتصدى له ومقاومة اذا كان معارضا لرحلته كما فعل عرب الجنوب بعد ذلك ؟

(٤٢) استرابون : نفس المكان السابق.

بعد ذلك ، أخبرنا استرابون "وصل (الجيش) الى مدينة نجران (Negrani) والى اقليم يسود ريعه السلام ويمتاز بخصوصيته، وهنا هرب الملك (يقصد حاكم نجران) وتم الاستيلاء على المدينة في أول هجوم".

في نجران اذن، حسب رواية استرابون، اختلف الوضع عنه في ارامية منطقة نفوذ صعب، ففي هذه المنطقة الأخيرة لم يعترض الملك سبيل الحملة بينما في الاولى تحدد بداية الصراع بين عرب الجنوب والغزاة الرومان ، لكن للأسف لم يذكر ملك نجران أية مقاومة للفرز بل نجده على عكس ما كان متوقعا منه يتخلى عن قومه ويلوذ بالفرار تاركاً مدينته تفتح للغزى أبوابها بدون بذل أدنى مقاومة.

بعد نجران ، على كل حال، يواجه الجيش الروماني مقاومة حقيقية من أهل الجنوب العريش في هذا الصدد يقول استرابون (٤٤)^(٤٤) ومن هناك (من نجران) وصل (جالوس) الى النهر (لم يذكر استرابون اسم هذا النهر) بعد ستة أيام، في هذا المكان اشتبك البرابرة (٤٥)^(٤٥) (يقصد العرب) في معركة مع الرومان، فسقط منهم حوالي عشرة آلاف قتيل، بينما لم يفقد الرومان غير فردين فقط، لانهم (أي العرب) لم تكون لديهم دراية باستعمال السلاح، لكونهم غير لاتقن البتة للحرب، فقد كانوا يستخدمون الاقواس والحراب والسيوف والقاليع، وأن كان معظمهم يستعمل البلطة بعد ذلك مباشرة استولى على المدينة المسماة أسكة (Aska) وهي نشق (٤٦)^(٤٦) التي كان ملكها قد هجرها.

(٤٤) استرابون ، نفس المكان السابق.

(٤٥) تعنى كلمة (Barbaroi) في اللغة اليونانية القديمة وما يقابلها في اللغة اللاتينية "Barberi" أولئك الذين يتكلمون بلغة غير مفهومة لهم . من ثم تعنى الاجانب . وهي تساوى عند العرب كلمة الاعاجم . والكلمة في الاصل لم تكن تحتمل المعنى السوء الذي اكتسبته بعد ذلك في اللغات الاوربية الحديثة.

(٤٦) انظر Nigel Groom كذلك P.295 Pierre Grimal, op,cit.

ومن هناك زحف صوب مدينة تدعى أثرولة (Athrula) وهي باثلا، وبعد أن سيطر عليها بدون قتال، ترك حامية فيها، وقام بعمل الترتيبات لثونة من القمع والتمر استعداداً لمواصلة الزحف. ثم تقدم اتجاه (مدينة ماريابا Marsiaba أى مارب) التى تتج قبيلة (قوم ، عشيرة) ردمان (Rhammanitae) رعابا (الملك) الأعصر أو الأعمر أو العسرى^(٤٧) (Iliasaros) عندئذ هاجم أيليوس جالوس المدينة وحاصرها لمدة ستة أيام، لكنه انسحب (ونها) نظراً لنقص لبنه فى امتدادات المياه. لقد كان فى الحقيقة على مسيرة يومين فقط من المنطقة التى تتج الطيرب (وجهته ومقصده) كما أبلغه أسراء^٢، ولكنه كان قد قضى ستة أشهر فى زحفه (الى أن وصل أى هذه المنطقة) بسبب فساد الدليل، ولقد عرف أيليوس الحقيقة عندما قفل راجعاً، وعندما أبلغ مؤطرا بالزأمة (التي هيكت) ضده ، وفى طريق العودة سلك طرقاً أخرى (غير التى جاء منها) لأنه فى اليوم التاسع (من مغادرته لمارب) حل بتجران حيث حدثت المعركة^٣.

فى القتال الذى دار بين العرب من جهة والرومان وحلفائهم من جهة أخرى قرب مدينة مارب يبرز استرابون تفوق الرومان على أعدائهم سواء من ناحية الإعداد الجيد أو التسليح المتطور^(٤٨). أضف الى ذلك أن معظم الحكام العرب عن مواطنيهم فى وقت الشدة كما حدث عندما هرب

(٤٧) للدهود تسمية منطقة عسير (والعسرى) الحالية. op. cit., P.186. الى هنا الرجل.

(٤٨) كان الرومان يتفاخرون بأنهم أمة معارضة وهم يزعمون بأنهم انحلوا من مارس الى الحرب عندهم. والمعروف أن الشعب الرومانى اعتمد منذ بداية تأسيس دولته فى روما على استعداد نفسه للحرب والقتال ومن ثم الفخ والفدح، وكل جنودهم محترفين. يفتنون حياتهم فى التسويب الشان. بمحاولة الحرب السعيدة وهذا سر السعدانهم لشجيرة بحرهم السعدان.

ملكاً نجران ونشق. وهذا ولا شك أدى الى أضعاف الروح المعنوية للسكان هناك. ومع ذلك يعترف استرابون بأن العرب قاتلوا يسالة عند نجران وأوقفوا بالرومان بعض الخسائر من جهة أخرى يبدو أن السكان العرب أخذوا في معظم الأحيان على غرة

هذه الأسباب مجتمعه تعزز رأينا في أن المعركة بين الطرفين لم تكن متكافئة.

ومع ذلك فإنه بالرغم من انتصارات الرومان في والقرب من نجران وفي نشق ويائل إلا أنهم فشلوا في اقتحام مدينة مأرب. وهذا الفشل يعزوه المؤلف الى نقص في امدادات المياه لدى الرومان وهو غير صحيح الى حد بعيد. فالمنطقة التي تقع فيها مدينة مأرب تعد من أخصب بقاع بلاد العرب وبها ينابيع عديدة وغريرة المياه (٤٩). لكن استرابون وهو متعاطف مع الرومان بحكم وضعه وصداقته لقائد الحملة - ربما لم يشأ القول أن الرومان وجدوا في مأرب الصخرة الصلبة التي تحطمت عليها أحلامهم بعد أن صمدت أمام حصارهم ستة أيام. ثلثو كان لدى الرومان مقننة حقيقية لما استطاعت هذه المدينة الصمود في مواجهتهم، ولاستمروا في زحفهم لبلوغ هدفهم في الاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربية الغنية بمتجاتها من الطيوب والتوابل والبخور والمعادن النفيسة خصوصا وأنهم علموا من أسراهم، كما يشير استرابون ، بأنهم باتوا على مسافة

(٤٩) انظر Nigel Groom, op.cit., P.75

قريبة منها قدرها الكاتب بمسيرة يومين فقط . ويعلق استرابون^(٥٠) على سبب انسحاب الرومان وراجعهم عن مواصلة الحملة الى ما عاينوه من وبلاات في طريق زحفهم من أمراض خطيرة وأوبئة فتاكة ووعورة في المسالك وطول الوقت الذي استغرقه زحفهم وهو ما يعزوه الكاتب الى تضليل سولانوس المتعمد لهم. وقد تكشف صحة هذا الادعاء لدى جالوس في طريق العودة وقد أبلغ ساعتها بالمؤامرة التي حيكت ضده من هذا الوزير المشلول عن ارشاد الحملة وتدمير وسائل الانتقال لها. فعندما تنبه جالوس لذلك سلك طرقا مغايرة تماما لتلك التي جاء منها. وقد نأكد للقائد الروماني صحة المؤامرة النبطية عندما استغرقت رحلة العودة من مارب الى ميناء الحجر (Egra الوجه حاليا) وهي تقع الى الشمال من ليوكي كومي التي بدأ منها الزحف ستين يوما فقط في حين قضى ستة شهور في طريق الذهاب.

يقول استرابون عن طريق العودة^(٥١) : - عرف (أيليوس) الحقيقة عندما قتل راجعا، وبعد ما أحبط علما مؤخرا بالمؤامرة التي دبرت ضده سلك في طريق العودة طرقا أخرى ، لانه حل في اليوم التاسع بنجران ،

(٥٠) استرابون - نفس المكان السابق.

(٥١) استرابون - نفس المكان السابق .

حيث نشبت المعركة (أول معركة يخوضها الرومان ضد العرب) ، ثم فى اليوم الحادى عشر (وصل) الى المنطقة المسماة "الابار السبعة" كما كان يطلق عليها، من كون أنه وجدت فى هذا المكان سبعة آبار ، ومن هناك، أخيرا سار خلال منطقة آمنة، فوصل الى قرية شالة (شعلة Chaala)، وكذلك الى قرية أخرى يقال لها مالوثة (Malotha) ،وهى تقع على مقربة من نهر، ويعلها سار عبر منطقة صحراوية ، ليس فيها الا مصادر قليلة للعياء . حتى حل فى قرية تسمى الحجر. وفى تقع ضمن أراضى عبادة (ملك الانباط) وتطل على البحر (الاحمر) وفى طريق العودة أكمل (المليوس) رحلته كلها فى ستين يوما، فى حين أنه قضى فى رحلة اللهاب ستة أشهر. ومن هناك نقل (بالسفن) جيشه الى ميناء ميوس هرموس (ميناء أبى شعر القبلى على ساحل البحر الاحمر من الجانب المصرى) فى أحد عشر يوما، وسار برا (بقوافل الجمال) الى قفط (فى وادى النيل)، وصل ومعه جميع الذين واتاهم الحظ الكافى للنجاة الى الاسكندرية (عن طريق النيل). أما البقية (من رجاله) فقدهم لافى الحرب ولكن بسبب المرض والارهاق والجوع وسوء الطرق، لانه لم يمت فى هذه الحرب سوى سبعة رجال، لهذه الأسباب، أيضا لم تضاف هذه الحملة الى حد بعيد الي معرفتنا بتلك المناطق، لكنها مع ذلك أسهمت أسهاما طفيفا فى هذه المعلومات. من جهة أخرى نال الرجل الذى كان مستولا عن هذا الفشل وأعنى به سولايوس، عقوبته فى روما، حيث على الرغم من تظاهره بالصدقة (الروما) تمت محاكمته وادانته بالاضافة الى صغافته فى

هذا الامر، بمخالفات أخرى، وأعلم بقطع رأسه".

كما سبق نلاحظ أن أهليوس بعدما علم بثامر سولايوس عليه لافئال حملته توقف عن استخدامه دليلا له ومرشدا في طريق العودة مع أن استرابون لم يصرح بذلك ولم يقل لنا أى شيء عن رد فعل جاللوس عندما عرف خيانة حليفه النبطي، ولم يتعرض لسولايوس الا عندما أبلغنا بإدائته في روما واعدامه. فهل قبض أهليوس على سولايوس في طريق العودة؟ وأين ومتى؟ الشئ للملاحظة أن استرابون لزم الصمت حيال هذا الموضوع.

الذي يلفت النظر هنا أن نجد أهليوس جاللوس يسلك في طريق الانسحاب طرقا غير تلك التي سلكها في طريق التقدم صوب الجنوب العربى ، لدرجة أنه اختصر وقت العودة الى الثلث. ففى حين تضى ستة أشهر في الذهاب استغرقت رحلة الایاب ستين يوما فقط هذا الرغم من أنه تجاوز نقطة البدء (اليوكى كومي) ووصل الى المنجر الى الشمال منها. يلاحظ كذلك أنه لم يواجه أية مقاومة في طريق العودة ولم يجر أى اتصال لا بالملك الحارث ولا بغيره، فلربما يكون قد تلاقى أن يمر على مدن معادية. ونلاحظ أيضا أنه بسبب ما لاقاه من صعوبة في الملاحة في القسم الشمالى من البحر الاحمر وفي خليج السويس نراه يعبر البحر الاحمر من الشوق (من الوجه) الى ميناء ميوس هرموس على الساحل المصرى ويقطع المسافة في أحد عشر يوم، ومن هنا (بقوافل الجمال) عبر الصحراء الشرقية الى مدينة نقت في منطقة طيبة في الصعيد الاعلى

بصر ومنها عن طريق قناة ملاحية موصلة الى النيل ثم يركب النيل حتى الاسكندرية ومن هناك الى روما عبر البحر الابيض المتوسط.

لكن لماذا جعل ايليوس عودته من بلاد العرب ميناء الحجز مع أنه كما سبق القول كان أبعد نقطة من ميناء ليوكي كومي حيث ميناء الحجز الى الشمال من ليوكي كومي؟ يمكننا أن نستنتج بسبب ذلك من كلام استرابون الذي أودناه في بداية مقالنا هذا، وهو أن ايليوس كان قد تبه الى خطورة الأمراض المنتشرة انذاك عندما وصل الى ليوكي كومي خصوصا بعد أن عانى منها في بداية الحملة.

وهناك مسألة أخرى برزت في كلام استرابون تتعلق بدور اليهود في تلك الحملة، فقد استعان بهم الرومان وكانوا، كما يقول استرابون، كالاتباط حلفاء للرومان، ويتضح أيضا أن اليهود كانوا أشد الصداقة بالرومان وأقرب اليهم من عرب الاتباط، ويبدو أن الرومان كانوا بدورهم يفضلونهم عن العرب بدليل ورود ذكرهم في كلام استرابون قبل العرب بالرغم من أن عدد اليهود الذين اشتراكوا في الحملة المذكور يبلغ نصف عدد عرب الاتباط فيها. فاليهود كانوا قبل الرومان باستمرار يضعون أنفسهم تحت خدمة القوي الكبرى المسيطرة على المنطقة.

فقد فعلوا ذلك مع الفرس والبطالة السلوقيين^(٥٢)، والملاحظ أن اليهود ظلوا طوال العصور في ابيع نفس السياسة التي اتبعها بالقوي الكبير. فقد فعلوا لك مع الآلان وحاولوا نفس الشيء مع الدولة العثمانية لكنهم فشلوا ثم اربطوا بفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

نعود مرة أخرى لأخبار الحملة الرومانية، فقد لاحظنا فيما سبق أن سير الحملة توقف عند مدينة مأرب عاصمة السبئيين بعدها قفل الرومان عائدين أدراجهم بعد أن صمدت المدينة لحصارهم الذي دام ستة أيام وعز عليهم اقتحامها عنوة. معنى ذلك أن الرومان لم تتح لهم الفرصة هي دخول بلاد اليمن الحقيقية ومن ثم لم يتمكنوا من معرفة تلك البلاد علي الطبيعة وقد ذكر ذلك صراحة المؤلف كما أشرنا سابقا. والذي أضاف أن الرومان استقروا معلوماتهم عن تلك البلاد من أسراهم العرب.

كما سبق بتضح أن حملة الرومان بقيادة أهليروس جالطرس التي

(٥٢) كان اليهود مقربين الي الفرس حتى أن مؤسس دولة الفرس الأولى المعروفة بالآخمينشية قورش الأكبر أعادهم من السبي الي فلسطين واستخدمهم في جيشه وعندما تم غزو مصر في عهد خليفته قمباز (قمباز) عام ٥٢٥ ق.م كانوا ضمن قواته حتى أنه عثر علي برديات آرامية في جزيرة أسوان (البقائين) تتعلق بالجند اليهود الذين كانوا ضمن حامية فارسية هناك. أما في مصر تحت الحكم البطلمي فقد عوازل اليهود كمواطنين من درجة أعلي من أهل البلاد وسمح لهم ببناء المعابد ومجلس الشيوخ (Gerousia) وترجمت التوراة (العهد القديم) الي اليونانية فيما يعرف بالترجمة السبعينية لصالح يهود مصر وتمتعوا بالكثير من المزايا والاعفاء من بعض الضرائب وغيرها ويصنف هذا القول أيضا علي يهود الدولة السلوقية.

وجهرها لاستيلاء علي بلاد العرب الجنوبية منيت بالفشل الذريع ولم تحقق أغراضها المنشودة. ويعود أسباب الفشل الي أسباب وعوامل متعددة منها.

أولاً : سوء التخطيط للحملة من جانب الرومان كما أشار بذلك صراحة استرابون ويتمثل ذلك في بناء سفن حربية كبيرة الحجم. بأعداد ضخمة مع أنها لم تكن ضرورية علي الإطلاق نظراً لان الصراع لم يكن في البحر إنما علي البر.

ثانياً : اقلاع الاسطول الروماني من عمق خليج السويس في الشمال ومروره بشمال البحر الاحمر المعروف بصعوبة الملاحة فيه الي حد كبير. وكان بالإمكان جعل السفر عن طريق النيل جنوباً وحتى فقط في صعيد مصر ومن هناك عبر الصحراء الي ميناء ميوس هرموس (أبو شعر القبلى) علي البحر الاحمر ثم الابحار من هناك الي سواحل شبه الجزيرة العربية الغربية.

ثالثاً : نزول الجيش الروماني في ميناء ليوكي كومي (الخبراء) العربي التبطي والمنطقة كما يصفها الكاتب مريضة بالامراض المتوطنة التي فتكت بالعديد من رجال الحملة وقد استفاد الرومان من هذا درساً جعلهم يتفادون هذا البناء في طريق العودة. وهم منهكين مهزومين- يتعدونه شمالاً ويستخفون ميناء الحجر (الوجه) نقطة انطلاقهم في طريق العودة بحراً الي الشاطئ المصري المقابل عند ميناء ميوس هرموس. وهنا أيضاً استفادوا من تجربتهم في طريق الذهاب فتفادوا منطقة الخطر المتمثلة في

صعوبة الملاحة في شمال البحر الأحمر وخليج السويس.

رابعاً : اعتماد الرومان في تعزيز قوتهم على الأجانب وعرب الانباط وعلى قيادة وإرشاد الوزير العربي النبطي سولايس، الذي- على حد زعم استرابون- غرر بهم في مسالك ودروب وعرة وغير آمنة، لأنه كان يضمن لهم الهلاك والهزيمة، وفي نفس الوقت أراد الاستفادة لنفسه من هذه الحملة. فقد أراد سولايس- بعد هلاك الرومان- أن يقيم نفسه مجدداً، ملكاً على حساب الرومان الذين وضعوا لقتلهم الكاملة فيه وأعتمدوا عليه. فخطط لتوحيد العرب الذين كان متفرقين في دولات وقبائل متناحرة كما هو واضح من وصف استرابون لهم. و هذه لعمري فكرة رائدة لاقامة كيان عربي موحد. وقد اتضح جهل الرومان وقائد حملتهم جالوس بجغرافية بلاد العرب وأحوالها عندما ساروا خلف سولايس في أرض فقراء وطرق وعرة ومتعرجة وأماكن خالية من المياه وأسباب الحياة.

خامساً : فبالرغم من أن حملة الرومان لم تجد مقاومة كافية في المناطق التي جاست خالها إلا أنها في المرحلة الأخيرة، ووجهت بأشد المقاومة وأعنفها بدءاً من نجران وانتهاءً بمدينة مارب عاصمة البشيين التي صمدت لحصار الرومان مما اضطرهم لفكها والعودة من حيث أتوا يجرّون أذيال الخيبة والفشل الذريع وبذلك لم يتحقق هدفهم الذي جردوا حملتهم من أجله ألا وهو الاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربية ذات الصيت الواسع في الفنى والثراء والمتحركة كذلك فى طرق التجارة البرية

والبحرية خصوصا الطريق الذي يخترق البحر الاحمر وباب المندب والتي
تتقل عبه البضائع القادمة من بلاد الشرق كالهند وبلاد العرب وشرق
أفريقية وغيرها.

ملاحظة أخرى تربط بتركيز الكاتب وصفه علي الجانب الغربي لشبه
الجزيرة العربية وهو تقليد دأب عليه الكاتب الكلاسيكيين بصفة عامة،
فاسترابون كغيره ركز علي منطقتين اثنتين من شعوب غرب الجزيرة الا
وهما الانباط في الشمال، وقد كانت حكومتهم وقت كتابة استرابون
حليفة الرومان. وهو سبب رئيسي جعل حديثه عنهم يتسم بدرجة كبيرة من
الدقة والوضوح، هنا الي جانب كونها أقرب المناطق العربية الي ولايات
الامبراطورية الرومانية. في حين ظهر في وصف الكاتب لبلاد اليمن عدم
دوخي الدقة ويرجع ذلك الي عدة أسباب، منها أن معلومات استرابون عن
بلاد العرب الجنوبية أستقاها من مصادر مختلفة- لكتاب اغريق سابقين
عليه. وأن هذه المصادر كتبت في فترات زمنية متباعدة مما يجعل صورة
البلاد وأحوالها تبدو مختلفة ومتناقضة، أضف الي ذلك أن استرابون
نفسه- كما أسلفنا- لم يرافق الحملة كما سبق أن أشرنا. كذلك لم يدخل
الرومان بلاد العرب الجنوبية بعد أن فشلت حملتهم المذكورة في اقتحام
مأرب عاصمة السبئيين. وهنا يفسر قلة المعلومات التي أضافتها الحملة
عن هذه المنطقة المهمة من بلاد العرب.

ملاحظة أخرى يجدر بنا ذكرها وهي الاسباب التي جعلت الكاتب
استرابون يركز علي غرب الجزيرة في حين لم يعر الا الاهتمام القليل

للمناطق الشرقية من شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي الفارسي.

تفسير اهماله لهذه المناطق، في رأيي - يعود الي كون الخليج وشرق شبه الجزيرة بعيدين عن متناول الرومان نظرا لسيطرة دولة الفريين (Parthi) علي شمال الخليج، وأن بلاد الرافدين كانت ضمن ممتلكاتهم. ولهذا فقد ركزت اتصالات الامبراطورية الرومانية ببلاد الهند والشرق بصفة عامة في طريق البحر الاحمر ومضيق باب المندب وحر العرب والمحيط الهندي وأصبح طريق تجارتها هو الطريق الوحيد المار عبر هذه البحار. وهذا يفسر الاسباب والذوافع الكامنة وراء محاولة الرومان للسيطرة علي بلاد اليمن التي كانت ولا تزال في هذا الطريق.

ملاحظة أخيرة تتعلق باشتراك قوتين من عرب الانباط و اليهود. في هذه المسألة لم يخبرنا الكاتب صراحة عن كيفية انضمامهم الي الحملة المذكورة. فهل التحقوا بها في ميناء ليوكي كومي النبطي؟ أم أن اليهود علي الاقل قلموا مع الحملة من مصر التي كانت تعيش فيها جالية يهودية كبيرة في ذلك الوقت؟

ملخص القول أن الحملة الرومانية بقيادة ايلوس جالوس علي البلاد العرب فشلت فشلا ذريعا في تحقيق أهدافها للاسباب المتعددة التي ذكرناها، لكنها كما ذكر استرابون، أقادتنا لبعض المعلومات الطفيفة عن بلاد العرب. عن هذه المعلومات التي جمعتها الحملة عن بلاد العرب سنخصص بحثنا الثالث عن استرابون وبلاد العرب ان شاء الله.

د. محمد عبودي إبراهيم

قسم الآثار والدراسات اليونانية، الرومانية كلية الآداب جامعة الاسكندرية

١ - مصادر البحث

- 1 - Diodoros siculus, Library of History, L.C.L.
- 2 - Herodotos, Histories, (L.C.L).
- 3 - F. Jacoby, Die Fragmente der Griechischen Historiker, Vol. 3.C.
- ١ - Strabon, Geography, (L.C.L.) BK : XVI .
- 5 - Theophrastos, Historiz plantorum (L.C.L).

٢ - مراجع البحث العربية

د . . لطفى عبد الوهاب يحيى : العرب فى العصور القديمة، ماحل حضارى فى تاريخ العرب قبل الاسلام (دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٩).

د. محمد بيرمى مهران : الديانة العربية قبل الاسلام . الاسكندرية .

٣ - مراجع البحث الاجنبية

- Bunbury, E.H., A History of Ancient Geography II Vols (Dover - New York, 1959).
- Cary, M. and Haarhoff, T.J., Life and Thought in the Greek and Roman World.

(Methuen. U.P. London, 1966).

- Fraser, P., Ptolemaic Alexandria, Vol. I. (Oxford 1972).
- Grimal, Pierre and Others, Hellenism and the Rise & Rome. (Weidenfeld and Nicolson - London 1968).
- Hourani F., Did Roman Commercial Competition Ruin South Arabica, Journal of Near Eastern Studies, 11 - 12 - (1952 - 1953) PP. 291 - 295.
- Walton, Brian G. and Higgins William R., The Greek and Roman Worlds, (U.P. of America, 1980).